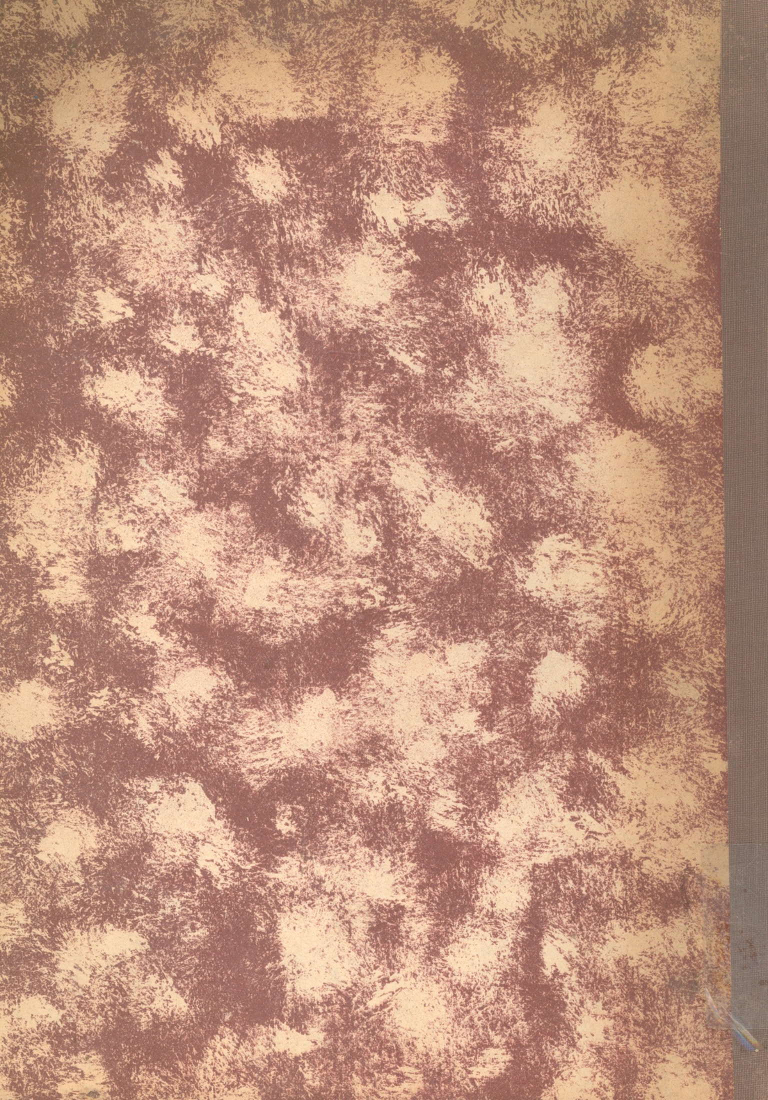




فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء

للعلامة الاديب والفهامة الاريب الشيخ أحمد بن محمد ابن عرب شاه الحنفى تغمده الله تعالى برحمته ولطفه الخفى آمين

(وبهامشه كتاب كليلة ودمنة تأليف بيدبا الفيلسوف الهندى وترجمة عبد الله بن المقفع الكاتب من اللغة الفهلوية الى اللغة العربية)

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)
على نفقة أصحابها (مصطفى البابى الحلبى وأخويه)
(بكرى وعيسى بمصر)

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) الذى شهدت الكائنات بوجوده وشمل الموجودات عميم كرمه وجوده ونطقت الجمادات بقدرته وأعربت العجماوات عن حكمته وتخاطبت الحيوانات بلطيف صنعته وتناغت الاطيار بتوحيده وتلاغت وحوش القفار بتفريده كل باذل جهده وان من شئ الا يسبح بحمده بل المكان ومن فيه والزمان وما يحويه من نام وجامد ومشهود وشاهد تشهد بانه اله واحد منزه عن الشريك والمعاند مقدس عن الزوجة والولد والوالد مبرأ عن المعاند والمنادد مسبح باصناف المحامد (أحمده) حمدا تنطق به الشعور والجوارح وأشكره شكرا يصيد نعمه صيد المصيد بالجوارح (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له رب أودع أسرار ربوبيته فى بريته وأظهر أنوار صمديته فى جوانى بحره وبريته فبعض يعرب بلسان قاله وبعض يعرب بلسان حاله وتسبحه السموات باطيطها والارض بغطيطها والابحر بخريرها والاسد بزئيرها والحمام بهديرها والطير بتغريدها والرياح بهبوبها والبهائم بهبيبها والهوام بكشيشها والقدور بنشيشها والخيل بضبحها والكلاب بنبحها والاقلام بصريرها والنيران بزفيرها والرعود بجيجها والبغال بشحيجها والانعام برغائها والذباب بطنينها والقسى برنينها والنياق بحنينها كل قد علم صلاته وتسبيحه ولازم فى ذلك غبوقه وصبوحه وعمروا بذلك أجسادهم وأرواحهم ولكن لا تفقهون تسبيحهم (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى من صدقه تم سوله أفضل من بعث بالرساله وسلمت عليه الغزاله وكلمه الحجر وآمن به المدر وانشق له القمر ولبت دعوته الشجر واستجار به الجمل وشكا اليه شدة العمل وحن اليه الجذع ودر عليه يابس الضرع وسبحت فى كفه الحصباء ونبع من بين أصابعه الماء وصدقه ضب البريه وخاطبته الشاة المصليه صلى الله عليه صلاة تنطق بالاخلاص وتسعى لقائلها بالخلاص وعلى آله أسود المعارك وأصحابه شموس المسالك وسلم تسليما وزاده شرفا وتعظيما (أما بعد) فان الله المقدس فى ذاته المنزه عن سمات النقص فى صفاته قد أودع فى كل ذرة من مخلوقاته من بديع صنعه ولطيف آياته ومن الحكم والعبر ما لا يدركه البصر ولا تكاد تهتدى اليه الفكر ولا يصل اليه فهم ذوى النظر ولكن بعض ذلك للبصر بالرصد ظاهر يدركه كل أحد قال الله

تعالى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى خلق الانسان فى أحسن تقويم وخصه دون المخلوقات بشرف التكريم ووهبه عقلا يتدبر به ما فى السموات والأرض من آيات ليسلك بارشاده أوضح المحجات ويمحو بنوره ظلمات الريب والالباس قائلا سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس والصلاة والسلام على من بين معالم العرفان المختص بجوامع الكلام فى غاية البيان سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين (أما بعد) فان أتحف العوارف وألطف المعارف علم يتوصل به الى صدق الفراسة ويستنبط منه حسن السياسة وأحسن ما لاح على صفحات ذلك الوجه وجنه كتاب كليله ودمنه من الكتب التى ترجمت فى صدر الدولة العباسية من اللغة الاعجمية الى اللغة العربية لانه فى ضروب السياسة أكبر آية وفى جوامع الحكم والآداب أبلغ آية حرى بان يكتب بسواد المسك على بياض الكافور وحقيق بان يعلق بخيوط النور على نحور الحور ولذلك عكف على الاعتناء

تعالى وجل ثناؤه جلالا وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وقال عز من قائل في كلامه الطائل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقال الشاعر

فني كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

لكن لما كثرت هذه الآيات والحكم وانتشرت أزهار رياضها في وهاد العقول والاكم وترادف ما فيها من العجائب والعبر وتكرر ورود مراسيمها على رعايا السمع والبصر وعادتها النفوس ولم يكترث بوقوعها القلب الشموس ولم يستهجن من وجودها ولم يلتفت الى جدودها فكثر في ذلك أقوال الحكماء وتكررت مقالات العلماء فلم تصغ الاسماع اليها ولا عولت الافكار عليها فقصد طائفة من الاذكياء وجماعة من حكماء العلماء ممن يعلم طرق المسالك ابراز شئ من ذلك على ألسنة الوحوش وسكان الجبال والعروش وما هو غير مألوف الطباع من البهائم والسباع وأصناف الاطيار وحيتان البحار وسائر الهوام فيسندون اليها الكلام لتميل لسماعه الاسماع وترغب في مطالعته الطباع لان الوحوش والبهائم والهوام والسوائم غير معتادة لشئ من الحكمه ولا يسند اليها أدب ولا فطنه بل ولا معرفة ولا تعريف ولا قول ولا فعل ولا تكليف لان طبعها الشماس والاذى والافتراس والافساد والنفور والعدران والشرور والكسر والتفريق والنهش والتمزيق فاذا أسند اليها مكارم الاخلاق وأخبر بانها تعاملت فيما بينها بموجب العقل والوفاق وسلكت وهي مجبولة على الخيانة سبل الوفاء ولازمت وهي مطبوعة على الكدورة طرق الصفاء أصغت الآذان الى استماع أخبارها ومالت الطباع الى استكشاف آثارها وتلقتها القلوب بالقبول والصدور بالانشراح والبصائر بالاستبصار والارواح بالارتياح لكونها أخبارا منسوجة على منوال عجيب وآثارا أسديت لحمتها في صنع بديع غريب لاسيما الملوك والامراء وأرباب العدل والرؤساء والسادة والكبراء وابناء الترفه والنعم وذوو المكارم والكرم اذا قرع سمعهم قول القائل صار البغل قاضيا والنمر طائعا لا عاصيا والقرد رئيس الممالك والثعلب وزير الذلك والذئب مؤرخا أديبا والحمار منجما طبيبا والكلب كريما والجمل نديما والغراب دليلا والعقاب خليلا والحدأة صاحبة الامانة والفأرة كاتبة الخزانة والحية راقية والبومة ساقية وضحك النمر متواضعا وغدا الاسد لارشاد الذئب سامعا ورقص الغزال في عرس القنفد وغنى الجدي فطرب الجدجد وتصادق القط والجرذان وصار السرحان راعي الضان وعانق الليث الحمل والذئب الجمل ورفع الباشق الحمامة على رقبته وحمل ارتاحت لذلك نفوسهم وزال عبوسهم وانشرحت خواطرهم ودرت سرائرهم وأصغت اليه أسماعهم ومالت اليه طباعهم وأدى طيشهم الى أن طاب عيشهم ولكن أهل السعادة وأرباب السيادة ومن هو متصد لفصل الحكومات والذي رفعه الله الدرجات فانتصب لاغاثة الملهوفين وخلاص المظلومين من الظالمين والمتنبهون بتوفيق الله تعالى لدقائق الامور وحقائق ما تجري به الدهور اذا تاملوا في لطائف الحكم والفرائد التي أودعت في هذه الكلم ثم تفكروا في نكت العبر وصفات العدل والسير والاخلاق الحسنة والقضايا المستحسنة المسندة الى ما لا يعقل ولا يفهم وهم من أهل القول الذي يشرف به الانسان ويكرم يزدادون مع ذلك بصيرة ويسلكون بها الطرق المنيرة فتتوفر مسراتهم وتتضاعف لذاتهم وربما أدى بهم فكرهم وانتهى بهم في أنفسهم أمرهم ان مثل هذه الحيوانات مع كونها جمادات اذا اتصفت بهذه الصفة وهي غير مكلفة وصدر منها مثل هذه الامور الغريبة والقضايا الحسنة العجيبة فنحن أولى بذلك فيسلكون تلك المسالك وقد ضرب الله ذو الجلال في كلامه العزيز الامثال فقال مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون وقال سبحانه بعد ذلك وتلك الامثال نضربها للناس

به أصناف الناس فترجوه من العربية الى لغاتهم من سائر الاجناس ثم اغتالت نسخه العربية أيدي الدهور والاعصار وطار بها من رياح الحوادث اعصار فقيض الله صاحب الفتوحات السنيه والهمة العلية العلوية حامي ذمار المسلمين والاسلام ماد سرادق العدل على كافة الانام قاهر الطغاة والجبابرة ومرغم أنوف المتمردة الفاجرة أمير أمراء المؤمنين وسيف الله المسلول على أعناق المعتدين الحاج محمد علي باشا لازالت بذباب سيفه مهج العدا تلاشى ولا برحت ألويته بالنصر منشوره وعساكره في كل وجهة مظفرة منصوره فأعمل في خدمة الشريعة الغراء وسلوك المحجة الواضحة البيضاء كلا من حد السيف وسنان القلم حتى فجر بمتون الصفائح والصحائف ينابيع النصر والحكم وتصدى لاحياء رميم المكرمات الدوارس وانتدب لاعادة دارس العلوم بانشاء المدارس جامعا بين داني الشرف وقاصيه حقيقا بما قلت فيه

ماذا أقول وكيف القول في ملك
قد فاق ملوك الاعصر الاول
محمد أنت ان أحدك مبتهلا

وما يعقلها الا العالمون وقال سبحانه ما أعظم شأنه يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وقال تعالى ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وقال تعالى وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وقال تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين أسند سبحانه وتعالى الافعال والاقوال الى الجمادات بعدما وجه الخطاب اليها وقال تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم وكل ما جاء في هذه الطريقة فانه بالنسبة اليه تعالى حقيقة لانه قادر على كل شئ وسواء عنده الميت والحي ولا فرق في كمال قدرته بالنظر الى قدرته ومشيئته وتصور كمال عظمته وهيبته بين الناطق والصامت والنامي والجامد والشاهد والغائب والآتي والذاهب كما لا فرق في هذا الكمال بين الماضي والاستقبال وقال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وقال فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض وقال تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقال في الهدهد فقال أحطت بما لم تحط به وقال الشاعر * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب * وقالت العرب في أمثالها قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني قل لمن ورائي يتركني ورائي وقالوا أكرم من الاسد ومن أشهر أمثالهم قالوا ان الارنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فاكلها فانطلقا الى الضب فقالت الارنب يا أبا الحسين قال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم اليك قال عادلا حكمتما قالت اخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت اني وجدت تمرة قال حلوة فكليها قالت فاختلسها مني الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمني قال حر انتصر لنفسه قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت هذه الاقوال كلها أمثالا وقالوا تحككت العقرب بالافعى وقال الشاعر

قام الحمام الى البازي يهدده * واستصرخت باسود البر أضبعه

وهذا أمر مستفيض مشهور معروف بين الانام غير منكور والحصر في هذا المعنى يتعسر والاستقصاء يتعذر وانما الاوفق التمثيل والتنظير والاستدلال بالقليل على الكثير فيتفكه السامع تارة ويتفكر أخرى وينتقل في ذلك من الاخفى الى الاجلى ويتوصل بالتأمل في معانيه من الادنى الى الاعلى ومن جملة ما صنف في ذلك واشتهر فيما هنالك وفاق على نظائره بخبره ومنظره وحاز فنون الفطنة كليلة ودمنة والمتمثل بحكمة الطباع كتاب سلوان المطاع والمفحم بنظمه العجيب كل شاعر وأديب معجز الضراغم الصادح والباغم وفي غير لسان العرب ممن يتعاطى فن الادب جماعة رضعوا أفاويقه وسلكوا من هذا النمط طريقه لكن تقادم عصرهم واشتهر أمرهم وتكرر ذكرهم وصارت مصنفاتهم مطروقة وعتاق نجائبها في ميدان التامل عتيقة فملت من دهري فلذه وعملت بموجب لكل جديد لذة وسيرت فارس الافكار في ميدان هذا المضمار وقصدت من الفائدة ما قصدوه ومن العائدة في الدارين ما رصدوه وجمعت ما بلغني عن نقلة الاخبار وحملة الآثار ورواة الاسفار على لسان شيخ الطوائف ومنبع المعارف وامام الطوائف ومجمع العوارف ذي الفضل والاحسان أبي المحاسن حسان ووضعت هذا الكتاب نزهة لبني الآداب وعمدة لاولي الالباب من الملوك والنوّاب والامراء والحجاب وجعلته عشرة أبواب

وان طلبت لك العلياء أنت على قد أعجز البلغاء اللسن منقبة * عمار وواين صدق القول والعمل أعلى الممالك ما يبنى على الاسل * والطعن عند محبيهن كالقبل وما نقر سيوف في ممالكها * حتى تقلقل دهرا قبل في القلل مثل المليك بغى أمرا فقربه طول الرماح وأيدي الخيل والابل وعزمة بعثتها همة زحل من تحتها بمكان الترب من زحل على الفرات أعاصير وفي حلب توحش للقي النصر مقتبل تتلو سنته الكتب التي نفذت ويجعل الخيل أبدالا من الرسل يلقى الملوك فلا يلقى سوى جزر وما أعدوا فلا يلقى سوى نفل الفاعل الفعل لم يفعل لشدته والقائل القول لم يترك ولم يقل والباعث الجيش قد غالت عجاجته ضوء النهار فصار الظهر كالطفل الجو أضيق ما لاقاه ساطعها ومقلة الشمس فيه أحير المقل ينال أبعد منها وهي ناظرة فما تقابله الاعلى وجل قد عرض السيف دون النازلات به وظاهر الحزم بين النفس والغيل ووكل الطعن بالاسرار فانكشفت له ضمائر أهل السهل والجبل هو الشجاع يعد البخل من جبن * وهو الجواد يعد الجبن من بخل يعود من كل فتح غير مفتخر * وقد أعد اليه غير محتفل ولا يجير عليه الدهر بغيته * ولا تحصن درعا مهجة البطل اذا خلعت على عرض له حلل

ومن الله أستمد الصواب وأستغفره من الخطا فى الجواب انه رحيم توّاب كريم وهاب (وسميته فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء) شعر

فان يفض بحر علمى نهد منه على * در بنيرعيون العقل فى السدف
ألبسته من خلاعات النهى حلا * وربما ازدان عقد الدر بالخزف
والفضل يحتاج فى ترويج سلعته * الى الخرافة والمعقول للخرف
فاعبر الى البحر تجن الدر منه ولا * يلهيك عن دره اضحوكة الصدف

(الباب الاول) فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب السبب (الباب الثانى) فى وصايا ملك العجم المتميز عن أقرانه بالفضل والحكم (الباب الثالث) فى حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك (الباب الرابع) فى مباحث عالم الانسان مع العفريت جان الجان (الباب الخامس) فى نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع (الباب السادس) فى نوادر التيس المشرقى والكاب الافرقى (الباب السابع) فى ذكر القتال بين أبى الابطال الريبال وأبى دغفل سلطان الافيال (الباب الثامن) فى حكم الاسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد (الباب التاسع) فى ذكر ملك الطير العقاب والحلتين الناجيتين من العقاب (الباب العاشر) فى معاملة الاعداء والاصحاب وسياسة الرعايا والاحباب ونكت وأخبار وتواريخ أخيار وأشرار

(الباب الاول فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب السبب)

(قال) الشيخ أبو المحاسن بلغنى عن ذى فضل غير آسن انه كان فيما غبر من الزمان قبل من الاقيال غزير الافضال عزيز الامثال وارث المعارف حائز الفضائل واللطائف وافر السيادة كامل السعادة ذو حكم مطاع وجند وأتباع وممالك واسعة ذات أطراف شاسعة تحت أوامره ملوك عده ذو سطوات ونجده وله من الاولاد الذكور خمسة أنفار كل بالسيادة مذكور وبالعلم والحلم والحكم مشهور ومشكور متوشح للسلطنة متول من والده مكانا من الامكنة وكان أسعدهم عند أبيه وهو متميز على اخوته وذويه بسمى المنظر اياسى المخبر ذا فهم مصيب واسم فى فضله حسيب قد حصل أنواعا من العلوم وأدركها من طريقى المنطوق والمفهوم وكان لهذا الفضل الجسيم يدعى بين الصغير والكبير الحكيم فلما دعا أباهم داعى الرحيل وعجل الى دار البقاء أجمال التحميل استولى على السرير أكبر أولاده وأطاعه اخوته ورؤس أمرائه وأجناده وصار السعد يراقبه والملك بلسان الحال يخاطبه

شعر نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكب

واستمر اخوته فى خدمته مغتنمين أيادى طاعته رافلين فى خلع محبته ومودته ومضى على ذلك برهة وهم فى أرغد عيش ونزهة ثم انه حصل فى خواطر الاخوه ما خطر فى خواطر الالداء من الجفوه وقلوب الحساد من الصدو والنبوة فداخلتهم النفاسه وطلبوا كأخيهم الرياسه فقلبوا لاخيهم ظهر المجن وأظهر كل ما أكن وقال فيه ما أجن وأراد شق العصا وان يشهر عنه انه عصى غير أن أخاهم الحكيم تفكر فى هذا الامر الوخيم وأمعن فيه النظر وساورته الوساوس والفكر فانه وان كان أغزرهم ذكاء وأوفرهم وفاء فهو أصغرهم عمرا وأحقرهم قدرا لا طاقة له على الاستبداد ولا أن يتحازا لى أحد من ذوى العناد اذ الانحياز الى أحدهم ترجيح بلا مرجح وتصحيح لاحد التأويلين بلا مصحح فاداه اجتهاده الى الانخذال وتقليد مذهب الاعتزال والقول بوجوب رعاية الاصلح ومن أمكنه العزلة خصوصا فى زمن الفتنة فقد أفلح فأخذ يفكر فى تعاطى أسباب الخلاص وكيفية التفصى من عهدة هذا الاقتصاص واستنهض الفكرة الحائرة ليظفر به من سور هذه الدائرة وتاخذ به على جهة واحدة الى ان ينجلى غبار

وجدتها منه فى أبهى من الحلل بذى الغباوة من انشادها ضرر * كما تضر رياح الورد بالجعل لقد رأت كل عين منه ما لتها * وجربت خير سيف خيرة الدول * فما تكشفت الاعداء عن ملل * من الحروب ولا الآراء عن زلل وكم رجال بلا أرض لكثرتهم تركت جمعهم أرضا بلا رجل ما زال طرفك يجرى فى دمائهم حتى مشى بك مشى الشارب الثمل يا من يسير وحكم الناظرين له فيما يراه وحكم القلب فى الجذل ان السعادة فيما أنت فاعله وفقت مرتحلا أو غير مرتحل أجرا لجياد على ما كنت مجريها وخذ بنفسك فى أخلاقك الاول ينظرن من مقل أدمى أحجتها قرع الفوارس بالعسالة الذبل فلا هجمت بها الا على ظفر ولا وصلت بها الا الى أمل (ومن جملة) ما جعله للدين والدنيا زينة وعيدا ولأرباب الحروب والمحاريب موسما سعيدا دار الطباعة التى أنشأها ببولاق حيث لم يكن مثلها فى سائر الاقطار والآفاق لان الكتب تطبع فيها من سائر العلوم بكل لغة وبكل رسم مع تلون المداد كما هو معلوم فصادف سعده المقترن من الله بالمنة وجود نسخة مطبوعة بالعربى فى غير بلاد العرب من كتاب كليله ودمنه وهى التى ترجمها عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور فى أيام أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور وكانت ترجمتها من اللغة الفهلوية الى العربية واتفق الناس على صحة تلك النسخة لشهرة مصححها بالالمعية حيث قال فى ديباجتها اجتمع عندى من كتاب كليله ودمنه نسخ شتى متفقة

هذه المناكدة ثم اتبع الكتاب فى مشاورة الاصحاب فاستشار ثقة من أهل المقة وعرض عليه العزلة وكيف يتمكن من هذه النعمة الجزلة فقال له بعد أن استصوب رأيه طريق التوصل الى الانفراد ياذا الدرايه أن تستأذن فى تاليف تصنيف وترصيف تاليف يشتمل على فنون من الحكمة وأنواع من دقائق الادب والفطنة ولطائف التهذيب وأخلاق العباد ويكون عونا على اكتساب مصالح المعاش والمعاد وتتوفر به مكارم الاخلاق والشيم وعوالى تهذيب النفس وطرائف الفضل والحكم فيظهر بذلك غزارة علمك ويشتهر بين الخاص والعام نباهة فضلك وحلمك ولا يقف أحد فى طريقك ولا يقدر أحد أن يتصدى لتعويقك ويحصل بذلك فوائد جه أدناها الخلاص من ورطة هذه الغمه الى أن ينجلى دجاها وتنجلى شمس الاستقامة وضحاها فاستقر رأى الحكيم حسيب على العمل بهذا الرأى المصيب ثم توكل على الله واعتمده وتوجه الى ماقصده ودخل غير مرتبك على الملك وقبل الارض ووقف فى مقام العرض وذكر ماعزم عليه أوتوجه قصده اليه بعبارة رقيقة وألفاظ رشيقه فتامل الملك فى خطابه وتوقف فى جوابه وكان للملك وزير ذو فضل غزير فى غاية الحصافه والمعرفة والظرافه ان لطف كان رافه وان كثف كان آفه بعيد الغور ان رفع أبلغ الى الثريا وان وضع أنزل الى الثور بينه وبين الحكيم من سالف العهد القديم عداوة مؤكده وشدة مؤبده وتحاسد الاكفاء غل قل وعداوة النظراء جرح لا يندمل فبلغه ماأنهى الحكيم الى مسامع الملك الكريم فتصدى للمعارضة وتهيأ للمعاكسة والمناقضة وأقبل يرفل فى ثوب المكر وقد شد دهاء الختل والختر حتى وقف فى مقامه واستطرد الى قضية الحكيم فى كلامه فاجرى الملك كلام أخيه واستشار الوزير فيه فاغتنم الفرصة وأراد القاءه فى غصة بايراد مثل قصد به ايذاءه وقصه ثم قال أما ماقصده الحكيم من العزلة فهو رأى قويم وفكر مستقيم لان الاعداء اذا تفرقوا تشققوا ومتى قلوا ذلوا وقد قيل

وما بكثير ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا الكثير

واذا نقص من أعداء الملك واحد سيما مثل اللئيم حسيب الحكيم فهى نعمة طائلة وسعادة واصله ودولة مستصحبه وكما قيل نعمة غير مترقبة ويتوصل من ذلك الى تشتيت أمرهم الحالك وتصارم أقوالهم وتخالف أحوالهم واضطراب رأيهم وأفعالهم وقد قيل

وتشتت الاعداء فى آرائهم * سبب لجمع خواطر الاحباب

وأما قصده وضع الكتاب فانه خطأ لاصواب وتعبيره بان فيه فوائد وحكما وأقوال العلماء والحكما وأن يرفع به للعلم علما فانه مكر وخديعة من سوء السريرة وخبث الطبيعه يريد أن يستر جهله وأن يظهر على فضل الملك فضله ويشتمل بذلك الوسواس على قلوب الناس فتنصرف الوجوه اليه وتقبل الرعايا عليه ولكن يامولانا الملك لاتمنع ذلك المنهمك وأجبه الى ماسأل وطالبه بمابذل وألزمه بالانفراد ودعه وماأراد فان عدم اجتماعه بالناس لنافيه أمن من الباس فيشتغل حينئذ بنفسه ويتقلب فى طرده وعكسه وأسال مولانا السلطان ذا الايادى والاحسان قبل الاذن له وشروعه فى المسئله أن يجمع بينى وبينه لابين شينه وزينه وأظهر لمولانا السلطان زوره ومينه فيتحقق دسائسه ومابنى عليه وساوسه وأدى اليه فكره ووصل اليه خداعه ومكره فعند ذلك يصدر أمره الشريف بمايقضيه رأيه المنيف فاجابه الى سؤاله وأمر طائفة من رجاله فسيرهم الى الآفاق بمراسيم جمعها الاتفاق الى رؤساء مملكته وكبراء دولته فاستدعى العلماء وذوى الفضل والحكماء وأولى الآراء والصلحاء ومن يشار اليه بالفضائل ويتسم بسمة من الفواضل وكل أديب أريب من بعيد أوقريب وقاطن وغريب وبين لهم مكانا يجتمعون اليه وزمانا لايتاخرون عنه ولا يتقدمون عليه فاجتمع القوم فى ذلك اليوم

السياق والانتظام مختلفة العبارة والالفاظ وكان من عددها نسخة قديمة العهد عجيبة الخط غير أنه كان يوجد فيها مع جودتها بعض الغلطات وقد ذهب منها أيضا بتصريف الشهور والايام أوراق جعلت عوضا عنها أوراق غيرها جديدة العهد رديئة الخط ليست على هيئة الباقى والنسخة المذكورة هى التى اخترتها حتى تكون هى الاصل المعتمد عليه عند طبع هذا الكتاب غير أنى كلما عثرت فيها على غلطة أوما اشتبه على القارئ فهمه قابلتها بما عندى من النسخ غيرها وأثبت مارأيت لفظه أفصح ومعناه أوضح انتهى كلامه * ثم ان تلك النسخة المطبوعة عرضت هى وغيرها على شيخ مشايخ الاسلام وقدوة عمد الانام مولانا الشيخ حسن العطار أدام الله عموم فضله مادام الليل والنهار فقال يصح أن لايوجد لها فى الصحة مثال لشهرة مصححها بالضبط وسعة الاطلاع على الاقوال وحينئذ اتفقت الآراء على أن يكون المعول فى طبع ذلك الكتاب عليها ومنتهى اختلاف النسخ ووفاقها اليها فبادرت اشارة الامر بصريح الامتثال وسرحت فى رياض تلك النسخ سائم الطرف والبال فوجدت المطبوعة أفصحها عبارة وأوضحها اشارة وأوضحها معنى وأحكمها مبنى غير ان فيها لفظات حادت عن سنن العربية وبعض معان مالت به الركاكة عن أن يفهم بطريقة مرضية فقربت أضياف المعانى باى لفظ تشتهيه وصاحب البيت أدرى بالذى فيه خصوصا مع وجود المواد التى تكشف عن وجوه الصحة نقاب الاشتباه ومن كان

حسب

حسب ما برز المرسوم فى المكان المعلوم وجلس الملك فى مجلس عام وحضر الخاص والعام واستدعى أخاه الحكيم وقابله بالاحترام والتكريم وأنواع الاحسان والتعظيم ثم قال أيها الاخ الكريم والفاضل الحكيم كان تقدم منك الالتماس بالاذن فى تصنيف كتاب ينفع الناس مشتمل على الفوائد وفنون الحكم الفرائد يكسب الثواب الجزيل ويخلد الذكر الجميل فأحببت أن يكون ذلك بحضرة العلماء ومجمع الاكابر والفضلاء واتفاق آراء الحكماء وأرباب الدولة والمناصب وذوى الوظائف والمراتب وأهل الحل والعقد المتصرفين فى الحكم والامثال والنقد ليأخذ كل منهم حظه ويشنف سمعه ويزين لفظه ولحظه فتعم الفائدة وتشمل العائدة ويتحقق كل سامع وقائل ما لك من الفضائل والفواضل وتميز على أقرانك ورؤساء زمانك ويبلغ الاطراف وسائر الاكناف ما لديك للناس من اسعاف وما قصدت لهم من احسان والطاف فيتوفر لك الدعاء ويكثر لك الشكر والثناء لعظم فضلك وحسن آدابك فى نقلك وقد أذنا لك فى الكلام وسلمنا اليك تصريف الزمام لعلمنا أنك فارس ميدانه وفى بيان معانيك بديع بيانه ولسان فصاحتك يدحرج كرة البلاغة كيف شاء بصولجانه فقل ما بدا لك أحسن الله حالك فنهض الحكيم من مكانه وحسر طرف لثامه وبادر الى الارض بالتثامه وقال حيث أذن مولانا السلطان وتصدق بالاذن فى حسن البيان فلابد من اتمام الاحسان وذلك بالاصغاء وحسن الرعاية والارعاء فان حسن الاستماع هو طريق الانتفاع وهو الدرجة الثانية وهى مرتبة سامية فان حسن الاداء هى المرتبة الاولى وتليها أيها الملك المطاع مرتبة حسن الاستماع ثم تليها فى الزيادة مرتبة الاستفادة والمرتبة الرابعة وهى الجامعة النافعة درجة العمل وبها الفضل اكمل وأما الغاية القصوى والدرجة العليا والمرتبة الفاخرة فهى الاخلاص فى العمل وطلب الآخرة واتباع رضا المولى بترك السمعة والرياء ثم لخط العلوم الوضيحة أن النصيحة من حيث هى نصيحة تميز القلوب غيظا منها وتنفر النفس عنها لان النفس مائلة الى الفساد والنصيحة داعية الى الرشاد والنصيحة محض خير وبر والنفس مطبوعة على الاذى والشر فبينهما تنافر من أصل الخلقة وتباين من نفس الفطرة والنفس تميل الى ما جبلت عليه والنصيحة تجذب الى ما تدعو اليه قال العزيز الجبار حكاية عن الكفار ويا قوم ما لى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار فالسعيد من تأمل فى معانى الحكم وسلك السبيل الاقوم وتدبر فى عواقب الامور بالافتكار وتلقى الاشياء من طرف الاعتبار وقد قيل

اذا لم يغن قول النصح عقول * فان معاريض الكلام فضول

ثم عش واسلم وتيقن واعلم يا ملك الزمان ان أفضل شئ حل فى وجود الانسان وأحسن جوهرة تزين بها عقد تركيبه العقل الداعى الى كيفية تهذيبه فى أساليبه وأفضل درة ترصع بها تاج العقل فى تزيينه وترتيبه الخلق الحسن الذى فضل الله به خير خلقه فى تعلمه وتأديبه وخاطب بذلك نبيه الكريم فقال وانك لعلى خلق عظيم وبالخلق الحسن ينال شرف الذكر فى الدارين ولا يضع الله الخلق الحسن الا فيمن اصطفاه من الثقلين وأفضل جنس الانسان بعد الرسول الرفيع الشان الملك الذى يحيى أحكام شريعته ويمشى على سنته وطريقته واذا كان الملك حسن الخلق والفعال فهو فى الدرجة العليا من الكمال قال الرسول النجيب صاحب التاج والقضيب محمد المصطفى الحبيب صلى الله عليه وسلم صلاة يتمسك بأذيالها الطبيب ويترنح لنسمات قبولها الغصن الرطيب ألا أخبركم على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب وروى ان ذلك السيد السديد الكامل المكمل الرشيد أتى برجل فكلمه فارعد فقال هون عليك فانى لست بملك ولا جبار وأنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ومن جملة حسن الخلق

ذا مكنة فلينفق مما آتاه الله مستعينا على ذلك بما لدى من النسخ التى بخط القلم معولا على عناية من علم الانسان ما لم يعلم حتى أثمرت اشاعة ذلك الكتاب مع غاية التحرير بحديقة تلك المطبعة المشرقة بطوالع التنوير على (٧) يد مصحح ما بها من الكتب العربية المستمد من مولاه الاعانة والمعية راجى من الفضل يؤتى عبد الرحمن الصفتى غفر الله ذنوبه وستر فى الدارين عيوبه مع سائر المسلمين بحرمة طه ويس عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه الكرام

﴿باب مقدمة الكتاب﴾

قدمها بهنود بن سحوان ويعرف بعلى بن الشاه الفارسى ذكر فيها السبب الذى من أجله عمل بيدبا الفيلسوف الهندى رأس البراهمة لدبشليم ملك الهند كتابه الذى سماه كليله ودمنه وجعله على ألسن البهائم والطير صيانة لغرضه فيه من العوام وضنا بما ضمنه عن الطغام وتنزيها للحكمة وفنونها ومحاسنها وعيونها اذ هى للفيلسوف مندوحة وللخاطر مفتوحة ولمحبيها تثقيف ولطالبيها تشريف وذكر السبب الذى من أجله أنفذ كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز ملك الفرس برزويه رأس الاطباء الى بلاد الهند لاجل كتاب كليله ودمنه وما كان من تلطف برزويه عند دخوله الى الهند حتى حضر اليه الرجل الذى استنسخه له سرا من خزانة الملك ليلا مع ما وجد من كتب علماء الهند وقد ذكر الذى كان من بعثه برزويه الى مملكة الهند لاجل نقل هذا الكتاب وذكر فيها ما يلزم مطالعه من اتقان قراءته والقيام بدراسته والنظر الى باطن كلامه وانه ان لم يكن كذلك لم يحصل على الغاية منه

وذكر فيها نحو برزويه وقراءة الكتاب تجهز أو قد ذكر السبب الذى من أجله وضع بزرجمهر بابا مفردا يسمى باب برزويه المتطبب
وذكر فيه شأن برزويه من أول أمره وأن مولده الى أن بلغ التأديب وأحب الحكمة واعتبر فى أقسامها وجعله قبل باب الاسد
والثور الذى هو أول الكتاب (قال) على بن الشاه الفارسى كان السبب الذى من أجله وضع بيدبا الفيلسوف لدبشليم ملك الهند كتاب كليلة ودمنة أن الاسكندر ذا القرنين الرومى لما فرغ من أمر الملوك الذين كانوا بناحية المغرب سار يريد ملوك المشرق من الفرس وغيرهم فلم يزل يحارب من نازعه ويواقع من واقعه ويسالم من وادعه من ملوك الفرس وهم الطبقة الاولى حتى ظهر عليهم وقهر من ناواه وتغلب على من حاربه فتفرقوا طرائق وتمزقوا خرائق فتوجه بالجنود نحو بلاد الصين فبدأ فى طريقه بملك الهند ليدعوه الى طاعته والدخول فى ملته وولايته وكان على الهند فى ذلك الزمان ملك ذو سطوة وبأس وقوة ومراس يقال له (فور) فلما بلغه اقبال ذى القرنين نحوه تأهب لمحاربته واستعد لمجاذبته وضم اليه أطرافه وجد فى التألب عليه وجمع له العدة فى أسرع مدة من الفيلة المعدة للحروب والسباع المضراة للوثوب مع الخيول المسرجة والسيوف القواطع والحراب اللوامع فلما قارب ذو القرنين من فور الهندى بلغه ما قد أعد له من الخيل التى كأنها قطع الليل مما لم يلقه بمثله أحد من الملوك الذين كانوا فى الاقاليم فتخوف ذو القرنين من تقصير يقع به ان عجل المبارزة وكان ذو القرنين رجلا

العدل والشفقة على الرعية والفضل واذا حسن خلق الملوك العلية صلحت بالضرورة الرعية طائعة وكارهة وسعت فى ميدان الطاعة فارهة فان الناس على دين ملوكهم وسالكون طرائق سلوكهم وارذل عادة الملوك الطيش والخفة وأن يكون ميزان عقله خالى الكفة وان عدم الثبات والوقار من عادة الاطفال والصغار والرجل الخفيف القليل الحيلة لا يقدر على تدبير الامور الجليلة ولا بابه وجد له ولا طاقة للدخول فى الاشغال الشاقه ولا يستطيع أن يتحمل ثقل الرياسة ويتعاطى الايالة والسياسة ولا قدرة له على فصل الحكومات المشكلة والقضايا العريضة المعضلة ولا الوصول الى اثبات السيادة ولا الدخول فى أبواب السعادة فان تدبير الممالك وسلوك هذه المسالك يحتاج الى رجل كالجبل فى السكون والوقار أوان الثبات وكالبحر الهائج والسيل الهامر أوان الحركات واعلم يا ذا العلا والمالك المال والسما أنه يجب على الملك الكبير اجتناب الاسراف والتبذير فانه حافظ دماء الناس وأموالهم مراقب مصالحهم فى حالتى حالهم ومآلهم والمال الذى فى خزائنه قد اجتمع من وجوه مكامنه ومن خراج مملكته ومن أعدائه ومعادنه انما هو للرعية ليذهب عنهم البليه ويصرفه فى مصالحهم وما يحدث من حوائجهم وجوائحهم فهو فى يده امانة وصرفه فى غير وجهه خيانة فكما لا ينبغى أن يتصرف فى مال نفسه بالتبذير كذلك لا يتصرف فى أموالهم بالاسراف والتقتير ومصداق هذا المقال قول ذى الجلال جل كلاما وعز مقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فينبغى للملك بل يجب أن لا يستتر عن الرعية ولا يحتجب وان لا يبادر برسوم الابعد تحقيق المعلوم ولا يبرز مرسومه مالم يتحقق فيه معلومه وذلك بعد التأمل والتدبر وسترعورة القضية والتفكر وهذا لان مرسوم السلطان على فم أبناء الزمان وهو بمنزلة القضاء النازل من السماء واذا نزل القضاء وفتحت له أبواب السماء فلا يرد ولا يصد ولا يعوقه عن مضيه عدد ولا عد ولا حيلة فى منعه لاحد وأمر أولى الامر على زيد وعمرو كالسهم الخارج من الوتر بل شبه القضاء والقدر تعجز عن ادراك سره قوى البشر فكما أنه اذا انفذ سهم القضاء والقدر لا يمنعه ترس حيلة ولا يصده درع حذر فكذلك أمر السلطان لا يثبت لرده حيوان ولا يمكن تلقيه الا بالامضاء والاذعان فاذا لم يتدبر قبل ابرازه فى عواقب مآله واعجازه ربما أدى الى الندم والتأسف حيث زلت القدم ولا يفيد التلافى بعد التلاف ولا يرد السهم الى القوس وقد خرق الشغاف وكما أن الملك سلطان الانام كذلك كلامه سلطان الكلام وكل ما ينسب اليه فهو سلطان جنسه فيجب عليه حفظ كلامه كحفظ نفسه

(وحسبك يا ملك الزمان لطيفة للملك أنوشروان) فبرزت المراسيم الشريفه ببيان تلك اللطيفة فقال الحكيم ذكر أهل السير ونقلة الاثر أن الملك أنوشروان كان راكبا فى السيران فجمح به فرسه وقوى عليه نفسه فاستخف شانه وجبذ عنانه فهمزه ولكزه وضربه ووخزه فزاد جوحا وادجوحا فتجاذبا العنان فانقطع وكاد أنوشروان أن يقع فلاطف الفرس فاستكان ونجا بعد ان كاد يدخل فى خبر كان فلما وصل الى محل ولايته واستقر راجف قلبه من مخافته دعا بسائس المركوب فلبى دعوته وهو مرعوب فلعنه وشتمه وأراد أن يقطع يده وقدمه وقال لجم هذه الداهيه بلجام سيوره واهيه فانقطعت فى يمينى وكاد الفحل يرمينى ثم دعا بالمقارع وبالجلاد ليقطع منه الاكارع فقال السائس المسكين أيها الملك المكين وصاحب العدل والتمكين أسألك بالله الذى رفعك الى هذا المقام أن تسمع لى هذا الكلام فقال قل ولا تطل قال كان هذا العنان يقول وكلامه فصل لا فضول ومقوله قريب من العقول الملك أنوشروان سلطان الانس وفرسه سلطان هذا الجنس وقد تجاذبنى قوة سلطانين فانى لى طاقة هذا الثبات لهما ومن أين لاجرم ذهب منى الحيل فتمزقت بين سلطان الانس وملك الخيل فاعجب

انوشروان

أنوشروان من السائس هذا البيان فانعم عليه وأطلقه ومن رق عقابه وعذابه أعتقه وانما أوردت هذا البيان ليتحقق مولانا السلطان أن حركاته ملكة الحركات وصفاته سلطانة الصفات وكلامه ملك الكلام فلا يصرفه في كل مقام وليصنه بالتأمل قبل القول وليحتط لبروزه ويحفظه بالصدق والطول واذا أمر بأمر فلا يرجع فيه بل يستمر على ما أمر به لئلا يقال سفيه ثم اعلم يا مالك الرقاب أن كلا من الثواب والعقاب له حد معلوم ومقدار مفهوم ينبغي للملك أن لا يتعدى ذلك حدا وعلى الملك أن يصغى للنصيحة ممن مودته صحيحة وقد جرب منه الصدق وعلم منه الاخلاص في النطق لاسيما اذا كان ذا عقل صحيح وود صريح ولا ينفر من خشونة النصيحة ومرارتها فبرودة الخاطر وسلامة القلب حرقة حرارتها فان الناصح المشفق كالطبيب الحاذق فان المريض الكئيب اذا شكا الى الطبيب شدة ألمه من مرارة فيه يصف له دواء مرا فيزيد حرارته حرا فلا يجد بدا من شربه وان كان في الحال ينهض بكربه لعلمه بصدق الطبيب وانه في الرأي مصيب وما قصد بالدواء المر زيادة الضر وانما قصد بالمه عود الحلاوة الى فيه ولا يستحقر النصيحة ان كانت صادقة صحيحة ولا الناصح خصوصا الرجل الصالح فان سليمان وهو من أجل الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وأحد من ملك الدنيا وحكم على الجن والانس والطير والوحش والهوام استشار نملة حقيرة فنجح في أمره وخالف وزيره آصف بن برخيا فابتلي بفقره وسلب من جميع ما ملك وصار كما قيل أجير الصياد السمك ثم قال الحكيم حسيب أيها الملك الحسيب وأنا لما رأيت أمور المملكة قد اختلت ومباشري مصالح الرعية قلوبهم اعتلت ولعبوا بالثقيل والخفيف واستطال القوي منهم على الضعيف ومدوا أيديهم الى الاموال بالباطل وأظهروا الحالي في حلية العاطل وخرجوا عن دائرة العدل وطرحوا أهل العلم والدين والفضل وتولى المناصب غير أهلها ونزلت المراتب الى غير محلها وحرم المستحقون وأبطل المحققون الى أن وقع الاختلال وعم الفساد والضلال وقويت أعضاد الظلمة على العباد وسائر القرى والبلاد وهذا لا يليق بشرف مولانا الملك ولا بأصله ولا يجوز في شرع المروأة أن يكون الظلم طراز عدله اذ قدره العلي وأصله الزكي أعظم مقاما من ذلك ولا يحسن أن ينتشر الا صيت رأفته في الممالك وعلى الخير مضى سلفه الكرام وانطوى على ما نشرهم صحائف الايام وقد قيل

فان الظلم من كل قبيح * وأقبح ما يكون من النبيه

وقيل

ولم أر في عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام

ماوسعني الا الانحياز الى العزلة والتعلق بذيل الانفراد والوحدة وما أمكنني أن أعمل شيأ ولا أقطع دون العرض على الآراء الشريفة وامتثال ما تبرزه مراسيمها المنيفة فقد قال الناصح في بعض النصائح لا تخاطب الملوك فيما لم يسألوك ولا تقدم على ما لم يأمروك فلما أذن في الكلام قمت هذا المقام فقلت قطرة من بحور وذرة من طيور ورأيت ذلك واجبا علي ونفعه عائدا الي وذكرت بعض ما وجب على سائر الناصحين ولزم ذكره جميع المسلمين من طريق واحدة ولزمني أنا من طرق متعددة أدناها طريق المروة وأعلاها بل أغلاها وثيق الاخوة التي هي أقوى الاسباب وأعظم الوصلات في هذا الباب فان لحمة القرابة هي السبب الذي لا يقطعه سيف الحدثان والبنيان الذي لا يهدمه معول الزمان وأساس الاخوة عنوان الفتوة قال الله تعالى وعز جلالا وتقدس كلا سنشد عضدك بأخيك وقال القائل

أخاك أخاك ان من لا أخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح

(وناهيك يا ابن الملاح بقصة أولهي مع الضحاك) قال أخبرنا أيها الحكيم بذلك الحديث القديم قال الحكيم بلغنا عن التاريخ الباذخ الشماريخ أن الضحاك كان من أحسن الناس سيرة وأصفاهم سريرة

ذا حيل ومكايد مع حسن تدبير وتجربة فرأى اعمال الحيلة والتمهل واحتفر خندقا على عسكره وأقام بمكانه لاستنباط الحيلة والتدبير لاسره وكيف ينبغي له أن يقدم على الايقاع به فاستدعى بالمنجمين وأمرهم بالاختيار ليوم موافق تكون له فيه سعادة لمحاربة ملك الهند والنصرة عليه فاشتغلوا بذلك وكان ذو القرنين لا يمر بمدينة الا أخذ الصناع المشهورين من صناعها بالحذق من كل صنف فانتحت له همته ودلته فطنته أن يقدم الى الصناع الذين معه أن يصنعوا خيلا من نحاس مجوفة عليها تماثيل من الرجال على بكرة تجري اذا دفعت مرت سراعا وأمر اذا فرغوا منها أن تحشى أجوافها بالنفط والكبريت وتلبس وتقدم امام الصف في القلب ووقت ما يلتقي الجمعان تضرم فيها النيران فان الفيلة اذا لفت خراطيمها على الفرسان وهي حامية ولت هاربة وأوعز الى الصناع بالتشمير والانكماش والفراغ منها فجدوا في ذلك وعجلوا وقرب أيضا وقت اختيار المنجمين فاعاد ذو القرنين رسله الى (فور) بما يدعوه اليه من طاعته والاذعان لدولته فاجاب جواب مصر على مخالفته مقيم على محاربته فلما رأى ذو القرنين عزمته سار اليه باهبته وقدم (فور) الفيلة أمامه ودفعت الرجال تلك الخيل وتماثيل الفرسان فاقبلت الفيلة نحوها ولفت خراطيمها عليها فلما أحست بالحرارة ألقت من كان عليها وداستهم تحت أرجلها ومضت منهزمة هاربة لا تلوي على شيء ولا تمر باحد الا وطئته وتقطع (فور) وجمعه وتبعهم أصحاب الاسكندر وأثخنوا فيهم الجراح وصاح الاسكندر يا ملك الهند ابرز الينا وابق على

قدفاق الناس فضلا وبلغ ذكره الآفاق عدلا فتزياله ابليس فى صورة الدهاء والتلبيس فزعم ذلك الطباخ انه طباخ وصاركل يوم يهيئ له من أطيب الاطعمة ولذيذ الاغذية مايعجز به غيره ولا يقدر أحد أن يسير سيره ولم ياخذ على ذلك جراية فبلغت مرتبته عنده النهاية واستمر على ذلك مدة مديده وأياما عديده والناس تكره أن تخدم بغير أجرة خصوصا فى هذا الزمان رؤساء الاعيان فقال له الامام فى بعض الايام لقد أوجبت علينا يدا وشكرا وماسألتنا على ذلك أجرا فاقترح ماتختاراً كافئك يامهار فقال تمنيت عليك أن أقبل بين كتفيك فأنى لى بذاك أن يقال قبل بدن الضحاك فاعجبه ذلك وأجابه وحسر عن بدنه ثيابه وأدار ظهره اليه فقبل لوحى كتفيه ثم غاب عن عينه ولم يقف على أثره ولا عينه فبمجرد مالثمه ومس فمه جسمه أخذته حكة وشكه موضع لثمه شكه ثم خرج من موضع فيه سلعة تلذعه شر لذعة وتلسعه أحر لسعة ثم صارا حيتين أشبهتا كيتين فصار يستغيث ولا مغيث فطلب الاطباء فاعياهم هذا الداء ثم لم يقر له قرار ولم يأخذه سكون ولا اصطبار الا بدماغ الانسان دون سائر الحيوان فديد الفتك ولاجل الادمغة استعمل السفك فضجر الناس لهذا الباس وصاحوا وناحوا وغدوا مستغيثين وراحوا فوقع الاتفاق بعد الشقاق على الاقتراع لدفع النزاع فمن خرجت قرعته كسرت قرعته وأخذ دماغه وحصل لغيره فراغه فعالجوا به الكيتين وغذوا به الحيتين فيبرد الالم ويخف السقم ففى بعض الادوار خرجت القرعة على ثلاثة أنفار فربطوا بالاغلال ودفعوا الى النكال ليجرى عليهم ماجرى على الامثال فبينماهم فى الحبس بين طالع نحس وطرد وعكس وقف للضحاك امرأة وضيه واستغاثت به فى هذه القضية فادناها وسأل مادهاها فقالت ثلاثة أنفار من دار لاصبر لى عنهم ولا قرار وحاشى عدل السلطان أن يرضى بهذا العدوان ولدى كبدى وأخى عضدى وزوجى معتمدى وكل مسجون يسقى كاس المنون فرق لها الضحاك وقال لايعمهم الهلاك فاذهبى بامغاثة واختارى واحدا من الثلاثة وجهزها الى الحبس ليقع اختيارها على من يدفع اللبس فتصدى لها الزوج وتمنى الخلاص من ذلك الموج فتذكرت مامضى من عيشها معه وانقضى واستحضرت طيب اللذات والاوقات المستلذات فانت اليه ومالت عليه فتحركت الانفس الانسانية والشهوة الحيوانية فهمت بطلبه وتعلقت بسببه فوقع بصرها على ولدها فلذة كبدها فرأت صباحة خده ورشاقة قده فتذكرت طفوليته وصباه وتربيتها اياه وحمله وارضاعه وتناغيه وأوضاعه فعطفت عليه جوارحها ومالت اليه جوانحها فقصدت أن تختاره وتريح أفكاره فلمحت أخاها باكيا مطرقا عانيا قد أيس من نفسه وتيقن الاقامة بحبسه لانه يعلم انها لاتترك زوجها وابنها ولا تختاره عليهما ولا تميل الا اليهما فافكرت طويلا واستعملت الرأى الصائب دليلا ثم أداها الفكر الدقيق وأرشدها التوفيق وقالت أختار أخى الشقيق فبلغ الضحاك ما كان من أمرها واختيارها الاخ بفكرها فدعاها وسالها عن سبب اختيارها أخاها وقال ان أتت بجواب صواب وهبتها اياهم مع زيادة الثواب وان لم تأت بفائدة قاطعة وعائدة فى الجواب نافعة كانت فى قتلهم الرابعة فقالت اعلم واسلم انى ذكرت زوجى وطيب عشرته وأوقات معانقته ولذته ومامضى معه من حسن العيش وانقضى من خفة الاحلام والطيش فلت اليه وعولت فى الطلب عليه ثم أبصرت ابنى فتذكرت مقامه فى بطنى ومامضى عليه من عاطفه وشفقة عامة فى الايام السالفة فهيج حبه القديم وشكله القويم فلت الى اختياره وخلاصه من بواره ثم لمحت أخى المتقدم عليهما فقست مقامه بالنظر اليهما فقلت انى امرأة مرغوبة فتية عاقلة مطلوبة ان راح زوجى فعنه بدل وان حصل الزوج وجد الولد وحصل فتهيأ الغرض ووجد عنهما العوض وأما الاخ الشقيق فما عنه عوض فى التحقيق لان أبوينا ماتا وفاتا وصارا تحت الارض رفاتا فهذا الذى أدى اليه افتكارى ووقع عليه اختيارى وأنشد لسان القال فيما قال (شعر)

عدتك وعيالك ولا تحملهم على الفناء فانه ليس من المروأة أن يرمى الملك بعدته فى المهالك المتلفة والمواضع المجحفة بل يقيهم بماله ويدفع عنهم بنفسه فابرز الى ودع الجند فأينا قهر صاحبه فهو الاسعد فلما سمع فور من ذى القرنين ذلك الكلام دعته نفسه للاقاته طمعا فيه وظن ذلك فرصة فبرز اليه الاسكندر فتجاولا على ظهرى فرسيهما ساعات من النهار ليس يلقى أحدهما من صاحبه فرصة ولم يزالا يتعاركان فلما أعيا الاسكندر أمره ولم يجد له فرصة ولا حيلة أوقع ذو القرنين فى عسكره صيحة عظيمة ارتجت لها الارض والعساكر فالتفت فور عند ماسمع الزعقة وظنها مكيدة فى عسكره فعاجله ذو القرنين بضربة أمالته عن سرجه وتبعه باخرى فوقع الى الارض فلما رأت الهند مانزل بهم وماصار اليه ملكهم حملوا على الاسكندر فقاتلوه قتالا أحبوا معه الموت فوعدهم من نفسه الاحسان ومنحه الله أكتافهم فاستولى على بلادهم وملك عليهم رجلا من ثقاته وأقام بالهند حتى استوثق له ماأراد من أمرهم واتفاق كلمتهم ثم انصرف عن الهند وخلف ذلك الرجل عليهم ومضى متوجها نحو ماقصد له فلما بعد ذو القرنين عن الهند بجيوشه تغيرت الهند عما كانوا عليه من طاعة الرجل الذى خلفه عليهم وقالوا ليس يصلح للسياسة ولا ترضى الخاصة والعامة أن يملكوا عليهم رجلا ليس هو منهم ولا من أهل بيوتهم فانه لا يزال يستذلهم ويستقلهم واجتمعوا على أن يملكوا عليهم رجلا من أولاد ملوكهم فملكوا عليهم ملكا يقال له دبشليم وخلعوا الرجل الذى كان

وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختياري

قال فاستحسن الضحاك هذا الكلام ووهبها جاعتها مع زيادة الانعام (قال الحكيم) وانما أوردت هذا المثل لمولانا الملك الاجل وعرضته على الحضار ومسامع النظار ليعلم أن لي عن كل شيء بدلا وما عن مولانا السلطان فلا كما قال من أجاد في المقال

وقد تعوضت عن كل بمشبهه * فما وجدت لايام الصبا عوضا

وليس لي عوض الا في بقاء ذاتك المحروسة ودوام حياتك العزيزة المأنوسة ثم اني أخاف والعياذ بالله تعالى أن هذه الفتن التي قد أقبلت والحركات الداهية التي وجوه الخلاص منها قد أشكلت تستأصل شأفة أسلافنا الكرام وتقرض شرف أجدادنا الملوك العظام فاخترت العزلة لذلك فانها أسلم الطرق والمسالك (قال الملك) لقد صدقت اذ نطقت وتحريت الصواب في الخطاب وأنا أتحقق حسن نيتك وخلوص طويتك وحسن وفائك وعن آرائك فانك أخ شقيق وصدوق صديق ولكن تعلم ان هذا الوزير رجل خطير ورأيه مستنير وفضله غزير وهو من أصل كبير وله علينا حق كثير وأريد أن يقع ما عزمت عليه وفوضت فكرك المصيب اليه مع محاورته ومناظرته ومشاورته فان كلا منكما ناصح مشفق وحكيم مدقق وعالم محقق وفي مثل هذه الاشياء اذا اتفقت الآراء وطال النفس تكاشف نور القبس وسعد البحث وتمكن البحث وصح الحق ووضح الصدق لاسيما اذا كان الكلام بين عالمين والسؤال والجواب من فاضلين كاملين (قال الحكيم) أيها الملك العظيم اذا قام الانسان في صدد المعارضة وتصدى في البحث الى المعاكسة والمناقضة لاسيما ان كان من أهل الفصاحة واللسن وساعده في ذلك الادراك الحسن لا يعجز ان يقابل الايجاب بالسلب والاستقامة بالقلب والعكس بالطرد والقبول بالرد ويكفي في جواب المتكلم اذا أورد مسئلة لا نسلم وقد قيل في الاقاويل لا تنفع الشفاعة باللجاج ولا النصيحة بالاحتجاج اما أنا فقد بذلت جهدي وأديت في النصيحة ما عندي وكشفت عن مخدرات التحقيق استار السبك وكررت على محك التصديق آثار الحك فان وعيتم كلامي بسمع حي فقد تبين الرشد من الغي وان أعرضتم عن عين اليقين فلا اكراه في الدين فتصدى الوزير للكلام وحسر عن ثغر بيانه اللثام وبرز في ملابس الملاينة والخداع وسلك بخبث الطباع طرق الملاطفة والاصطناع ودس السم في الشهد ونزل من اليفاع الى الوهد وقال الحمد لله الكريم الذي من على مولانا الملك بهذا الاخ الحكيم الفاضل الحليم الكامل العليم الناظر في العواقب ذي الرأي المصيب والفكر الثاقب فلقد بالغ في النصيحة بعباراته الصحيحة واشاراته المليحة وكل شيء أبداه الى المسامع وأنهاه هو الذي يرتضيه العقل ويرضيه العدل ويقبله الطبع القويم اذ هو المنهج المستقيم يترتب عليه الذكر الجميل ويحصل به الثواب الجزيل لكن الذي نعرفه في حفظ الرياسة واقامة ناموس السياسة هو الذي عليه القوم في هذا اليوم وجرت عليه عادات الاكابر وانخرط في سلكه الاصاغر فان الزمان فسد والفضل فيه كسد وزاد فيه الحقد والحسد وتشرب المكر والاذى الروح والجسد وكل في الروغان ثعالب وفي العدوان أسد وصار هذا مقتضى الحال والمحمود من الخصال والمطلوب من الرجال والناس يدورون بزمانهم بقدر مكانهم وامكانهم وقد قيل الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم وبعض السياسات عند أهل الرياسات يقتضي العقوبة بالتغريم وأخذ المال بالترسيم ولولا عفو الملك عن المجرم ما طمع كل مؤذ بجرم ومن الحماقة والبله معاقبة من لا ذنب له فان وضع الاشياء في محالها وزمام الامور والمناصب في يد أهلها هو أحد قوانين الشرع والسياسة ومقتضى العقل والكياسة والعدل والرياسة والعقل والفراسة والفضل والنفاسة وناهيك أيها الحكيم الفاضل قول القائل

خلفه عليهم الاسكندر فلما استوثق له الامر واستقر له الملك طغى وبغى وتجبر وتكبر وجعل يغزو من حوله من الملوك وكان مع ذلك مؤيدا مظفرا منصورا فهابته الرعية فلما رأى ما هو عليه من الملك والسطوة عبث بالرعية واستصغر أمرهم وأساء السيرة فيهم وكان لا يرتقي حاله الا ازداد عتوا فمكث على ذلك برهة من دهره وكان في زمانه رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يعرف بفضله ويرجع في الامور الى قوله يقال له بيدبا فلما رأى الملك وما هو عليه من الظلم للرعية فكر في وجه الحيلة في صرفه عما هو عليه ورده الى العدل والانصاف فجمع لذلك تلامذته وقال أتعلمون ما أريد أن أشاوركم فيه اعلموا أني أطلت الفكرة في دبشليم وما هو عليه من الخروج عن العدل ولزوم الشر ورداءة السيرة وسوء العشرة مع الرعية ونحن ما نروض أنفسنا لمثل هذه الامور اذا ظهرت من الملوك الا لنردهم الى فعل الخير ولزوم العدل ومتى أغفلنا ذلك وأهملناه لزم وقوع المكروه بنا وبلوغ المحذورات الينا اذ كنا في أنفس الجهال أجهل منهم وفي العيون عندهم أقل منهم وليس الرأي عندي الجلاء عن الوطن ولا يسعنا في حكمتنا ابقاؤه على ما هو عليه من سوء السيرة وقبح الطريقة ولا يمكننا مجاهدته بغير ألسنتنا ولو ذهبنا الى أن نستعين بغيرها لم تتهيأ لنا معاندته وان أحس منا بمخالفته وانكارنا سوء سيرته كان في ذلك بوارنا وقد تعلمون أن مجاورة السبع والكلب والحية والثور على طيب الوطن ونضارة العيش لغرر بالنفس وان الفيلسوف لحقيق أن تكون همته مصروفة الى ما يحصن به نفسه من نوازل

المكروه ولو أحق المحذور ويدفع المخوف لاستجلاب المحبوب ولقد كنت أسمع أن فيلسوفا كتب لتلميذه يقول ان مجاورة رجال السوء

والمصاحبة لهم كراكب البحر هو ان سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف فاذا هو أورد نفسه موارد الهلكات ومصادر المخوفات عد

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وما قيل

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

ومن مقالات الملك أنابك أردشير بن بابك رب اراقة دم تمنع من اراقة دم وفي أمثال العرب القتل أنفى للقتل وقيل

لعل عتبك محمودة عواقبه * وربما صحت الاجساد بالعلل

وهذا كله مصداق قوله تعالى ولكم في القصاص حياة (وناهيك يا ذا القدر الخطير قصة قابوس بن بشكمير) قال الحكيم للوزير أخبرني أيها الدستور الكبير بكيفية ما أنت اليه مشير قال الوزير ذكر ان قابوس بن بشكمير ذلك الاسد المنير قبض على جماعة كانوا اجتذوا أيديهم من الطاعة من أركان دولته وبنيان صولته ثم قيدوه وحبسوه وأقاموا ولده مقامه وأجلسوه ثم انهم لم يأمنوا غوائله وأفكاره الصائلة فتآمروا أن يسبكوه ويعمدوا الى دمه فيسفكوه فارسلوا اليه قاتلا فوثب اليه سائلا وقال له ما سبب قتلي وما نابهم من أجلي مع كثرة احساني اليهم واسبال ذيل اكرامي وانعامي عليهم وتربيتي اياهم كالاولاد وفلذ الاكباد وصوني اياهم عمن آذاهم فقال كثرة اراقة الدماء أهاجت عليك الغرماء وأكثرت لك الخصماء لما تغيرت خواطرهم عليك خافوا وقبل أن تحيف عليهم حافوا فقال قابوس والله ما سبب هذا النكد والبوس واثارة هؤلاء الخصماء الا قلة اراقتي للدماء يعني لو أرقت دماء القائمين عليه لما وصل هذا المكروه اليه فلما أبقى عليهم أفنوه وحين ترك أذاهم آذوه وانما أوردت هذا التنظير ليقف خاطرك الخطير ان أمور الرياسة وقواعد السياسة كانت تقتضي السبك وأحرى بالعفو والترك وأما الآن فذلك الحكم قد انتسخ والفساد في قلوب العباد رسخ وقد قيل

تلجى الضرورات في الامور الى * سلوك ما لا يليق بالادب

ومزاج الزمان قد تغير والمعروف منه قد تنكر وقد أعرضوا عن طاعة السلطان واتبعوا المخادعة الشيطان وكل منهم قد شرخ وباض الشيطان في أذنه وفرخ وتصور لخيالاته الفاسده ومحالاته الكاسده انه بما يكيد يبلغ ما يريد وهيهات وشتان

لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

وهذا كما قال الله تعالى يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وما شعروا ان الملوك والسلاطين ممن اختاره الله تعالى وألبسه من خلع جبروته كالاوجلالا وجعلهم باره رقائين وبعين عنايته ملحوظين وكما ان الرسل والانبياء والسادة الاعلام الاصفياء هم صفوة الله من خليقته ومختاروه من خير بريته من غير كد ولا جهد ولا سعي منهم ولا جد ما برطلوا على النبوة والرسالة ولا رشوا على نيل هذه الكرامة والنبالة انما هو محض فضل من الله تعالى وعناياته والله أعلم حيث يجعل رسالاته كذلك الملوك والسلاطين والقائمون باقامة شعائر الدين هم ممن اختاره الله على خلقه وأجرى على يديه لهم بحار كرمه ورزقه والسلطان ظل الله في أرضه يجري بين عباده شريعة نفله وفرضه قال من له الخلق والامر أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر وقد غفل أهل هذه الممالك عن السلوك في هذه المسالك وعن درك هذه الحقائق وأعرضوا عن الدخول في أحسن الطرائق وهي طريق الحاشمة والصفح والمكارمة وعدوا المكر من أحسن الرياسة والعقل والكياسة والتحيل لاكل أموال الناس من الذكاء ومظالم العباد من خلال الصدق والصفاء وتملقهم للملوك والسلاطين من أسباب الوصول الى الاغراض مع تحسين الظواهر وفي البواطن أمراض فظواهرهم ظواهر الانس تشتمل على المودة والانس وما فيهم تحت الثياب الا كلاب وذئاب ولاجل هذا سلطنا الله عليهم ومد يد بطشنا اليهم نعاملهم بالفراسة ونعمل بما تقتضيه الكياسة وتصوبه الآراء السلطانية من قواعد السياسة قال الحكيم حسيب بعدما أدرك

من الجبر التي لا نفس لها لان الحيوانات البهيمية قد خصت في طبائعها بمعرفة ما تكتسب به النفع وتتوقى به المكروه وذلك اننا لم نرها تورد أنفسها موردا فيه هلكتها وانها متى أشرفت على مورد مهلك لها مالت بطبائعها التي ركبت فيها شحا بنفسها وصيانة لها الى النفور والتباعد عنه وقد جمعتكم لهذا الامر لانكم أسرتي ومكان سري وموضع معرفتي وبكم أعتضد وعليكم أعتمد فان الوحيد في نفسه والمنفرد برأيه حيث كان فهو ضائع ولا ناصر له على ان العاقل قد يبلغ بحيلته ما لا يبلغ بالخيل والجنود والمثل في ذلك ان قنبرة اتخذت أدحية وباضت فيها على طريق الفيل وكان للفيل مشرب يتردد اليه فمر ذات يوم على عادته ليرد مورده فوطئ عش القنبرة وهشم بيضها وقتل فراخها فلما نظرت مساءها علمت أن الذي نالها من الفيل لا من غيره فطارت فوقعت على رأسه باكية ثم قالت أيها الملك لم هشمت بيضي وقتلت فراخي وأنا في جوارك أفعلت هذا استصغارا منك لأمري واحتقارا لشأني قال هو الذي حملني على ذلك فتركته وانصرفت الى جماعة الطير فشكت اليها ما نالها من الفيل فقلن لها وما عسى أن ما نبلغ منه ونحن طيور فقالت للعقاعق والغربان أحب منكن أن تسرن معي اليه فتفقأن عينيه فاني أحتال له بعد ذلك بحيلة أخرى فأجابوها

ما في هذا الكلام من نكر غير مصيب اعلم أيها الوزير النافع الناصح والدستور الشفيق المصالح أن الرعية بمنزلة السرج والملك بمنزلة الشمس في البرج واذا تلألأ على صفحات الاكوان وأنار في وجه الزمان والمكان أشعة نور الشمس الوهاج فاى شعاع ووجود يبقى للسراج وان أنوار قلوب الرعايا وما يحصل لها من اشراق ومزايا انما هي من فيض أشعة ملوكهم وان الرعية تتبع الملوك في سلوكهم فاذا صفت مرآة قلب السلطان أشرقت بالطاعة قلوب الرعايا والاعوان بل الزمان والمكان تابعان لما يضمره وينويه السلطان وقد قيل اذا تغير السلطان تغير الزمان (وهل أتاك أيها الدستور واقعة الرئيس مع بهرام جور) قال الوزير أخبرنا يا بافعة كيف كانت تلك الواقعة قال الحكيم أخبرني شيخ عليم بالفضل مشهور ان بهرام جور وكان ذا أيد عزم على الصيد فخرج في عسكر جرار واستوى في الصحارى والقفار وبينما هم قد تفرقوا فما شعر الا وقد حركت يد الشمال غربال المطر ثم تراكم من السحاب على وجه عروس السماء النقاب وانهل الغمام المدرار وصارت الدنيا جنات تجرى من تحتها الانهار وأقبلت سوابق السيول تجرى في مضمارها الخيول فتشتت العساكر وتشوشت الخواطر فقصد بهرام جور كفرا من الكفور وطلب القرى من تلك القرى منفردا عن عسكره مخفيا من خبره فنزل بيت الرئيس وهو رجل خسيس فلم يقم من حقه بالواجب لانه لم يعلم ذلك الراكب فتشوش خاطره وتكدرت ضمائره وتغيرت عليهم نيته وان لم تتغير بشريته فلما أقبل الليل جاء الراعي وهو يدعو بالويل ويشكو كثرة المحن من قلة اللبن وذكر أن المواشي لم تدر ضرعا مع أن رعيها كانت أحسن مرعى ولا وقف لذلك على سبب ولا دري كيف حال حالها وانقلب وكان للرئيس بنت تخجل الاقمار بخدها وتقصف الاغصان على قدها فلما سمعت كلام الراعي قالت والله أنا أعرف السبب والداعي وهو ان السلطان الذي فيته حفظ أوطاننا تغيرت نيته علينا وتقدم ضميره بالسوء الينا فظهر النقص في ماشيتنا وسيتعدى ذلك الى أنفسنا وحاشيتنا وقد قيل اذا هم الحاكم بالجور على الرعايا أدخل الله النقص في أموالهم حتى الزروع والضروع قال أبوها فاذا كان الامر كذلك فلا مقام لنا في هذه الممالك فالاولى ان نتحول عن هذا المكان الى مقام لا يضمر فيه سوأ لرعيته السلطان ونستريح في ظل حاكمه ونرعى في مسارح مكارمه كل هذا وبهرام يصغي الى هذا الكلام فقالت البنت ان كان ولا بد من الانتقال واقتعاد مطية الارتحال فانصنع بهذه الاثقال والازواد الثقال نقدم لهذا الضيف منها ما يحصل التخفيف عنها ويقع بذلك فائدتان احداهما حسن المضيف وثانيتهما التخفيف فامتثل أبوها أمر بنته ونقل الى الضيف ما حواه بيته من طعام وشراب ونقل وكباب وبسط بساط النشاط وأخذ في دواعي الانبساط وانتقل من المحاشمة الى المكالمة والمنادمة وعمل بموجب ما قيل

وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

فلما هجم جيش السكر وهزم جند العقل والفكر تذكر بهرام مجالسته ومؤانسته فيها ومحادثته ومافيها من مغازلة الغزلان وأصوات الاغاني والقيان فابانت حشمة السلطنة عن مضمرها وتفوه بشئ يلوح بمخبرها وشاقت نفسه الى معتادها فاعرب شطحها عن مرادها وقال للرئيس أيها النديم الكيس لو كان لنا من يطربنا بصوته ويبهجنا بصورته ولو أنها وصيفة أو ذو صورة لطيفة ولا نطلب زيادة عن النظر وحسن المفاكهة والسمر والمنادمة الى السحر لزالت وحشة الاغتراب ودهشة حدة الشراب فانه قيل الشراب بغير نغم غم وبغير دسم سم وان مذهبنا ما قيل

أتأذنون لصب في زيارتكم * فانكم في محل السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

فنهض الرئيس وترك مذهبه الخسيس واستعمل المروءة وسلك سبيل الفتوة وأنشد يقول

الى ذلك وذهبوا الى الفيل فلم يزالوا ينقروا عينيه حتى ذهبوا بهما وبقي لا يهتدي الى طريق مطعمه ومشربه الا ما يقمه من موضعه فلما علمت ذلك منه جاءت الى غدير فيه ضفادع كثيرة فشكت اليها ما نالها من الفيل قالت

الضفادع ما حيلتنا نحن في عظم الفيل وأين نبلغ منه قالت أحب منكن أن تسرن معي الى وهدة قريبة منه فتنقوا فيها وتضجوا فانه اذا سمع أصواتكن لم يشك في الماء فيهوى فيها فاجابوها الى ذلك واجتمعوا في الوهدة فسمع الفيل نقيق الضفادع وقد أجهده العطش فاقبل حتى وقع في الوهدة فانحطم فيها وجاءت القنبرة ترفرف على رأسه وقالت أيها الطاغي المغتر بقوته المحتقر لامري كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثتي عند عظم جثتك وصغر همتك فليشر كل واحد منكم بما يسنح له من الرأي قالوا باجمعهم أيها الفيلسوف الفاضل والحكيم العادل أنت المقدم فينا والفاضل علينا وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك وفهمنا عند فهمك غير أننا نعلم ان السباحة في الماء مع التمساح تغرير والذنب فيه لمن دخل عليه في موضعه والذي يستخرج السم من ناب الحية فيبتلعه ليجربه على نفسه فليس الذنب للحية ومن دخل على الاسد في غابته لم يأمن من وثبته وهذا الملك لم تفزعه النوائب ولم تؤدبه التجارب ولسنا نأمن عليك ولا على أنفسنا سطوته وانا نخاف عليك من سورته ومبادرته بسوء اذا لقيته بغير ما يحب فقال الحكيم بيدبا العمري لقد قلتم فاحسنتم لكن ذو الرأي الحازم لا يدع ان يشاور من هو دونه أو فوقه في المنزلة والرأي

وكل قيادة لاخ وخل * بلا جعل فتلك من المروأة

وأخطار البال ما نظمه الشاعر وقال

يا ناظم الشعر فى مقام فتى * يقود فاسمع مقالة الظرفا
ألف هذا حروفه سمحت * همة هذا فالف الحرفا

ومن مذهب المجوس اباحة فرج العروس فدخل فى بيته وذكر ما جرى بينه وبين ضيفه لبنته وقال أى ربيبة الحسن والاحسان أظن أن ضيفنا من أكابر الاعيان ومقره فى حضرة السلطان وقد التمس منى ما تزيد سروره ويفيد حضوره حبوره ويلهيه بمفاكهته وحسن منادمته وما عندنا من يصلح لذلك أى مادة السرور وسؤالك وأنا أعرف بعفتك ونزاهتك وحسن محاضرتك ومفاكهتك وصيانة رأيك ورزانة عقلك وذكائك فان رأيت أن تمتعيه بالنظر الى جمالك وتعتنيه بغنجك ودلالك ولو بلحظة أو بلفظة ثم تعودى الى كناسك بين أهلك وناسك فقالت الامر منك واليك وما أريد أن أشق عليك وليس فى ذلك عار ولا فى خدمة الضيف واكرامه شنار فاجابت أباها وكان ذلك عن رضاها بل جعل قصدها ومناها فاقبلت الى خدمة الضيف ولعبت معه من لحاظها وقدها بالرمح والسيف الى أن صادته بلحظها المكسور فامسى قلبه وهو فى يدها مأسور وكان قد خرج للصيد فصيد وصار مع سلطانه انها من جملة العبيد ثم انه أنشد يقول أرى ماء وبى عطش شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

ثم قرر فى ضميره أنه اذا وصل الى سريره يطلب هذا الرئيس ويصاهره ويقطعه هذه القرية ويعاشره ويجعل بنته خونده ويسلم الى أبيها جنده فما استتم هذا الخاطر الخطير حتى جاءهم الراعى المستجير وقال ان الغنم التى ما بضت بقطرة ولا درت درة قد امتلأت ضروعها القاحلة فها هى دارة حافلة قد صارت كالسيول على السابلة فلم يبق وعاء الا امتلأ وقد روى من الجيران الملأ وها هى تشخب وتسيل وفاضت فاروت الحقير والجليل وأغنت الجيران وكأنهم اغدران فقالت بنت الرئيس لله الحمد والتقديس الذى أصلح نية سلطاننا حتى استقر رنا فى أوطاننا وعاد علينا ما سلبناه ورجع الينا ما طلبناه فعجب بهرام جور من هذه الامور ولما أصبح الصباح وركب فرسه وراح استقر فى ولايته الزاهرة ومضى ما كان أنواه من المصاهرة وأسبل عليه ذيل الانعام وزاده من الاكرام ما انتظم به أمره واستقام وانما أوردت هذا الخبر لتعلموا أن الزمان فى المجىء والممر مطيع لما أضمر السلطان وما أظهر وما أحلاه فى أمر رعيته وما أمر وقد قيل عدل السلطان خير من خصب الزمان واذا لم يكن الملك برعيته شفيقا ولا بارا ولا رفيقا ولم يتجاوز عن مسيئهم متلهفا لعثارهم مشغوفا بجعبتهم محسنا لمحسنهم قائما يحفظ أمنهم فالاولى بهم أن يهاجروا عن مملكته ويخرجوا عن اقليم ولايته قال رب العالمين لنبيه وحبيبه سيد المرسلين ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فينبغى للعاكم أن لا يؤاخذ أحدا بجريرة أحد أبدا قال الله جل ذكره ولا تزر وازرة وزر أخرى ولو طالب أحد بجريرة أحد ولحق البرىء بسبب المذنب عقوبة ونكد لفسدت المملكه وانتشرت المهلكه واضطربت الرعية وانخرمت القواعد العلية ولو فعل ذلك المتقدم من الملوك لهلك الصعلوك وانسد الطريق المسلوك وانخرمت القاعدة على المالك والمملوك ولم يبق للتاجر شى ولا على وجه الارض حى ويجب على من باشر عند الملوك أمرا من الامور أو حكما على الجمهور أن يكون فى دينه متينا وعلى الناس أمينا سديد الفكر قويم النظر صدوق النطق ظاهر الصدق دائم الحق يقظان مراقب فى خواتيم أمره والعواقب عادلا بين الاخصام شفيقا على الخاص والعام ثابتا فى النوازل معدودا فى البوازل مشغولا بتهذيب نفسه متذكرا يومه فى غده وأمسه متميزا بالشمائل المرضية على أبناء جنسه واضعا الاشياء فى محلها متفحصا بنفسه عن جلها وقلها مقيما كل أحد فى مقام

الفرد لا يكتفى به فى الخاصة ولا ينتفع به فى العامة وقد صحت عزيمتى على لقاء دبشليم وقد سمعت مقالتكم وتبين لى نصيحتكم والاشفاق على وعليكم غير أنى قد رأيت رأيا وعزمت عزما وستعرفون حديثى عند الملك ومجاوبتى اياه فاذا اتصل بكم خروجى من عنده فاجتمعوا الى وصرفهم وهم يدعون له بالسلامة ثم ان بيدبا اختار يوما للدخول على الملك حتى اذا كان ذلك الوقت ألقى عليه مسوحه وهى لباس البراهمة وقصد باب الملك وسال عن صاحب اذنه فارشد اليه وسلم عليه وأعلمه وقال له انى رجل قصدت الملك فى نصيحة فدخل الآذن على الملك فى وقته وقال بالباب رجل من البراهمة يقال له بيدبا ذكر ان معه للملك نصيحة فاذن له فدخل و وقف بين يديه وكفر وسجد له واستوى قائما وسكت وفكر دبشليم فى سكوته وقال ان هذا لم يقصدنا الا لامرين اما ان يلتمس منا شيا يصلح به حاله أو لامر لحقه فلم يكن له به طاقة ثم قال ان كان للملوك فضل فى مملكتها فان للحكماء فضلا فى حكمتها أعظم لان الحكماء أغنياء عن الملوك بالعلم وليس الملوك باغنياء عن الحكماء بالمال وقد وجدت العلم والحياء الفين متآلفين لا يفترقان متى فقد أحدهما لم يوجد الآخر كالمتصافيين ان عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده تاسفا عليه ومن لم يستح من الحكماء ويكرمهم ويعرف فضلهم على غيرهم ويصونهم عن مواقف المهانة وينزههم عن المواطن الرذلة كان لا
ممن حرم عقله وخسر دنياه وظلم الحكماء حقوقهم وعد من الجهال ثم رفع رأسه الى بيدبا وقال له نظرت اليك يا بيدبا ساكتا لا تعرض حاجتك

لا يتعداه ومنصب معلوم لا يتخطاه حتى تستقيم بذلك أمور المملكة وتصان من الوقوع فى مهاوى التهلكة ويطمئن خاطر مخدومه ويركن اليه فى منطوق قوله ومفهومه فيقبل قوله وفعله ويعرف فضله وفضله وكذلك يجب أن يكون الملك كريم الاعراق لطيف الاخلاق شريف الاعلاق وأن يكون فى جميع أحواله متمسكا بذيل افضاله مراعيا سيرة أجداده من الملوك سالكا طريقة الملوك من حسن السلوك لان من لا يشيد أركان أسلافه ولا يقوى بنيان أشرافه يصيبه مثل ما أصاب الذئب مع الجدى المغنى المصيب فسأل الملك من أخيه أن يذكر ذلك المثل وينهيه فقال بلغنى يا مليك الاراض أنه كان فى بعض الغياض ذئب وجار أهل وجار فخرج يوما لطلب الصيد ونصب لذلك شباك الكيد وصار يجول ويصول ولا يقع على محصول فأثر فيه الجوع واللغوب وآذنت الشمس بالغروب فصادف بعض الرعيان يسوق قطيعين من الضان وفيهما بعض جديان فهم عليها لشدة الجوع بالهجوم ثم أدركه من خوف الراعى الوجوم لانه كان متيقظا وعلى ماشيته متحفظا فجعل يراقبه من بعيد والحرص والشره يزيد والراعى سائق والذئب عائق فتخلف جدى غبى غفل عنه الراعى الذكى فادركه الذئب النشيط واقتطعه بامل بسيط وبشر نفسه بالظفر وطار بالفرح واستبشر فلما رأى الجدى الذيب علم أنه أصيب بيوم عصيب وظفر منه باوفر نصيب فتدارك نفسه بنفسه واستحضر حيلة جاشه وحدسه ومكره بما أضمره فى نفسه وعلم انه لا ينجيه من هذه الورطة الوبيلة الا مغيث الخداع والحيلة وأذكر الخاطر ما قال الشاعر

ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا * به الخطب الا وهو بالقصد يبصر

فتقدم بجاش صليب وقبل الارض بين يدى الذئب وقال محبك الراعى لجنابك داعى يسلم عليك وقد أرسلنى اليك يشكر صداقتك وشفقتك وحشمتك ومرافقتك ويقول قد تركت بحسن آدابك عادة أجدادك وآبائك فلم تتعرض لمواشيه وحفظت بنظرك حواشيه وقد حصل لضعافها الشبع وأمست بجوارك آمنة من الجوع والفزع وحصل لها الامن من الجزع فالله يجعل جوارك وغياضك أحسن مجتمع لان عجاف ماشيته شبعت ورويت واستنعشت وقويت فاراد مكافأتك وتطلب مصافاتك ومصادقتك فارسلنى اليك لتأكلنى وأوصانى أن أطربك بما أغنى فانى حسن الصوت فى الغناء وصوتى يزيد فى شهوة الغذاء فان اقتضى رأيك الاسعد غنيتك غناء ينسى أبا اسحق ومعبد وهو شىء لم يظفر به آباؤك ولا أجدادك ولا يناله أعقابك وأولادك يقوى كرمك وشهوتك وقرمك ويطيب مأكلك ويسنى مأملك وان صوتى للذيذ ألذ للجائع من جدى حنيذ بخبز سميذ وللعطشان من قدح نبيذ ورأيك أعلى وامتثالك أولى فقال الذئب لا بأس قد أجبت سؤالك فغن ما بدا لك فرفع الجدى عقيرته ورأى فى الصياح خيرته وملأ الدنيا عياطا وأعقبه ضراطا وأنشد

وعصفور الهوى يهوى جراده * كما عشق الحروف أبا جعاده

فاهتز الذئب طربا وتمايل عجبا وعجبا وقال أحسنت يا ابن الغنم ولكن هذا الصوت من ألم فارفع صوتك فى الزير فقد أخجلت البلابل والزرازير وزدنى يا مغنى قولى أقر هذا الزمان عينى * بالجمع بين المنى وبينى وليكن يا سيدى المغنى هذا من أوج الحسينى فاغتنم الجدى الفرصه وأزاح بعياطه الغصه وصرخ صرخة أخرى اذكره الطامة الكبرى ورفع الصوت كمن عاين الموت وخرج من دائرة الحجاز الى العراق وكاد يحصل له من ذلك الانفتاق وقال

فقوا ثم انظروا حالى * أبو مذقة أكالى

فسمعه الراعى ينشدو فاقبل بالطراق يعدو فلم يشعر الذئب الذاهل وهو لحسن السماع غافل الا والراعى بالعصا على قفاه نازل فرأى الغنيمة فى النجاه وأخذ فى طريق النجاه وترك الجدى وأفلت ونجا من

ولا تذكر بغيتك فقلت ان الذى أسكته هيبة سورته أو حيرة أدركته وتأملت عند ذلك من طول وقوفك وقلت لم يكن لبيدبا أن يطرقنا على غير عادة الا لامر حركه لذلك فانه من أفضل أهل زمانه فهلا نسأله عن سبب دخوله فان يكن من ضيم ناله كنت أولى من أخذ بيده وسارع فى تشريفه وتقدم فى البلوغ الى مراده واعزازه وان كانت بغيته غرضا من أغراض الدنيا أمرت بارضائه من ذلك فيما أحب وان يكن من أمر الملك ومما لا ينبغى للملوك أن يبذلوه من أنفسهم ولا ينقادوا اليه نظرت فى قدر عقوبته على أن مثله لم يكن ليجترئ على ادخال نفسه فى باب مسئلة الملوك وان كان شيأ من أمور الرعية يقصد فيه انى أصرف عنايتى اليهم نظرت ما هو فان الحكماء لا يشيرون الا بالخير والجهال يشيرون بضده وأنا قد فسحت لك فى الكلام فلما سمع بيدبا ذلك من الملك أفرج عنه روعه وسرى عنه ما كان وقع فى نفسه من خوفه وكفر له وسجد ثم قام بين يديه وقال أول ما أقول أسال الله تعالى بقاء الملك على الابد ودوام ملكه على الامد لانه قد منحنى الملك فى مقامى هذا محلا جعله شرفا لى على جميع من بعدى من العلماء وذكرا باقيا على الدهر عند الحكماء ثم أقبل على الملك بوجهه مستبشرا به فرحا بما بدا له منه وقال قد عطف الملك على بكرمه واحسانه والامر الذى دعانى الى الدخول على الملك وحملنى على المخاطرة لكلامه والاقدام عليه نصيحة اختصصته بها دون غيره وسيعلم من يتصل به ذلك انى لم أقصر عن غاية فيما يجب للمولى على الحكماء فان فسح فى كلامى ووعاه عنى فهو حقيق بذلك وما يراه وان هو

ألقاه فقد بلغت ما يلزمنى وخرجت من لوم يلحقنى قال الملك يا بيدبا تكلم مهما شئت فاننى مصغ اليك ومقبل عليك وسامع منك حتى أستفرغ ما عندك الى آخره وأجازيك على ذلك بما أنت أهله قال بيدبا انى وجدت الامور التى اختص بها الانسان من بين سائر الحيوان أربعة أشياء وهى جماع ما فى العالم وهى الحكمة والعفة والعقل والعدل والعلم والادب والروية داخلة فى باب الحكمة والحلم والصبر والوقار داخلة فى باب العقل والحياء والكرم والصيانة والانفة داخلة فى باب العفة والصدق والاحسان والمراقبة وحسن الخلق داخلة فى باب العدل وهذه هى المحاسن واضدادها هى المساوى فمتى كملت هذه فى واحد لم تخرجه الزيادة فى نعمة الى سوء الحظ من دنياه ولا الى نقص ولم يتاسف على ما لم يعن التوفيق ببقائه ولم يحزنه ما تجرى به المقادير فى ملكه ولم يدهش عند مكروه فالحكمة كنز لا يفنى على انفاق وذخيرة لا يضرب لها بالاملاق وحلة لا تخلق جدتها ولذة لا تصرم مدتها ولئن كنت عند مقامى بين يدى الملك أمسكت عن ابتدائه بالكلام فان ذلك لم يكن منى الا لهيبته والاجلال له ولعمرى ان الملوك لاهل أن يهابوا لاسيما من هو فى المنزلة التى جل فيها الملك عن منازل الملوك قبله وقد قالت العلماء الزم السكوت فان فيه سلامة وتجنب الكلام الفارغ فان عاقبته الندامة وحكى أن أربعة من العلماء ضمهم مجلس ملك فقال لهم ليتكلم كل بكلام يكون أصلا للادب فقال أحدهم أفضل خلة العلم السكوت وقال الثانى ان من أنفع الاشياء للانسان أن يعرف قدر منزلته من عقله وقال الثالث

سيف الموت المصلت وصعد الى تل يتلفت بعد اذ تفلت فأقعى يأكل يديه ندامة ويخاطب نفسه بالملامة وقال أيها الغافل الذاهل والاحمق الجاهل متى كان على سماط السرحان الغناء والاوزان وأى جد لك فانى وأب مفسد جانى كان لا يأكل الا بالاغانى وعلى صوت المثالث والمثانى فلولا انك ماعدلت عن طريقة آبائك مافاتك لذيذ غذائك ولا أمسيت جائعا تتلوى وبجمر فوات الفرصة تتكوى وبات يحرك ضرسه ونابه ويخاطب نفسه لما نابه ويقول

وعاجز الرأى مضياع لفرصته * حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

وانما أوردت هذا النظير لمولانا الملك والوزير ليعلم أن العدول عن طرائق الاصول ليس الا داعية الفضول ولا يساعده معقول ولا منقول وأموره ذميمة وعاقبته وخيمة وناهيك ماهو كالعلم ومن يشابه أبه فما ظلم ويؤخذ من مفهوم هذا الحكم أن من لم يشابه أبه فقد ظلم خصوصا الملوك والسلاطين الذين اختار رفعتهم رب العالمين وذلك لئلا يدخل على قواعد المملكة من حركات الاختلال والاختلاف حركه ولله يا ذا الاحسان ما قيل فى شأن الملك أنوشروان

لله در أنوشروان من رجل * ما كان أعرفه بالوغد والسفل

نهاهم أن يمسوا عنده قلما * وأن يذل بنو الاحرار بالعمل

وكل هذا من عدم التدبر والتأمل فى العواقب والتذكر ومن ترك التأمل والافتكار أصابه ما أصاب ابن آوى مع الحمار فقال الملك أفدنا أيها المختار كيفية هذه الاخبار (قال الحكيم) كان فى جوار بستان مأوى لابن آوى وكان ذلك البستان كأنه قطعة من الجنان غفل عنها رضوان كثير الفواكه والرطب خصوصا التين والعنب وكان ابن آوى يدخل البستان من مجرى الماء ويأكل الثمار كيفما أحب واختار ويتصرف ذلك الخبيث ويأخذ فى الفساد ويعيث كانه ذميم ترك الذمام أو لئيم من بنى اللئام فتضرر البستانى من اضرار ذلك الجانى وعجز عن صيده ودفع كيده فراقب دخوله ليختله ويغوله الى أن رآه يوما دخل وفى البستان حصل وبأكل العنب اشتغل فبادر الى نقرة الماء فسدها وسد الطرق التى أعدها ودخل الى الباغى وحصل ذلك الطاغى وحصره وأوهنه وضربه الى أن أثخنه فذهبت قواه وشلت يداه ورجلاه فتصور أنه مات لما سكنت عنه الحركات فأسحطه بذنبه ورماه وعلى العظام الرفات ألقاه فاستمر لا يفيق ملقى على الطريق الى أن تراجعت اليه نفسه وقوى جاشه وحسه فتحرك وهو هشيم وتنفس وهو سقيم ثم تدحرج الى منزله وقد أحاط به سوء عمله الى أن صح فهمه وقوى جسمه فافتكر فيما جرى من الجار القديم عليه من العذاب الاليم فقال اذا كان جار العمر وقرين الدهر قصد دمارى ولم يرع لى حق جوارى لاجل قوت فضل عن أقواته وأثبت أجره فى ديوان حسناته وشد لحتى على حلقى مسد الطنب ولم يعمل بقوله تعالى والجار الجنب بل لو رمق فى بدنى أدنى رمق أو أقل حركة لما تركه فلا خير لى فى جواره ولا قرب داره فان سلمت هذه المرة فما كل مرة تسلم الجرة والاليق بالحال الترحال وطلب الرزق بالتوكل والرفق والذى شق الاشداق تكفل لها بالارزاق وان الاله الخالق لم يعذب بقطع الرزق ثم انه افتكر فى جهة السفر وأين يكون المستقر وكان لابيه النديم ذئب وهو صاحب قديم ساكن فى بعض الغياض المجاورة للدوح والرياض فتوجه اليه وتراءى عليه وتوسل بصحابة أبيه لديه وقال صداقة فى الآباء قرابة فى الابناء وذكر له حاله وما جرى له وأن جاره خانه ولم يرع حقه ومكانه فقصد أن يكون تحت ظله نازلا فى محله ليفوز بمجالسته ويحظى بمؤانسته ويقضى باقى عمره فى خدمته ولا يفارق وفاءه حتى يحصل فى حفرته فتلقاه بالقبول والاقبال والفضل والافضال والبشر والبشاشه واليسر والهشاشه وبسط له فراشه وأزال قبضه وانكماشه ودهشته واستيحاشه

واستجاشه وألبسه رياشه وتذكر والده وجدد معاهده وأسدى اليه من احسانه ما أنساه ذكر أوطانه خصوصا جوار جاره وبستانه وأنشده بديها

فأهلا بمحبوب قديم وداده * وسهلا بمن قد كان والده أبي
تحكم على مالي وروحي ومسكني * وأهلي وأولادي وجاهي ومنصبي

ولم يكن عند الذئب ما يطعمه ضيفه ويشبع جوفه فاستعد للكياد وعزم على الاصطياد فقال ابن آوى أين تريد وتتركني وأنا وحيد فقال أمنت خوفك فاريد ان أشبع جوفك ومن المعلوم ان عدم الضيافة لوم فقال لا تتعب فانا أذهب فلي صاحب حمار كأنه تيس مستعار يصغي الى قولي ويعتمد على قوتي وحولي فاني أخدعه والى دارك أشيعه فاوثقه حبالك وافعل معه ما بدا لك فصيره لنا طعاما فانه يكفينا أياما فاستصوب الذئب رأي ذلك المريب وتوجه ذلك الغدار ليأتيه بالحمار وصعد تلا ينظره ويرتقب ما يكون خبره ولما توجه ابن آوى لطالب الزبون انتهى في سيره الى طاحون واذا بحمار قد أوثقوه حبلا وأوسعوه ذلا وعلى ظهره حمل قد قصم ظهره وأدمى دبره فطرحوا حمله واصطحوا اجله وتركوه يسعى وفي المرج يرعى فتقدم ابن آوى اليه وسلم سلام معرفة عليه وأظهر له المحبة والوداد وسأله عن أهله والاولاد فقال له أي أهل وولد وأنا في هذا البؤس والنكد ما بين حمل ثقيل وجوع طويل وركوب وسخر ومصائب أخر هذا يركب وهذا يضرب وهذا يسحب وهذا يحمل حمله وهذا ينخش بالمسله وهذا يحبس على الجوع والذله وهذا يقود بحبله وهذا يردد بثقله وهذا يجود ولكن بكلام ثقيل فكاني في مشاقي كما قيل

ولا يقيم على ضيم يراد به * الا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له أحد

فتفجع ابن آوى وتوجع وحولق واسترجع والتهب واضطرم وأظهر التحرق لما رآه من الالم وأخذ يلومه على صحابة بني آدم والمصابرة على ما يلجئه الى الندم من ايذائهم وجفائهم وتحمل بلائهم وعدم وفائهم وقال له حتام هذا الذل والتطوق بهذا الغل وتحمل أنواع الهوان من البعض والسكل والالم هذا العطش والجوع وعدم القرار والهجوع وأرض الله واسعة الفضاء شاسعة الارجاء وحتام تذوب من اللغوب تحت هذا الحمل الثقيل والجور العريض الطويل فقال لو وجدت ملجأ أو مسرحا أو مدخلا أو مطرحا أو مغارات أو مخبئا لوليت اليه وأنا أجمع وتخلصت من هذا البلاء العظيم والشقاء الجسيم ولو رأيت أحدا شفيقا أو مصافيا صديقا يهدي الى الخلاص طريقا لاستغنيت بآرائه ولاستشفيت لدائي بدوائه قال ابن آوى يا أكه انى أعرف بالقرب أجمة أزهارها فائحة وأنوارها لائحة وأنهارها بالصفاء غادية ورائحة غياضها نضرة ورياضها خضرة وروابيها حصينة وذراها أمينة وأنا ساكن فيها آمن في ضواحيها ونواحيها فان اقتضى رأيك ذهبت بك اليها لتقف عليها فان أعجبتك سكنتها ووقيت النوائب وأمنتها فانها بمعزل عن السباع الجواسر والضباع الكواسر والجوارح النواسر لا يطرقها انسان ولا يدخلها حيوان وسترى من خير جار وحسن الجوار وتحمد عاقبة مقالي وما تراه من افعالي وتخلص من جفاء بني آدم وتبقى في نعيم منعم وتعيش معنا في عيش رغيد وعمر هني سعيد وتحصل المؤانسة وتمن المعاشرة والمجالسة وأما أنا فلا أجد فيها مثلك وليس لي الى صديق غيرك مسلك فلما سمع الحمار هذا الحوار رغب في الخلاص من الاقتناص والبلاء الذي هو فيه والشقاء الذي يؤلمه ويؤذيه فسلم قياده الى ابن آوى وقال سر بنا الى ما ذكرت من مأوى لئلا يرانا رصد أو يشعر بنا أحد ثم أجلا في السير وأشبها في سيرهما الطير فتقدم الحمار سابقا واعيا ابن اوى لاحقا فخدع وغالط وخلط وبالط ونادى الحمار

أنفع الاشياء للانسان أن لا يتكلم بما لا يعنيه وقال الرابع أروح الامور على الانسان التسليم للمقادير واجتمع في بعض الزمان ملوك الاقاليم من الصين والهند وفارس والروم وقالوا ينبغي أن يتكلم كل واحد منا بكلمة تدون عنه على غابر الدهر قال ملك الصين أنا على مالم أقل أقدر مني على رد ما قلت قال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة فان كانت له لم تنفعه وان كانت عليه أوبقته قال ملك فارس أنا اذا تكلمت بالكلمة ملكتني واذا لم أتكلم بها ملكتها قال ملك الروم ما ندمت على مالم أتكلم به قط ولقد ندمت على ما تكلمت به كثيرا والسكوت عند الملوك أحسن من الهذر الذي لا يرجع منه الى نفع وأفضل ما استطال به الانسان لسانه غير ان الملك أطال الله مدته لما فسح لي في الكلام وأوسع لي فيه كان أولى ما أبدأ به من الامور التي هي غرضي أن يكون ثمرة ذلك له دوني وان اختصه بالفائدة قبلي على ان العقبى هي ما أقصد في كلامي له وانما نفعه وشرفه راجع اليه وأكون أنا قد قضيت فرضا واجب علي فاقول أيها الملك انك في منازل آبائك وأجدادك من الجبابرة الذين أسسوا الملك قبلك وشيدوه دونك وبنوا القلاع والحصون ومهدوا البلاد وقادوا الجيوش واستجاشوا العدة وطالت لهم المدة واستكثروا من السلاح والكراع وعاشوا الدهور في الغبطة والسرور فلم يمنعهم ذلك من اكتساب جميل الذكر ولا قطعهم عن ارتكاب الشكر ولا استعمال الاحسان الى من خولوه والارفاق بمن ولوه وحسن السيرة فيما تقلدوه مع عظم

الى ان كنت تعبت فاركب علي فقال الحمار بل أنت اركب ولا تتعب فطفر ابن آوى على الحمار وصار لا يقر له قرار وابن آوى يهديه الطريق وهو في نهيق وشهيق فلما قربا من الاجمه فتح عينه ذلك الا كه ورفع آذانه وبصره فرأى الذئب قاعدا منتظره فعرف ان تلك مكيده نصبها ابن آوى لصيده فقال * تأتي الخطوب وأنت عنها نائم * ثم استحضر عقله المفقود واستعمل عقله الموجود وعرف أنه غفل عن نفسه وقد سعى برجليه الى رمسه وانتقل من المرض الذي هرب منه الى نكسه ومن خوله وذله الى تعسه ونكسه فتردد متفكرا وأقام متحيرا متحيرا فقال له ابن آوى مالك اسرع فقد أحسن الله حالك وأمن فكرك وانعش بالك وجعل الى عافية الخير مآلك لئلا يدركنا أحد أو يلحقنا ضرر ونكد فقال الحمار يا أخي شاهدت قدود أغصان رشقه ونشقت روائح ريح عبقه وسمعت خرير الانهار وأصوات البلابل والهزار فندمت حيث لم أقطع علائقي وأودع جاري ومرافقي وأبت مالي من التعلقات وأجيء وما وراءي التفات وأنا ان ولجت هذه الغيضه ورعيت مروج هذه الروضه ورأيت ما فيها من المتنزهات ألهتني عما لي من تعلقات فتضيع اذ ذاك مصلحتي وتذهب عند جيراني ودائعي وذخيرتي ولا أقدر على مفارقة هذا المقام النزه ومجاورة مثلك أيها الجار الفكه وقد عزمت على الرجوع لاصحب مالي من مال وأثاث مجموع وأجيء وقلبي مطمئن وخاطري عن الالتفات مستكن قال ابن آوى اترك مالك ولا تؤخر أوقات السرور وساعات الفراغ والحبور وما خلفته فهو لك وتلافيه أمر مستدرك ولا بأس أن تدخل هذا المكان وتدور في هذا البستان وتتعاهده ولو مره وتشاهده ولو نظره ثم تعود وتفعل ما تريد وبالجملة فتأخير أوقات السرور غير محمود ولا مشكور فقال الحمار الامر كذلك وقال الله شر المهالك ولكن أقوى الدواعي في هذه القضية والحامل على الرجوع وان كان بليه وصية من أبي كانت عندي خفيه كنت أعمل بها وأمشي في دربها ولا أفارقها في نومي ولا يقظتي وكنت جعلتها حرزا أعلقه في رقبتي واذا لم تكن معي في مسيري ومضجعي لا يقر لي قرار ولا يأخذني اصطبار ويعتريني شبه الاوهام وأرى خيالات فاسده في المنام وتغلب على دماغي فنون السوداء ولا أجد منها دواء لذلك الداء وفيها وصايا نفيسه لروح العقل بمنزلة الاعضاء الرئيسه فاذا حصلت على تلك الوصية المعينه فقضية ما سواها هينه ثم ألوى راجعا لا سامعا لابن آوى ولا طائعا فافتكر ابن آوى انه اذا ترك الحمار وحده فوته قصده وخيب الله كده وأبطل حيله وجهده فرأى لنفسه المنفعة أن يرجع معه فربما ينجح سعيه ويسلب من الحمار وعيه فقال يا أخي شوقتني بهذه القضيه الى الاطلاع على تلك الوصيه لاستفيد منها وآخذ حظي من الفضل عنها فلا بد من مصاحبتك والذهاب معك ومرافقتك فقال الحمار لا دافع ولا مشاقق ولا مانع أن تكون لي مرافقك فقال ابن آوى فهل في حفظك منها شيء فان كان فألقه الي لنتذاكر في الطريق ولا يؤثر فينا التعب والضيق فقال نصحة واحده هي بصدق شاهده وهي كلمة مجملة فوائدها فيها مجملة وهي ان أبي قال لي اياك أن تفارق هذه الوصيه فان فارقتها وقعت في بليه وسأخبرك بسائرها في المسير اذا تذكرت أيها البصير ثم سار قليلا وأفكر طويلا وقال وهذه أخرى سنحها ذكرى وارتضاها فكري وهي اذا وقعت في شدة ورمت الخلاص منها عاده فتصور أصعب منها يحصل لك التفصي عنها وتهون عليك وتعدها نعمة اسديت اليك فتشتغل بشكرها وتستأنس بذكرها فقال ابن آوى أحسنت يا حمار وهذا مقام الاخيار والصالحين والابرار ثم سار سيرة ثالثه وقال والله هذه نصيحة ثالثه فقال قل واسلم وطل فقال لا تحسب أن الصديق الجاهل خير من العدو العاقل فان علم العدو العاقل خير لك من جهل الصديق الجاهل فقال ابن آوى ما أحلى كلامك وأعلى في اللطف مقامك وأنزه منادمتك وأفكه مكالمتك بالله شنف المسامع فاني لك بقلبي وجوارحي سامع فقال مهلا حتى اتذكرها

ما كانوا فيه من غرة الملك وسكرة الاقتدار وانك أيها الملك السعيد جده الطالع كوكب سعده قد ورثت أرضهم وديارهم وأموالهم ومنازلهم التي كانت عندهم فاقت فيما خولت من الملك وورثت من الاموال والجنود فلم تقم في ذلك بحق ما يجب عليك بل طغيت وبغيت وعتوت وعلوت على الرعية وأسأت السيرة وعظمت منك البلية وكان الاولى والاشبه بك أن تسلك سبيل أسلافك وتتبع آثار الملوك قبلك وتقفو محاسن ما أبقوه وتقلع عما عاره لازم لك وشينه واقع بك وتحسن النظر برعيتك وتسن لهم سنن الخير الذي يبقى بعدك ذكره ويعقبك الجميل فخره ويكون ذلك أبقى على السلامة وأدوم على الاستقامة فان الجاهل المغتر من استعمل في أموره البطر والامنية والحازم اللبيب من ساس الملك بالمداراة والرفق فانظر أيها الملك ما ألقيت اليك ولا يثقلن ذلك عليك فلم أتكلم بهذا ابتغاء غرض تجازيني به ولا التماس معروف تكافئني فيه ولكني أتيتك ناصحا مشفقا عليك فلما فرغ بيدبا من مقالته وقضى مناصحته أرعب قلب الملك فاغلظ له في الجواب استصغارا لامره وقال لقد تكلمت بكلام ما كنت أظن أن أحدا من أهل مملكتي يستقبلني بمثله ولا يقدم على ما أقدمت عليه فكيف أنت مع صغر شانك وضعف منتك وعجز قوتك ولقد أكثرت اعجابي من اقدامك علي وتسلطك بلسانك فيما جاوزت فيه حدك وما أجد شيئا في تاديب غيرك أبلغ من التنكيل بك فذلك عبرة وموعظة لمن عساه أن يبلغ ويروم ما رمت أنت من الملوك اذا أوسعوا لهم في مجالسهم

أتذكرها وأتصورها كما ينبغي وأتفكرها وانتهى أمر ابن آوى على تعسه وساقه القضاء الى رمسه فوصل الى الضيعه وقد وقع ابن اوى فى ضيعه فالح على الحمار فقال أخبرنى فما بقى لى اصطبار فقال قال لى أبى بكلام فصيح عربى لا تجعل مقامك ومقيلك بمكان يكون فيه ابن آوى دليلك والذئب فيه جارك وخليلك وان جعلت لك فى مثل هذا المكان ساحه فما ترى يكون لك فيه من الراحه وان أردت أن تخلص من هذا المكان فانصب الآذان وارفع ذكر الله بالاذان فانه ينجيك من الضيق ثم رفع عقيرته بالنهيق فسمعه معارفه من الكلاب فسارت اليه مستبشرة بحسن الاياب وسارعت اليه واجتمعت حواليه فما شعر ابن آوى الا وهو متورط فى البلوى فطفر للهرب فادركه من الكلاب الطلب فاحتوشته وانتوشته واختطفته واقتطفته ووزعته ومزعته ومرشته وقرشته فلم تبق منه عينا ولا أثرا وذهب دمه فى تدبيره هدرا وانما أوردت هذا المثال وعرضته على الرأى العال ليعلم أن الاغترار بالكلام محال والاصغاء الى الحكايات والقول البطال من غير تنقل من ألفاظها الى معانيها وتامل فى مآل مقاصدها وفحاويها والاعتماد على القضايا المزخرفة والركون الى الامور المسفسفة لا يفيد سوى الندم وزلة القدم والاصل فى الولايات والمناصب التفكر فى الخواتيم والتأمل فى العواقب والاقلبس فى ذلك سوى اضاعة العمر والمصير الى المهالك وقلت شعرا

وأسعد من يكسى الولاية من اذا * نضا ثوبها يكسى الثناء المطرزا

فلما انتهى الكلام الى هذا المقام ورأى الوزير برأيه المنير ما فى هذه الفصول من الفضل دون الفضول اعترف للملك حسيب بالفضل الحسيب والرأى المصيب وحسن النصيحة والبيان وصحة الدليل والبرهان فاذعن للحق وأناب الى الصدق وقال لقد أتيت النصيحة من بابها وأوصلتها الى طلابها وكل كلام قررته وبيان حررته انما هو شكر أحرزته وطريق سداد بينتها وسبيل رشاد أوضحتها وباب صواب فتحته وميزان احسان أرجحته وعلى كل عاقل ومستمع وناقل أن يقتدى بهذه النصائح ويوصلها الى السائح والسابح ويغنم فوائدها وعوائدها وموائدها ويعمل بموجبها ولا يخرج عن مذهبها ثم ان الملك لما أصغى الى هذا الفصل وفهم ما تضمنه من حكمة وفضل أفرغ على أخيه وأهله وذويه لباس الانعام ووفاه بمزيد الاكرام وقال لقد دققت أيها الاخ الشقيق فى تدقيق النصح بالتحقيق وحللت المشكل وجلوت الطريق وأديت حق الفتوة وواجب المروأة وشرائط الاخوة والآن قد حكمناك فى ولايتنا ووليناك على حكامنا وقضاتنا وبسطنا يدك فى الاقاليم وأطلقنا لسانك فى التعليم فتحكم فى الرؤس والاطراف واحكم فى الآفاق والاكناف واشرع فيما أنت بصدده ولا تتقيد بالمخالف ولدده وكن منشرح الصدر قوى الظهر قرير العين مبسوط اليدين مبارك الطلعة حسن السيرة صبيح الوجه طيب القلب والسريره طويل العضد والساعد ممدوحا عند الغائب والشاهد خلى البال هنى الحال فانك من بطن كريم ونفذ على الطاعة مستقيم وفى الفضائل ذو قدم وصدق وفى الصناعة ذو صنع وحذق فلا تتوان فيما عزمت عليه وقصدت اليه من النصائح الملوكيه والفصول العلمية والعمليه وأتحفنا بتلك الحكم السنيه والخصال البهيه والشمائل المرضيه فانها لذة الاشباح وغذاء الارواح والطراز المضىء على خلع المساء والصباح فنهض الحكيم من مجمعه وقبل ثغر الارض بثغر جبينه وفمه وامتثل المراسيم الشريفة واشتغل بتأليف هذه الحكم الظريفه وترتيبها بالعبارات اللطيفه واستطرد فى تأليف هذه الحكم من حكايات ملك العرب الى وصايا ملك العجم والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله على كرمه الاتم واحسانه الاعم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(الباب الثانى فى وصايا ملك العجم المتميز على أقرانه بالفضل والحكم)

(وقال الراوى) حسان معدن الظرافة والاحسان فتوجه الحكيم حسيب الاديب الاريب الى ابراد

ثم أمر به أن يقتل ويصلب فلما مضوا به فيما أمر فكر فيما أمر به فاحجم عنه ثم أمر بحبسه وتقييده فلما حبس أنفذ فى طلب تلامذته ومن كان يجتمع اليه فهربوا فى البلاد واعتصموا بجزائر البحار فمكث بيدبا فى محبسه أياما لا يسال الملك عنه ولا يلتفت اليه ولا يجسر أحد أن يذكره عنده حتى اذا كان ليلة من الليالى سهر الملك سهرا شديدا فطال سهره ومد الى الفلك بصره وتفكر فى تفلك الفلك وحركات الكواكب فاغرق الفكر فيه فسلك به الى استنباط شئ عرض له من أمور الفلك والمسئلة عنه فذكر عند ذلك بيدبا وتفكر فيما كلمه به فارعوى لذلك وقال فى نفسه لقد أسات فيما صنعت بهذا الفيلسوف وضيعت واجب حقه وحملنى على ذلك سرعة الغضب وقد قالت العلماء أربعة لا ينبغى أن تكون فى الملوك الغضب فانه أجدر الاشياء بصاحبه مقتا والبخل فان صاحبه ليس بمعذور مع ذات يده والكذب فانه ليس لاحد أن يجاور وعدم الرفق فى المجاورة فان السفه ليس من شانها وانى آتى الى رجل نصح لى ولم يكن بلاغ فعاملته بضد ما يستحق وكافاته بخلاف ما يستوجب وما كان هذا جزاءه منى بل كان الواجب أن أسمع كلامه وأنقاد لما يشير به ثم أنفذ فى ساعته من ياتيه به فلما مثل بين يديه قال له يا بيدبا ألست الذى قصدت الى تقصير همتى وعجزت رأيى فى سيرتى بما تكلمت به آنفا قال له بيدبا أيها الملك الناصح الشفيق والصادق الرفيق انما نبأتك بما فيه صلاح لك ولرعيتك ودوام ملكك لك قال له الملك يا بيدبا أعد على كلامك كله ولا تدع منه حرفا الا جئت به فجعل بيدبا ينثر كلامه

والملك مصغ اليه وجعل دبشليم كلما استمع منه شيا ينكت الارض بشئ كان فى يده ثم رفع طرفه الى بيدبا وأمره بالجلوس وقال له يا بيدبا انى قد استعذبت كلامك وحسن موقعه

من قلبي وأنا ناظر فى الذى أشرت به وعامل بما أمرت ثم أمر بقيوده فحلت وألقى عليه من لباسه وتلقاه بالقبول فقال بيدبا يا أيها الملك ان فى دون ما كلمتك به نهاية لمثلك قال صدقت أيها الحكيم الفاضل وقد وليتك من مجلسى هذا الى جميع أقاصى مملكتى فقال له أيها الملك اعفنى عن هذا الامر فانى غير مضطلع بتقويمه الابك فاعفاه عن ذلك فلما انصرف علم أن الذى فعله ليس برأى فبعث فرده وقال انى فكرت فى اعفائك فيما عرضته عليك فوجدته لا يقوم الابك ولا ينهض به غيرك ولا يضطلع به سواك فلا تخالفنى فيه فاجابه بيدبا الى ذلك وكان عادة ذلك الزمان اذا استكتبوا وزيرا أن يعقدوا على رأسه تاجا و يركب فى أهل المملكة و يطاف به فى المدينة فامر الملك أن يفعل ببيدبا ذلك فوضع التاج على رأسه و ركب فى المدينة و رجع فجلس بمجلس العدل والانصاف يأخذ للدنى من الشريف و يساوى بين القوى والضعيف ورد المظالم ووضع سنن العدل وأكثر من العطاء والبذل واتصل الخبر بتلامذته فجاؤه من كل مكان فرحين بما جدد الله له من جديد رأى الملك فى بيدبا وشكروا الله تعالى على توفيق بيدبا فى ازالة دبشليم عما كان عليه من سوء السيرة واتخذوا ذلك اليوم عيدا يعيدون فيه فهو الى اليوم عيد عندهم فى بلاد الهند ثم ان بيدبا لما أخلى فكره من أشغاله بدبشليم تفرغ لوضع

الاخبار عن الهداة الاخيار فحكى أن ملكا من ملوك الامصار وسلاطين العجم يدعى شهريار كان من العجم وكان فى الجود واللطف والكرم أمة من الامم ملكه عظيم وفضله جسيم ولايته فى أحسن اقليم حسن السياسة وافر الكياسة ثناؤه عاطر وعطاؤه ماطر ووابل الحشمة من سحائب هيبته قاطر وله من الاولاد وفلذ الاكباد ستة رجال الى المجد والكرم عجال وكل له فى الفضل والافضال أوسع مجال مشهور بالزعامه مجبور بالشهامه كفه سخى وكنفه أريحى ذو شجاعة باسله و براعة كامله وحشمة وافرة وهيبة زاخره وهمة أبحرها بالمكارم زاخره مع رفق ولين للصعلوك المسكين وصلابة فى الدين وكان الاكبر سنا منهم متميزا فى هذه الشيم عنهم وأعطر طيبا وأوفر نصيبا فكأنه فى شأنه قيل

هذا الذى دانت الدنيا لطلعته * والدين والملك والايام والامم

فلما دنت شمس عمر أبيهم للافول وقارب غصن عيشه الذبول وعزم فراش الاجل على طى بساط حياته وأورد بريد الفناء منشور تسليمه الى متولى وفاته أحضر بنيه وأكابر ذويه وقال اعلموا يا بنى انى استوفيت نصيبى من الدنيا وارتقيت من لذاتها الى الدرجة العليا وذقت حلوها ومرها وعاينت حرها وقرها وعرفت خيرها وشرها ومع ارتقائى فيها الى المنازل الفاخره عملت بمقتضى وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخره فتزودت بما وصلت اليه اليد وما أخرت عمل اليوم الى الغد ولم تلهنى الغفله ولا ارخاء المهله عن الاستحضار لساعة الرحله بل لم أزل للرحيل مستوفزا وللتحول والانتقال متجهزا وأنا اليوم عنكم راحل وسفينة عمرى أرست بالساحل وهذا سفر لا رجعة فيه ولا عودة لمسافره اليكم تثنيه وهذا أمر محتوم وقدر معلوم وقضاء قدره فى الازل رب لا يزال ولم يزل سلطان ملكه لا يبيد وكل الملوك تحت أمره عبيد لا راد لما قضاه ولا مانع لما أمضاه ولا هادم لما بناه ولا مساو لما سواه حكم بالموت على مخلوقاته وساقه لا باب قوة فى رده ولا طاقه وقد خفف من وجدى أن لى مثلكم بعدى وانكم خلفى وبقية سلفى وفيكم من يقوم مقامى ولا يمحو أيامى ولا يدرس آثارى ولا يطفئ نار أنوارى وها أنا أعهد اليكم وأستخلف الله عليكم وان كنتم الى الوصية غير محتاجين ولكن الذكرى تنفع المؤمنين واعلموا أن أزكى زهر تتنور به بصائر العقل فى رياض العبودية ورد الشكر وأزكى عطر تتعطر به مجامر العقل فى غياض الحرية ورد الفكر وأن الشكر قيد النعم وسبب لازدياد الفضل والكرم قال الله تعالى وجل جلالا لئن شكرتم لأزيدنكم وقد قيل من شكر القليل استحق الجزيل وان الفكر يعلى المقامات و يعطى الكرامات واحتملوا الاذى تأمنوا ولا تهنوا للنائبة ولا تحزنوا ولا تظنوا الجود والكرم فى التبذير والبذل والتقتير من جملة التدبير فقد نصب للاعلام أعلاما من قال عز مقاما وكلاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال جل مخبرا وخبيرا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا واتبعوا الاقوال الافعال فلا خير فى قول ليس بفعال ولا تشوهوا محاسن شيمكم بزخارف الكذب فان الصدق أول ما ينبغى وأعظم ما يجب ووسخ كلمة واحدة بالكذب ناطقه لا ينقيه ألف كلمة صادقه ومن تعود الكذب فى نطقه لا يعتمد على صدقه وداروا الاعداء مداراة الادواء يزد صديقكم ويكثر فريقكم ويجل ودودكم ويقل عدوكم وحسودكم وعليكم بملازمة الاخيار واياكم وصحبة الاشرار ولا تطلبوا الرغبة فى صحبة الاشرار سبيلا ولا تقيموا على ذلك أبدا دليلا فمن غالط نفسه فى مجالسة الاشرار وطلب وفاء ممن جبل على طبيعة الفجار فقد أوجع نفسه باقوى كيه وأصابه ما أصاب الفلاح مع الحيه فسأل الاولاد والدهم المالك على كيفية ذلك فقال ذكر ان واحدا من الاكياس طلب العزلة عن الناس ولازم انقطاعه وانقطع عن الجمعة والجماعه واشتغل لاقامة أوده بالزراعه وانعزل فى ذيل جبل وصاحب حية كانت تأنس اليه بكلامه وتأكل من فضلات طعامه فترقت بينهما المعاهده

الى

الى أن بلغت الى المعاقده بان تكون صادقه خالية عن المماذقه ولا تكون كصحبة أبناء الزمان تكرع
من الغدر فى غدران ولا مشوبة بنفاق ولا مدخولة برياء وشقاق وأن تنعقد بينهما المودة والاخاء فى حالتى
الشدة والرخاء فراعى هذا مده وكل حافظ عهده مراع صحبته ووده وكان الرجل اذا عنت له قضيه
عرضها على الحية واستشارها وأخذ أخبارها وتخرج هى اليه وتترامى على رجليه ففى بعض الايام
وعام من الاعوام وقع برد شديد وثلج وجليد فرأى الحية وقد سقطت قواها وخدرت أعضاها و وقعت
فى شرحال وبرد ووبال فحملته الشفقة والصداقه والعهد الذى أحكم رتاقه على أن آواها وجعلها فى
مخلاة حماره وأدناها ووضع المخلاة فى رأس البهيم وتوجه لضرورة ذلك الفهيم فحست الحية بنفس
أبى زياد وتحرك عرق العدوان القديم وعاد وفعل خبثها خاصيته المألوفه ولعب بها سجيتها المعروفة
متبعا حديثه حرام على النفس الخبيثه أن تخرج من الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها فعضت الحية شفة
الحمار الرقيقه عضة محب لاقى فى خلوة عشيقه وبرد مكانه من حرها وهربت الحية الى جحرها وانما أوردت
هذا المثال لتعلموا ياذوى الافضال أن من صحب الاشرار ورغب فى مودة الفجار لا يأمن العثار ولا يسلم
من الانكاد والبوار وقد قيل ان صحبة الاخيار كجرة النضار بطيئة الانكسار سريعة الانجبار وصحبة
الاشرار كجرة الفخار سريعة الانكسار بطيئة الانجبار وبالجملة فما فى صحبة الناس فائده ولا فى مخالطة
الناس كبير عائده وقد قيل ولم تر من بنى الدنيا سلاما * فان تره فبلغه سلامى
وينبغى أن تكون غيبتكم وحضوركم وأحوالكم وأموركم واجتماعكم وفراقكم وصلحكم وشقاقكم
فى حالتى السراء والضراء والبؤس والرخاء على وتيرة واحده وهى الخالية عن الاغراض الفاسده أعنى
اذا رضيتم فبالحق واذا غضبتم فللحق واذا توجهتم فللحق ولا تبطروا فى حالة النعم ولا تضجروا فى حالة
النقم وعلى كل حال فلا يقع بينكم اختلال وذلك بتفرق الكلمة واختلافها وتصادمها وعدم ائتلافها

فانه قيل ان الدليل الذى ليست له عضد * مثل الوحيد بلا مال ولا عدد
(وقيل أيضا) كونوا جميعا يابنى اذا اعترى * خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى القداح اذا اجتمعن تكسرا * واذا افترقن تكسرت أفرادا

ولا تثقوا بأحد من الكبار والصغار الا بعد الاختبار فى الشدة والضعف والرفق والعنف والبؤس والرخاء
والخوف والرجاء ولا تقدموا على قديم الاصحاب أحدا ولا على الموثوق بهم من لا جربتموه أبدا وقد قيل فى
المثل المشهور النحس المعروف خير من الجيد المنكور وقيل أيضا خير الاشياء جديدها وخير الاصحاب
قديمها وأسسوا قواعد أخراكم فى دنياكم واغتنموا السعادة الباقيه من الدار الفانيه وعاملوا
تجدوا وازرعوا تحصدوا وتفكروا من أول يومكم أحوال عزكم ومن أوائل عمركم أواخر دهركم
ومن ليلة الهلال سرار شهركم فكل من له صدق قدم يتفكر وهو موجود حالة العدم ومن زمان شبابه
حالة الهرم كما فعل التاجر المراقب وما آل اليه فى العواقب فقبل الارض الاولاد وقالوا مولانا السلطان
أعظم من أفاد لو تصدق على عبيده الطائعه ببيان تلك الواقعه (قال الملك) ذكر الحكماء وذووا الفضل
من العلماء أنه كان فى بعض الامصار تاجر من أعيان التجار ذو مال جزيل وجاه عريض طويل ونعمة
وافرة وحشم وخدم متكاثرة من جملتهم غلام مخايل السعادة من جبينه لائحه وروائح النجابة من أذيال
شمائله فائحه قد أفنى عمره فى خدمة مولاه ولم يقصر لحظة فى طلب رضاه فقال له سيده فى بعض الايام لك
على حق ياغلام وأنا أريد مكافأتك وأطلب موافاتك فتوجه هذه المرة فى هذه السفرة فمهما ربحت
فهو لك بعد أن أعتقتك من قيد رق أشغالك ثم أوسق مركبا وفسح له فى السير شرقا ومغربا ووصاه بأشياء
امتثل مرسومها والتزم منطوقها ومفهومها فقال له مولاه سأرفعك على اضرابك وأغنيك عن أمثالك

كتب السياسة ونشط لها فعمل كتبا كثيرة فيها دقائق الحيل ومضى الملك على ما رسم له بيدبا من حسن السيرة والعدل فى الرعية فرغبت
اليه الملوك الذين كانوا فى نواحيه وانقادت له الامور على استوائها وفرحت به رعيته وأهل مملكته * ثم ان بيدبا جمع تلامذته
فأحسن صلتهم ووعدهم وعدا جميلا وقال لهم لست أشك أنه وقع فى نفوسكم وقت دخولى على الملك أن قلتم ان بيدبا قد ضاعت حكمته وبطلت فكرته اذ عزم على الدخول على هذا الجبار الطاغى فقد علمتم نتيجة رأيى وصحة فكرى وانى لم آته جهالة به لانى كنت أسمع من الحكماء قبلى تقول ان الملوك لها سكرة كسكرة الشباب فالملوك لا تفيق من السكرة الا بمواعظ العلماء وآداب الحكماء والواجب على الملوك أن يتعظوا بمواعظ العلماء والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتهم وتأديبها بحكمتها واظهار الحجة البينة اللازمة لهم ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج والخروج عن العدل فوجدت ما قالت العلماء فرضا واجبا على الحكماء لملوكهم ليوقظوهم من سنة سكرتهم كالطبيب الذى يجب عليه فى صناعته حفظ الاجساد على صحتها أو ردها الى الصحة فكرهت أن أموت أو أموت وما يبقى على الارض الا من يقول انه كان بيدبا الفيلسوف فى زمان دبشليم الطاغى فلم يرده عما كان عليه فان قال
قائل انه لم يمكنه كلامه خوفا على نفسه قالوا كان الهرب منه ومن جواره أولى به والانزعاج عن الوطن شديد فرأيت أن أجود بحياتى فأكون قد
أتيت فيما بينى وبين الحكماء بعدى عذرا فحملتها على التغرير والظفر بما أريده وكان من ذلك ما أنتم معاينوه فانه يقال فى بعض الامثال انه لم

وأصحابك وأجعلك كأكبر من في الدنيا وجميع رفقتك بمنزلة المولى ثم أخذ في تعبية البضائع وأوسق مركبه المتاجر والمنافع وسلمه الى الهواء والماء بعد أن توكل على رب السماء فسار بعض أيام وهو في أهنى مرام وأطيب عيش ومقام الماء رائق والهواء موافق والنكد مفارق والسرور مرافق حتى كأنه نوح وخضره الملاح وموسى وفتاه حافظ الالواح وبينهما السفينه من نسف العواصف أمينه تجارى السهم والطير وتبارى الدهم في السير فاذا بالرياح هاجت والامواج ماجت وأشباح البحر تصادمت وأطواد الامواج على العرفاء تلاطمت فعجز ذلك الملاح والحافظ ونشر مذهب ابنه أبو الجاحظ وترك سمة الوقار والسكينه ورقم نقش الحروف في ألواح السفينه فشاهدوا من ذلك الهواء الاهوال وغدا قاع البحر كالجبال وصار ذلك الغراب بمن فيه من الاصحاب كأحوال الدنيا بين صعود وهبوط وقيام وسقوط طورا يستأمنون الافلاك ويناجون الاملاك وينهون أخبار ظلامات صاحب الحوت الى السماك وطورا يهبطون الغور وينظرون قرن الثور ويعاينون قوائمه من تحت الزور فلم يزالوا عاجزين حيارى سكارى وما هم بسكارى يتناشدون

وفلك ركبناه والبحر ذو * هواء فثار وحار ومارا

فطورا علونا السماء وطورا * رمتنا أراضيه منها انحدارا

وآخر الامر نسفت السفينة الرياح وألقى كاتب الحاصب الى كل حرف من حروف الجبال لوحا من الالواح وأوعر الله سهلها وخرقها فأغرقها وأهلها وذهب البحر بأموالها وأرواحها وتعلق الغلام بلوح من ألواحها واستمر تقذفه الامواج وتصدم به أثباج البحر الهياج الى أن وصل الى ساحل فخرج وهو كئيب ناحل وصعد الى جزيره فواكهها غزيره ووصفها عجيب ليس بها داع ولا مجيب فجعل يمشي في جنباتها الى أن أداه التوفيق الى فم طريق فسار في تلك الجاده وهداية الله ماده فانتهى به المسير الى أن تراءى له سواد كبير وبلغ مملكة عظيمة وولاية جسيمه ورأى على بعد مدينة مسورة حصينه فعمد الى ذلك البلد وتوجه نحوها وقصد فاستقبله طائفة من الرعال نساء ورجال يتبعهم جنود مجنده وطوائف محشده مع طبول تضرب وفوارس تلعب وزمور تزعق وألسنة بالثناء تنطق حتى اذا وصلوا اليه تراموا عليه وأكبوا بين يديه يقبلون يديه ورجليه مستبشرين برؤيته متبركين بطلعته ثم ألبسوه الخلع السنية وقدموا له فرسا عليه بكنبوش ذهب وسرج مغرق ووضعوا له التاج على المفرق ومشوا في الخدمة بين يديه والجنائب في الموكب تجر لديه ينادون حاشاك واليك سلطان الناس قادم عليك حتى وصلوا الى المدينه ودخلوا قلعتها الحصينه ففرشوا شقق الحرير ونثروا النثار الكثير وأجلسوه على السرير وأطلقوا مجامر الند والعبير ووقف في خدمته الصغير والكبير والمأمور والامير والدستور والوزير وأنشدوه

قدمت قدوم البدر بيت سعوده * وأمرك فينا صاعد كصعوده

وقالوا اعلم يا مولانا انك صرت لنا سلطانا ونحن كلنا عبدك وتابع مرادك ومريدك فافعل ما تختار وتحكم في الكبار منا والصغار وأمر مالك من مرسوم فامتثاله علينا محتوم وما منا الا له مقام معلوم فجعل يتفكر في أمره ومبداه ويتأمل ما صار اليه ويتدبر في منتهاه فقال ان هذا الامر لابد له من سبب ولابد له من آخر ومنقلب فانه لا يصدر في عالم الكون سدى وان لهذا اليوم من غير شك غدا وان الصانع القديم القادر الحكيم السميع العليم البصير الحي المريد الكريم لم يقدر هذه الافعال على سبيل الاهمال ولم يحدث حدثا عبثا ولا عبثا وجعل يلازم هذه الافكار آناء الليل وأطراف النهار وهو مع ذلك قائم بشكر النعمة ملازم باب مولاه بالطاعة والخدمة واضع الاشياء في محلها والمناصب في يد أهلها ملتفت الى أحوال

الرعية

يبلغ أحد مرتبة الا باحدى ثلاث اما بمشقة تناله في نفسه واما بوضيعة في ماله أو وكس في دينه ومن لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب وان الملك دبشليم قد بسط لساني في أن أضع كتابا فيه ضروب الحكمة فليضع كل واحد منكم في أي فن شاء وليعرضه على لانظر مقدار عقله وأين يبلغ من الحكمة فهما قالوا أيها الحكيم الفاضل واللبيب العاقل والذي وهب لك ما منحك من الحكمة والعقل والادب والفضيلة ما خطر هذا بقلوبنا ساعة قط وأنت رئيسنا وفاضلنا وبك شرفنا وعلى يدك انتعشنا ولكن سنجهد أنفسنا فيما أمرت ومكث الملك على ذلك من حسن السيرة زمانا يتولى ذلك له بيدبا ويقوم به ثم ان الملك دبشليم لما استقر له الملك وسقط عنه النظر في أمور الاعداء بما قد كفاه ذلك بيدبا صرف همته الى النظر في الكتب التي وضعتها فلاسفة الهند لآبائه وأجداده فوقع في نفسه أن يكون له أيضا كتاب مشروح ينسب اليه تذكر فيه أيامه كما ذكر آباؤه وأجداده من قبله فلما عزم على ذلك علم أنه لا يقوم بذلك الا بيدبا فدعاه وخلا به وقال له يا بيدبا انك حكيم الهند وفيلسوفها واني فكرت ونظرت في خزائن الحكمة التي كانت للملوك قبلي فلم أر فيهم أحدا الا وقد وضع له كتاب يذكر فيه أيامه وسيرته وينبئ عن أدبه وأهل مملكته فمنه ما وضعه الملوك لانفسها وذلك لفضل حكمة فيها ومنه ماوضعته حكماؤها وأخاف أن يلحقني ما لحق أولئك مما لا حيلة لي فيه ولا يوجد في خزائني كتاب أذكر به بعدي وأنسب اليه كما ذكر من كان قبلي بكتبهم وقد أحببت ان تضع لي كتابا بليغا تستفرغ فيه عقلك يكون ظاهره سياسة العامة وتاديبها

الرعية عامل بينهم بالعدل والسوية متعهد أمور الكبار والصغار بأنواع الاحسان وأصناف المبار
مؤسس قواعد المملكة والسلطنه على أركان العقل والعدل مهما أمكنه متفحص عن مصالح المملكة
سالك مع كل من أرباب الوظائف ما يقتضي مسالكه ثم وقع اختياره من بين أولئك الجماعة على شاب
جليل البراعة له في سوق الفضل والوفاء أوفر بضاعة متصف بأنواع الكمال متحل بزينة الادب والجمال
فاتخذه وزيرا وفي أموره ناصحا ومشيرا الجعل يلاطفه ويرضيه ويكرمه ويدنيه ويفيض عليه من ملابس
الانعام وخلع الافضال والاكرام ما ملك به حبة قلبه واستصفى خالص وده ولبه وسكن في سويدائه
وتمكن به من ضمير احشائه الى أن اختلى به وتلطف في خطابه واستنجحه في جوابه وسأله عن أمر أمرته
وموجب رفعته وسلطنته من غير معرفة لرفاق ولا أهلية ولا استحقاق ولا هو من بيت الملك ولا في بحر
السلطنة له فلك ولا معه مال ولا خيل يهديها ولا رجال ولا معرفة يدلي بها ولا شجاعة وفضيلة يهتدي بتهذيبها
فقال ذلك الشاب في الجواب اعلم أيها الملك الاعظم أن هذه البلدة وعساكر اقليمها وجنده قد اخترعوا
أمرا واصطلحوا على عادة أخرى سألوا الرحمن أن يقيض لهم في كل أوان شخصا من جنس الانسان يكون
عليهم ذا سلطان فاجابهم الى ذلك فسلكوا في أمره هذه المسالك وذلك أنهم في اليوم الذي قدمت عليهم
برسل الله تعالى وجلا من عالم الغيب اليهم فيستقبلونه كما استقبلوك ويسلكون معه طريقة الملوك من غير
نقص ولا زيادة وقد صارت هذه لهم عادة فيستمر عليهم حسنه في هذه المرتبة الحسنة فاذا انقضى الاجل
المعدود وجاء ذلك اليوم الموعود عمدوا الى ذلك السلطان وقد صار فيهم ذا مكان ومكان وعلقة ونشب
واخاء ونسب وثبتت له أوتاد وصار له أهل وأولاد وجروه برجله من التخت وسلبوه ثوب العزة والرخت
وألبسوه ثوب الذل والنكال وأوثقوه بالسلاسل والاغلال وجلاه الاهل والاقارب وأتوا به الى بحر قريب
فوضعوه في قارب وسلموه الى موكلين ليوصلوه الى ذلك الجانب فيوصلونه الى ذلك البر وهو قفر أغبر ليس به
أنيس ولا رفيق ولا جليس ولا صديق ولا زاد ولا ماء ولا نشو ولا نماء ولا مغيث ولا معين ولا قريب ولا قرين
ولا قدرة ولا امكان على الوصول الى العمران ولا ظل ولا ظليل ولا الى الخلاص سبيل ولا الى طريق النجاة
دليل فيستمر هنالك عريانا وحيدا فريدا طريدا الى أن يهلك عطشا وجوعا لا يملك اقامة ولا يستطيع
رجوعا ثم يستأنف أهل هذه البلاد ما لهم من فعل معتاد فيخرجون بالاهبة الكاملة الى تلك الطريق
السابلة فيقيض الله تعالى لهم رجلا فيفعلون معه مثل ما فعلوا مع غيره قولا وعملا وهذا دأبهم وديدنهم
وقد ظهر لك ظاهرهم وباطنهم فقال ذلك الغلام الاملح لذلك الوزير المصلح فهل اطلع أحد ممن
تقدم على عاقبة هذا المأتم قال قد عرف ذلك وتحقق أنه عن قريب هالك ولكن غرور السلطنة يلهيه
وسرور التحكم والتسلط يطغيه وحضور اللذة الحاصلة لسوء العاقبة ينسيه ولا يفيق من غفلته
ويستيقظ من رقدته الا وعامه قد مضى والاجل المضروب قد انقضى وقد أحاطت به نوازل البلاء
وهجم عليه نوازل القضاء فيستغيث ولا مغيث وينادي بالخلاص ولات حين مناص فلما سمع
الغلام هذا الكلام أطرق مفكرا وبقي متحيرا وعلم أنه لابد للايام أن تمضي وهذا الاجل المضروب
ينقضي وانه ان لم يتدارك أمره ويتلاف خيره وشره ويتدبر حاله ومصيره ومآله هلك هلاك الابد
ولم يشعر به أحد فاخذ يفكر في هذا الخلاص والتفصي من شرك الاقتناص ثم قال للوزير
الناصح الخبير أيها الرفيق الشفيق والنصوح الصديق جزاك الله خيرا وكفاك ضيما وضيرا
اني قد فكرت في شيء ينفع نفسي ويحييها ويدفع شر هذه البلية التي وقعت فيها وأريد معاونتك
وأطلب مساعدتك فاني رأيتك في الفضل متميزا بين أقرانك فاتفاقي بمحاسن الشيم على أصحابك
واخوانك فقال افعل ياذا الزعامة وحبا لك وكرامة قال اعلم أيها الصاحب الاعظم ان الرجوع الى هذا

و باطنه أخلاق الملوك وسياستها الرعية على طاعة الملك وخدمته فيسقط بذلك عني وعنهم كثير مما نحتاج اليه في معاناة الملك وأريد أن يبقى
لي هذا الكتاب بعدي ذكرا على غابر الدهر فلما سمع بيدبا كلامه خر له ساجدا ورفع رأسه وقال أيها الملك السعيد جده علا
نجمك وغاب نحسك
ودامت أيامك ان الذي قد
طبع عليه الملك من جودة
القريحة ووفور العقل
حركه لعالي الامور وسمت
به نفسه وهمته الى أشرف
المراتب منزلة وأبعدها
غاية وأدام الله سعادة
الملك وأعانه على ما عزم
من ذلك وأعانني على بلوغ
مراده فليأمر الملك بما شاء
من ذلك فاني صائر الى
غرضه مجتهد فيه برأيي
قال له الملك يا بيدبا لم تزل
موصوفا بحسن الرأي
وطاعة الملوك في أمورهم
وقد اختبرت منك ذلك
واخترت أن تضع هذا
الكتاب وتعمل فيه
فكرك وتجهد فيه نفسك
بغاية ما تجد اليه السبيل
وليكن مشتملا على الجد
والهزل واللهو والحكمة
والفلسفة فكفر له بيدبا
وسجد وقال قد أجبت الملك
أدام الله أيامه الى ما أمرني
به وجعلت بيني وبينك
أجلا قال وكم هو الاجل
قال سنة قال قد أجلتك
وأمر له بجائزة سنية تعينه
على عمل الكتاب فبقي بيدبا
مفكرا في الاخذ فيه وفي
أي صورة يبتدئ بها فيه
وفي وضعه ثم ان بيدبا جمع
تلامذته وقال لهم ان الملك
قد ندبني لامر فيه فخري
وفخركم وفخر بلادكم وقد جمعتكم لهذا الامر ثم وصف لهم ما سأل الملك من أمر الكتاب والغرض الذي قصد فيه فلم يقع لهم الفكر فيه فلما لم
يجد عندهم ما يريد فكر بفضل حكمته وعلم أن ذلك أمر انما يتم باستفراغ العقل واعمال الفكر وقال أرى السفينة لا تجري في البحر الا

بالملاحين لانهم يتعدلونها وانما تسلك الابحة بعد برها الذى تفرد بامر بها ومتى شحنت بالركاب الكثيرين وكثر ملاحوها لم يؤمن عليها من الغرق ولم

يزل يفكر فيما يعمله في باب الكتاب حتى وضعه على الانفراد بنفسه مع رجل من تلامذته كان يثق به فخلا به منفردا معه بعد

المكان الذى كنت فيه خارج عن الامكان والاقامة فى هذا الملك المعهود انما هى الى أجل معدود ووقت محدود وانقضاؤه على البتات وكل ما هو آت آت وكيفية الخروج قد عرفت وطريقها قد تقررت ووصفت ولهذا قيل ياذا الفضل الجزيل دخلنا مضطرين وأقمنا متحيرين وخرجنا كرهين ولا يتجه مخلص من هذا المقنص الا طريق واحد وسبيل غير متعاهد وهى أن تأخذ طائفة من البنائين وجماعة من المهندسين والنجارين وتذهب بهم أيها الوزير الى مكان اليه نصير فتأمرهم أن يبنوا لنا هنالك مدينة ويشيدوا لنا فيها أماكن مكينة ومخازن وحواصل وتملؤها من الزاد المتواصل من المآكل الطيبة والاطعمة والاشربة اللذيذة المستعذبة ولا تغفل عن الارسال ولا تختر الامهال والاهمال فى الظهيرة والاسحار والغدو والآصال اذ أوقاتنا محدوده وأنفاسنا معدوده وساعة تمضى منها غير مردوده واذا فات شئ من ذلك الوقت فلا نعوض عنه الا الخيبة والمقت فننقل هنالك ما يكفينا على حسب طاقتنا ومقدار قدرتنا واستطاعتنا فاذا تزودنا منها لم نرحل عنها بحيث اذا نقلنا من هذه الديار وطرحنا فى تلك المهامه والقفار وجفانا الاصحاب وتخلى الاخلاء عنا والاحباب وأنكرنا المعارف والاوداء واحتوشتنا فى تلك البيداء فنون الداء نجد ما نستعين به على اقامة الاود مدة اقامتنا فى ذلك البلد فاجاب بالسمع والطاعه واختار من المعمارية جماعه وأحضر المراكب وقطع البحر الى ذلك الجانب وجعل الملك عدهم بالآلات والادوات على عدد الانفاس ومدى الساعات الى أن أنهى المعمارية العماره وأكملوا حواصل الملك ودلره وأجروا فيها الانهار وغرسوا فيها الاشجار فصارت تأوى اليها الطيور بالليل والنهار ويترنم فيها البلبل والهزار بانواع التسبيح والاذكار وغدت من أحسن الامصار وبنوا حوالها الضياع والقرى وزرعوا منها الوهاد والثرى ثم أرسل اليها ما كان عنده من الخزائن ونفائس الجواهر والمعادن وأرسل من طرف التحف اليها ومن حاجاته المعول عليها بحيث لو أقام بها سنين قامت بكفايته وفضلت خزائنها عن حاجته وأكثر من ارسال ما يلزم من الادوات والاشربة والمطعومات وجهز الخدم والحشم وصنوف الاستعدادات من النعم فما انقضت مدة ملكه ودنت أوقات هلكه الا ونفسه الى مدينته تاقت وروحه الى مشاهدتها اشتاقت وهو مستوفز للرحيل ورابض للنهوض والتحويل فلما تكامل له فى الملك العام لم يشعر الا وقد أحاط به الخاص والعام ممن كان يفديه بروحه من خادمه ونصوحه ومن كان سامعا لكلمته من أعيان خدمه وحشمته وقد تجردوا الجذبه من السرير ونزعوا ما عليه من لباس الحرير ومشوا على عادتهم القديمه وسلبوه الحشمة الجسيمه ومملكته العظيمه وزالت الحشمة والكلمة والحرمة وشدوا وثاقه وذهبوا به الى الحراقه ووضعوه وقد ربطوه فى المركب الذى هيؤه وأوصلوه الى ذلك البر من البحر فما وصل اليه الا وقد أقبلت خدمه عليه وتمثلت طوائف الحشم والناس لديه ودقت البشائر المقدمه وحل فى سروره المقيم ونعمه واستمر فى أتم سرور واستقر فى أوفر حبور ثم قال الملك للاولاد وفلذ الاكباد وانما أوردت هذا المقال على سبيل المثال فاصغوا الى حسن التنظير حتى أبين لكم النظير وعوا ما أقول بآذان القبول وتأملوا رموز المعانى من هذه الالفاظ التى جعلت المثانى ثم تفكروا وتبصروا وبعد التذكر والتبصر تدبروا أما ذلك العام المعهود فانه الولد فى أول الوجود وأما المركب الذى أودعه فهو بطن أمه الذى استودعه وانكسار السفينه هو انشقاق المشيمه والجزيرة التى خرج اليها فهى الدنيا التى دخل عليها والناس الذين استقبلوه فاقاربه وذووه وأهلوه يربونه بالملاطفة والعلال ويعاملونه بالاكرام والافضال وذلك الشاب الذى هو وزيره فهو عقله ومن اعانه نوره والسنة المضروبة أجله المحتوم وعمره المعدود المعلوم ونزوله عن سريره عبارة عن آخرته ومصيره وخروجه من الدنيا بالاكراه وشروعه فى دخوله الى أخراه والبحر الثانى الذى طرح فيه هو أحوال

ان أعد من الورق الذى كانت تكتب فيه الهند شيأ ومن القوت ما يقوم به وتلميذه تلك المدة وجلسا فى مقصورة وردا عليهما الباب ثم بدأ فى نظم الكتاب وتصنيفه ولم يزل هو يملى وتلميذه يكتب ويرجع هو فيه حتى استقر الكتاب على غاية الاتقان والاحكام ورتب فيه أربعة عشر بابا كل باب منها قائم بنفسه وفى كل باب مسئلة والجواب عنها ليكون لمن نظر فيه حظ وضمن تلك الابواب كتابا واحدا وسماه كتاب كليلة ودمنة ثم جعل كلامه على ألسن البهائم والسباع والطير ليكون ظاهره لهوا للخواص والعوام وباطنه رياضة لعقول الخاصة وضمنه أيضا ما يحتاج اليه الانسان من سياسة نفسه وأهله وخاصته وجميع ما يحتاج اليه من أمر دينه ودنياه وآخرته وأولاده ويحضه على حسن طاعته للملوك ويجنبه ما تكون مجانبته خيرا له ثم جعله باطنا وظاهرا كرسم سائر الكتب التى برسم الحكمة فصار الحيوان لهوا وما ينطق به حكما وأدبا فلما ابتدأ بيدبا بذلك جعل أول

الكتاب وصف الصديق وكيف يكون صديقا وكيف تقطع المودة الثابتة بينهما بحيلة ذى النميمة وأمر تلميذه ان ما

يكتب على لسان بيدبا مثل ما كان الملك شرطه فى ان جعله لهوا وحكمة فذكر بيدبا ان الحكمة متى دخلها كلام الغفلة أفسدها واستجهل

مايعاينه عند الموت ويعانيه والبرالقفر اللحد والقبر فالسعيد يتفكر في كيفية أموره وأحواله ومبدأ أمره ومآله ثم يتدبر في قل هذا وجله ويستعد لما خلق من أجله ويحقق أن الاقامة في الدنيا يسيره وهي بالنسبة الى الاقامة بدار البقاء قصيره وانه اذا جاء وقته المحتم لا يتأخر عنه ساعة ولا يتقدم فيأخذ في الازدياد ويتهيأ ما أمكن ليوم المعاد ويعد نفسه كالمسافر الذي أتى بعض الحاضر فلا يقيم أكثر من يوم وقد رحل عن القوم كما قيل

ألا انما الدنيا كمنزل راكب * أناخ عشيا وهو بالصبح راحل

الى سفر طويل زاده قليل قفاره يابسه وطرقه دامسه لا أنيس فيه ولا رفيق ولا مصاحب ولا صديق ولا دليل ولا خليل ولا مغيث ولا مقيل ولا ماء ولا معين ولا صاحب ولا معين فيهيئ لهذا السفر بقدر الامكان ماقدر من الزاد والما والمركب والكلا ونور الطريق والمسافر والرفيق والخادم والانيس والمنادم والجليس ويمهد المضجع للمبيت والمقيل ويهيئ الموضع في النزول والرحيل وبالجملة لا يترك من أفعال الخير شيأ الا فعله ولا مجملا الا فصله ولا متأخرا الا قدمه ولا معاملا في مبايعة الا أسلفه وأسلمه وليعلم أن كل ذلك محتاج اليه ومصروف لديه اذا انتقل الى دار البقاء وأقبل عليه فاذا جاء وقت الرحيل ونادى منادي الانتقال والتحويل وجد ما كان في عمله حاضرا وكل ماقدمه الى رياض الخير نزها ناضرا كما قال ذو الجلال وأخبر به الصادق في الوعد والمقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون معنى أن لا تخافوا الا خوف عليكم فيما هو امامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم وراءكم فاذا دخل في قبره وجده روضة من رياض الجنه يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وأما الشقي الغافل الغبي الذي أهمل أمره ونسي الله وذكره وأهمل ماخلق لاجله وتاه في بيداء الضلال وسبله فقد اغتر بهذه اللذة اليسيره في تلك المدة القصيره واستمر سكران في ميدان العصيان من خمرة الطغيان وتردى لباس الردى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فانهدمت عمارتهم ولا ربحت تجارتهم حتى اذا جاءه الوقت المعلوم ونزل به الاجل المحتوم ونظر امام وتراءت له الاعلام فاما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم نزل من دار الغرور الى دار الشرور فندم ولا ينفعه الندم وقد زلت به القدم نخاب مآبا وقال ياليتني كنت ترابا فانظروا يا أولادي وعدتي وعتادي حال الفريقين وتأملوا ما للطائفتين فقد بذلت في النصيحة جهدي وأستخلف الله عليكم من بعدي فقال أكبر ولده وهو أسلك محاسنهم واسطة عقدهم جزى الله مولانا عن شفقته خيرا وأولاه على حسن النصيحة أجرا وذخرا فلقد أحييت قلوبا بز واهر حكمك وشنفت أسماعا بجواهر كلمك ولكن اخوتي وان كانوا من أولي العلم وأرباب النباهة والحلم والعقل الغزير والفضل الجم الكثير والرأي المصيب المنير غير أن حدة الشباب عليهم غالبه ودواعي النفس بشهواتها مطالبه لاسيما ان حصلوا على ملك عريض وكرعوا من ألبانه المحض والمخيض فان اتفق مع ذلك موافق منافق أو صاحب ممارق أو صديق خدوع أو مباطن مكار هلوع أضلهم عن سواء السبيل وصار الى طريق المخالفة أوضح دليل فتتحول صداقتنا عداوه وتتبدل فيها بالمرارة الحلاوه فينتزع الرخاء وينهزع الاخاء ويبغي بعضنا على بعض وتعود الاخوة على موضعها بالنقض ويتولد من ذلك الفتن ويظهر من العداوة مابطن فالرأي عندي انه مادام زمام التصرف في يد الامكان يتصرف مولانا السلطان على مقدار جهده في مصلحة عبده بحيث لا أكون مضغة للماضغ ومشغلة لكل قلب فارغ ولا يسلمني لاسباب الحوادث ومخالب الدهر الكوارث فانه بذلك يكفيني من نوائب الزمان مايدهيني والعياذ بالله المنان من مفارقة مولانا السلطان جعلني الله تعالى فداءه ولا أراني فيه يوما أساءه فليأخذ بيدي من هذه الورطة * وليرحني

حكمتها فلم يزل هو وتلميذه يعملان الفكر فيما ساله الملك حتى فتق لهما العقل أن يكون كلامهما على لسان بهيمتين فوقع لهما موضع اللهو والهزل بكلام البهائم وكانت الحكمة ما نطقا به فاصغت الحكماء الى حكمه (٢٥) وتركوا البهائم واللهو وعلموا انها السبب في الذي وضع لهم ومالت اليه الجهال عجبا من محاورة بهيمتين ولم يشكوا في ذلك واتخذوه لهوا وتركوا معنى الكلام ان يفهموه ولم يعلموا الغرض الذي وضع له لان الفيلسوف انما كان غرضه في الباب الاول ان يخبر عن تواصل الاخوان كيف تتاكد المودة بينهم على التحفظ من أهل السعاية والتحرز ممن يوقع العداوة بين المتحابين ليجر بذلك نفعا الى نفسه فلم يزل بيدبا وتلميذه في المقصورة حتى استتم عمل الكتاب في مدة سنة فلما تم الحول أنفذ اليه الملك ان قد جاء الوعد فماذا صنعت فانفذ اليه بيدبا اني على ما وعدت الملك فليامرني بحمله بعد ان يجمع أهل المملكة لتكون قراءتي هذا الكتاب بحضرتهم فلما رجع الرسول الى الملك أمر بذلك ووعده يوما يجمع فيه أهل المملكة ثم نادى في أقاصي بلاد الهند ليحضروا قراءة الكتاب فلما كان ذلك اليوم أمر الملك ان ينصب لبيدبا سرير مثل سريره وكراسي لابناء الملوك والعلماء وأنفذ فاحضره فلما جاءه الرسول قام فلبس الثياب التي كان يلبسها اذا دخل على الملوك وهي المسوح السود وحمل الكتاب تلميذه فلما دخل على الملك وثب الخلائق باجمعهم وقام الملك شاكرا فلما قرب من الملك كفر له وسجد ولم يرفع رأسه فقال له الملك يا بيدبا ارفع رأسك فان

من شرهذه الخطه فانه قدقيل من لايقيل المستقيل ولايغيث المستغيث ولايتقيد بمعنى هذا الحديث ولايدفع غصة هذه القصه و يفوّت عند الامكان الفرصه يصيبه من حوادث الزمان ما أصاب بعض الجرذان الذى لم يخلص الغزالة الواقعة فى شرك الحبالة قال السلطان قل لى كيف كانت قصته وما كانت قضيته (فقال) ذكر أن بعض الصيادين المحتالين الكيادين نصب حباله ليصيد غزاله فعلق بها مهاة من المها وطلبت مجالا واضطربت يمينا وشمالا فوقعت عينها على جرذ من الجرذان عنيد يتفرج عليها من بعيد فنادته بلسان زلق وأثنت عليه بلسان طلق وقالت يافارس ميدان المروه والنجدة والفتوه والموصوف بالشطارة والقوه هذا وقت الكرم وأوان استعمال مكارم الشيم وفعل المعروف واغاثة الملهوف وصرف الهمه الى كشف الغمه نعم وان كانت طرائق الصداقة بيننا معدومه ونقوش التنافر على صحف خواطرنا مرقومه ونقود المعرفة والاخاء فى جنب التباين غير مبذوله ومرآة التوافق أيما بيننا غير مصقوله لكن فى الشدائد يعرف الاخاء والاخوان كثيرون فى الرخاء كما قيل

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * بل فى الشدائد تعرف الاخوان

وقد قصدتك فى الخلاص وقرض شرك الاقتناص ونجاتى من سكين القناص فاقرض هذه الشبكة بأسنانك الحداد وافتح بينى و بينك باب الوداد فانى أصلح لك صديقا وأنا أكون لك عتيقا وأعرف لك الجميلة فأصير عبدا لك الى الممات وأدركنى قبل الوفاة والفوات ومع هذا ياذا الجاه لايكن عملك الالله فقد قيل

من يفعل الخير لايعدم جوائزه * لايذهب العرف بين الله والناس

فقهقه الجرذ وقهقر ولعب بابطه وتمسخر وتمرغ يمينا وشمالا وتقصف طربا ودلالا وسخر بالغزالة وكلامها وبادر الى عزلها وملامها وتبرد بحرارتها وتحلى بمرارتها وقال شهوتك الرديه وحرص نفسك الشقيه رمياك فى هذه البليه وتحركت سجيته الذميمه وطبيعته اللئيمه وأضرط بها ورقرق وطفر وصفق وقال عصب الرأس الصحيح من الخبل الصريح والتعرض لموارد الفناء من دلائل البلاهة والعناء ولو تعرضت لشبكة الصياد حكمت على عقلى بالفساد وحاشى فكرى المصيب ورأيى النجيب أن اجلب لنفسى مرضا وأصيرها سهما للصياد وغرضا ولو فعلت ذلك لتصديت للمهالك وتصدى لى الصياد فعادانى وترصدلى وآذانى وحفر بالمعول وكرى وأوقد النيران فى جحرى فسلبنى قرارى و بغيتى ومسارى وأقل الاقسام أن يجلينى عن ديارى ان خلصت من الموت بسلام ولاأستطيع بعدها المقام وقد قيل لاتسلك غير طريقك ولاتصاحب سوى رفيقك وأما أنا فمالى بصداقتك حاجه فدعى عنك الطمع واللجاجه ثم هز عطفيه ونظر الى كتفيه وتبختر فى مشيته وتمايل فى غشيته وولى فى تيهه وكبره يريد الدخول فى جحره وقد ترك الظبي آيسا فى حبائل فكره وضره وحبائل شدائده وشره فقيض الله له حدأه خطفته ونبأت به فى الهواء نبأه وأما الظبي فلما أيس من الجرذ واعانته توجه الى الرحمن بكليته وقطع آماله عن كل أحد ورفع ضرورته الى الواحد الصمد وأخلص نيته الصادقه وقطع من الخلائق علائقه ثم جاء الصياد فاوثقه وقصد به البلد فصادفه شخص فاشتراه منه وأعتقه ولم أورد هذه اللطيفه الى المسامع الشريفه الاليعلم ان التوانى عن فك العانى واغاثة الملهوف أمر مخوف لايرغب فيه ذو عقل وباغاثة الملهوف وأخذ يد الجار ورد النقل ولابد من تأمل اعقاب القضايا قبل نزولها وطلب طريقة رفعها قبل حلولها والخلاص من ورطتها قبل بغتتها وأسأل من صدقات مولانا الذى بالاحسان أولانا الارشاد الى عمل طريقة لطيفه نظيفة نقية خفيفه تكون عدتى فى شدتى مبقية للود بينى و بين اخوتى (قال الملك) نعم ماقلت وحيث فى ميدان الصواب جلت فاعلم أن فى مملكتى ملوكا كبراء وأساطين أمراء ورجالا وجنودا وأبطالا وأسودا أنا انشأتهم ولنصرة ملكى أعددتهم كل منهم

هذا يوم هناء وفرج وسرور وأمره الملك أن يجلس فى مجلس لقراءة الكتاب سأله الملك عن معنى كل باب من أبواب الكتاب والى أى شئ قصد فيه فاخبره بغرضه فيه وفى كل باب فازداد الملك منه تعجبا وسرورا وقال له يابيدبا ماعدوت الذى فى نفسى وهذا الذى كنت أطلب فاطلب ماشئت وتحكم فدعا له بيدبا بالسعادة وطول الجد وقال أيها الملك أما المال فلا حاجة لى فيه وأما الكسوة فلا اختار على لباسى هذا شيا ولست أخلى الملك من حاجة قال الملك يابيدبا ماحاجتك فكل حاجة لك قبلنا مقضية قال يأمر الملك ان يدون كتابى هذا كما دون آباؤه وأجداده كتبهم و يأمر بالمحافظة عليه فانى أخاف ان يخرج من بلاد الهند فيتناوله أهل فارس اذا علموا به فالملك يأمر ان لايخرج من بيت الحكمة ثم دعا الملك بتلامذته وأحسن لهم الجوائز * ثم انه لما ملك كسرى أنوشروان وكان مستبشرا بالكتب والعلم والادب والنظر فى أخبار الاوائل وقع له خبر الكتاب فلم يقر قراره حتى بعث برزويه الطبيب وتلطف حتى أخرجه من بلاد الهند فاقره فى خزائن فارس

(باب بعثة برزويه الى بلاد الهند)

(أما بعد) فان الله تعالى خلق الخلق برحمته ومن على عباده بفضله وكرمه ورزقهم مايقدرون به على اصلاح معايشهم فى الدنيا و يدركون به استنقاذ أرواحهم من العذاب فى الآخرة وأفضل مارزقهم الله تعالى ومن به عليهم العقل الذى هو الدعامة لجميع الاشياء فلا يقدر أحد فى الدنيا على اصلاح معيشته ولا احراز نفع ولادفع ضر الابه وكذلك طالب الآخرة المجتهد فى العمل

منهم ذو وفاء ومودة وصفاء وباطنه خال من المكر والجفاء يقومون معك بادنى اشاره ويحفظون جانبك من النهب والغاره وخصوصا فلان أمير ممالك خراسان فانه أفصحهم خطابا وأمنعهم جنابا وأوسعهم في العقل رحابا وأشدهم محبه وأقربهم مودة وقربه وأوفاهم عهدا وأصفاهم ودا سيجدك في حال اضطرارك اليه فلا يكون اعتمادك بعد الله الا عليه مع أني سأعلمهم بجمعهم وآمرهم بايصال نفعهم وأوكد عليهم في ذلك فلا يخطر شئ من التكدير بالك فقبل ولده الارض ووقف في مقام العرض وقال أيها الملك المجاب ان محبة غالب الاصحاب وصداقة أكثر الاحباب ومن يدعى خلوص الموده ويبذل ظاهرا في ذلك جهده انما هي لاغراض وناشئة عن اعراض وأمراض فاذا حصل ذلك الغرض وزال العرض والمرض بردت عن المحبة قلوبهم وفرغت من نقد المودة جيوبهم وظهر بالجفاء وعدم الوفاء عيوبهم ومن جملة ذلك الحسد الذي لم يخل منه جسد على نيل مرتبه أو البلوغ الى منقبه وتمني زوال نعمة المحسود وعدم الرضا بقضاء المعبود فاذا لم يحصل المراد تبدل القرب بالبعاد والمحبة بالبغضه والصحة بالمرضه كما جرى لنديم الملك الظاهر مع صديقه المسافر قال الملك لولده أخبرني بكيفية نكده وما تولد من قضية حسده (قال الولد) أخبرني المملوك انه كان عند بعض الملوك جماعة من العلماء وطائفة كثيرة من الندماء كل منهم لطيف المحاوره نظيف المعاشره خفيف المكاثره ظريف الحركة كثير البركه وبينهم شخص قد ساواهم بهذه الصفات وفاتهم في علو الدرجات أظرفهم لهجه وألطفهم بهجه وأشرفهم نهجه عذب المكالمه حلو المنادمة تقبل الفصاحة ثغر ألفاظه في خطابه ويتهلل محيا البلاغة لاشراق جواهر جوابه اسمه رشيق وهو لكل عشيق وللملك أكرم نديم وأقدر خديم وصديق قديم يقبل عليه ويميل دون الكل اليه ففي بعض الايام قدم على الرشيق بعض الاعجام وكان من بغداد من ذوي الفسق منهم والفساد رجل من الشطار عيار مكار خوان غدار مستحق الرجم ليس في السماء له نجم غير انه متظاهر بجميل الخصال وانه خدم أهل الفضل والافضال فعلق بطبعه من شمائلهم وتلبس ظاهرا بفضائلهم فتلقاه الرشيق بما يقتضيه كرمه ويليق وبالغ في اكرامه وتقدم في احترامه وأكرم نزله وأفاض عليه نعما جزله ومال اليه بكليته وجعله من خواص جماعته فصار كل يوم يبدي فضلا ويفتح بابا من الكلام وفصلا الى أن غلب على ذلك الزنديق حسد النديم المسمى برشيق لكونه من خواص الحضرة السلطانيه وقصاص الخدمة الملكيه وكبير الندماء وخطير القدماء فالتمس من النديم ذلك الوغد الذميم أن يوصله الى الحضرة الشريفه ويسبل عليه ظلال نعمه الوريفه فافكر الرشيق الفكر الدقيق في عقبى هذه القضيه وما يحدث عنها من البليه فانه قد كان أدرك من ذلك الشيطان سوء أفعاله من أقواله ووخيم عزماته من شمائل حركاته وشؤم سكناته وتحقق ذلك من عذبات لسانه وفلتاته وكل شئ تزرعه ينفعك الا ابن آدم اذا زرعته يقلعك ومن أكرم ذا حسد ورأى من أمره عكسه فلا يلوم الا نفسه فصار يسوف به ويدافعه ويمانعه ويصانعه ويداري الوقت خوفا من المقت الى أن أيس منه وقطع الرجاء عنه فالتهب قيظ غضبه واشتعل شواظ لهبه فما رأى لبرود هذه الغصه الا كتابة قصه يعرضها ذلك المنهمك على آراء الملك يضع فيها الشدة حسده من الرشيق ويفت من عضده ويفتري ذلك المجتري عليه ما هو عنه بري فراقب الفرصه وكتب القصه يذكر له مساوي فيها ومن جملة مساويها ان بجسد الرشيق من الداء العتيق ما أعجز الاطباء وأعيا الحكماء الالباء وان ذلك الداء يعدي وفعل الالزام يتعدى فيردي وان كثيرا من الناس الاخيار ممن اطلع على دائه ومعضل بلائه يتحامون صحبته ويجتنبون قربه ومؤاكلته وان هذه نصيحة غرضها وعلى نفسه فرضها اذا القيام بادائها واجب عليه وانهاؤها الى المسامع الشريفة مندوب اليه فلما وقف الملك على مضمون ما أنهاه

المتحلي به زوجه لا يقدر على اتمام عمله واكماله الا بالعقل الذي هو سبب كل خير ومفتاح كل سعادة فليس لاحد غنى عن العقل والعقل مكتسب بالتجارب والادب وله غريزة مكنونة في الانسان كامنة كالنار في الحجر لا تظهر ولا يرى ضوءها حتى يقدحها قادح من الناس فاذا قدحت ظهرت طبيعتها وكذلك العقل كامن في الانسان لا يظهر حتى يظهره الادب وتقويه التجارب ومن رزق العقل ومن به عليه وأعين على صدق قريحته بالادب حرص على طلب سعد جده وأدرك في الدنيا أمله وحاز في الآخرة ثواب الصالحين وقد رزق الله الملك السعيد أنوشروان من العقل أفضله ومن العلم أجزله ومن المعرفة بالامور أصوبها وأسدده من الافعال أسدها ومن البحث على الاصول والفروع أنفعه وبلغه من فنون اختلاف العلم وبلوغ منزلة الفلسفة ما لم يبلغه ملك قط من الملوك قبله حتى كان فيما طلب وبحث عنه من العلم أن بلغه عن كتاب بالهند علم انه أصل كل أدب ورأس كل علم والدليل على كل منفعة ومفتاح عمل الآخرة وعلمها ومعرفة النجاة من هولها فامر الملك وزيره بزرجمهر أن يبحث له عن رجل اديب عاقل من أهل مملكته بصير بلسان الفارسية ماهر في كلام الهند ويكون بليغا باللسانين جميعا حريصا على طلب العلم مجتهدا في استعماله الادب مبادرا في طلب العلم والبحث عن كتب الفلسفة فاتاه برجل أديب كامل العقل والادب معروف بصناعة الطب ماهر في الفارسية والهندية يقال له برزويه فلما دخل عليه كفر له وسجد بين يديه فقال له الملك يا برزويه اني قد اخترتك لما بلغني

ذلك الخبيث فيما ادعاه تذكر ماقاله لبيد للنعمان عن وزيره العبسى فيما مضى من الزمان وهو

نحن بنو أم البنين الاربعه * ونحن خير عامر من صعصعه * اليك جاوزنا بلادا مسبعه
نخبر عن هذا خبيرا فاسمعه * مهلا أبيت اللعن لاتأكل معه * ان استه من برص ملمعه
وانه يدخل فيها أصبعه * يدخلها حتى يوارى أشجعه * كانما يطلب شيأ ضيعه

فاشمأزت من الرشيق نفسه وزوى فى رياض مصاحبته غرسه فامر الحجاب والبوابين أن يكونوا الدخوله على الملك آبين فلما أن جاء الرشيق وقصد الدخول بجاش وثيق منعوه من الدخول فرجع خائبا خاسرا وبقى حائرا باثرا ولم يشك أن هذا الضرب سهم غرب لانه لم يعلم السبب فقضى من الزمان العجب فشرع يتفحص عن سبب البعاد ويتردد بين أغوار وانجاد ويذهب رائد فكره كل مذهب ويعزم على توابعه ليقفوا على موانع المطالب الى ان وقف على السبب المضرم وعلم انه الاحسان الى ذلك المجرم وظهر له ذلك البحر البر من قوله الاحسان الى اللئيم سلف فى الشر فاجتمع بجماعة من أصحابه وطائفة من خلص أحبابه وعرض عليهم قصته واستدفع بآرائهم غصته ثم تعرى من لباسه عند الخواص من أناسه لينظروا الى جسده وباسه فرأوا بدنا كسبائك الفضه وأطرافا ناعمة غضه وأعضاء تحسبها من الحور غوانيها مسلمة لاشية فيها فأجمعوا على سلامتها وذكروا للملك محاسنها بعلامتها وشهدوا بحسن صفاتها ورونق بهاتها وأنها سليمة عن الادواء بريئة من كل داء وكأنه فى شأنه قيل

وأعجب ماشاهدت فى وصله وقد * نزعنا فلالات وثوب حياء
تلألؤ نور فى ترقرق مائه * وصورة روح فى مثال هواء

وانما الشدة الحسد عاب ذلك الجسد فقال الملك صدقتم وبالحق نطقتم ولكن كيف وقد قيل

قد قيل ذلك ان صدقا وان كذبا * فما احتيالك فى شئ وقد قيلا

ثم قال الملك لجماعته المنتظمين فى سلك طاعته الذى يدور فى معلومى ويبرز به مرسومى أن لايدخل الرشيق على ولايصوب نظره الى فانى اذا نظرته تذكرت ماقيل واستحضرته فتشمئز النفس والخاطر ويتكدر الباطن والظاهر ويتشوه وجه العيش الناضر ثم أمر له بمال جزيل واقطاع عظيم جليل ومنعه من المثول بين يديه والدخول عليه وانما أوردت هذه الحكايه المتضمنة لهذه النكايه لتحيط العلوم الشريفه والآراء المنيفه أن بعض المدعين للصداقه واحكامها باحكام الوثاقه لايعتمد على دعواهم ولايركن الى مضمون فحواهم فربما تكون صداقتهم من هذا القبيل فتؤدى الى داء ثقيل وغم عريض طويل فلايمكن علاجه ولايسلك منهاجه وأعظم مافى ذلك مايؤدى الى المهالك وهو عداوة الاقرباء من الابناء والآباء وذوى نصائح الاخاء فان ذلك غل قل وجرح لايندمل ومرض لايبرا ويفضى بصاحبه الى توسد الثرى وان عداوة الاجانب أسهل من مخاشنة القرائب وان القرائب انما يرجون لدفع الداء فاذا كانوا هم الاعداء فقد أعضل الداء (ومن شواهدها) أيها الملك الفاضل ماجرى لابن سلطان بابل مع عمه الظالم الخاتل الخائن القاتل فقال الملك الكبير أظهرنا على صورة ذلك أيها الخبير (قال) ذكر أهل التاريخ أيها العالى الشماريخ أنه كان فى ممالك بابل ملك عظيم فاضل كريم الشمائل عدله مذكور وفضله مشهور همته عاليه وثغور ممالكه بعقود فواضله حاليه وأفواه مسالكه كثغور الغوانى بشنب العدل والامان زاهيه وله ولد صاحب حسن وجمال وفضل وافضال وملاحة ودلال وصباحة وكمال غير أنه صغير السن لم تمر به التجارب ولم يبل أحوال الاباعد والاقارب لامارس الانام ولاسايس الايام ولاسبر العدو والصديق ولاخبر الحريق والرحيق ولافرق بين المرافق والمنافق والمصادم والمصادق والمصارم والملاصق فلما دنت وفاة أبيه جمع الخصاء وذوى

من فضلك وعلمك وعقلك وحرصك على طلب العلم حيث كان وقد بلغنى عن كتاب بالهند مخزون فى خزائنهم وقص عليه مابلغه عنه وقال له تجهز فانى مرحلك الى أرض الهند فتلطف بعقلك وحسن أدبك ونافذ رأيك لاستخراج هذا الكتاب من خزائنهم ومن قبل علمائهم فتستفيد بذلك وتفيدنا وماقدرت عليه من كتب الهند مما ليس فى خزائننا منه شئ فاحمله معك وخذ معك من المال ماتحتاج اليه وعجل ذلك ولاتقصر فى طلب العلوم وان أكثرت فيه النفقة فان جميع مافى خزائنى مبذول لك فى طلب العلوم وأمر باحضار المنجمين فاختاروا له يوما يسير فيه وساعة صالحة يخرج فيها وحمل معه من المال عشرين جرابا كل جراب فيه عشرة آلاف دينار فلما قدم برزويه بلاد الهند طاف بباب الملك ومجالس السوقة وسال عن خواص الملك والاشراف والعلماء والفلاسفة فجعل يغشاهم فى منازلهم ويتلقاهم بالتحية ويخبرهم بانه رجل غريب قدم بلادهم لطلب العلوم والادب وانه محتاج الى معاونتهم فى ذلك فلم يزل كذلك زمانا طويلا يتأدب عن علماء الهند بما هو عالم بجميعه وكأنه لا يعلم منه شيأ وهو فيما بين ذلك يستر بغيته وحاجته واتخذ فى تلك الحالة لطول مقامه أصدقاء كثيرة من الاشراف والعلماء والفلاسفة والسوقة ومن أهل كل طبقة وصناعة وكان قد اتخذ من بين أصدقائه رجلا واحدا قد اتخذه لسره ومايجب مشاورته فيه وأراد الذى ظهر له من فضله وأدبه واستبان له من صحة اخائه وكان يشاوره فى الامور ويرتاح اليه فى جميع ماأهمه الا أنه كان يكتم منه الامر الذ

وأراد أن يعهد الى ولده ويرقيه الى سنده ومستنده ثم دبر في أموره وأحواله وتفكر في مصيره ومآله وخشي أنه ربما أخل بشيء من القواعد فابعد الادنى وأدنى الاباعد أو وضع شيأ في غير محله أو ولى منصبا غير أهله وذلك لعدم تدبر أو فساد تصور أو نشوز رفيق أو فقد مرشد وشفيق أو لغرض فاسد من كاشح أو حاسد فيختل نظامه ويعوج قوامه ويفسد أمره فيخونه زيده وعمره وكان للملك أخ بل انه فخ يدعى المقه ويظهر انه ثقه وله حنو وشفقه فعهد اليه واعتمد عليه وسلمه ولده وجعله وصيه ومستنده وأجلسه مكانه وأشهد عليه من رؤساء المملكة أركانه أنه اذا توشح ولده بالولايه وآنس منه رشده بالرعية والرعايه يجلسه على السرير ويسلمه الكبير من جنده والصغير ويكون هو له أحسن وزير وأيمن مشير ونظام ملكه ورأس فلكه وعضد ساعده وساعد مساعده وأزابك عساكره وعماد الامره وأوامره فان نفس ولده في سن جهلها تكون عونا من أعوان رعونة الصبا في حزنها وسهلها ويؤدي اليه ملكه بمقتضى قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فقبل أخوه ذلك منه بقبول حسن وتكفل له انه يأسو جراح الملك على وجه مستحسن وأظهر الود والترفق والتملق والترقرق والتلهف والتأرق والتاسف والتحرق وبكى وتأوه وشكا وتذلل وتمسكن حتى تمكن فلما قضى الملك نحبه وأجاب ربه صعد على السرير وتمكن من الجليل والحقير وتشربت أضلاعه وعمرت بحب الحكومة والتسلط في دور طمعه رباعه وابن أخيه في كفالته والممالك في ايالته واستمر الصغير تحت نظره لا يفارقه في سفره ولا حضره يكتسب كل يوم مخايل السعاده ويطرح من حركاته شمائل السياده ويظهر على أعطافه الملوكية يوما فيوما آثار الحسنى وزياده الى ان ارتفع قدرا وصار في الكمال هلالا وبدرا فتشمم عمه من رياض همته عرف الطلب وقوى في ذلك ما كان تقدم من سبب وعرف انه لا بدله في ذلك من تسريحه فلو منعه لقام كل الخلق باستهجانه وتقبيحه فحل عقوده وتقلل جنوده ويختل عن عسكره بنوده وتفنى صورته وسيرته وينقض من حبل عمره مريرته فلا يحصل من الملك الاعلى الهلك فاعمل الكيد وخرج الى الصيد فتفرقت العساكر وانفرد الملك الماكر ومعه ابن أخيه فاختلى به في تيه فوثب عليه وجعه بكريمتيه وألقاه في البريه الى مخاليب المنيه وتركه وحيدا أعمى لا يجد دليلا ولا يهتدي سبيلا ولا يعرف مقرا ولا مقيلا ثم اجتمع بعسكره ظانا انه فاز بظفره مخبرا بوفاته وتعمية خبره ففرغ باله وأصلح رجاله واطمأن خاطره واستقرت أموره واستقامت حبوره فلما هجم جيش الليل أقبلت السباع من الوادي كانها السيل وقصدت الوحوش والهوام مالها من مأوى ومقام وعوت الذئاب وزأرت الاسود وهمرت النمور والنسور والفهود فساورت ابن الملك الهموم وأورثته أصناف الغموم واحتوشته المخاوف والوجوم فلجأ الى جناب الحي القيوم جناب لا يخيب قاصده ولا يصدر الا بنيل الامل وارده وصار يحسس بيديه ويصغي الى الحيوان باذنيه ويمشي الى كل جانب ويهوي بيديه الى الاطراف والجوانب ويتعلق بحبال الهواء كالغريق الغاطس في الماء فوقعت يده على شجره فعلق فيها بيديه وظفره وصعد عليها وأوى اليها وتوجه بقلبه الى خالقه وموجده ورازقه وقطع عما سواه أسباب علائقه واشتغل بالذكر والتسبيح وفوض أمره الى الله سبحانه وتعالى بامل فسيح واستمر في هذا الويل برهة من الليل وكان طائفة من الجان المهره كل ليلة تأوي الى هذه الشجره فيتذاكرون ما جرى في العالم وما صدر في عالم الكون والفساد من أعمال بني آدم ويقيمون أفراحهم ويتعاطون انشراحهم فلما اجتمعوا تلك الليله ذكر كل قوله وما جرى من الحوادث ومن المفرحات والكربات وما وقع من العجائب واتفق من واقعات الغرائب فقال واحد من القوم ومن أعجب ما وقع اليوم من الامر الكريه ما فعله ملك بابل بابن

قدم من أجله لكي يبلوه ويخبره وينظر هل هو أهل ان نطلعه على سره فقال له يوما وهما جالسان يا أخي ما أريد ان أكتمك من أمري فوق الذي كتمتك فاعلم اني لامر قدمت وهو غير الذي يظهر مني والعاقل يكتفي من الرجل بالعلامات من نظره حتى يعلم سر نفسه وما ينطوي قلبه عليه قال له الهندي اني وان لم أكن بدأتك وأخبرتك بما جئت له واياه تريد وانك تكتم أمرا تطلبه وتظهر غيره فما خفي علي ذلك منك ولكني لرغبتي في اخائك كرهت أن أواجهك به وانه قد استبان ما تخفيه مني فاما اذ قد أظهرت ذلك وافصحت به وبالكلام فيه فاني مخبرك عن نفسك ومظهر لك سريرتك ومعلمك بحالك التي قدمت لها فانك قدمت بلادنا لتسلبنا كنوزنا النفيسة فتذهب بها الى بلادك وتسر بها ملكك وكان قدومك بالمكر والخديعة ولكني لما رأيت صبرك ومواظبتك على طلب حاجتك والتحفظ من ان يسقط منك الكلام مع طول مكثك عندنا بشيء يستدل به على سريرتك وأمورك ازددت رغبة في اخائك وثقة بعقلك فاحببت مودتك فاني لم أر في الرجال رجلا هو أرصن منك عقلا ولا أحسن أدبا ولا أصبر على طلب العلم ولا أكتم لسره منك ولاسيما في بلاد غربة ومملكة غير مملكتك وعند قوم لا تعرف صفتهم وان عقل الرجل ليبين في ثمان خصال الاولى منها الرفق والثانية ان يعرف الرجل نفسه فيحفظها والثالثة طاعة الملوك والتحري لما يرضيهم والرابعة معرفة الرجل موضع سره وكيف ينبغي ان يطلع عليه صديقه والخامسة ان يكون على أبواب الملوك أديبا ملق اللسان والسادسة ان يكون

لسره وسر غيره حافظا والسابعة أن يكون على لسانه قادرا فلا يتكلم الا بما يأمن تبعته والثامنة أن كان بالمحفل لا يتكلم الا بما يسئل عنه فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان هو الداعي الخبر الى نفسه وهذه الخصال كلها قد اجتمعت فيك وبانت لي منك فالله تعالى يحفظك

ويعينك على ما قدمت له فصادقتك اياي وان كانت لتسليني كنزي ونفري وعلي فانك أهل لان تسعف بحاجتك وتشفع بطلبتك وتعطى سؤلك فقال له برزويه اني قد كنت هيأت كلاما كثيرا وشعبت له شعوبا وأنشأت له أصولا وطرقا فلما انتهيت الى ما بدأتني به من اطلاعك على أمري والذي قدمت له وألقيته على من ذات نفسك ورغبتك فيما ألقيت من القول اكتفيت باليسير من الخطاب معك وعرفت الكبير من أموري بالصغير من الكلام واقتصرت به معك على الايجاز ورأيت من اسعافك اياي بحاجتي ما دلني على كرمك وحسن وفائك فان الكلام اذا ألقي الى الفيلسوف والسر اذا استودع اللبيب الحافظ فقد حصن وبلغ به نهاية أمل صاحبه كما يحصن الشئ النفيس في القلاع الحصينة قال له الهندي لا شئ أفضل من المودة ومن خلصت مودته كان أهلا أن يخلطه الرجل بنفسه ولا يدخر عنه شيأ ولا يكتمه سرا فان حفظ السر رأس الادب فاذا كان السر عند الامين المكتوم فقد احترز من التضييع مع انه خليق أن لا يتكلم به ولا يتم سر بين اثنين قد علماه وتعاوضاه فاذا تكلم بالسر اثنان فلا بد من ثالث من جهة أحدهما أو من جهة الآخر فاذا صار الى الثلاثة فقد شاع وذاع حتى لا يستطيع صاحبه أن

افعل

أخيه وذكر لهم القضية وما تضمنته من بليه وجعل يتأرق ويتحرق ويتبرم ويتضرم ويحرق الارم ويتعجب من عدم وفاء بني آدم فقال رئيس الجان وهذا غير بديع من طبع الانسان فانه مجبول على الغدر مطبوع على الدهاء والمكر ألم تسمع قول قائلهم في وصف فضائلهم وقبيح شمائلهم ممن انخرط في سلك الفضل بدون منع ولا حجز اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز ثم قال الرئيس اعلم يا نفيس اني أعلم ما يزيل هذا الالم ويطفئ هذا الضرم ويشفي هذا السقم وهو أن هذه الشجرة العجيبة لها خاصية عجيبه اسمها شجرة النور وفضلها في ذلك مشهور اذا أخذ من عصارة ورقها ووضعها الاعمى على حدقها انجلى عماها بقدرة رب براها وخلقها فسواها ورد اليها بصرها وزاد نظرها ثم ان الخرابة الفلانيه فيها حية بذيه وهي تابعة ملك بابل الفاعل هذا الفعل السافل وحياته متعلقة بحياتها وموته موقوف على مماتها لان طالعه على طالعها وطبعه الاثيم مطبوع على طابعها فبمجرد ما تموت الحية يموت وينقل من درج الملك الى درج الملكوت كل ذلك وابن الملك يسمع هذا القول فلجأ الى ذي القوة والحول حتى من عليه بعد شديد العقاب بهذا الطول وجعل ينادي ويبتهل ويقول متى جبين الصبح يهل وينشد

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

فلما أصبح الصباح ونادى مؤذن السعد حي على الفلاح تيمم ابن الملك وصلى وحمد الله على النهار اذا تجلى ورض بين حجرين من ورق الشجره واكتحل بمائه فرد الله عليه بصره ثم وجه ذهابه الى تلك الخرابه ورصد خروج تلك الحية اللاطئه وضربها ضربة غير خاطئه فاحاط بها نازل الهلاك وفي الحال خر الملك ميتا على سرير الملك وبينما العزاء عليه قائم واذا بصاحب السر عليهم قادم وقد قصد ملك أبيه وتمكن من ملكه وذويه وتصرف فيه كما شاء وألبسه خلعة الملك من يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وانما أوردت هذا التمثيل خوفا أن يكون صاحب مولانا الملك الجليل الذي بخراسان من هذا القبيل فتبدل المحبة بالبغض وترجع على موضوعها بالنقض ثم ان بعض الاصحاب والاخوان يفعل ما يفعله من الخير والاحسان على سبيل المكافاه لا على طريق المروأة والمصافاه فاذا كافأ بالاحسان عاد الى ما كان عليه من العدوان فأسأل الحضرة الشريفه والمراحم المنيفه ذات الفضل المشهور والاحسان المأثور التأمل في عواقب هذه الامور لئلا يصيبنا ما أصاب المسافر ضيف الحداد المنافر من العفريت الملقى في المحافر قال أخبرني أيها الولد النجيب عن ذلك الامر العجيب وقاك الله شر الوجيب (قال) بلغني من رواة الاخبار أن شخصا من الاخيار لازم الاسفار وقطع القفار وجاب مشارق الارض ومغاربها وبلغ أكنافها وجوانبها وشاهد عجائبها وغرائبها وقاسى حر الزمان وقره وذاق حلوه ومره وعانى خيره وشره فأداه بعض المسير الى بلد كبير فرأى في بعض نواحيه وطرف من بعض ضواحيه طائفة من الصبيان قد اجتمعوا في مكان فوصل اليهم ذلك الفقير فوجدهم واقفين على حفير يرمون فيه بالاحجار وهم يستغيثون بالستار من العدو المكار والخبيث الغدار والحسود القديم والكافر النميم والشيطان الرجيم فسالهم ما هذه المعضله فقالوا عفريت وقع في هذه البئر المعطلة وهو عدو قديم نريد أن نقتله فقال افسحوا حتى أنظر اليه وأساعدكم عليه ففسحوا عن ذلك الطوى فنظر في قعر الركي فرأى في جانب منها عفريتا منزويا وقد هشموه وكسروه وحطموه وكادوا يهلك بما رجوه فعند ما نظر اليه رق له وعطف عليه وقال أفضل المعروف اغاثة الملهوف وان لم يكن بيننا سابقة صداقه ولا وشيجة محبة ولا علاقة بل عداوتنا جبليه ومباينتنا أزليه لكن فعل الخير لا يبور ولله عاقبة الامور واذا قصد الانسان فعل الخير فلا عليه أن فعله مع أهله أو الغير وقد قيل للتمثيل أيها الانسان قد عدالك النعم

افعل الخير وألقه فى اليم ثم منع عنه الكبير والصغير وساعده على الخروج من البير واستنقذه من أيديهم وأطلقه فكان كمن اشتراه وأعتقه فلما رأى العفريت هذا الاحسان من ذلك الانسان من غير سابقة ولا عرفان قبل يده ورجله وشكر له هذه الفعله وقال انى عاجز عن مكافاتك يا انسان فى هذا الاوان وأنا اسمى فلان فان وقعت فى ضيق أو ضللت فى طريق فنادنى باسمى أحضر اليك بجسمى وأنفعك فى ضيقك وأرشدك الى طريقك وأكافئك أيها اللوذعى بما فعلته معى ثم ودع كل صاحبه وخالف فى السير جانبه فوصل السياح الى بلد من البلاد له فيها صديق حداد فنزل عنده فاكرمه ورحب به وخدمه وكان لتلك البلدة عادة حسنه انهم فى يوم معين فى كل سنه يقربون من يقدم عليهم فيه ولا يسالون أعامل هو أم نبيه فان لم يقدم عليهم غريب فى ذلك اليوم اقترع فيما بينهم القوم فمن خرجت قرعته سحبوه وكسروا قرعته وقربوه فوافق ذلك اليوم قدوم السائح ولم يرد سواه من غاد ورائح ولا شعر به أحد من أهل تلك البلد فاخذوا فى القرعة بالاجتهاد فطرقت القرعة قرعة الحداد فقبضوا عليه وعزموا على تقريبه فقال عندى غريب لم يكن أحد يدرى به فلم يدر السائح الا وقد أحاطت به الشوائح فهجموا عليه وربطوا عنقه ويديه ثم سحبوه وحبسوه وفى أضيق مكان أجلسوه وأشهروا النداء أنه حصل للحداد الفداء فعلم السائح القضيه وتحقق أنه تورط فى بليه فذكر اسم العفريت وقد علقه الهم علوق النار بالكبريت فحضر لساعته ووقته فرأى السائح فى هوله ومقته واطلع على جلة الشان فقال لا تخش يا ذا الاحسان اعلم ان أمير هذه البلده ولد هو واحد أبويه وانى الآن أصرعه بين يديه ثم أنادى فى النادى ان رمتم شفاء هذا العليل فهو بدعاء ذلك الرجل الجليل السيد الصالح الزاهد السائح ضيف الحداد الذى بسببه حصلت هذه الانكاد فاطلقوه والتمسوا دعاءه فان فيه لعليلكم شفاءه ولا تطلبوا من غيره دواءه فاذا طلبوك وأعزوك وأرغبوك وأكرموك واحترموك فادع بما يرفع نكدهم فانى اذ ذاك أترك ولدهم فاذا رأوا منك هذه الكرامه بالغوا وسلموك الزعامه وخيروك بين الرحيل والاقامه وأقل ما يفعل معك السلامه ثم ذهب الى ابن الملك وخبطه وحل فى أعضائه وربطه فتخبط الصبى وتخيل وتكسل وتخبل وكادت روحه تخرج ويدرج مع من يدرج فاشتغلوا بشانهم عن أمر قربانهم فطلبوا الاطباء فاعياهم علاج هذا الداء ولم يقدروا على علاجه وتعديل مزاجه وتقويم اعوجاجه واشتغلت الخواطر وتنكد البادى والحاضر فعند ذلك نادى العفريت من ذلك البيت يسمعون كلامه ولا ينظرون مقامه ان زوال هذا العارض ومنع هذا الداء المعارض عند رجل قدوة مستجاب الدعوة رجل صالح زاهد سائح عالم عامل كامل فاضل هو بركة البلاد والعباد مادة الصلاح وقاطع الفساد وهو ضيف الحداد الذى فرط منكم فى حقه سوء الادب فادركوه بالطلب وأسرعوا نحوه والتمسوا منه دعوه والا فولدكم هالك عدوه وبادروا بالعوق لئلا يخرج السهم من فوق فان سهم هذا المصاب بسبب ذلك أصاب فركب الملك بنفسه وسارع الى باب حبسه ودخل عليه وأكب على رجليه وطلب دعاءه ورام لولده شفاءه فتوضا وصلى وأعرض عنهم وتولى وتوجه ودعا فحصل للولد الشفا ونهض فى الحال كأنما نشط من عقال ثم ان العفريت الجائح أتى الرجل السائح وقال لا تحسب أنى اذا كافيتك صادقتك أو صافيتك كيف وعداوتنا قديمة مغروزه وغروس التباغض فى حدائق ذواتنا مركوزه أنا من نار وأنت من تراب شيمتك الترابيه وشيمتى الاحراق والخراب ومتى استقام أعوج مع قوام أو وجد بين المتباينين التئام وانما كان هذا الوفاء لئلا ينسب الى الجفاء ونحن على الكدر دون الصفاء وعلى ما نحن عليه من العدوان وان لم يصر بيننا معرفة ولا كان ثم صار شعلة لهب وترك السائح وذهب (ثم قال ابن الملك) ومن أنواع المحبة والصداقه وما بتنا كدفيها من العلاقه نوع

يجحده ويكابر عنه كالغيم اذا كان متقطعا فى السماء فقال قائل هذا غيم متقطع لا يقدر أحد على تكذيبه وأنا فقد يداخلنى من مودتك وخلطتك سرور لا يعدله شئ وهذا الامر الذى تطلبه منى أعلم أنه من الاسرار التى لا تكتم فلا بد أن يفشو ويظهر حتى يتحدث به الناس فاذا فشا فقد سعيت فى هلاكى هلاكا لا أقدر على الفداء منه بالمال وان كثر لان ملكنا فظ غليظ يعاقب على الذنب الصغير اشد العقاب فكيف مثل هذا الذنب العظيم واذا حملتنى المودة التى بينى وبينك فاسعفتك بحاجتك لم يرد عقابه عنى شئ قال برزويه ان العلماء قد مدحت الصديق اذا كتم سر صديقه وأعانه على الفوز وهذا الامر الذى قدمت له لمثلك ذخرته وبك أرجو بلوغه وأنا واثق بكرم طباعك ووفور عقلك وأعلم انك لا تخشى منى ولا تخاف أن أبديه بل تخشى أهل بيتك الطائفين بك وبالملك أن يسعوا بك وأنا أرجو ان لا يشيع شئ من هذا الامر لانى أنا ظاعن وأنت مقيم وما أقمت فلا ثالث بيننا فتعاهدا على هذا جميعا فاجابه الهندى الى ذلك الكتاب والى غيره من الكتب فاكب على تفسيره ونقله من اللسان الهندى الى اللسان الفارسى واتعب نفسه وأنصب بدنه ليلا ونهارا وهو مع ذلك وجل وفزع من ملك الهند خائف على نفسه من أن يذكر الملك الكتاب فى وقت ولا يصادفه فى خزانته فلما فرغ من انتساخ الكتاب وغيره مما أراد من سائر الكتب كتب الى أنوشروان يعلمه بذلك فلما وصل اليه الكتاب سر بذلك سرورا شديدا ثم تخوف معاجلة المقادير أن تنغص عليه فرحه فكتب الى برزويه يأمره بتعجيل القدوم فسار برزويه متوجها نحو كسرى فلما رأى الملك

محبة تتوفر فيه الرغبه ينشا من فرط الشهوه ويركب من صاحبه على الصهوه وتميل اليه النفس والطبيعه ولكن تكون استحالته سريعه فيزول بادنى سبب ويشبه شواظ اللهب يتلهب ساعة وقد ذهب وربما أدى الى الهلاك والعطب كما فعل بالبطة الثعلب حيث كانت محبتها غير صادقه ومودتها بالشهوة ممازقه وشتان ما بين المحبة الخالصه والمحبة المنافقه لاجرم أدت الى عكسها وازهاق نفسها قال الملك أخبرني أيها الخبير كيف هو هذا النظير (قال ابن الملك) ذكر أن زوجا من البط كان له مأوى على شط جار بين رياض ومروج وغياض أزاهيرها عطره ورياحينها نضره وقريب من وكر البطتين مأوى لابي الحصين فحصل لذلك الثعلب المرض المسمى بداء الثعلب فسقط وبره وتمعط صوفه وشعره وذاب جسمه ونهري لحمه وقارب التلف والتحاق بمن سلف وصار كما قيل

أصبح في أمراضه يعذب * كخرقة بال عليها الثعلب

فلما أنحله السقم وأضناه قالت له سلحفاه لما زاد به المرض واشتط دواء دائك كبد البط فان أكلت كبد بطه نصلت من هذه البلاء البته فقال ومن لي بهذا الدواء اذ ليس لي حراك والبط في الهواء فشفاء هذا الداء العضال من باب التعليق بالمحال وكأن الشاعر يعنيني اذ سمع أنيني ورأى سكوني تحت احمال شجوني بقوله

فقال قم قلت رجلي لا تطاوعني * فقال خذ قلت كفي لا تواتيني

ثم استنهض همته واستنخى نهمته وصمم عزيمته واستعمل فكره واستورى مكره وقال لنفسه لا يخيلك من هذا الانكال الا التشبث بذيل المحال لعل الله واهب العطيه يظفرني بهذه الامنيه ثم توجه وهو يتشحط الى صوب البط وصار يتلطى في جنبات الشط الى ان لاح له بعد الاين أنثى هاتين البطتين فتخفى الى ان قاربها ثم واثبها فما ساعدته القوه فهوى في هوه فما واسعه الا أن غالط وأظهر المودة وخالط وعبرت عيناه وبالط وأرى من نفسه ان تلك الوثبه انما هي من داعية المحبه ونهضة الاشتياق الى الاحبه ثم بادر وقال مرحبا بالجارة الصالحه ومن نعوتها بمسك العفة فائحه وأخلاقها غادية بيشر الخير رائحه المخدرة الجيبه الحبيبه النجيبه حياك الله من قرينة رضية جميلة الاوصاف بهيه فما أكثر احسانك وفضائلك وأوفر امتنانك وفواضلك لقد عممت باحسانك جميع معارفك وجيرانك وأطعمت زوجك وحلالك وتحقق كل أحد لحسن الشيم جلالك ومازال ينفق عليها من حواصل هذه الخزعبلات ويفعم أردان عقلها من معادن هذه التمويهات حتى سكنت بعض السكون وركنت اليه أدنى ركون ثم أخذ في الايناس وتمهيد قواعد الاساس حتى اطمأنت واستكانت واستكنت ثم قال انا لله ولا حول ولا قوة الا بالله ترين ما رأى فيك زوجك من الخلل ولاح له من عيب حتى فعل ما فعل قالت وما فعل ذلك الجعل قال لولا ان الغيبة ريبه والنميمة مشؤمه ونقل المجالس القبيحه وان كانت وقائعها صحيحه أمر مذموم وهذا معلوم لكنت أفصحت وأشبعت القول ونصحت ولكن الصبر على الضرائر فعل الحرائر والورد لا يخلو عن شوك ولا الشباب عن نوع نوك فلما سمعت هذه النجوة جاءتها المحبة الممزوجة بالشهوه ان الحت عليه وسألت ايضاح ما لديه وأقسمت عليه بحق الجوار الا ما أطلعها على هذه الاسرار فقال لولا أن الجوار ذمه لما فهت بكلمه خصوصا وقد ألحت بالقسم وتشفعت بالجوار والذمم وأيضا لولا وفور الشفقه وعظم المحبة والمقه واعتمادي عليك انك ثقه وان صدرك مخزن الاسرار وانك سيدة الاحرار ما أطلعتك على شئ مما كان وصار اعلمي ان زوجك المشتط قد خطب بنت ملك البط وله في هذه المكيده مدة مديده آخرها اليوم كان قد أرسل الى القوم الماشية والخطابه أن يهيؤا أسبابه فلما سمعت هذا الكلام ساورها من الغيرة الضرام

ما قدسه من الشحوب والتعب والنصب قال له أيها العبد الناصح الذي يا كل ثمرة ما قد غرس ابشر وقر عينا فاني مشرفك وبالغ بك أفضل درجة وأمر ان يريح بدنه سبعة أيام فلما كان اليوم السابع أمر الملك أن يجتمع اليه الامراء والعلماء فلما اجتمعوا أمر برزويه بالحضور فحضر ومعه الكتب ففتحها وقرأها على من حضر من أهل المملكة فلما سمعوا ما فيها من العلم فرحوا فرحا شديدا وشكروا الله على ما رزقهم ومدحوا برزويه وأثنوا عليه وأمر الملك أن تفتح لبرزويه خزائن اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأمره أن يأخذ من الخزائن ما شاء من مال أو كسوة وقال يا برزويه اني قد أمرت أن تجلس على مثل سريري هذا وتلبس تاجا وتترأس على جميع الاشراف فسجد برزويه للملك ودعا له وطلب من الله وقال أكرم الله تعالى الملك كرامة الدنيا والآخرة وأحسن عني ثوابه وجزاءه فاني بحمد الله مستغن عن المال بما رزقني الله على يد الملك السعيد الجد العظيم الملك ولا حاجة لي بالمال لكن لما كلفني ذلك علمت انه يسره ان امضي الى الخزائن فآخذ منها طلبا لمرضاته وامتثالا لامره ثم قصد خزانة الثياب فأخذ منها تختا من طرائف خراسان من ملابس الملوك فلما قبض برزويه ما اختاره ورضيه من الثياب قال أكرم الله الملك ومد في عمره أبد الابدين الانسان اذا أكرم وجب عليه الشكر وان كان قد استوجبه تعبا ومشقة فقد كان فيهما رضا الملك ولا وأما أنا فما لقيته من عناء وتعب ومشقة يسير لما أعلم أن لكم فيه الشرف يا أهل هذا البيت فاني لم أزل الى هذا اليوم تابعا رضا كم أرى العسير

ولاتشك فى أنه صادق وذهلت عن التبين فى خبر الفاسق وجميع الاخبار عن الازواج يتوقف فيها النساء الاخبر الزواج ثم انها تماسكت وأرت تجلدا وتمالكت وقالت أحل الله من الازواج ما طاب له لاحيلة الا الانقياد وترك المراد وموافقة السنة والجماعه والدخول تحت الامر بالسمع والطاعه وماذا يفيد التدله والحيره ان الحلال جدع أنف الغيره قال والامر كما ذكرت وما أحسن ما افتكرت وصبرت وما يمكن الطعن فى الحلال ولكن هذا دليل الملال وكل من ادعى هواك وتخال فى طريق سواك ولو بحلال من سواك فلاشك أنه قلاك وبنار الهجر والجفاء سلاك وليس هذا ساعة وتمضى ولا حادثة تقع ثم تنقضى انما هو أمر دائم ونزاع أبد الدهر قائم وأنا ما أخشى الا عليك بما يصل من النكد اليك فان حقك ثابت على وضررك عائد الى فانك جارة قديمه معروفة بحسن الشيمه لم أر منك الا الاحسان وعدم التعرض الى ايذاء الجيران وكل مناقد اعتاد بالآخر وباهى بصحبته وجواره وفاخر وأخاف ان يتجدد لى فى الجوار من يتصدى لى بالاضرار ويؤذى ولا يعرف حق الجار لا يعرفنى ولا أعرفه ولا ينصفنى ولا أنصفه فيتكدر لى الوقت ولا أخلو من نكد ومقت لاسيما وأنا ضعيف مبتلى نحيف فلا يستقيم الحال ولا أقدر على الارتحال ولا ازال يسد دالمضارب ويفتل منها فى الذروة والغارب حتى أثرفيها سمه ونفذ فى سويدائها من مكره سهمه فاسترشدته الى وجه الحيلة فى هذه النازلة الوبيله فقال الرأى السديد والفكر الرشيد أنه اذا أوصل قوله بفعله وأبدع فى أداه فرضه بنفله واختار غيرك عليك طلقيه وألف زوج اليك يأتى الله وامثاله وهو المعتدى فى المقاطعه وأنا أكون السفير فى زوج يخجل البدر المنير يعمر دارك ويعرف مقدارك ويخدم كابك وجارك ويملأ وكرك خيرا وبطنك طيرا ودارك شعيرا وبرا مع كونه وافر الحشمه مسموع الكلمه قد جمع بين طرفى الاصالة والحرمه فقالت هذا الذى تقول أمر معقول والى الآن ما وقع وعلى تقدير ان يقع ان حصل الشقاق والنفاق وترجح الانذال المستجدة على الكرام العتاق فيكون بيننا هذا الاتفاق وان وقعت بيننا المعادله ولم يحصل فى حقى منه مساهلة ولا الاضرة على مفاضلة كيف أشاققه وعلى فعل مباح أضايقه فضلا عن أنى أفارقه وكيف أخرب دارى وأضر بحبى وجارى وأشمت بى الاعداء ويحتاط بى من كل جهة البلاء ولكن الرأى المحمود عندى يا ودود الصبر فى كل حال على الدهر الكدود وتجرع الغصص لئلا يشمت الحسود كما قيل فى التمثيل ما بى دخول جهنم ولكن بى شماتة اليهود فلما رأى الخبيث انه لم يفده هذا الحديث ولم تتم له الحيله وأفكاره الوبيله قال أقول الحق الذى حصحص ولا عنه محيد ولا مخلص ان زوجك قد نقل اليه انك اخترت غيره عليه وانك عاشقه وصحبتك له مخادعة ومماذقه وثبت ذلك لديه وعقد اعتقاده عليه وعزمه على الزواج انما هو تعلل واحتياج لفتح باب الشر وتعاطى أسباب النكد والضر وقد ثبت عندى ان ذلك الافاك الاثيم السفاك يريد أن يجرعك كأس الهلاك فتيقظى لنفسك وتداركى غدك فى أمسك قبل حلولك فى رمسك واستقبى قبل عكسك وأنا منذ سمعت هذه الاخبار لم يقر لى قرار وذلك لوفور الشفقة وحسن الجوار وقد زدت ضعفا على ضعفى وكدت لهذا الغم أسقى كأس حتفى وأنت يا غرض الحاسد تعلمين ان ليس لى غرض فاسد وهذا بديهى التصور لا يحتاج الى تدبر ولا تفكر ولقد غرت عليك والامر فى هذا كله منك واليك فتكدر خاطرها وتشوشت ضمائرها وضاقت بها الحيل وتاه منها العلم والعمل ومن يسمع يخل وصالت أفكارها وجالت ويدر منها ان قالت والله لو أمكننى لقتلته ولو وجدت فرصة لاغتلته واسترحت من نكد الدهر المغبر وهذا العيش الوحش المكدر فالتقط الثعلب هذه الكلمة من فيها وعلم ان سهم ختله نفذ فيها لان عقود المحبة انحلت وصورة المودة القديمة زالت واضمحلت

فيه يسيرا والشاق هينا والنصب والاذى سرورا ولذة لما أعلم ان لكم فيه رضا وقربة عندكم ولكنى أسألك أيها الملك حاجة تسعفنى بها وتعطينى فيها سؤلى فان حاجتى يسيرة وفى قضائها فائدة كثيرة قال أنوشروان قل فكل حاجة لك قبلنا مقضية فانك عندنا عظيم ولو طلبت مشاركتنا فى ما ملكنا لفعلنا ولم نرد طلبتك فكيف ما سوى ذلك فقل ولا تحتشم فان الامور كلها مبذولة لك قال برزويه أيها الملك لا تنظر الى عنائى فى رضاك وانكماشى فى طاعتك فانما أنا عبدك يلزمنى بذل مهجتى فى رضاك ولو لم تجزنى لم يكن ذلك عندى عظيما ولا واجبا على الملك ولكن لكرمه وشرف منصبه عمد الى مجازاتى وخصنى وأهل بيتى بعلو المرتبة ورفع الدرجة حتى لو قدر أن يجمع لنا بين شرفى الدنيا والآخرة لفعل فجزاه الله عنا أفضل الجزاء قال أنوشروان اذكر حاجتك فعلى ما يسرك فقال برزويه حاجتى أن يأمر الملك أعلاه الله تعالى وزيره بزرجمهر ابن البختكان ويقسم عليه أن يعمل فكره ويجمع رأيه ويجهد طاقته ويفرغ قلبه فى نظم تأليف كلام متقن محكم ويجعله بابا يذكر فيه أمرى ويصف حالى ولا يدع من المبالغة فى ذلك أقصى ما يقدر عليه ويأمره اذا استتم أن يجعله أول الابواب التى تقرأ قبل باب الاسد والثور فان الملك اذا فعل ذلك فقد بلغ بى وباهلى غاية الشرف وأعلى المراتب وأبقى لنا ما لا يزال ذكره باقيا على الابد حيثما قرئ هذا الكتاب فلما سمع كسرى أنوشروان والعظماء مقالته وما سمت اليه نفسه من محبة ابقاء الذكر استحسنوا طلبته واختياره قال كسرى حبا وكرامة لك يا برزويه انك لاهل أن تسعف بحاجتك فيا أقل

وتلاشت الصداقة بالكليه وانمحت شهواتها بادنى حزئيه فقال لاتهتمي لذلك يا ضرة هند فعندي عقار من عقاقير الهند أحلى في المذاق من ساعة التلاق وامضى من السيف في حكم الفراق اسمها كسير الموت وتدبير الفوت وسم ساعه وتفريق الجماعه لو أكل منه ذره أوشم منه نشره لقتل في الحال وفرق الأوصال من غير امهال فان اقتضى رأيك الاسد ان تخاصي من هذا النكد ناولتك منه شذره تكفيك ذرة منه أمره فان شئت أطعمته وان شئت أشممته ولولا انك عزيزة على لم أفه لك من هذه الامور بشي ولقد فضلتك على روحي فاكتمي هذا السر ولا تبوحي فتحملت منه جميلته وعرفت قدرته وفضيلته وطلبت منه الدوا لتذهب به عن قلبها الجوا وتقتل زوجها المسكين وتسلم من نكده وتستكين وزالت تلك المحبة القديمه ونسيت الصحبة والصداقة القويمه ووعدها الثعلب أن يأتيها بالعقار وفارقها على هذا القرار ثم انها انتظرته ليفي بوعدها واحترق صبرها من نار سهدها ووقدها وتقاعد الثعلب عنها ينتظر ما يتأتى منها فحملها مثير الوجد اليه وساقها الاجل المحتوم الى أن قدمت عليه فدخلت وكره وقبلت يده وصدره فتمكن منها ذلك الغادر ومزقها كما يريد فصارت كالامس الغابر وانما أوردت هذا التمثيل لئلا يكون أصحاب مولانا السلطان من هذا القبيل فيكون المعتمد عليهم والمستند اليهم كالنائم على تيار الانهار والمؤسس بنيانه على شفا جرف هار قال الملك معاذ الله يا ولدي وقرة عيني وكبدي أن يكون صاحبي ومعتمدي من هذا النمط وشبيها بالعفريت والثعلب والبط بل كل من أصحابي وسائر أوليائي وأحبابي ما منهم الا الصديق المهذب والرفيق المؤدب والشفيق المدرب والعتيق المجرب وقد جربته في المودة والاخاء والشدة والرخاء والمروأة والسخاء كما جرى ذلك للتاجر المجرب صديقه في الشدة والارتخاء قال الولد نعم مولانا الامام بتقرير هذا الكلام (قال الملك) بلغني أن بعض التجار الاكرمين الاخيار والكرماء الابرار كان له مال جزيل وولد صالح جليل سعيد الطالع سديد المطالع عالي الهمه متوالي الحشمة ميمون الحركات جميل الصفات حسن الصوره مشكور السيره طاهر السريره وكان أبوه قد تخيل فيه مخايل السعاده وتفرس فيه آثار النجابة والاجاده فكان لا يصبر عن تأديبه وارشاده الى سبيل الخير وتهذيبه وتربيته بمكارم الاخلاق وترتيبه فقال له يا بني ان الانسان يحتاج الى كل شئ وأعظم ما يحتاج اليه ويعول في التحصيل عليه الصاحب الصافي والصديق المصافي والرفيق المساعد في وقت الشدائد فان المال ميال والذهب ذاهب والفضة منفضه والملبوس بوس والمأكل متاكل والخيل خيال والفواضل شواغل والدهر قاصي والعصر عاصي والاقارب عقارب والوالد معاند والولد كمد والاخ فخ والعم غم والخال خيال والدنيا وما عليها لا تركن اليها وما ثم الا رفيق ذو وفاء مجبول على الصدق والصفاء ان غبت ذكرك وان حضرت شكرك مامون على نفسك ومالك وأهلك وعيالك في حالك ومآلك ان غاب صانك وان حضر زانك فهو أفضل موجود يقتني وأحسن مودود يصطفى فان ظفرت به فتشبث بسببه ثم قال له يا بني قد أقمت في الحضر وانقضى لك فيه ماذقت مما حلا ومر فلا باس أن تحيط علما باحوال السفر فان السفر محك الرجال ومجلبة الاموال ومكسبة التجارب ومرآة العجائب والغرائب فاعزم على بركة الله تعالى وتوكل عليه واصحب معك فيه ما تحتاج اليه ثم أفاض عليه المال وأضاف اليه صالحي الرجال وحين ودعه ووصاه واستودعه قال يا بني لا تجعل دأبك وطلبك واكتسابك الا استجلاب الصاحب النافع دون سائر المنافع فانه أوفر بضاعه وأربح تجاره وليس على الصديق الصدوق أبدا خساره واجعله في سفرك نصب عينك واشتره بنفسك ومالك ونقدك ودينك وقد قيل

أخاك أخاك ان من لا أخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح

ماقنعت به وأيسره عندنا وان كان خطره عندك عظيما ثم أقبل أنوشروان على وزيره بزرجمهر فقال له قد عرفت مناصحة برزويه لنا وتجشمه المخاوف والمهالك فيما يقربه منا واتعابه بدنه فيما يسرنا وما أتى به الينا من المعروف وما أفادنا الله على يديه من الحكمة والادب الباقي لنا فخره وما عرضنا عليه من خزائننا لنجزيه بذلك على ما كان منه فلم تمل نفسه الى شئ من ذلك وكان بغيته وطلبته منا أمرا يسيرا رآه هو الثواب منا له والكرامة الجليلة عنده فاني أحب أن تتكلم في ذلك وتسعفه بحاجته وطلبته واعلم ان ذلك مما يسرني ولا تدع شيأ من الاجتهاد والمبالغة الا بلغته وان نالتك فيه مشقة وهو أن تكتب بابا مضارعا لتلك الابواب التي في الكتاب وتذكر فيه فضل برزويه وكيف كان ابتداء أمره وشانه وتنسبه اليه والى حسبه وصناعته وتذكر فيه بعثته الى بلاد الهند في حاجتنا وما أفادنا على يديه من هنالك وشرفنا به وفضلنا على غيرنا وكيف كان حال برزويه وقدومه من بلاد الهند فقل ما تقدر عليه من التقريظ والاطناب في مدحه وبالغ في ذلك أفضل المبالغة واجتهد في ذلك اجتهادا يسر برزويه وأهل المملكة وان برزويه أهل لذلك مني ومن جميع أهل المملكة ومنك أيضا لمحبتك للعلوم واجهد أن يكون غرض هذا الكتاب الذي ينسب الى برزويه أفضل من أغراض تلك الابواب عند الخاص والعام وأشدها مشاكلة بحال هذا العلم فانك أسعد الناس كلهم بذلك لانفرادك بهذا الكتاب والمراد
واجعله أول الابواب فاذا أنت عملته ووضعته في موضعه أعلمني لاجمع أهل المملكة وتقرأه عليهم فيظهر فضلك واجتهادك في محبتنا فيكون لك

والمراديه الصديق واعلم ان الاخ العابي ربما يضرك وأما الصديق الصالح فانه أبدا يسرك والصاحب الشفيق خير من الاخ الشقيق وقد قيل رب أخ لم تلده أمك فقبل الشاب وصية أبيه ثم توجه في حشمه وذويه بقصد جميل ومال جزيل فمكث غير بعيد ثم عاد وهو سعيد فقال له أبوه حييت وحييت ماأسرع ماجيت قل لي أين ذهبت وماذا اكتسبت فقال ياأبت امتثالا مرسومك الكريم واكتسبت بالمال كل ولي حميم وقد جئتهم زمرا وعدتهم خمسون نفرا كل منهم صديق صادق ورفيق موافق في الفضل بارع والى الخير مسارع وفي الرخاء صادق الاخاء وفي الشده أوفى عده قال أبوه يابني كيف تصفهم بهذه الصفه وتعرفهم بهذه المعرفه ولم تجربهم في قضيه ولاواقعة صعبة أورخيه وقد قيل

لاتمدحن امرأ حتى تجربه * ولاتذمنه من غير تجريب

وقد قيل أيضا اذا رمت أن تصفي لنفسك صاحبا * فمن قبل أن تصفي له الود أغضبه

فان كان في وقت التغاضب راضيا * والا فقد جربته فتجنبه

(وقيل أيضا) الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * مالم يروا عنده آثارا حسان

واعلم ياذا اللطائف اني خائف أن يكون أصحابك وأصدقاؤك وأحبابك مثل أصحاب الرئيس المدبر الخامل النفيس الذين رعوه في روض وفره وتركوه في قفر فقره قال ابنه ياأبت كيف ورد ذلك وثبت قال الناس ذكر رواة الاخبار أنه كان في بعض الامصار رجل رئيس كبير نفيس له أموال وافره وجهات متكاثره وأماكن عامره وضياع ومزدرعات وبساتين واقطاعات وعقار له ارتفاعات فكان ولده عديده الى كل معصية ومفسده ويجتري ذلك السفيه على كل مايلوح له من جهات أبيه والتف عليه جماعه من عبيد البطن والمجاعه كانهم طير قرلى ان رأى خيرا تدلى وان رأى شرا تعلى ومديد الاسراف في التبذير والاتلاف وصار أبوه ينصحه ويردعه عن جوعه ويكبحه وقال له يابني استعمل الارتفاق في الانفاق واستخلص من الرفاق ذوي الاشفاق واعلم أن هذا المال هولك مدخور ولتصرفك فيه منتظر وانما أنا لك خازن والله تعالى مجاز على فعالى من مساو ومحاسن وتيقن أن المال هو عزك في الدنيا وزادك الى الاخرى وأن له وجوها ومصارف وعوارف ومعارف فاذا صرف في غير محله ودفع الى غير أهله كان اثما ووبالا وفي الاخرة عذابا ونكالا وأحق الناس المستحق لنزول الباس من اكتسب المال حلالا وبذره في الفساد يمينا وشمالا وادخر به اثما وخبالا فصرفه الى من لايحمده وعليه حسابه ونكده وأنت اذا صرفت مالك وزعته وفي غير مواضعه زرعته وأنفقته على من لايعرف فضيلتك ولايحمل جميلتك ولايشكر صنعك ولايقصد نفعك ولايجلب لك خيرا ولايكشف عنك ضيرا خرجت من عز الدنيا وفوت زاد الاخرى وهؤلاء الذين قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ثمرة صحبتهم الندامه وعاقبة أمرهم الخيبة والملامه والبعد عنهم غنيمة وسلامه واذا كان الامر كذلك فاياك ياولدي ثم اياك من صحبة هؤلاء الاحداث والتلوث بقربهم فانهم اخباث واحتفظ بصون مالك ولاتنفقه الا على نفسك وعيالك وفيما يبقي ماء وجهك في حالك ومآلك ولازال أبوه قابض عنانه بقدر طاقته وامكانه يذكره هذه الوصيه بكرة وعشيه حتى أدركته المنيه وخلف ذلك المال العريض لذلك الولد المريض فمديده كما كان الى كل مفسده ونسي يومه وغده وشرح في مناه متن اللهو وقرر بحديث من كتاب فقه الزهو باب الانجاس وسجود السهو واجتمع عليه قرناء السوء وحضروا وخلاله ولهم الجو فباضوا في الفساد وصفروا وغابوا عن الرشاد وماحضروا وصار وايعظمونه ويكرمونه ويحترمونه فاذا كذب صدقوه واذا ضرط سمتوه وشمتوه واذا نهق طربوا واذا أخطا صوبوا واذا قعد قاموا واذا قام ناموا يفدونه بالمهج والارواح ويلازمون خدمته في المساء والصباح وكان له أم مدبره عاقلة مفكره فقالت له يابني

بذلك فخرا فلما سمع بزرجمهر مقالة الملك خوله ساجدا وقال له أدام الله لك أيها الملك البقاء وبلغك أفضل منازل الصالحين في الاخرة والاولى لقد شرفتني بذلك شرفا باقيا الى الابد ثم خرج بزرجمهر من عند الملك فوصف برزويه من أول يوم دفعه أبواه الى المعلم ومضيه الى بلاد الهند في طلب العقاقير والادويه وكيف تعلم خطوطهم ولغتهم والى ان بعثه أنوشروان الى الهند في طلب الكتاب ولم يدع من فضائل برزويه وحكمته وخلائقه ومذهبه أمرا الا ونسقه وأتى به باجود ما يكون من الشرح ثم أعلم الملك بفراغه منه فجمع أنوشروان أشراف قومه وأهل مملكته وأدخلهم اليه وأمر بزرجمهر بقراءة الكتاب وبرزويه قائم الى جانب بزرجمهر وابتدأ بوصف برزويه حتى انتهى الى آخره ففرح الملك بما أتى به بزرجمهر من الحكمة والعلم ثم أثنى الملك وجميع من حضره على بزرجمهر وشكروه ومدحوه وأمر له الملك بمال جزيل وكسوة وحلي وأوان فلم يقبل من ذلك شيأ غير كسوة كانت من ثياب الملوك ثم شكر له ذلك برزويه وقبل رأسه ويده وأقبل برزويه على الملك وقال أدام الله لك الملك والسعادة فقد بلغت بي وباهلي غاية الشرف بما أمرت به بزرجمهر من صنعة الكتاب في أمري وابقاء ذكري

(باب غرض الكتاب)

(ترجمة عبد الله بن المقفع)

هذا كتاب كليله ودمنه وهو مما وضعته علماء الهند من الامثال والاحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ماوجدوا من القول في النحو الذي أرادوا ولم تزل العلماء من أهل كل ملة يلتمسون أن يعقل عنهم ويحتالون في ذلك بصنوف الحيل ويبتغون اخراج ماعندهم من العلل

لاتكن صبي وتذكر وصايا أبيك واياك ومن يليك وتامل مالديك واحفظ مالك وماعليك ودر معاشك وصن ماء وجهك وريا شك واعلم ان أصحابك وعشراءك وأحبابك وندماءك ورفقاءك وأخصاءك وأصدقاءك كلهم عبيد البطن ولورقات بذى شيق أوحصن لاخير عندهم ولامير وجميعهم كسير وعوير فاياك اياك وصحبة من لايتولاك لاتركن الى صداقتهم ولاتعتمد على موافقتهم فانهم فى الرخاء ياكلونك وفى البلاء يتركونك والى مخالب القضاء يسلمونك رأس مال محبتهم مافى يديك وأساس بنيان مودتهم مايرونه من النعماء عليك فان قلت والعياذ بالله فلوا وخلوك فى عقد النوائب مربوطا وانحلوا وأقل الاقسام ياذا الاصل السام ان تجرب أصحابك وتختبر من يلازم بابك ويقبل بشفاه المودة أعتابك فى شئ نابك أعجز عن حله نابك من حوادث القضاء أوفى حالة من أحوال الغضب والرضاء أو السعة والضيق أو التكذيب والتصديق فمن وجدته ناصحا صادقا أومطاوعا مصادقا وفى كل الاحوال موافقا وفى الرخاء والشدة مرافقا يوثق به فى الغيبة والحضور وحالتى السرور والشرور يؤدى الامانه ويجتنب الخيانه ويغار على دينك وعرضك ويساعدك على أداء سنتك وفرضك فاركن اليه واعتمد فى أمورك عليه ومن وجدته منافقا وفى اخلاصه ممارقا ينسج شقة الوداد بوجهين ويتكلم كحائض المداد بلسانين فلاتقربه ولاتصحبه فان بعده غنيمه والخلاص منه نعمة جسيمه وانظر بعين الثبات مافى هذه الابيات من حسن الصفات فمن كان بها متصفا فتمسك باذياله فانه من أهل الصفا وهى هذه

وقد قيل قول المرء يكشف عقله * ويبدى سجاياه وما كان يكتم * فهذا كلامى مظهر ما أكنه
وأكثر هذا الخلق عن عيبهم عموا * فمن شيمتى أنى مطيع لصاحبى * وأصلح عن خصمى وان كنت أخصم
وأرضى لنفسى دون ماهو حقها * وألزمها للغسل ماليس يلزم * اذا قال أصغى للمقال وانى
لاعلم منه بالمقال وأفهم * ولم أشك من خل لئلا يعانى * ومن لى بخل لايمل ويسأم
وأقطع فى بحثى وان كنت غالبا * وأسكت حتى قيل ذا ليس يعلم * لابقى ودادالناس لى لاأضيعه
ومن لايدارى الناس يرمى ويرغم * وفى كل ذا تقوى الاله شعائرى * ولابد من لايتقى الله يندم
ولانقص فى عقلى وأسباب نعمتى * وانى وانى بالكمال مكرم * ولى همة تسمو الى الاوج قدرها
ولكن خمول المرء للدين أسلم * ووجه اعتقادى مثل عرضى أبيض * ودينى متين واعتمادى مقوم

وحسبى من دنياى قوت وخرقة * يبلغنى آثار من قد تقدموا
فهذى غريزاتى الذى وانى * لادعو الى هذى الخصال وأعزم

فاثر هذا الكلام فيه وتامل ماتضمنته خوافيه ثم أراد ان يجرب ملازميه ومن بروحه وجسده يفديه فقال يوما من الايام وقد اجتمعوا على منادمة المدام اتفق أمر عجيب وشأن غريب وهو أنه كان عندنا هاون فى زاويه مخزون زنته ربع قنطار أتى البارحة عليه الفار فقرضه وأكله وعمه بالاكل وشمله فلم يدرك من ذلك النحاس فى مكانه الاما فضل من برادة أضراسه وأسنانه فترشفت ثغور آذانهم منطقه واستحلى كؤسها كل منهم وصدقه وقالوا هذا وقع بغير شك لان الهاون كان فيه ودك والفار أسنانه باضعه وأضراسه لجن حرافيش بغداد قاطعه فلما رأى انهم وافقوه وصوبوا كلامه وصدقوه ازدادت فيهم محبته وقويت اليهم رغبته حيث رفعوا رتبه وستروا فى جيب مكنونهم عيبه وحققوا محاله وصدقوا مقاله فاسرع الى أمه مسرورا فرحا محبورا منشرحا وقال ياأماه انظرى كلام أصحابى واخبرى مقام أحبابى ذكرت لهم كلاما باطلا ومن حلية الصدق والامكان عاطلا فحققوه بلامريه واثبتوا حقيقته من غير فريه وصاغوا له من جواهر التوجيه أبهى حليه وذكر ماجرى لهم وله من الجنون والخباط والوله فقالت له أمه ياولدى ومهجة كبدى هذا أمر يضحك منه الجاهل ويبكى على حالك الحالك منه العاقل

حتى كان من تلك العلل وضع هذا الكتاب على أفواه البهائم والطير فاجتمع لهم بذلك خلال أماهم فوجدوا منصرفا فى القول وشعوبا يأخذون منها وأما الكتاب فجمع حكمة ولهوا فاختاره الحكماء لحكمته والسفهاء للهوه والمتعلم من الاحداث ناشط فى حفظ ماصار اليه من أمر يربط فى صدره ولايدرى ماهو بل عرف أنه قد ظفر من ذلك بمكتوب مرقوم وكان كالرجل الذى لما استكمل الرجوليه وجد أبويه قد كنزا له كنوزا وعقدا له عقودا استغنى بها عن الكدح فيما يعمله من أمر معيشته فاغناه ما أشرف عليه من الحكمة عن الحاجة الى غيرها من وجوه الادب وينبغى لمن قرأ هذا الكتاب ان يعرف الوجوه التى وضعت له والى أى غاية جرى مؤلفه فيه عند مانسبه الى البهائم وأضافه الى غير مفصح وغير ذلك من الاوضاع التى جعلها أمثالا فان قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعانى ولاى ثمرة يجتنى منها ولاى نتيجة تحصل له من مقدمات ماتضمنه هذا الكتاب وانه وان كان غايته استتمام قراءته الى آخره دون معرفة مايقرأ منه لم يعد عليه شئ يرجع اليه نفعه ومن استكثر من جمع العلوم وقراءة الكتب من غير اعمال الروية فيما يقرؤه كان خليقا أن لايصيبه الاما أصاب الرجل الذى زعمت العلماء أنه اجتاز ببعض المفاوز فظهر له موضع آثار الكنوز فجعل يحفر ويطلب فوقع على شئ من عين وورق فقال فى نفسه ان أنا أخذت فى نقل هذا المال قليلا قليلا طال على وقطعنى الاشتغال بنقله واحرازه عن اللذة بما أصبت منه ولكن ساستاجر أقواما يحملونه الى منزلى وأكون أنا آخرهم ولايكون بقى وراثى شئ يشغل فكرى

كما

كما قيل

أمور تضحك السفهاء منها * ويخشى من عواقبها اللبيب

اعلم أيها الداهل الغافل انك لست من أصحابك على طائل وهؤلاء أعداء في صورة أوداء وهم في التمثيل كما قيل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

وتيقن ان هؤلاء في النعمة خداعون وفي النقمة لذاعون وأنت شاب غرير وبأعقاب الامور لست ببصير لا مارست الخلق ولا فرقت بين الصادق من ذوي الملق لا خبرتهم ولا سبرتهم ولا دخلت مداخلهم ولا ميزت خارجهم وداخلهم ان الصديق الصادق والرفيق الفائق من بصرك عيوبك وغفر لك بعد نصيحتك ذنوبك وأطلعك على حقائق الاشياء ونبهك على ما خفي من أمور الدنيا وأرشدك الى ما يزينك ويصلح به دنياك ودينك وأبكاك اذا أضحك لا من أضحك وفضحك وأما الذي يدلس ويلبس ويوسوس ويهوس ويروج الباطل ويحلي العاطل فذاك ليس بصديق على التحقيق وانما هو عدو فلا يكن لك معه قرار ولا هدو فلم يلتفت الشاب الى هذا الخطاب حيث كان مصادما لغرضه غير شاف لعلته ومرضه وقال صدق من نطق وفاه بالكلام الحق من قال افشاء السر الى النساء فعل الاحمق ثم تركها ترغو واستمر هو مع أقرانه يلهو وداوم على تلك الحال حتى اذا دنت لنفادها الاموال وبيع الرخيص والغال فاستفاق من سكرته واستيقظ من رقدته الا والاموال قد ذهبت والديون قد ركبت وهو ينشد والى مذهبه يرشد

ليذهبوا في ملامي أينما ذهبوا * في الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب

الى أن ذهبت السكره وجاءت الفكره ونفقت البيضاء والصفراء في الحمراء والخضراء وأضحى ملقى على الارض السوداء وأتعس من فوق الغبراء وأفلس من تحت الزرقاء وتراجع عنه الاصحاب وعاداه الاصدقاء والاحباب ورجعوا عنه بعدما سئموا منه وصار ناديه يناديه

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وصارت محبتهم له تكلفا ورؤيتهم اياه تعسفا فاتفق له في بعض الايام ان قال في أثناء الكلام لذلك الجمع بعينه الذين كانوا أجمعوا على صدق مينه الفار الغدار أكل لنا في الدار البارحة رغيفا كاملا فاني على أكله شام لاغفا أبقى منه لبابه ولا غادر من غد بروجوده صبابه فتنادوا العال بالمحال والكذب في الاقوال الفار الضعيف كيف يأكل كل الرغيف وهو عاجز نحيف وتناولوه بالطعن وتناوشوه بالسنة السب واللعن وزيفوا أقواله وسفهوا أفعاله وانما ذكرت هذا الكلام يا أعز غلام وأحسن من البدر التمام لتعلم ان أكثر من يدعى صدق الصحابه من ذوي المعارف والقرابه انما دعواه كذابه كسحاب صيف لا يديم انسكابه وان الشخص مع الناس الاوغاد والاكياس بمنزلة كوز الفقاع ان رأوا فيه حلاوة الانتفاع استلموه وبالايدي رفعوه وقبلوه ورشفوه واذا مصوه وحصلوه وفرغوه ورموه وتركوه وتحت الاقدام طرحوه ثم قال التاجر لولده راحة روحه وجسده وان كان من صحبتهم وفي سفرك اكتسبتهم مثل هؤلاء الاصحاب فاياك ان تفتح لهم الباب وترفع بينك وبينهم الحجاب (فقال الولد) معاذ الله الواحد الاحد يا أبت عندي ثبت انهم بدور كرام وصدور عظام يقومون لقيامي وينصتون لكلامي ويجيبون ندائي ويؤمنون على دعائي وهم أخلاء في السراء والضراء (فقال أبوه) اعلم يا ابني وقرة عيني اني عمرت سبعين سنه وعاينت من الامور الخشنة والحسنه وبلوت الاصحاب وتلوت الاعداء والاحباب ورأيت الدنيا وأهلها وقلبت وعرها وسهلها ولم أر لك من جنس بني آدم في أكناف الآفاق واطراف العالم من أمم العرب والعجم نوع الم أخبره وصنفا لم أسبره فلم يصف لي على التحقيق غير صديق ونصف صديق فانت يا ابني العزيز الغالي كيف قدرت بالتوالي في هذه المدة اليسيره على جمع هذه الطائفة الكثيره وها أنا يا امام أريك مصداق هذا الكلام وأطلعك من بين الاصحاب على ما لهم من مقام ثم عمد الى شاة فذبحها وبدمها في ثياب طرحها ثم دبجها

ينقله وأكون قد استظهرت لنفسي في اراحة بدني من الكد بيسير أجرة أعطيها لهم ثم جاء بالحمالين فجعل يحمل كل واحد منهم ما يطيق فينطلق به الى منزله فيفوز به حتى اذا لم يبق من الكنز شيء انطلق خلفهم الى منزله فلم يجد فيه من المال شيأ الا قليلا ولا كثيرا واذا كل واحد من الحمالين قد فاز بما حمله لنفسه ولم يكن له من ذلك الا العناء والتعب لانه لم يفكر في آخر أمره وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهرا وباطنا لم ينتفع بما بدا له من خطه ونقشه كما لو أن رجلا قدم له جوز صحيح لم ينتفع به الا أن يكسره وكان أيضا كالرجل الذي طلب علم الفصيح من كلام الناس فاتى صديقا له من العلماء له علم بالفصاحة فاعلمه حاجته الى علم الفصيح فرسم له صديقه في صحيفة صفراء فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه فانصرف المتعلم الى منزله فجعل يكثر قراءتها ولا يقف على معانيها ثم انه جلس ذات يوم في محفل من أهل العلم والادب فاخذ في محاورتهم فجرت له كلمة أخطأ فيها فقال له بعض الجماعة انك قد أخطأت والوجه غير ما تكلمت به فقال كيف أخطئ وقد قرأت الصحيفة الصفراء وهي في منزلي فكانت مقالته لهم أوجب للحجة عليه وزاده ذلك قربا من الجهل وبعدا من الادب ثم ان العاقل اذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه ينبغي له أن يعمل بما علم منه لينتفع به ويجعله مثالا لا يحيد عنه فاذا لم يفعل ذلك كان مثله كالرجل الذي زعموا أن سارقا تسور عليه وهو نائم في منزله فعلم به فقال والله لاسكتن حتى أنظر ماذا يصنع ولا أذعره ولا أعلمه اني قد علمت به فاذا بلغ مراده قمت اليه فنغصت ذلك عليه ثم انه أمسك عنه وجعل السارق يتردد

وفى كفن أدرجها وقال لابنه قم ياذا الارتقاء أرنى هؤلاء الاصدقاء واحدا بعد واحد لتحقق غيب عيبهم بالشاهد وتعرف طرائقهم وتتبين حقائقهم ثم وضع الشاة فى عدل وأخفى كل هذا الفعل وحمل العدل على ظهر غلام وخرج ليلا والناس نيام وقصد أحد الاصحاب وطرق عليه الباب فخرج مسرعا اليه وترامى متواضعا بين يديه وأظهر البشر والسرور والابتهاج والحبور وبالغ فى الاحتشام والاكرام والاحترام وشكر مساعى الاقدام ثم بادر الى دعوته للدخول وتعاطى انجاح ماله من سؤل ومأمول فقال له الشاب يازين الاصحاب وعين الاحباب دع الكلام اضيق المقام فقد دهتنى دهيه وعرتنى بليه وأعظم بها من قضيه ويالها من رزيه فقال ماهى وقيت الدواهى فقال كان بينى وبين واحد من أهل الشقاوه خصومة قديمة وأسباب عداوة اسمه معروف وذكره موصوف لشخص مفقود لم يكن له حقيقة فى الوجود وهو من أكابر الزمان وأحد الرؤساء والاعيان فتلاقينا فى خلوه وتداعينا ما بيننا من جفوه وتنابشنا الاسباب وتناوشنا باللعن والسباب وتناولنا فى الشقاق شق الاعراض وتأذت القلوب من الاغراض بالامراض وتنقلنا من المكالمه الى المشاتمه ومن المواصمة للملاكمه وترقينا من الكفاح الى الجراح فثارت النفس المشؤمه الى ايقاع حركة ذميمه فضربته فجرحته وقتيلا طرحته ولم يشعر بنا أحد من أهل البادية والبلد وندمت غاية الندم وأنى يفيد وقد زلت القدم وجرى قلم القضاء بما حكم ثم أفكرت بمن أستعين على هذا الامر اللعين وأدرت فى خاطرى كل مساعد ومعين فلم يمل القلب الا اليك ولا استقر الخاطر فى ركونه الا عليك وقد قصدت جنابك ويممت بابك اذ أنت أعز مخدوم والسر عندك مكتوم وهاهو مقتولا أتيتك به محمولا فاحفر لهذه الجثة حفيره واخفنى عندك أياما يسيره الى أن تطفأ هذه النائره وتسكن الفتنة الثائرة وهذا وقت المروه وزمان الفتوه والقيام بحق الصداقة والاخوه فلما سمع الصاحب الملبق هذا الكلام القلق تضجر وتضرر وتنكد وتضور وقال يا أخى بيتى عتيق مع أنه حجر مضيق لا يسع أولادى ولا زادى وعتادى واذا ضاق عن الاحياء فكيف بالاموات وهذه بلية من أوحش البليات وأظنها لا تخفى على الناس ويدركها أولو الفراسة والاغبياء فضلا عن الاكياس لان قضايا كم قبل اليوم مشهوره ويلغنى أن عداوتكم قديمة مذكوره وفى التواريخ وصدور الكتب مسطوره ولكم وقعات ونوازل وله أيتام كأنهم الزغب الجوازل وأما أنا فلا يمكننى الدخول فيها ولا تعاطيها بوجه من الوجوه ولا تلافيها فاكفنى شر ضيرها واندب الى غيرها وانى أكتم سرها فلا تخف من جهتى شرها فالح عليه فما أفاد ورده غير ظافر بما أراد فلما أيس منه تركه وانتقل عنه ودار على سائر أصحابه وذكر لهم مثل الاول وخطابه فكان جواب الجميع مثل جوابه الى أن أتى على الجميع واستوفى شريفهم والوضيع ورأى ماهم عليه من طبع بديع كأنهم كانوا متواردين على شرب هذا الصنيع فعاد الى دار أبيه ورجع الى صحة بيان التنبيه فقال له بدر الفلك أحققت صدق ما قلت لك وتبينت ماهية أصدقائك وحقيقة أوليائك وانهم نقش حيطان ورقش غيطان وغمام بلا اسطار وأكمام بلا ازهار وآجام بلا اثمر (ثم قال) قم يازين الاحباب أريك ما قلت لك من حقيقة الاصحاب ثم دخلا الطريق وقصدا نصف الصديق وطرقا الباب فخرج وتلقاهما بالترحاب فقال له ذلك المقال وقصد بمعونته الخلاص من ذلك العقال فقال حبا وكرامه حللتما بمنزل السلامه أنا بكم نشيط وأجلكم بى بسيط غير انى أعلمكم أن منزلى غير فسيح حتى أدفن فيه هذا الذبيح وليس لى مخباة ولا مخدع ولا اسكن فى مطاويه ولا مصنع وأخاف أن أمركم لا يختفى وبهذا المقدار فى أمركم لا أكتفى ويدى لا تملك غيره وقد وقعت بهذا السبب فى حيره وبالجملة والتفصيل أنا أكفيكما شر هذا القتيل فقالا لا نقنع بذلك ولكن سد عنا المسالك فقال توجها حيث

شئتما

وطال تردده فى جمعه ما يجده فغلب الرجل النعاس فنام وفرغ اللص مما أراد وأمكنه الذهاب واستيقظ الرجل فوجد اللص قد أخذ المتاع وفاز به فاقبل على نفسه يلومها وعرف أنه لم ينتفع بعلمه باللص اذ لم يستعمل فى أمره ما يجب وقد يقال ان العلم لا يتم الا بالعمل وان العلم كالشجرة والعمل به كالثمرة وانما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به وان لم يستعمل ما يعلم فليس يسمى عالما ولو ان رجلا كان عالما بطريق مخوف ثم سلكه على علم به سمى جاهلا ولعله ان يكون قد حاسب نفسه فوجدها قد ركبت أهواء هجمت بها فيما هو أعرف بضررها فيه واذاها من ذلك السالك فى الطريق المخوف الذى قد عرفه ومن ركب هواه ورفض ما ينبغى ان يعمل بما جربه هو أو أعلمه به غيره كان كالمريض العالم بردىء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقيله ثم يحمله الشره على أكل رديئه وترك ما هو أقرب الى النجاة والتخلص من علته وأقل الناس عذرا فى اجتناب محمود الافعال وارتكاب مذمومها من أبصر ذلك وميزه وعرف فضل بعضه على بعض كما أنه لو ان رجلين أحدهما بصير والآخر أعمى ساقهما الاجل الى حفرة فوقعا فيها كانا اذا صارا فى قعرها بمنزلة واحدة غير ان البصير أقل عذرا عند الناس من الضرير اذ كانت له عينان يبصر بهما وذاك بما صار اليه جاهل غير عارف وعلى العالم أن يبدأ بنفسه ويؤدبها بعلمه ولا تكون غايته اقتناءه العلم لمعاونة غيره ويكون فيها كالعين التى يشرب الناس ماءها وليس لها فى ذلك شىء من المنفعة وكدودة القز التى تحكم صنعته ولا تنتفع به فينبغى لمن طلب العلم ان يبدأ

شئتما فلا أنا سمعت ولا أنتما قلتما فتوجها الى الصديق الكامل وذكرا له الامر الحامل وقصدا بتلاقيه كرمه الشامل فقال لهما أوشئ غير ذلك وقا كما الله شر المهالك فقالا الا الادفن هذا المقتول واخفاء هذا الامر المهول وأن نكون تحت أذيالك الساتره حتى تسكن هذه الفتنة الثائره فان أهله يطلبونا فان وجدونا يسلبونا ولا يرضون الا بالدمار وخراب الديار ولا يقنعون بالمال والعقار وهذه قضية عظيمه وداهية جسيمه فان كنت تنهض باطفائها وحمل أعبائها وتسعى فى اخفائها فقد قصدناك ودون الاصحاب أردناك فان عجزت عن سدها فلا عتب عليك فى ردها ولا تتكلف فوق طاقتك ولا تتجشم لاجلنا غير استطاعتك فقال سبحان الله واسوأتاه هذا يوم المروأة والوفاء وتذكر وسائل اخوان الصفاء فلكم الفضل اذ قصدتمونى والجميلة التامة حيث أردتمونى أما والله لو كان ألف قتيل لواريته وكل ما كان من أمر غيره جاريته وداريته لا يسمع أبدا خبره ولا ترى عينه ولا أثره وأما أنتما فافديكما بروحى وأولادى وطريفى وتلادى وعندى ديار أنزه من جنان الابرار وأفيح من كل دار فادخلوها بسلام آمنين فانها تشرح كل قلب حزين ولو أقمتم بها سنين ماشعر بكم أحد من العالمين فيها أرغب نديم وأقرب خديم وأحسن جليس وأعز أنيس فلن تملوا مقامها ولا تعدموا اكرامها فانتم عند من لا يمل أبدا نزيله ولكم فى ذلك الفضل والجميله قال التاجر شكر الله سعيك وحفظ على أصحابك مودتك ورعيك ثم ودعه وانصرف وقد عرف الولد من حقيقة الامر ما عرف (ثم قال) لولده يابنى وأعز عندى من كل شئ ان اتخذت الصديق فليكن صديقك على هذا الطريق والا فالانفراد أحسن والعزلة أوفق ان أمكن كما قيل

فاق حبى كل الملاح كمالا * هكذا هكذا والا فلالا

ولقد أرشد من أنشد حيث قال هذا المقال

مافى زمانك من ترجو مودته * ولا صديق اذا جار الزمان وفى

فعش فريدا ولا تركن الى أحد * انى نصحتك فيما قد جرى وكفى

(ثم ان الملك) قال لاولاده ياذوى الافضال ان غالب أصحابى من الامراء والرؤساء الكبراء خصوصا فلان أمير ممالك خراسان هم من هذا القبيل وأنا عودتهم هذا الجميل فكونوا فى الحقيقه متمسكين باسباب هذه الطريقه (فلما) أكمل وصيته أولاده هيأ السفر معتاده وذكر الله وزاده ثم ودعهم من دار الشرور وانتقل الى دار الحبور والسرور وقد عهد الى أكبر أولاده واستودعهم الله وهو القاهر فوق عباده من لا تضيع الودائع لديه ولا يخيب من توكل عليه فسمعوا الوصية وأطاعوا وتعلقوا باذيال أهدابها فما ضاعوا واستمروا تحت أمر أخيهم كما كانوا فى حياة أبيهم كأن أباهم ما مات ولم يقع بينهم شتات فدام لهم السرور وانحسمت عنهم مواد الشرور وأشرقت بهم ممالكهم وأملاكهم ودارت بالسعود أفلاكهم ثم ان الحكيم حسيب انتقل من كلامه العجيب بعد فراغه من حكم ملك الاعجام الى فوائد ملك الاتراك الهمام فشنف المسامع وشرف كل راء وسامع وشرع فى القال والقيل وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(الباب الثالث فى حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك)

(قال) الشيخ أبو المحاسن حسان صاحب الحسن والمحاسن والاحسان ثم نهض الحكيم حسيب الاديب الاريب ووقف فى مقام حده وقبل موطئ أخيه بشفاه خده وقال لقد بلغنى أيها السلطان أن فى قديم الزمان كان فى الترك ملك يسمى خاقان من الملوك العادلين والسلاطين الفاضلين برسم العدل معروف وبقصم الجور موصوف كسر الاكاسره وقصر القاصره ونحر الجبابره وثغر فم الذعار النبالة الفاغره ملك بلاد الختن والخطا واستولى على ممالك المغل والختا وأطاع أوامره الترك والتتار واستسلم لرأيه

يحطه نفسه ثم عليه بعد ذلك ان يقبسه فان خلالا ينبغى لصاحب الدنيا ان يقتنيها و يقبسها منها العلم والمال ومنها اتخاذ المعروف وليس للعالم أن يعيب امرأ بشئ فيه مثله و يكون كالاعمى الذى يعير الاعمى بعماه و ينبغى لمن طلب أمرا أن يكون له فيه غاية ونهاية يعمل بها و يقف عندها ولا يتمادى فى الطلب فانه يقال من سار الى غير غاية فيوشك ان تنقطع به مطيته وان كان حقيقا ان لا يعنى نفسه على طلب ما لا حد له وما لم ينله أحد قبله ولا يتأسف عليه ولا يكون الدنيا مؤثرا على آخرته فان من لم يعلق قلبه بالغايات قلت حسرته عند مفارقتها وقد يقال فى أمرين انهما يجملان بكل أحد أحدهما النسك والآخر المال وقد يقال فى أمرين انهما لا يجملان بكل أحد الملك ان يشاركه فى ملكه والرجل ان يشاركه فى زوجته فالخلتان الاوليان مثلهما مثل النار التى تحرق كل حطب يقذف فيها والخلتان الاخريان كالماء والنار الذى لا يمكن اجتماعهما وليس ينبغى للعاقل ان يقنط أحدا ساق الله اليه صنعا وقد كان مرتقبا منه غير ذلك (ومن أمثال هذا) ان رجلا كان به فاقة وجوع وعرى فالجاه ذلك الى ان سأل أقاربه وأصدقاءه فلم يكن عند أحد منهم فضل يعود به عليه فبينما هو ذات ليلة فى منزله اذ بصر بسارق فى منزله فقال والله ما فى منزلى شئ أخاف عليه فليجهد السارق جهده فبينما السارق يجول اذ وقعت يده على خابية فيها حنطة فقال السارق والله ما أحب أن يكون عنائى الليلة باطلا ولعلى لا أصل الى موضع آخر ولكن سأحمل هذه الحنطة ثم بسط قميصه ليصب عليه الحنطة فقال الرجل أيذهب هذا بالحنطة وليس ورائى سواها فيجتمع على مع العرى ذهاب

سكان الدست والقفار وكان ياجوج من جملة خدمه ومأجوج من بعض عبيده وحشمه كأنه وارث لذريه يافث قوى فى أخذ الملك من ممالك الصين وأخذ الى أطراف الشمال باليمين ولم يكن له من البنين والبنات مع كثرة السرارى والزوجات سوى بنت واحده لطلعتها الاقمار شاهده

شمس ولا كالشمس عند زوالها * بدر ولا كالبدر فى نقصانه

بل بهرت الشمس جمالا والبدر كمالا وفاقت ملاح الدنيا شمائل وخصالا وهى عزيزة فى قلب أبيها كريمة على خواصها وذويها فصارت ملوك الاطراف يخطبونها ومن أبيها يطلبونها فكان أبوها يفوض الامر اليها ويعتمد فى تزويجها عليها وهى لا ترغب فى طالب ولا تصغى لخطبة خاطب الى ان عنست وخطابها أيست وكان أبوها كاذكر ذا فطنة بالغه وهيبة دامغه نخشى حوادث الزمان واختلى بها فى مكان وقال اعلمى يامعدن اللطائف ان البنت فى منزل أبيها كالماء الواقف ان مكث يأسن وان لم يستعمل أنتن ولا أقول ذلك ملالا ولا عجزا ولا استقلالا بل لابد للمرأة من زوج يلمها فيسترها ويضمها ونعم الختن القبر واحلى من البنت الصبر فان رأيت الرغبة فى الزواج طلبت لك كفؤا من الازواج وكان ذلك أستر لعرضك وأدنى لاقامة سنتك وفرضك وأفرغ لخاطر أبيك واشرح لخدمك وذويك فقالت أحسن الله لوجن الى مولانا الخاقان وكفاه كل جان من الانس والجان ان البنين من جملة النعم والبنات من اعداد النقم ونعم الدنيا عليها الحساب ونقمها سبب الاجر والثواب قال رب الارباب فيما أنزله من الخطاب فى محكم الكتاب المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا وقد جاء فى بعض التفاسير ان الباقيات الصالحات هى البنات فولانا الملك بعد وجودى نقمة عليه من معبوده واسأل الصدقات الملوكيه والمراحم الوالديه أن لا يعجل فى أمر تزويجى وأن لا يبادر كيفما اتفق الى تزويجى فان التأمل فى ذلك أولى وثناء فى الدنيا وثواب فى الاخرى وذلك لان الكفاءة فى الزواج معتبرة وقد قرر ذلك الفقهاء البرره وان لم يكن الزوج للمرأة كفؤا فزواجها به يقع سخرية وهزؤا ولا يفيد سوى الغرامه والفضيحة والندامه فقال الملك لا أزوجك الا بكفء كريم يكون لك أدنى خديم وفى الناس أعلى مقام عظيم قالت يامولانا الملك وقاك الله شر المنهمك لا تحمل اعتراضى على الاساءه وانما أسأل عن كيفية الكفاءه فان كانت بالملك والمال فان ذلك فى معرض الزوال وان كانت بانشاب الانساب فان ذلك خطأ لا صواب قال منزل الكتاب العزيز الوهاب فاذا نفخ فى الصور فلا انساب وقال من لا يجوز عليه كذبه من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وانما الفقهاء حكموا بالظاهر والله يتولى السرائر ونحن فى قيد الانقياد ولا يسعنا الا ما أمر به الشرع وأراد وأما أنا فكفئى الكريم انما هو الكامل الحليم الفاضل الرحيم قال الملك بارك الله فى رأيك وعقلك أنا لا أزوجك الا بملك مثلك أو ابن ملك مثل أبيك يرعاك ويكرم خدمك وذويك يعدل بالسويه ويحكم على سائر الرعيه قالت أيها الملك الكبير صاحب التاج والسرير أنا ما أعرف الملك الا من يعرف بملك الحكم على نفسه فى سيره ويكون متحكما متمكنا من الحكم على غيره فيحق أن يقال فى ملكه ذى الجلال خلد الله سلطانه وشيد أركان ملكه وبنيانه قال الملك ومن هو ذلك بارك الله فيك وهداك قالت أما الحاكم على نفسه فهو المالك الزمام جوارحه وحسه قد جعل خزائن القلب والسمع معدنا لجواهر العقل والشرع فهما اقتضاه العقل مضاه وعمل بمقتضاه وما ارتضاه الشرع وقضاه كان فيه انقياده ورضاه قد تحلى بعقود مكارم الاخلاق ولو كان فى أسماء أخلاق وشغل نفسه بتهذيبها واجتهد فى خلاصها من شرك عيوبها واهتم بعيوبه عن بعيده وقريبه وبغيضه وحبيبه فذلك الحاكم على نفسه المميز على أبناء جنسه وأما حكمه على غيره فهو أن يكون سلوكه وسيره منعزلا عن الناس فى زوايا الباس لا يسأل عن أحوالهم وعيوبهم ولا ينظر الى ما تحت

ما كنت أقتات به وما يجتمع معى والله هاتان الخلتان على أحد الا أهلكتا ثم صاح بالسارق وأخذ هراوة كانت عند رأسه فلم يكن للسارق حيلة الا الهرب منه وترك قميصه ونجا بنفسه وغدا الرجل به كاسيا وليس ينبغى أن يركن الى مثل هذا ويدع ما يجب عليه من الحذر والعمل فى مثل هذا لصلاح معاشه ولا ينظر الى من تواتيه المقادير وتساعده على غير التماس منه لان أولئك فى الناس قليل والجمهور منهم من أتعب نفسه فى الكد والسعى فيما يصلح أمره وينال به ما أراد وينبغى أن يكون حرصه على ما طاب كسبه وحسن نفعه ولا يتعرض لما يجلب عليه العناء والشقاء فيكون كالحمامة التى تفرخ الفراخ فتؤخذ وتذبح ثم لا يمنعها ذلك أن تعود فتفرخ موضعها وتقيم بمكانها فتؤخذ الثانية من فراخها فتذبح وقد يقال ان الله تعالى قد جعل لكل شئ حدا يوقف عليه ومن تجاوز فى الاشياء حدها أوشك أن يلحقه التقصير عن بلوغها ويقال من كان سعيه لآخرته ودنياه فحياته له وعليه ومن كان سعيه لدنياه خاصة فحياته عليه ويقال فى ثلاثة أشياء يجب على صاحب الدنيا اصلاحها وبذل جهده فيها منها أمر معيشته ومنها ما بينه وبين الناس ومنها ما يكسبه الذكر الجميل بعده وقد قيل فى أمور من كن فيه لم يستقم له عمل منها التوانى ومنها تضييع الفرص ومنها التصديق لكل مخبر ورب مخبر بشئ عقله ولا يعرف استقامته فيصدق وينبغى للعاقل أن يكون لهواه متهما ولا يقبل من كل أحد حديثا ولا يتمادى فى الخ ايديهم

أيديهم وجيوبهم مالكالزمام العزلة متنعما بهذه النعمة الجزلة قد اتخذ التقوى والقناعة أحسن حرفة وأربح بضاعة قد سلم الناس من يده ولسانه لايدرى بشأنهم ولايدرون بشأنه فذلك الحاكم على غيره الفائز من ملك الدارين بخيره فهو الذى خلد ملكه وسلطانه واتضح للعالمين برهانه فان وجد بهذه الصفات موافق فانه لى كفء مكافى وانه كالبدر جلى نقى الصدر لله ولى فاذا أنعم الزمان بمثل هذا منالا فنعم نعم والا فلالا فجعل ملك الختن يتطلب مثل هذا الختن وأرسل القصاد الى أطراف البلاد يسائل سكان الاكناف وقطان الاطراف عن موصوف بهذه الاوصاف واستمروا على ذلك مده كل باذل جهده حتى أرشدوا بعد زمان أن المكان الفلانى فيه فلان رجل أعرض عن العرض فلم يكن له فى الدنيا غرض وهو بحسن الصفات موصوف وفى كرخ العبادة والاجتهاد معروف جامع لهذه الصفات ليس له الى الدنيا وأهلها التفات مشغول باكتساب الآخرة وطلب نعمتها الفاخرة وهو من نسل الملوك وقد ترك وراءهم السلوك وسلك فى العلم والعمل السبيل الاقوم حتى كانه محمد بن الحسن أو ابراهيم بن أدهم ولشدة ماهو لنفسه مجاهد سماه الناس الملك الزاهد فأجمع الخاقان على مصاهرته وجعل التقرب اليه قربة لآخرته فاختبر ابنته به وكان رجل مطلوبها ومطلوبه وعقد بينهم النكاح وحصل الفلاح والصلاح فوافق شن طبقه وصار لعين مرامها كالحدقه ومضى على ذلك برهه وهما فى طيب عيش ونزهه فاشتاق الخاقان فى بعض الازمان الى رؤية ابنته وسرور مهجته فقام لدارها بقصد مزارها لينظر حالها وماعليها ومالها فوجدها فى عيش هنى وأمر سنى فسالها عن أحوال الزوج ما الزاهد وكيف صبرها على حالها الجاهد فاثنت خيرا وكفت ضرا وضيرا وقالت جميع مايبرزه ويأتيه على حسب ماأريده وأرتضيه وارتفاعات أحوالنا بسعادة مولانا فى دفاتر الامن منضبطه وعقود حياتنا بيمين صدقاته فى نحور الرفاهية غير منفرطه غير ان بيتنا واحد وبسبب ذلك يتضرر هذا العابد فيه نبيت وفيه نقيل ويحوانيه ماللناس من خفيف وثقيل وقوت ونقود وخادم ومولود فلا يتفرغ من الغوغاء للعباده لانها تستدعى عزلة العابد وانفراده وتخليه لمناجاة معبوده ليظفر من حلاوة الطاعة بمقصوده فاسأل مولانا الخاقان ذا الفضل والاحسان بيتا يتخلى فيه للعباده ومكانا يضع فيه خرثى البيت وعتاده فقال حبا وكرامه وقربا وسلامه (ثم) اجتمع الملك بصهره الذى به فاخر وذكر له انه أعطاه بيتا آخر أحدهما يكون لخلوته ومبيته والآخر يضع فيه مايحتاجه من عتاده وقوته فقال الزاهد أيها الملك الماجد فعلت ذلك لتقسيم خاطرى وتوزع فكرى ومراثرى ولا طاقة لى أن أتعلق بمكانين وماجعل الله لرجل من قلبين وانما الزاهد من همه فى الدنيا واحد فانه على عدد التعلقات يتوزع القلب الشتات واذا تعددت الاماكن يحتاج كل منها الى ساكن أو حافظ أو ضابط أو حارس أو رابط وأنا الاعتماد لى بحفظ نفسى أيها الولى فكيف يكون لى اقتدار على حفظ الاغيار واذا انقسمت أفكارى وفسد بالى فكيف أقدر على صلاح حالى وأنى يصلح مع فسادى أمور معاشى ومعادى ثم انى لذا وزعت نفسى فقد نهبت زادى حرصى والحرص افعى قاتل وأسد صائل يقتلنى بسهمه بل بمجرد شمه فقال الملك الكبير لاتهتم لذلك أيها الزاهد الخطير فان لى أماكن عديده وقصورا مشيده وحواصل مصونه وخزائن مكنونه الكل تحت تصرفك واختيارك لامنازع لك فيه ولا مشارك فاجعل لكل جنس من قماشك واثاثك ورياشك ومايقوم باودك ومعاشك مكانا على حده وناحية حفظ منفرده واتخذ لنفسك مقاما خاصا بك لاعاما وأنا أقيم على كل مكان حارسا ان شئت راجلا وان شئت فارسا فعند احتياجك الى شئ أتاك هنا متيسرا من غير كد ولاعى وتفرغ أنت لعبادتك واشتغالك بامور آخرتك (قال) الزاهد أيها الملك المجاهد الاغترار بالقصور من جملة القصور والاعتماد على الحصون من دواعى الجنون واذا ورد من الملك الغفور طلب على يد القبور فماذا تجدى الدور والقصور وماذا تنفع الحصون

اذا التبس عليه أمره حتى يتبين له الصواب وتستوضح له الحقيقة ولايكون كالرجل الذى يحيد عن الطريق فيستمر على الضلال فلا يزداد فى السير الاجهدا وعن القصد الابعدا وكالرجل الذى تقذى عينه فلا يزال يحكها حتى ربما كان ذلك الحك سبب الذهابها ويجب على العاقل أن يصدق بالقضاء والقدر ويأخذ بالحزم ويحب للناس مايحب لنفسه ولايلتمس صلاح نفسه بفساد غيره فانه من فعل ذلك كان خليقا أن يصيبه ماأصاب التاجر من رفيقه (فانه) يقال انه كان رجل تاجر وكان له شريك فاستأجرا حانوتا وجعلا متاعهما فيه وكان أحدهما قريب المنزل من الحانوت فأضمر فى نفسه أن يسرق عدلا من أعدال رفيقه ومكر الحيلة فى ذلك وقال ان أتيت ليلا لم آمن ان أحمل عدلا من أعدالى أو رزمة من رزمى ولاأعرفها فيذهب عنائى وتعبى باطلا فأخذ رداءه وألقاه على العدل الذى أضمر أخذه ثم انصرف الى منزله وجاء رفيقه بعد ذلك ليصلح أعداله فوجد رداء شريكه على بعض أعداله فقال والله هذا رداء صاحبى ولا أحسبه الاقد نسيه وما الرأى ان أدعه ههنا ولكن أجعله على رزمه فلعله يسبقنى الى الحانوت فيجده حيث يحب ثم أخذ الرداء فالقاه على عدل من أعدال رفيقه وقفل الحانوت ومضى الى منزله فلما جاء الليل أتى رفيقه ومعه رجل قد واطأه على ماعزم عليه وضمن له جعلا على حمله فصار الى الحانوت فالتمس الازار فى الظلمة فوجده على العدل فاحتمل ذلك العدل وأخرجه هو والرجل وجعلا يتراوحان على حمله حتى أتى منزله

أو يدفع كل مكان مصون واذا آذن بالحلول ذلك الخطب المهول تود النفس لو كانت القصور الممهده والبروج المشيده أذل من أفحوص قطاه وأقل من عطش بزاه وقد قيل

قميص من القطن أوحلة * وشربة ماء قراح وقوت
ينال بها المرء مايرتجى * وهذا كثير على من يموت

واعلم أيها الخاقان ان النفس لها خادمان مطيعان مجيبان ولما تأمر به سميعان وهما الشهوة والحرص الشديد الدعوه أما الشهوة فرائد الاكل الكثير والشرب وأما الحرص فعايد الرعونة والعجب وقد قيل

فهذا يقود الى طبعه * وهذا يسوق الى ربعه

فهما ليلا ونهارا وسرا وجهارا يزينان لها ماطبعا عليه ويجذبانها الى ماجبلا اليه ويتقاضيانها حقهما ويطالبانها بحقهما ولابد للمخدوم من اقامة أود خادمه واسترضاء أنيسه ومنادمه وقد قال من أتقن المقال

ان اللبيب أخا اللبيب هو الذى * مع تيهه يحنو على عشاقه
وكذا الرئيس وأنت أكبر جنسه * من فاض فى الخدام من أرزاقه
يهتم ان حضروا له بنواله * يغتم ان غابوا على أشواقه
مع ان حشمته وفائض علمه * ترقى بكل منتهى استحقاقه

ولكن رضا هذين الخادمين غاية لاتدرك وفقد مقصودهما نهاية عميقة المسلك وقد قال سيد الانام عليه الصلاة والسلام يوما وهو بين الاصحاب كالشمس ليس دونها حجاب والبدر لايحجبه سحاب لايملأ جوف ابن آدم الا التراب والحرص مهلك والشهوة قاتله وكل منهما فى الدمار والبوار علة كامله وناهيك باذخر الحق وغيابه أخبار اللصوص الثلاثه فطلب الملك من الزاهد ايضاح هذا الشاهد (فقال) ذكر أهل الرواته أن لصوصا ثلاثه كانوا على سبيل الاشتراك متعاطين أسباب التحرم والهلاك واستمروا على ذلك مده حتى استولوا من الاموال على عده ففى بعض الليال ظفروا بجملة من الاموال ودخلوا الى مكان داثر خال بنية الاقتسام وكانوا محتاجين الى الطعام فوجدوا فى ذلك المكان الداثر صندوقا مملوأ من الجواهر ففرحوا وانشرحوا وتصوروا لاولئك الخاسرين انهم ربحوا فقالوا ان اشتغلنا بقسمة هذا المجموع كلبنا وأهلكنا كلب الجوع فاولى طلب الطعام قبل الاقتسام ولو بادنى التهام ويسير التقام ثم أرسلوا مع أحدهم الى المدينة ورقهم ليأتيهم بما يسد رمقهم فلما انفصل عن مكانهما وغاب عن أعينهما تحركت نفسه الخبيثة بشهوة أبحث تاريثه وقواها الحرص المشوم لشدة الشره الملوم ودعاه داعى الفساد الى الاستيلاء على المال بالانفراد فعزم على ختلهما فوضع فى الطعام سما لقتلهما وأما هما فعلى قتله عزما واستعدا لذلك بعدما جزما ليصير المال بينهما نصفين ويصيرا فى ذلك كالاخوين الالفين ويكون ذلك كانه وراثه لان شر الرفقاء ثلاثه ولم يدعهما الى ذلك غير داعى الشهوه وأكد ذلك داعى الحرص وأبخس بهما من دعوه فلما فصل ذلك بالاكل بادرا اليه بالقتل ثم بعدما قتلاه عمدا الى الطعام فاكلاه فبردا فى الحال وتركا ذلك المال ولحقا بصاحبهما التالف وسيبا تليد المال والطارف وانما أوردت هذه الموعظه لانها على أحوال الدهر موقظه وان كان مولانا الخاقان فى أموره يقظان لكن قد قال رب العالمين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين واعلم يامولانا الخاقان كفاك الله مكايد الشيطان وأنجح مقاصدك على ممر الزمان أن الدرجة العليه والمرتبة السنيه لاتنال بقوة ولاعزمه ولاشجاعة ولاهمه وانما هى عناية ربانيه وأسرار رحمانيه لاقوام سبقت لهم من الله الحسنى وزياده وانتظموا فى سلك أهل السعاده فهم أهل الفضل والسياده أسبغ الله عليهم سواطع الانوار وقطعهم عن قواطع الاشرار فهم السادة الاخيار والقادة الابرار قاموا باداء ماوجب عليهم وتركوا ماخلفهم واستبشروا بما لديهم فانوارهم ساطعه وأسرارهم لجميع الاوهام قاطعه تركوا زخارف هذه الدار

ورمى نفسه تعبا فلما أصبح افتقده فاذا هو بعض اعداله فندم أشد الندامة ثم انطلق نحو الحانوت فوجد شريكه قد سبقه اليه ففتح الحانوت وفقد العدل فاغتم لذلك غما شديدا وقال واسوأتاه من رفيق صالح قد استأمننى على ماله وخلفنى فيه ماذا يكون حالى عنده ولست أشك فى تهمته اياى ولكن قد وطنت نفسى على غرامته ثم أتى صاحبه فوجده مغتما فسأله عن حاله فقال انى قد افتقدت الاعدال وفقدت عدلا من أعدالك ولا أعلم بسببه وانى لا أشك فى تهمتك اياى وانى قد وطنت نفسى على غرامته فقال له يا أخى لاتغتم فان الخيانة شرما عمله الانسان والمكر والخديعة لايؤديان الى خير وصاحبهما مغرور أبدا وماعاد وبال البغى الا على صاحبه وأنا أحد من مكر وخدع واحتال فقال له صاحبه وكيف كان ذلك فاخبره بخبره وقص عليه قصته فقال له رفيقه ماهذا الا مثل اللص والتاجر فقال له وكيف كان ذلك (قال) زعموا ان تاجرا كان له فى منزله خابيتان احداهما مملوأة حنطة والاخرى مملوأة ذهبا فترقبه بعض اللصوص زمانا حتى اذا كان بعض الايام تشاغل التاجر عن المنزل فاستغفله اللص ودخل المنزل وكمن فى بعض نواحيه فلما هم باخذ الخابية التى فيها الدنانير أخذ التى فيها الحنطة وظنها التى فيها الذهب ولم يزل فى كد وتعب حتى أتى بها منزله فلما فتحها وعلم مافيها ندم فقال له الخائن ماأبعدت المثل ولاتجاوزت القياس وقد اعترفت بذنبى وخطئى عليك وعزيز على أن يكون هذا كهذا غير أن النفس الرديئة تامر بالفحشاء فقبل الرجل معذرته واضرب عن توبيخه وعن الثقة به وندم هو عندما عاين من سوء فعله وتقديم جهله * وقد وأرادوا

وأرادوا دار القرار وجوار الملك الغفار فهم الهداة الى الله الدالون على الله لا يعتريهم كدر الأوهام ولا يشتغلون عن خدمة خالقهم مدى الايام هم العباد المكرمون العباد المقربون قال الله تعالى وهو أصدق القائلين في كتابه المكنون ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون واعلم أن أعدى عدوك بين جنبيك وهي نفسك التي قط ما ركنت اليك فاعص هواها ولا تعطها مناها فان في اتباعها الندم عاجلا والحسرة آجلا لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع ولا تظن أنها اذا أعطيت مناها شكرت أو اذا ذكرتها من برأها ذكرت بل متى أمنتها كفرت أو آنستها نفرت أو أرخيت عنانها بطرت وأشرت وان نالت مطلبا أو تناولت مأربا انتقلت عنه وطلبت أعلى منه فليس لها دواء الا القمع عن دواعي الهوى كما قيل

النفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

وكما قيل أيضا

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أهملت تاقت والا تسلت

وكما قيل أيضا

قنع النفس بالقليل والا * طلبت منك فوق ما يرضيها

واياك وطول الامل فانه مفسدة للعلم والعمل قال الحكماء وعقلاء العلماء الامل شبكة الشيطان وموجب الحرمان فاجهد ما دام لك على النفس ملكه أن تخلص نفسك من هذه الشبكه ولا تهتم للاقوات فكل ما قسم ما فيه فوات وكل ما هو آت آت وكل ما رقمه القلم في القدم وأثبته قضاء الله تعالى عليك وأنت في العدم سواء كان خيرا أم شرا نفعا أم ضرا فانت ملاقيه وعلى كل حال موافيه فاقطع دواعي الطمع عمن لا يضر ولا ينفع لا عمن ان شاء ضر وان شاء نفع ولا تجتمع الامثال في الجماعات والجمع ولا تتعب لجوع وعري واكتساء وشبع فقد قيل اذا شبعت فلا تهتم للجوع فكم من شبعان مات قبل أن يجوع واذا اكتسيت فلا تهتم للعريه فكم من مكتس مات وثيابه جديدة مطويه واعلم أن طبع الدنيا بالمخالفه كانها على المخالفة مخالفه فاذا صممت عنها يدك اليك أقبلت عليك وجاءت تهوي تحت قدميك واذا طلبتها هربت منك وكلما ارتبطت اليها انحلت عنك وقد قيل أيها الملك الجليل

مثل الرزق الذي تطلبه * مثل الظل الذي يمشي معك
أنت لا تدركه مستعجلا * واذا وليت عنه تبعك

ثم اعلم أيها الخاقان انك وان كنت ذا التصرف والسلطان وأن هذه الخلائق رعيتك نافذة فيها مراسيمها منيتك الا أنك في الحقيقة واحد منهم لا تزيد بشيء في الذات والصفات عنهم ولكن الله القديم العالم الحكيم سلطان السلاطين بل خالق الاولين والآخرين رفعك عليهم وتقدم بامره أن يطيعوك اليهم ثم فقال من له الخلق والامر أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر فهم قد أذعنوا لك وأطاعوك فراعهم كما هم مراعوك واطلب لهم اسنى المراعي وأبهاها وأوردهم أعذب المشارب وأصفاها فان الملك الذي سلمهم اليك سوف يتقدم بالسؤال عنهم اليك وقد قال من أنت خليفته على أمته كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فكن لهم كما تريد أن يكونوا لك ودن لهم كما تحب أن يدينوا لك واعلم أيها الملك الودود أن هذه النقود ان لم تصرف في مصارفها وترفل في وجوه الطاعة في مطارفها فانها سجر يضرم في نار جهنم كما قال من يقول للشيء كن فيكون يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون فاسمع أيها الملك الصالح نصيحة مشفق ناصح ولا تغتر بالدنيا وزهرتها ولا تنظر الى حلاوتها وخضرتها واياك والميل الى نزهتها ونضرتها فانك ان ملت اليها أسرتك أو جبرتك على الركون اليها كسرتك وحسبك من كلام الرب الغفور ومن بيده مقاليد الامور ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (قال) الراوي لهذه الحكم والفتاوى فلما وعى ما قال الختن هذه النصائح الصادقة من الختن أمر بها فسطرت ثم نشرت وشهرت

ينبغي للناظر في كتابنا هذا أن لا تكون غايته التصفح لتزويقه بل يشرف على ما يتضمن من الامثال حتى يأتي الى آخره ويقف عند كل مثل وكلمة ليعمل فيها ويتبعه ويكون مثل الاخوة الثلاثة الذين خلف لهم أبوهم المال الكثير فتنازعوه بينهم فاما الاثنان الكبيران فانهما أسرعا في اتلافه وانفاقه في غير وجهه وأما الصغير فانه عندما نظر ما صار اليه أخواه من اسرافهما وتخليهما من المال أقبل على نفسه يشاورها وقال يا نفسي انما المال يطلبه صاحبه ويجمعه من كل وجه لبقاء حاله وصلاح معاشه ودنياه وشرف منزلته في أعين الناس واستغنائه عما في أيديهم وصرفه في وجهه من صلة الرحم والانفاق على الولد والافضال على الاخوان فمن كان له مال ولا ينفقه في حقوقه كان كالذي يعد فقيرا وان كان موسرا وان هو أحسن امساكه والقيام عليه لم يعدم الامرين جميعا من دنيا تبقى عليه وحمد يضاف اليه ومتى قصد انفاقه على غير الوجوه التي علمت لم يلبث أن يتلفه ويبقى على حسرة وندامة ولكن الرأي ان أمسك هذا المال فاني أرجو ان ينفعني الله به ويغني اخوتي على يدي فانما هو مال أبي ومال أبيهما وان أولى الانفاق على صلة الرحم وان بعد فكيف باخوتي فانفذ فاحضرهما وشاطرهما في ماله وكذلك يجب على قارئ هذا الكتاب أن يديم النظر فيه من غير ضجر ويلتمس جواهر معانيه ولا يظن أن نتيجته الاخبار عن حيلة بهيمتين أو محاورة سبع لثور فينصرف بذلك عن الغرض المقصود ويكون مثله مثل الصياد الذي كان في بعض الخلجان يصيد فيه السمك في زورق فرأى ذات يوم في أرض الماء صدفة تتلألأ حسنا فتوهمها جوهرا

وعلى المنابر قرئت وعلى رؤس الاشهاد ذكرت وأبلغها ابنته وقرر لها مقدار زوجها وحكمته وميله عن الدنيا ورغبته فقالت هذا الذى كنت أردته وعلى مسامع مولانا الخاقان سردته ثم انها أقبلت على طاعة ربها وبعلها واصلاح أحوالها فى قولها وفعلها وقضيا عمرهما فى أنواع العباده واكتسبا بطاعتهما فى الدارين الحسنى وزياده ثم اقتدى بهما الملك وعسكره حتى انتشر فى آفاق المملكة بالعدل والصلاح خبره الى أن اندرج الى رحمة الله تعالى ذلك الرعيل وبقى ذكره مخلدا على صفحات الايام جيلا بعد جيل وقد قيل فى ذلك من أحسن القيل

كانوا شموسا تضىء الدهر طلعتهم * وفى طريق المعالى يقتدى بهم

غابت فلولا سناهم كالبدور اضا * من بعدهم تاه أهل الفضل فى الظلم

هكذا يكون طالب السعادة الابديه والكرامة السرمديه اذا ملكه الله زمام الرعيه يحسن سيره فى الدنيا ويتيقظ لتحصيل السعادة الكبرى ويشتغل بما يرضى عنه المولى وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (تمت بحمد الله تعالى) نوادر ملوك العرب والعجم والاتراك ويلى ذلك مباحث زاهد الانس العالم مع شيطان الجن الآثم الافاك ونسأل الله المسؤل أن يحقق لنا من كرمه واحسانه المأمول ويعصمنا بفضله من عثرات الفضول والصلاة والسلام على أعظم نبى وأكرم رسول وعلى آله وأصحابه وأكرم بالصديق والفاروق وذى النورين وزوج البتول واخوانه من الانبياء والمرسلين صلاة وسلاما يشملان العفو عنا والقبول ويمن بالكرم والفضل على قطوعنا بالوصول آمين والحمد لله رب العالمين

(الباب الرابع فى مباحث عالم الانسان مع العفريت جان الجان)

(قال) الشيخ أبو المحاسن من ماء ينابيع علمه فى مجارى بدن الفضل غير آسن فلما أنهى الحكيم حسيب ذو الفضل النسيب حكاية ماطرزه مما نسجه وحاك وفصله خياط تقديره على قامة الجسد من خلع حكم العرب والعجم والاتراك شكره أخوه القيل على هذا القيل وأفاض عليه من نيل نواله جزيل النيل وأدرك من ذلك الانموذج علو علمه وسمو حلمه وجميل حكمه وجليل حكمه ثم قال يا أستاذ بلغنى أن ببغداد خرج منها خارج من نار مارج وهبط الى مدارك الخزى عن المعارج وأصل ذلك المشوم من عفريت خلق من نار السموم وان شخص ذلك الشيطان جبل من سخام الدخان فلهذا ركب وجهه السواد وتركب سائر جسده من الرماد فهو جنى ذميم وشيطان رجيم وقد شرع ذلك الخناس فى الافساد والوسواس وتعاطى ابداء أكابر الناس وأنه فى هذه الايام نفى الى بلاد الشام فلم يوافقه ذلك المقام لانه مهاجر الانبياء الكرام وهذا مجبول على سجايا اللئام وطباع أهل الفساد والاجرام فاقام فيها بالاضطرار والاضطرام مدة أشهر وعدة أعوام وأخذ فى الاضلال والتضليل فاضل خلقا كثيرا عن سواء السبيل وتستر ذلك الجان بحجاب الانتساب الى جنس الانسان ولبس بشق العصا ثوب العصيان فكمن كمون الشوك تحت ورق الورد والريحان واحتمى فى حمى الشقاق والنفاق بشقائق النعمان والحق انه من نسل العفاريت وكان عند الجن مقيله والمبيت ومن ألبانهم له غذاء وتربيت فقال له الملك هديت ووقيت فان يكن عندك من ذلك شئ فشنف من جواهر حكمه أذنى فانك حكيم الجن والانس وكريم النوع والجنس (قال الحكيم) نعم أيها الملك العظيم أنا جهينة الاخبار ومزينة الاخيار وحكم الحكم ولى فى البيان أعلى علم أما هذا الشخص المذكور فانه بالفسق والفساد مشهور وورق شره فى البلاد منشور وكتاب عناده بين العباد مسطور وبيت جسده لنعم الله تعالى على خلص أوليائه بالفجور معمور وله صفات تعيسه وأخلاق خسيسه تأنف مردة الشياطين منها وتستنكف العفاريت عنها وكم له من دواهى شرها غير متناهى لا يفى بذكرها هذا الخطاب ولا يتسع سردها هذا الكتاب بل ولا يقوم بذلك دفتر ولا حساب

له قيمة وكان قد أتى شبكته فى البحر فاشتملت على سمكة كانت قوت يومه فخلاها وقذف نفسه فى الماء ليأخذ الصدفة فلما أخرجها وجدها فارغة لا شئ فيها مما ظن فندم على ترك (٤٤) ما فى يده للطمع وتأسف على ما فاته فلما كان فى اليوم الثانى تنحى عن ذلك المكان وأتى شبكته فاصاب حوتا صغيرا ورأى أيضا صدفة سنية فلم يلتفت اليها وساء ظنه بها فتركها فاجتاز بها بعض الصيادين فاخذها فوجد فيها درة تساوى أموالا وكذلك الجهال على اغفال أمر التفكر والاغترار فى أمر هذا الكتاب وترك الوقوف على أسراره ومعانيه والاخذ بظاهره دون الاخذ بباطنه ومن صرف همته الى النظر فى أبواب الهزل كرجل أصاب أرضا طيبة حرة وحبا صحيحا فزرعها وسقاها حتى اذا قرب خيرها وأينعت تشاغل عنها بجمع ما فيها من الزهر وقطع الشوك فأهلك بتشاغله ما كان أحسن فائدة وأجل عائدة (وينبغى) للناظر فى هذا الكتاب ان يعلم انه ينقسم على أربعة أغراض أحدها ما قصد فيه الى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة ليسارع الى قراءته أهل الهزل من الشبان فتستمال به قلوبهم لانه الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات (والثانى) اظهار خيالات الحيوانات بصنوف الاصباغ والالوان ليكون انسا لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة فى تلك الصور والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الايام ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبدا (والغرض الرابع) الاقصى وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة انقضى باب غرض الكتاب

ولكن البعرة تدل على البعير فقس من هذا التقدير الكثير على اليسير وقد كان أراد نشر الفساد ببلاد العراق وبغداد فعاكسه القدر وأحاد فنفى من تلك البلاد فوصل ارم ذات العماد وتعاطى أسباب ماهو عليه من الزندقة والالحاد فاثار أصناف الفتن وأنواع العناد وابتدع من الشر والبدع مايخرج عن حصر التعداد وهو على ماهو عليه من المناكدة والمجاحده وقصده الاعوج من تعديل أقوال الرافضة والملاحده وسيوضع لذلك مصنف منسج على حده ولقد بلغنى أيها الملك الهمام أنه حصل له فى ذلك المقام مع عالم من علمائها الاعلام قضايا كبته على خيشومه وأظهر بها ذلك العالم دسائس خبثه وشومه مثل ما اتفق لعالم الانسان مع شيطان العفاريت وجان الجان فى غابر الدهر وماضى الزمان فقال القيل العظيم أخبرنا بذلك أيها الحسيب الكريم فقال ذكر أن فى الازمان الغابره كانت صنوف الجن للانس ظاهره تتراءى باشكال مختلفه وتتزيا بامثال غير مؤتلفه وتظهر لهم الخيالات العجيبه والصور المموهة الغريبه فتضلهم ضلالا مبينا وتأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم شمالا ويمينا وتخاطبهم مشافهه وتوافيهم مواجهه ففى بعض الايام ظهر ببلاد الشام مهبط الوحى ومهاجر الانبياء الكرام ومحط رحال الرجال من أهل الفضل والافضال رجل من العباد وأفراد الزهاد فاق الاقران بالصلاح وساد أهل الزمان بالورع والفلاح وحاز طرفى العلم والعمل فكمل كثيرا منهم بعدما كمل واستمر يدعو الخلق الى خالقهم ويحثهم فى الانابة والتوكل على رازقهم ويرضونه ويرضيهم فى الطاعه واتباع السنة والجماعه ويقبح الدنيا فى أعينهم ويحذرهم غدارتها فى مكمنها عند مأمنهم وكان لنفسه المبارك نقوش فى النفوس يجذبها الى ما يريد جذب الحديد المغناطيس ففى مدة يسيره تبعه طوائف كثيره وانتشر صيته الى الآفاق وصفا للعباد وقت الطاعة وراق وضربت اليه أكباد الابل وامتلات به الدنيا من العلم والعمل واضطرب أمر المرده والشياطين الغنده وتعطلت أسواق الفسوق وخرج عرق المعاصى من العروق وتخملت العفاريت وتنكست أعلام الجن المصاليت وضل سبيل الضلال كل مارد خريت وبطلت زخارفهم وتمويهاتهم وعطلت وساوسهم وتشويهاتهم وأهانهم الناس وكسد الوسواس وفسد فعل الخناس فلما ضل سعيهم وكاد يقع نعيهم اجتمع العفاريت العتاه والشياطين الطغاه والمردة العصاه الى ابليسهم العنيد وهو شيطان مريد صورته من أقبح الصور له أظلاف كاظلاف البقر ووجه كالتمساح وشكل كالرماح وخرطوم طويل ورأس كالفيل وعيون مشققة بالطول وأنياب كانياب الغول وشعر كالشيهم وجلد كالارقم وهو يلهث كالكلاب ومن ورائه عدة ذئاب فشكوا اليه حالهم وأطالوا فى الشكوى قالهم وقالوا ياشيخ التلبيس وابن عم ابليس لقد عمرت المدارس وبطلت منها الوساوس وتعمرت المساجد بكل راكع وساجد وقائم وقاعد وقارئ وجاهد فطرد كل شيطان مارد وتمشى سنن الحلال فوقف منا الاحتيال وأمر بالمعروف فوقعنا على الامر المخوف وكثرت الحجاج فتقطعت منا الاوداج وأديت الزكوات والحقوق فطرد منا كل عقوق وقام الحق فنام الفسق وعبد الله فى المغارات والكهوف واستد علينا السبيل فعلى من نطوف ولم يبق لنا على بنى آدم سلطه وصرنا فى بحارهم أقل من نقطه وعند جهرهم باذكارهم أذل من ضرطه لاوساوسنا تؤثر فى أفكارهم ولا مجالسنا تعطل من أذكارهم ولا تخيلاتنا تتراءى لابصار أسرارهم فان استمر الحال على هذا المنوال لا يبقى لنا فى الدنيا مقام ولا بين الجن والانس كلام (فلما وعى) العفريت فحوى هذه الشكوى وتأمل مافى مطاويها من نازلة أحاطت بهم وبلوى اشتعلت نيران غضبه وتأججت شواظات لهبه ثم قال أمهلونى أتاوى واتركونى أتلوم وأتروى وأفتكر فى هذه البليه وأكشفها عن جليه فان الامور لاتنتج لعانيها مالم يتأمل من فراغها فى جوانبها ونواحيها وتحقيق المسائل انما يوجد من محكميها وحاكميها * وكان هذا

(باب برزويه ترجمة بزرجمهر بن البختكان) (قال برزويه) رأس أطباء فارس وهو الذى تولى انتساخ هذا الكتاب وترجمه من كتب الهند وقد مضى ذكر ذلك من قبل فيما مضى ان أبى كان من المقاتلة وكانت أمى من عظماء بيوت الزمازمة وكان منشئى فى نعمة كاملة وكنت أكرم ولد ابوى عليهما وكانا بى أشد احتفاظا من دون اخوتى حتى اذا بلغت سبع سنين اسلمانى الى المؤدب فلما حذقت فى الكتابة شكرت أبوى ونظرت فى العلم فكان أول ما ابتدأت به وحرصت عليه علم الطب لانى كنت عرفت فضله وكلما ازددت منه علما ازددت فيه حرصا وله اتباعا فلما همت نفسى بمداواة المرضى وعزمت على ذلك أمرت نفسى ثم خيرتها بين الامور الاربعة التى يطلبها الناس وفيها يرغبون ولها يسعون فقلت أى هذه الخلال ابتغى فى علمى وأيها أحرى بى فادرك منه حاجتى المال أم الذكر أم اللذات أم الآخرة وكنت وجدت فى كتب الطب ان أفضل الاطباء من واظب على طبه لايبتغى الا الآخرة فرأيت ان أطلب الاشتغال بالطب ابتغاء الآخرة لئلا أكون كالتاجر الذى باع ياقوتة ثمينة بخرزة لا تساوى شيأ مع انى قد وجدت فى كتب الاولين ان الطبيب الذى يبتغى بطبه أجر الآخرة لايمنعه ذلك حظه من الدنيا وان مثله مثل الزارع الذى يعمر أرضه ابتغاء الزرع لا ابتغاء العشب ثم هى لامحالة نابت فيها ألوان العشب مع يانع الزرع فاقبلت على مداواة المرضى ابتغاء أجر الآخرة فلم أدع مريضا أرجو له البرء وآخر لا أرجوله ذلك الا انى أطمع أن يخف عنه بعض المرض الا بالغت فى مداواته ما أمكننى القيام عليه بنفسى ومن لم أقدر على القيام عليه

العفريت العاتي المارد الغير المواتي تحت يده وأمره من مقتبسي تلبيسه ومكره والشياطين المردة وأغوال العفاريت العنيده طوائف شتى وأمم لاتحصى وممن فاقهم في المكر والمراء أربعة أشخاص كبراء وزراء كل منهم في الشيطنة والمواسه ومعرفة طرق الوسوسه كأبي علي بن سينا في علم الهندسه غاية لاتدرك ونهاية لاتستدرك فاجتمع هذا الغول بوزرائه ورؤساء أشياعه وكبرائه ثم قال لهم أفتوني في امري وساعدوني على فكري وسكري ووجه الخطاب لكبيرهم الذي علمهم السحر المشار اليه في الدهاء والمكر وقال له مارأيك في هذه القضيه والمواقف الرديه والداهيه الدهية فقال الوزير يامولانا الامير وصاحب المكر والتدبير ان العقلاء وذوي التجارب من الحكماء تفرسوا بأمر قاطع من الوقائع القواطع فقالوا شيآن لابقاء لهما الروح في الجسد والسعد في الطالع وهذا هو الصواب ولكل أجل كتاب ومادام الاجل باقيا والسعد راقيا ومنادم السلامة ساقيا وحافظ العوارض واقيا لاينفع الجد ولايدفع الجد ولا يرفع الجهد ما أثبت السعد فاذا تم الاجل وبطل من السعد العمل انتكس السعد وانقلب وفارقت الروح بلا سبب واذا كان كذلك فهذا الرجل الناسك سعده عال وطالعه في اقبال فكل سهم مكر فوقناه الى نحو حياته يعود علينا وكل رمح فكر صوبناسنانه الى شاكلة بقائه يرجع الينا فالرأي عندي أن نتربص حتى تدور به الدوائر ولانهتم باحتيال محتال ولامكر ماكر الى أن تنقضي مدته ويسقط من سعد طالعه قوته فعند ذلك يفيد سعينا ولايضيع كدنا (فقال) العفريت للوزير الثاني ياأفضل جاني أنت ماذا تقول وكيف تشير أن نصول في ميدان هذا الامر ونجول فقال رأي مولانا الوزير سديد وكل ما أشار به فهو أمر مجيد ولكن كيف نهمل أمر العدو ونركن مع وجوده الى قرار وهدو واذا كان طالعه في قوة فاهماله يزيد في قوته والتهاون في أمره مساعدة في معاونته ومعاونة في مساعدته وهذا من سلامات العجز والانكسار ومن أقوى الادلة في الانحطاط والصغار وان رب الارباب وضع عالم الكون والفساد على الاسباب فلابد من تعاطيها في هذا الباب وبذل المجهود في معاملات الاعداء والاحباب ولم يقتصر الشارع على التقدير والطالع اذ فيه حسم مادة الشرائع والتعرض لابطال حكم الصانع فعندي أن نبذل الجهد في حسم مادتهم ونتعاطى كسر شوكتهم وبذل الجهد والجد بما تصل اليه اليد وثبات الاقدام في اثبات الاقدام كما قال الشاعر وهو سلم الخاسر في ثبت الجاسر

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

وهذا الشاعر المسمى أخذه من أخينا بشار الاعمى من لنا بوجوده أنس وهو شيطان الانس حيث يقول ذلك الغول

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاعزموا على هدم ما يبنون وصدم ما يعنون والاخذ في تمزيق جلدتهم وتفريق كلمتهم اذ لا اطلاع لنا على مساعدة الطالع ولاحد لبقاء الاجل فضلا عن أن نقول هذا الحد جامع أومانع وهذا الرأي عندي أولى ورأيك يارئيس التلبيس أعلى ودونك ياغول هذا القول

اذا كانت الاعداء غلافا آتهم * اذا لم تطأهم أصبحوا مثل ثعبان

ومن هذا المقال ياأبا الاغوال

واللص ليس له دليل سائر * نحو الذي يبغي كنوم الحارس

(والاصل) في هذا كله حسم مادتهم وردجاذتهم وذلك باهلاك مرشدهم وافساد زاهدهم فان قدرنا على اهلاكه وتمزيق حباله واشراكه تشتت شملهم وتبتت حبلهم وقلهم (فقال) العفريت للوزير الثالث وكان أنحس عابس قل لي أيها الوزير ماسنح لك من التدبير في هذا الامر المبير والخطب الخطير وماذا ترى فيه وتشير فقال لاشك أن الطباع تميل الى ماتسمعه ومايلقى الى النفس لابد أن يؤثر موقعه وما أشار به ردبوه الوزيران وهما نعم المشيران فهو لايخلو عن فوائد بل هو محل بعقود الفرائد واني لاعلم انه

وصفت له ما يصلح وأعطيته من الدواء ما يتعالج به ولم أرد ممن فعلت معه ذلك جزاء ولا مكافأة ولم اغبط أحدا من نظرائي الذين هم دوني في العلم وفوقي في الجاه والمال وغيرهما مما لايعود بصلاح ولاحسن سيرة قولا ولا عملا ولما تاقت نفسي الى غشيانهم وتمنت منازلهم أثبت لها الخصومة فقلت لها يانفس اما تعرفين نفعك من ضرك ألا تنتهين عن تمني مالا يناله أحد الاقل انتفاعه به وكثر عناؤه فيه واشتدت المؤنة عليه وعظمت المشقة لديه بعد فراقه يانفسي اما تذكرين مابعد هذه الدار فينسيك ماتشرهين اليه منها الا تستحين من مشاركة الفجار في حب هذه العاجلة الفانية التي من كان في يده شئ منها فليس له وليس بباق عليه فلا يألفها الا المغترون الجاهلون يانفس انظري في أمرك وانصرفي عن هذا السفه واقبلي بقوتك وسعيك على تقديم الخير واياك والشر واذكري ان هذا الجسد موجود لآفاته وانه مملوء اخلاطا فاسدة قذرة تعقدها الحياة والحياة الى نفاد كالصنم المفصلة اعضاؤه اذا ركبت ووضعت يجمعها مسمار واحد يشد بعضه بعضا فاذا أخذ ذلك المسمار تساقطت الاوصال يانفس لاتغتري بصحبة أحبائك وأصحابك ولاتحرصي على ذلك كل الحرص فان صحبتهم على مافيها من السرور كثيرة المؤنة وعاقبة ذلك الفراق ومثلها مثل المغرفة التي تستعمل في جدتها لسخونة المرق فاذا انكسرت صارت وقودا يانفس لايحملنك أهلك وأقاربك على جمع ماتهلكين فيه ارادة صلتهم فاذا أنت كالدخنة الارجة التي تحترق ويذهب آخرون بريحها يانفس لايبعد عليك أمر الآخرة فتميلي الى العاجلة في استعجال القليل

اثر

أثر فى الخواطر كما يؤثر فى الرياض السحب المواطر وبالجملة فالكلام تأثير فى النفس كما تظهر آثاره فى الحس ولهذا ترى رقيق الشعر يفعل ما لا يفعله دقيق السحر وجليل العباره فيه من الاثاره ما يشجع الجبان وينشط الكسلان ويسخى البخيل وينجى الذليل ويسحر الارواح ويسخر الاشباح ويعطف القلوب ويؤلف بين المحب والمحبوب ويصير العدو صديقا وغليظ الاحرار رقيقا وتأمل بابنيه ما قيل فى البديه حديث اذا نادمت دهرى انثنى

وكف عن الايذا وعاد الى الاخا *
أذكره أخلاق مالكه الذى * تعلم منه العلم والحلم والسخا
أنال به ما لا ينال بقوة * وأرواح أشباح أتت بعد ما شخا *

وهذه قضيه تحتاج الى اعمال الرويه وامعان النظر وتدقيق الفكر وعندى الرأى السعيد السديد والفكر الجيد المجيد ان التعرض الى هذا الرجل الدين الداعى الى طريق الحق المبين ليس بمحمود ولا طالع قاصده بمسعود فانه على الحق متشبث باذيال الصدق ومن قصد مصادمة الحق اصطدم وفى مهاوى الهلاك ارتدم وقد كان فى بنى اسرائيل رجل من أهل التبجيل عاملا بالتوراة والانجيل مشغولا بالعباده باذلا فى اقامة الحق اجتهاده فتعرض له جماعه من أهل الفسق والخلاعه فتعاطوا اهلاكه وتجمعوا به اساكه فقتلوه بغير حق فغار له الدين ورق فاخبرنى من لا يتهم بكذبه أنه قتل سبعمائة ألف نفس بسببه فذهب بسبب ذلك الصالح من بنى اسرائيل الصالح بالطالح ومن كان مع الحق هاديا الى الصدق فان الله تعالى معه ومن كان الله معه منعه وحرسه وما ضيعه ومن تصدى لضياع ما حفظ الله وعزم على ابتذال من أعزه مولاه وكلاه فقد قصد خراب عمره وعمارته وباع رأس مال تجارته وربحه بخسارته وجنى بيده على نفسه وحفر بيد تدبيره مهواة رمسه واسمع يا نعم العون ما جرى لمؤمن آل فرعون حيث كان على السداد داعيا الى سبيل الرشاد وقصدا اهلاكه أهل الفساد فقال وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فغلبوا هنالك وانكسروا وأيضا وقاه الله سيآت ما مكروا وأيضا لو قتلنا هذا الرجل وكان على أيدينا له حمام الاجل فلا شك أنه يقوم مقامه من يلم عظامه ويزم زمامه ويحيى بعده أيامه فيقيم شعاره ويكتب ما قدم وآثاره فان تلامذته كثيره وطوائف جماعاته غزيره فينتظم لهم بعده الامر ولا يضرم الا من كيدنا الجمر واذا علموا أن ذلك منا واشتهر ذلك الكيد عنا أخذوا منا حذرهم وصوبوا الينا عداوتهم ومكرهم ثم عملوا على استئصالنا واستعدوا لقتالنا لانا أهلكنا معتقدهم وهدمنا عمادهم ومعتمدهم ولا يمكننا بعد ذلك طلب المسالمة والسلامه وتستمر العداوة بيننا وبينهم الى يوم القيامه مع ان عداوتنا قديمه وبالجملة فعاقبة من عادى أولياء الله وخيمه اذا تقرر هذا القول وثبت بطريق المعقول فاعلم أيها الغول والشيطان المهول أن الرأى الصواب فى هذا المصاب أن نبادر الى هذا الرجل وجماعته بافساد طاعتهم وطاعته وحيث لا يتيسر لنا المواجهه ولا الخطاب والمشافهه ولا الاضلال فى الظاهر بصورة المتجاهر فنزين لهم حب الدنيا وشهواتها والميل الى زينتها ولذاتها والركون اليها والاعتماد عليها ونلقى اليهم طول الامل وبعد الاجل فنثبطهم بذلك عن العمل وندعوهم الى التهاون والكسل ثم بعد ذلك نجلو خدود عرائس الحرص على أبصار أفكارهم ونقود موانس الشح وحب المال على أعين خيالاتهم وبصائر أسرارهم فاذا ذاقت ألسنة عقولهم حب الدنيا وتمكنت فى أدمغة سويدائهم الرغبة فى الآباء والابناء سلبوا حلاوة الطاعه وتفرقت منهم الجماعه وزاغوا عن الطريق الاقوم وراغوا عن السبيل الأمم فنتوصل اذ ذاك منهم الى مقاصدنا ونوقعهم كيفما اخترنا فى مصايد مراصدنا لانهم هبطوا من سماء المنازعة الى الارض واهلكوا بايديهم أنفسهم اذ بغى بعضهم على بعض فتحاسدوا وتحاشدوا وتدابروا وتفاخروا وتكالبوا وتضاربوا وتواثبوا وتجانبوا وتناهبوا وتسالبوا وتلاسبوا وتقابلوا

يبيع الكثير باليسير كالتاجر الذى كان له ملء بيت من الصندل فقال ان بعته وزنا طال على فباعه جزافا بأبخس الثمن وقد وجدت آراء الناس مختلفة وأهواءهم متباينة وكل على كل راد وله عدو ومغتاب ولقوله مخالف فلما رأيت ذلك لم أجد الى متابعة أحد منهم سبيلا وعرفت انى ان صدقت أحدا منهم لا علم لى بحاله كنت فى ذلك كالمصدق المخدوع الذى زعموا فى شأنه ان سارقا علا ظهر بيت رجل من الاغنياء وكان معه جماعة من أصحابه فاستيقظ صاحب المنزل من وطئهم فعرف امرأته ذلك فقال لها رويدا انى لاحسب اللصوص علوا على البيت فايقظينى بصوت يسمعه اللصوص وقولى الا تخبرنى أيها الرجل عن أموالك هذه الكثيرة وكنوزك العظيمة فاذا نهيتك عن هذا السؤال فالحى عن بالسؤال ففعلت المرأة ذلك وسألته كما أمرها وأنصتت اللصوص الى سماع قولهما فقال لها الرجل أيتها المرأة قد ساقك القدر الى رزق واسع كثير فكلى واسكتى ولا تسالى عن أمر ان أخبرتك به لم آمن أن يسمعه أحد فيكون فى ذلك ما أكره وتكرهين ثم قالت المرأة اخبرنى أيها الرجل فلعمرى ما بقربنا أحد يسمع كلامنا فقال لها فانى أخبرك انى لم أجمع هذه الاموال الا من السرقة قالت وكيف كان ذلك وما كنت تصنع قال ذلك العلم أصبته فى السرقة وكان الامر على يسيرا وأنا آمن من أن يتهمنى أحد أو يرتاب فى قالت فاذكر لى ذلك قال كنت اذهب فى الليلة المقمرة أنا وأصحابى حتى أعلو دار بعض الاغنياء مثلنا فانتهى الى الكوة التى يدخل منها الضوء فارقى بهذه الرقية وهى شولم شولم سبع مرات واعتنق الضوء فلا يحس بوقوعى أحد فلا أدع مالا ولا متاعا الا أخذته ثم أرقى بتلك

الرقية سبع مرات واعتنق الضوء فجذبني فأصعد الى أصحابي فمضى سالمين آمنين فلما سمع اللصوص ذلك قالوا قد ظفرنا الليلة بما نريد من
المال ثم انهم أطالوا المكث حتى ظنوا أن صاحب الدار وزوجته قد هجعا فقام قائدهم الى مدخل الضوء وقال شولم شولم سبع
مرات ثم اعتنق الضوء لينزل الى أرض المنزل فوقع على أم رأسه منكسا فوثب اليه الرجل بهراوته وقال له من أنت قال أنا المصدق المخدوع المغتر بما لا يكون أبدا وهذه ثمرة رقيتك * فلما تحرزت من تصديق ما لا يكون ولم آمن ان صدقته أن يوقعني في مهلكة عدت الى طلب الاديان والتماس العدل منها فلم أجد عند أحد ممن كلمته جوابا فيما سألته عنه فيها ولم أر فيما كلموني به شيأ يحق لي في عقلي أن أصدق به ولا أن أتبعه فقلت لما لم أجد ثقة آخذ منه فالرأي أن الزم دين آبائي وأجدادي الذي وجدتهم عليه فلما ذهبت ألتمس العذر لنفسي في لزوم دين الآباء والاجداد لم أجد لها على الثبوت على دين الآباء طاقة بل وجدتها تريد أن تتفرغ للبحث عن الاديان والمسئلة عنها والنظر فيها فهجس في قلبي وخطر على بالي قرب الاجل وسرعة انقطاع الدنيا واعتباط أهلها وتخرم الدهر حياتهم ففكرت في ذلك وقلت اما أنا فكأني الرجل الذي زعموا أنه علق بامرأة ذات بعل وأن تلك المرأة حفرت له سربا من بيتها الى الطريق وجعلت باب ذلك السرب
عند جب الماء وفعلت ذلك تخوفا من بعلها أو غيره ممن تخافه فتكون اذا ارتابت من أحد تخرج الرجل من ذلك
السرب فاتفق ذات يوم ان الرجل كان عندها وبلغها أن زوجها بالباب فقالت للرجل على عجل منها وخيفة بادر اخرج من السرب الذي عند

وتقاتلوا وتفرقوا وتمزقوا وتحرقوا وتفرقوا وانحاز كل منهم الى ناحيه واعجب كل برأيه فلا تعرف منهم
الفرقة الناجيه اذ تفرقت أهواؤهم وتصادمت آراؤهم وجذبت أغراضهم الى الانحناء وجلبتهم
أمراضهم مع الاهواء ومال كل منهم الى صوب وأيس منهم الى الصواب الاوب وتعدد الخلق الذمي ولبس
كل لصاحبه جلد النمر ثم بعد ذلك زلوا وأزلوا وضلوا وأضلوا فمكنا فيهم كما نريد وتصرفنا فيهم تصرف
السادات في العبيد وسلطنا عليهم دواعي الغضب والشره ولعبنا بشيوخهم لعب الصبيان بالكره فنصوب
لهم أقوالهم ونزخرف لهم أفعالهم كما قال من خلقهم وأحوالهم وزين لهم الشيطان أعمالهم ولا نقصد
بذلك الا كبراءهم وفضلاءهم وعلماءهم وزهادهم ورؤساءهم وحكامهم وحكماءهم ولا نفتتر عن
مكايدتهم ولا نميل عن مكايدتهم ونجري في عروقهم ونسكن في فروقهم ونحركهم في رعودهم وبروقهم
فان تحركوا الى الخير سكناهم وان سكنوا عن شر حركناهم وان عزموا على الآخرة صددناهم وان جزموا
الى مواطن رددناهم وان أموا مفسدة قدناهم أو هموا الى معصية سقناهم ولا بد لهذا العمل الكثير من
تأثير وليبدو جد في المسير أن يصير وبالجملة فنبذل في كل عامة جهدنا وجدنا ولا غضاضة في ذلك علينا لانه
صنعة أبينا وجدنا وقد أخبر بذلك جدنا اللعين لما خالف رب العالمين كما أخبر في الكتاب المبين في قوله
فبعزتك لاغوينهم أجمعين فاذا رآهم الناس وقع بينهم الباس حصل لهم منهم اليأس وتراجعوا
عنهم وهربوا منهم وفسد اعتقادهم فيهم بل قتلوهم بايديهم فاذا ظهر فسوقهم وكسد سوقهم فان شئنا
أوقفنا حالهم وان رمنا الى الهلاك نسوقهم وأوثق ما يتصل به اليهم من الاسباب هي حالة الانفراد
والاعجاب وحالة الاجتماع للكذاب فان الاعجاب يهوي في النار والكذب يخرب الديار * وناهيك قضية
التاجر مع عبده الكذاب الفاجر فسأله شيخ الجن عن بلية ذلك القن (فقال) وورد في الخبر عن شخص
معتبر قال كان بمكان تاجر ذو مال وزوجة ذات جمال كل يهوى صاحبه ويرعى جانبه ويفديه بروحه
ويترشف رضابه في غبوقه وصبوحه كأنهما زوج حمام وفي بدنام ففي بعض الايام قال أحدهما
لرفيقه وهو يرشف من كأس عقيقه شهد رضابه بخمرة ريقه لو كان لنا عبيد يتعاطى ما لنا من حاجة
ويخلصنا من جملة عمرو وزيد فذهب التاجر الى سوق الرقيق فوجد مع النخاس عبدا اذا قدر شيق
ينادي عليه أبيعه بكذا على ما فيه من أذى فقال وما عيبه قال كذبه لا على الدوام وانما هو مرة في كل
عام فقال عيب هين وشين لين فاشتراه وأتى به الى داره وارتضاه فاستمر في خدمته حسنه حتى أتى عليه
سنه ونسي سيده عيبه وأمن ريبه وجرب بالامانة يده وبالطهارة جيبه فلما مضى عليه عام كان سيده
في الحمام فاتى البيت في بعض الحوائج في صورة الجمل الهائج شاهقا باسراسا ناثرا صارخا واويلاه
واسيداه وامولاه فسئل مالك لا أحسن الله حالك ولا أنعش بالك فقال رمح البغل بسيدي فاتما لك أن
نهالك وسلم الروح لخالقها وقال لوارثه تسلم مالك فأقيم العزاء والسخام وتركهم وأتى للحمام
وهو يبكي وينوح ويصرخ ويصيح فسأله مولاه ما دهاه فقال وقع البيت على كل من أويت ولم
يبق في الدار نافخ نار فهلك الكبير والصغير ونهب ما فيهما من جليل فيهما وحقير فخرج وهو يستغيث
من حديث ذلك الخبيث فوجد أهل البيت سالمين ورأوه من الناجين فعزم على خباطه فذكره
ما سلف من اشتراطه ثم انه استقام ونسي هذا الكلام ومضى عليه عام فاستأنف ذلك الخبيث أمر
العبيث وقال لامرأة مولاه يا هنتاه ان كنت نائمة فاستيقظي وخذي حذرك وتيقظي واعلمي أن نيه
صاحبك أن يلقي حبلك على غاربك لانه قد عشق عليك ونبذ حبل حلك اليك وتعلق قلبه ببنت
رجل كبير ولا ينبئك مثل خبير وقد جاءني على نصيحتك الشفقه وما أسديت الي من احسان وصدقه
فبادري قبل حلول الباس ونزول الفاس في الراس فأثر فيها هذا الحديث فاستشارت ما تفعله ذلك

الخبيث

الخبيث فقال لوظفرت بشئ من شعره لكفيتك مؤنته مكره وفكره فان لى صاحبا منجما وأستاذا معلما
يرقى الشعور ويجعلها فى البخور واذا وجد الى خيشومه مساغه ودخل البخور دماغه صار عبدا لك
على الدوام وحظيت عنده بالمراد والمرام وارتقيت الى أعلى مقام ولكن ينبغى أن يكون من شعر لحيته
النابت على ترقوته قالت وأنى لى أصل الى ذلك وقاك الله شر أذاك فقال اذا نام وغرق فى المنام فاحلقى
منه بموسى لتكفى الضرر والبوسى وأنا آتيك بموسى يحلق الشعور فافعلى ذلك من غير أن يكون له
شعور فاتفقا على ذلك الاتفاق وأتاها بموسى حلاق ثم توجه الى مولاه وقد أضمر له ما دهاه وقال
أشعرت ياذا الفضائل ان زوجتك البديعة الشمائل تغير خاطرها عليك وتقدمت بالاساءة اليك
ولولا انك شفيق على وعزيز ومكرم لدى ما أنبأتك من اخبارها بشئ فانى أريد أن يكون ما أنهيته اليك
مكتوما الى أن يصير عندك محققا معلوما وقد أرسل اليها من يخطبها وأمالها عنك بما يرغبها واتفق
معها انها تقتلك وتستريح وتصبح فى فراشك وأنت ذبيح وذلك يقوم بديتك وقد أرسل اليها من الجواهر
والاموال أضعاف قيمتك فان أردت مصداق هذا الكلام فتناوم عندها فى المنام ليزول الشك باليقين
وتحقق انى من الصادقين فأثر هذا الكلام فيه وخاف من مكر النساء ودواهيه فلما أقبل العشاء
وأحضروا العشاء تناول من ذلك الطعام ونهض الى الفراش لينام وأظهر بين القوم انه غرق فى
النوم وغمض عينيه وانغط وسال لعابه وغط فنهضت الزوجة اليه وفتحت الموسى ودخلت عليه
ومدت يدها الى لحيته ووضعتها على ترقوته ففتح عينيه فرأى آلة الموت متوجهة اليه فما تمالك ان
وثب عليها وجثم اليها وخرج زمام تفكره عن يد تأمله وتدبره وخطف الموسى من كفها وسقاها
كأس حتفها فلما رأى فوران الدم أدركه لاحق الندم وقد تبدل الوجود بالعدم ووقع القال
والقيل واشتهر أمر القتيل وعلق فى شر الاقتناص وعومل فى صاحبه بالقصاص * وانما أوردت
هذا الكلام لتعلم أن ما أهلك الانام وأوقعهم فى شرك الآثام والكفر والفسوق والحرام مثل
الكذب فى الكلام وهو لنا أوثق زمام وجذبهم الى ما قصدناه من المرام أحكم خطام وأعظم خزام
فاستحسن العفريت هذا الرأى واستصوبه وأعجبه ما تضمنه من معان واستغربه ثم قال رأيت يا أصحاب
من الرأى الصواب ان أجتمع بهذا العالم الزاهد العامل العابد فى محافل غاصه وأسأله عن مسائل عامة وخاصه
وعن اسرار رقيقه أطالبه فيها باعجازها والحقيقه وأنا أعرف أنه يفحم عن جوابى ويلجم عند أول
خطابى فاذا عجز عن جواب المسائل فى تلك الجموع والمحافل تحقق الحاضرون جهله فنبذوه من أول وهله
واعترفوا لنا بالفضل الوافر والعلم الغزير المتكاثر فصاروا لنا أوداء والفضل ما شهدت به الاعداء
ورجعوا عن اعتقاده ونفضوا أيديهم من محبته ووداده ورجعوا فى دماره وخراب دياره فيكفونا
أمره ويزيحون عنا شره وأقل الاقسام ان جماعة ذلك الامام اذا رأوا ما النافى الفضل من تجاره
وعلموا ان رأس مال امامهم الخساره التهوا بالسهو وسهوا باللهو وانفضوا عنه وتركوه وهذا ان
لم يكونوا سفكوه وسكبوه كما فعل صاحب البستان بالمزرعه من الغدر والتفخيذ مع غرمائه الاربعه
فسأل الوزراء عن غدر ذلك الغدر كيف جرى (قال العفريت) كان من تكريت رجل مسكين ينظر
البساتين ففى بعض السنين قدم قرية منين وسكن فى بستان كانه قطعة من الجنان فاكهة ونخل
ورمان ففى بعض الاعوام أقبلت الفواكه بالانعام ونثرت الثمار ملابس الاشجار من الاذيال
والاكمام فالجأت الضرورة ذلك الانسان أن خرج من البستان ثم رجع فى الحال فرأى فيه أربعة
رجال أحدهم جندى والآخر شريف والثالث فقيه والرابع تاجر ظريف قد أكلوا وسقوا وناموا
وانفقوا وتصرفوا فى ذلك تصرف الملاك وأفسدوا فسادا فاحشا خادشا ومارشا وناوشا ونا كشا

جب الماء فانطلق الرجل الى ذلك المكان فلم يجد جب الماء فرجع اليها وقال لها ان الجب الذى ذكرت لى أن السرب عنده ليس هنالك
فقالت له يا أيها المائق وما تصنع بالجب أنا دللتك به لتعرف السرب فحيث قد عرفته فاذهب عاجلا فقال لها ذكرت الجب
وليس هو هنالك فقالت له
أيها الاحمق امض ودع عنك
الحمق والتردد فقال لها
كيف أمضى وقد خلطت
على وذكرت الجب وليس
هنالك فلم يزل على مثل هذه
الحال حتى دخل رب البيت
فأخذه وأوجعه ضربا
ورفعه الى السلطان (فلما)
خفت من التردد والتحول
رأيت أن لا أتعرض لما
أتخوف منه المكروه وأن
اقتصر على عمل تشهد
النفس أنه يوافق كل
الاديان وكففت فكرى
عن القتل والضرب
وطرحت نفسى عن
المكروه والغضب والسرقة
والخيانة والكذب والبهتان
والغيبة وأضمرت فى نفسى
ان لا أبغى على أحد ولا
أكذب بالبعث ولا القيامة
ولا الثواب ولا العقاب
وزايلت الاشرار بقلبى
وحاولت الجلوس مع
الاخيار بجهدى ورأيت
الصلاح ليس كمثله صاحب
ولا قرين ووجدت مكسبه
اذ وفق الله وأعان يسيرا
ووجدته يدل على الخير
ويشير بالنصح فعل الصديق
بالصديق ووجدته لا
ينقص على الانفاق منه بل
يزداد جدة وحسنا ووجدته
لا خوف عليه من السلطان
ان يغصبه ولا من الماء ان
يغرقه ولا من النار أن تحرقه ولا من اللصوص أن تسرقه ولا من السباع وجوارح الطير ان تمزقه ووجدت
الرجل الساهى اللاهى المؤثر اليسير ينال في يومه ويعدمه فى غده على الكثير الباقى نعيمه يصيبه ما أصاب التاجر الذى زعموا انه كان له جوهر

نفيس فاستأجر لثقبه رجلا في اليوم بمائة دينار وانطلق به الى منزله ليعمل واذا في ناحية البيت صنج موضوع فقال التاجر للصانع هل تحسن أن تلعب بالصنج قال نعم وكان بلعبه ماهرا (٥٠) فقال التاجر دونك والصنج فاسمعنا ضربك به فاخذ الرجل الصنج ولم يزل يسمع التاجر

فاضمر ذلك بحاله ورأى العجز في أفعاله اذ هو وحيد وهم أربعة وكل عتيد فسارع الى التأخير وعزم على التفخيذ فابتدأ بالترحيب والبشاشه والاكرام والهشاشه وأحضر لهم من أطايب الفاكهة وطايبهم بالمفاكهه وسامح بالممازحه ومازح بالمسامحه الى أن اطمأنوا واستكانوا واستكنوا ودخلوا في اللعب ولاعبوه بما يحب فقال في اثناء الكلام أيها السادة الكرام لقد حزتم أطراف المعارف والطرف فاى شئ تعانون من الحرف فقال أحدهم أنا جندى وقال الآخر وأنا رسول جندى وقال الثالث أنا فقيه وقال الرابع أنا تاجر نبيه فقال والله لست بنبيه ولكن تاجر سئ وقبيح الشكل كريه أما الجندى فانه مالك رقابنا وحارس حجابنا يحفظنا بصولته ويصون أنفسنا وأموالنا وأولادنا بسيف دولته ويجعل نفسه لنا وقايه وينكى في أعدائنا أشد نكايه فلو مددنا له كل منا ورزقه فهو بعض استحقاقه ودون حقه وأما الشريف فان جده هدانا ومن النار أنجانا وقد ملكنا كرامة وحبا لقوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وقد تشرف اليوم مكانى وحلت به البركة على وعلى بستانى وأما سيد العالم فهو مرشد العالم وهو سراج دين الهادى الى يقيننا فاذا شرفونا باقدامهم ورضوا أن نكون من خدامهم فلهم الفضل علينا والنعمة الواصلة الينا وأما أنت يا رابعهم وشرجان تابعهم باى طريق تدخل الى بستانى وتتناول سفرجلى ورمانى هل بايعتنى بمسامحه وتركت لى المرابحه أولك على دين أو عاملتنى نسيئة دون عين ألك جميل جمله وهل بينى وبينك وسيله تقتضى تناول مالى والهجوم على ملكى ومنالى ثم مد يده اليه ولم يعترض من رفقائه أحد عليه لانه أرضاهم بالكلام واعتذر عما يتطرق اليه من ملام فأوثقه وأحكم وتركه مغرما ثم مكث ساعه وهو على الخلاعة مع الجماعه وغامز الجندى والشريف على الفقيه الظريف فقال يا أيها العالم الفقيه والفاضل النبيه أنت مفتى المسلمين وعالم منهاج الدين على فتواك مدار الاسلام وكلمتك الفارقة بين الحلال والحرام بفتواك تستباح الدماء والفروج فمن أفتاك بالدخول فى هذا والخروج أفتى يا عالم الزمان محمد بن ادريس أفتاك بهذا أم النعمان أم أحمد بن حنبل أم مالك فسمح لك بذلك أما سمعت قول معز العلماء ومجلها ومذل الجهلاء ومجهلها يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها واذا ارتكبتم مثل هذا المحظور وتعاطى العلماء والمفتون أقبح الامور فلا عتب على الاجناد والاشراف ولا على الجهال الاجلاف ثم مد يده الى جلابيبه وأوثقه بتلابيبه فاحكمه وثاقا وآله ربا قا فاستنجد بصاحبيه الى جانبيه فما أنجداه ولا رفداه ثم جلس يلاهى الجندى الساهى وغامزه على الشريف ذى النسب الظريف وقال أيها السيد الاصيل النجيب الجيد الحسيب لا تعتب على كلامى ولا تستثقل ملامى أما الامير فرجل كبير ذو قدر خطير له الجلالة التامه والفضيلة اللامه وأنت يا ذا النسب الطاهر والاصل الباهر والفضل الزاهر سلفك الطيب أذن لك فى الدخول الى مالا يحل لك أم جدك الرسول افتاك باستباحة الاموال أم زوج البتول أنبأك أن أموالنا لآل البيت حلال واذا كنت يا طاهر الاسلاف لا تتبع سنة آبائك الاشراف من الزهد والعفاف فلا عتب على الاوباش والاطراف ثم وثب اليه وكتف يديه ولم يعطف الجندى عليه ولم يبق الا الجندى وهو وحيد فانتصف منه البستانى كما يريد وأوثقه رباطا وزاد لنفسه احتياطا ثم أوجعهم ضربا وأشبعهم لعنا وسبا وجمع عليهم الجيران واستعان بالجلاوذة وأصحاب الديوان وحملهم بر باطهم وعملهم تحت آباطهم الى باب الوالى وأخذ منهم ثمن ما أخذوه من رخيص وغالى وانما أوردت ما جرى لتعلموا أيها الوزرا أن التفخيذ بين الاعداء بالتأخير أمر من السهام فى تنفيذ الاحكام واحكام التنفيذ وهذا قبل تعاطى أسباب البلبله وفتح أبواب الوسوسه

الضرب الصحيح والصوت الرفيع والتاجر يشير بيده ورأسه طربا حتى أمسى فلما حان الغروب قال الرجل للتاجر أؤمر لى بالاجرة فقال له التاجر وهل عملت شيأ تستحق به الاجرة فقال له عملت ما أمرتنى به وأنا أجيرك وما استعملتنى عملت ولم يزل به حتى استوفى منه مائة دينار وبقى جوهره غير مثقوب فلم أزدد فى الدنيا وشهواتها نظرا الا ازددت فيها زهادة ومنها هربا ووجدت النسك هو الذى يمهد للمعاد كما يمهد الوالد لولده ووجدته هو الباب المفتوح الى النعيم المقيم ووجدت الناسك قد تدبر فعلته بالسكينة فشكر وتواضع وقنع فاستغنى ورضى ولم يهتم وخلع الدنيا فنجا من الشرور ورفض الشهوات فصار طاهرا واطرح الحسد فوجبت له المحبة وسخت نفسه بكل شئ واستعمل العقل وأبصر العاقبة فأمن الندامة ولم يخف الناس ولم يدب اليهم فسلم منهم فلم أزدد فى أمر النسك نظرا الا ازددت فيه رغبة حتى هممت أن أكون من أهله ثم تخوفت أن لا أصبر على عيش الناسك ولم آمن ان تركت الدنيا وأخذت فى النسك أن أضعف عن ذلك ورفضت أعمالا كنت أرجو عائدتها وقد كنت أعملها فانتفع بها فى الدنيا فيكون مثلى فى ذلك مثل الكلب الذى مر بنهر وفى فيه ضلع فرأى ظله فى الماء فهوى ليأخذه فاتلف ما كان معه ولم يجد فى الماء شيأ فهبت النسك هيبة

فانه

فانه يقال فى الامثال عقدة تحل باللسان لا يؤخر حلها الى الاسنان ونعم ما أرشد من أنشد

فكم عقدة أغنى اللسان بحلها * تراخت وقد أعيت نواجذ اسنان

(ثم قال العفريت) للوزير الرابع ما ترى فى هذا الامر الواقع فقال حيث تردد الامر بين آراء مختلفه وأقوال متفاوتة غير مؤتلفه وأقيم على كل قتيل برهان ودليل فتعدد النقل وتبلد العقل وعميت وجوه الترجيح ودرست طرق التصحيح فلا يمكن القول باحدها ولا الميل الى مفردها فان ذلك ترجيح بلا مرجح وتصحيح بلا مصحح فربما تصور الشئ خيرا وتكون عقباه شرا ويتوهم شرا فتظهر قصاراه خيرا وقد قال منزل الفرقان على أشرف جنس الانسان وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وكم من قضية يتصورها الفكر صوابا ويذهل عما تتضمنه من خطاما آبا وكذلك النفس تتصور شيأ بصفة وهو بالعكس ولذلك شاهد من وقائع الحس فليس على ذلك معول وشاهده قضية المضيف مع ولده الاحول فقال العفريت وكيف ذلك أيها الخريت (قال الوزير) أخبرنى شخص فاضل انه كان رجل كامل كريم الشمائل محبوب الخصائل مرغوب الفضائل غزير الثراء محب الفقراء عذب الموارد مترصد للصادر والوارد لا يسال الضيف من أين ولا كيف وهو كما قيل ضيف والسيف ورحلة الرجال فى الشتاء والصيف فنزل فى بعض الايام ضيف من أصحابه الكرام زاد فى اكرامه وأحضر ما طاب من طعامه فلما رفع السماط ووضع للبسط بساط قال لضيفه الصديق عندنا قارورة من الشراب العتيق كنت ادخرته لنزلك وأعددته لمثلك وما عندى سواها فان رأيت أحضرناها وتعاطينا الراح لطلب الانشراح فانها مادة الافراح كما قيل

وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

فسمع الضيف مقاله وتحمل جميلته ودعاه وأجاب سؤاله فاشار المضيف المفضل الى ولده الاحول وقال اذهب الى المقصوره فان هناك قاروره واياك أن تنكسر فان صدع الزجاج لا ينجبر وما بناصيرها ولكن ما عندنا غيرها فتوجه الى ذلك المكان فتراءى له قارورتان فرجع من وقته ونادى لمقته أيها الاب المفيد هناك قارورتان فايهما تريد فخجل من ضيفه وغضب لئلا ينسب الى اللؤم والكذب فقال لابنه يا ابن البظرا اكسر احداهما وهات الاخرى فاخذ العصا وعبر وضرب أحد ما كان تراءى للبصر فلم يكن غير وعاء واحد وقد انكسر فخرج الى أبيه وهو من الفكر فى تيه وقال امتثلت ما أمرت وأخذت العصا وضربت فانكسرت احدى القارورتين ولا أدرى الاخرى ذهبت الى أين فقال يابنى ان الخطا منك واليك والخطا فى ذلك كان من نظر عينيك وانما أوردت هذا المقول لتعلم أيها الغول المهول ان أقوى طرق العلم العين واذا حصل فى ادراكها الخلل والشين تراءى الصدق بصورة المين والشئ الواحد بشكل اثنين وهذا أمر محسوس لا تتنكره النفوس فكيف ترى تكون عين الفكر المصون وهى بانواع الحجب محجوبه وبتخيلات الوهم وقضاياه مشوبه ومرآتها انما هى المعانى دون المحسوسة المشاهدة المبانى (فعلى هذا) ينبغى التامل فى عقبى هذه الحوادث والتدبر فى قصارى هذه الامور الكوارث ثم الاخذ فى تعاطيها والشروع فى أسباب تلافيها انما يكون بعد امعان الانظار وانعام التدبر والافكار (ثم اعلم) أيها الرئيس الداهى النفيس شيخ المكر والتلبيس والمباسة والتدليس ان الله القديم القادر الحكيم لم يخلق فى الموجودات ولم يوجد فى المخلوقات أعز جوهرا من الانسان فانه فضله على جنسى الملك والجان واختصه بدقيق النظر وعميق الفكر وسرعة الادراك فهو مع عدم الحراك يحكم وهو ساكن على ما تحت الثرى وفوق الافلاك وشمله بعوائده وعوده بفوائده ولطف به فى مصادره وموارده فهو أرحم به من والدته المشفقة ووالده ووكل بحفظه الكرام الكاتبين وملائكته المقربين ورباه فى حجر نعمته على

شديدة وخفت من الضجر وقلة الصبر وأردت الثبوت على حالتى التى كنت عليها ثم بدا الى أن أصبر على ما أخاف أن لا أصبر عليه من الاذى الضيق والخشونة فى النسك وما يصيب صاحب الدنيا من البلاء وكان عندى أنه ليس شئ من شهوات الدنيا ولذاتها الا وهو متحول الى الاذى ومولد للحزن فالدنيا كالماء الملح الذى لا يزداد شاربه شربا الا ازداد عطشا وهى كالعظم الذى يصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم فلا يزال يطلب ذلك اللحم حتى يدمى فاه وكالحدأة التى تظفر بقطعة من اللحم فيجتمع عليها الطير فلا تزال تدور وتدأب حتى تعيا وتعطب فاذا تعبت ألقت ما معها وكالكوز من العسل الذى فى أسفله السم الذى يذاق منه حلاوة عاجلة وآخره موت ذعاف وكاحلام النائم التى يفرح بها الانسان فى نومه فاذا استيقظ ذهب الفرح فلما فكرت فى هذه الامور رجعت الى طلب النسك وهزنى الاشتياق اليه ثم خاصمت نفسى اذ هى فى شرورها سارحة وقد لا تثبت على أمر تعزم عليه كقاض سمع من خصم واحد فحكم له فلما حضر الخصم الثانى عاد الى الاول وقضى عليه ثم نظرت فى الذى أكابده من احتمال النسك وضيقه فقلت ما أصغر هذه المشقة فى جانب روح الابد وراحته ثم نظرت فيما تشره اليه النفس من لذة الدنيا فقلت ما أمر هذا وأوجعه وهو يدفع الى عذاب الابد وأهواله وكيف لا يستحلى الرجل مرارة قليلة تعقبها حلاوة طويلة وكيف لا تمر عليه حلاوة قليلة تعقبها مرارة دائمة وقلت لو ان رجلا عرض عليه ان يعيش مائة سنة لا يأتى عليه يوم واحد الا بضع منه بضعة ثم أعيد عليه من الغد غير أنه يشرط له اذا استوفى

موائد لطفه وكرمه ورحمته كما تربي الوالدة الشفيقه والظائر الرقيقة الرفيقه وألهمهم العلم الغزير والقدر الخطير والرأي والتدبير وأطلعهم على غامض الاسرار ودقائق الافكار وان علمنا بالنسبة الى علمهم وحلمنا في القياس الى ثباتهم وحلمهم كنسبة علم الفلاح المغتر الى علم الطبيب المعبر بحسن النظر قال العفريت أخبرني بذلك يا شيخ المصاليت (قال الوزير) أخبرني شيخ كبير انه رأى في منامه فلاح كأنه خرج من ابطه مفتاح فلما أصبح الصباح جاء الى رجل من أهل الصلاح يعبر المنامات وكان ذا كرامات فقص عليه رؤياه وطلب منه تعبير ما رآه فقال له يا رئيس هذا منام نفيس لا أذكر ما فيه من تعبير الا بدينار كبير فحصل له بشاره فناوله ديناره فقال يولد لك ولد ذكر يكون سببا للفتوح والظفر وكان له زوجة حامل بقي لها أيام قلائل فولدت أبهى غلام بعد ثلاثة أيام فاستبشر الفلاح بالظفر والفلاح ثم بعد مده حصل للفلاح شده من مرض آلمه وأصاب قدمه فجاء الى معبر المنام وشكا اليه الآلام وقال ألمي في قدمي ضاعف همي وأضعف همتي فقال له الطبيب لا باس يا حبيب هذا داء هين وعلاجه بين أعطني دينارا ثانيا أصف لك دواء شافيا فاعطاه ما اشتهى واستوصفه الدوا فقال ضمده ببعض بيض كثيرة الابزار وضع عليه عسلا مسخنا على النار ففعل ذلك فبرئت قدمه وزال بالكلية ألمه ففكر الفلاح في فعل المعبر الطبيب وقوله المصيب وأمره العجيب فانه بادنى عبارة تعبير المنام وبادنى اشارة أزال الآلام فرأى الراحه في ترك الفلاحه والاشتغال بعلم الطب والتعبير فانه أمر هين يسير وبادنى أمر حقير يحصل المال الكثير فباع آلات الزراعه وعزم على تعاطي ما في الطب والتعبير من صناعه وجمع كتبا ودفاتر وكراريس مخرمة مناثر ووسع أكمامه ووضع على رأسه عمامة كغمامه وجميع عقاقير وأوراق وبسط بسطه في بعض الاسواق وأشار على لسان مخبر أن المكان الفلاني فيه طبيب معمم وهو أستاذ الزمان وعلامة الاوان وتلامذته في الطب حكماء اليونان وفي التعبير ابن سيرين وكرمان وتصدر كابي زيد وساسان عاملا بما قاله شيخ البيان وهو

الطب أهون علم يستفاد فطر * بين الانام به طير الزنابير * واجمع لذلك كرار يسا منثرة
وجملة من حشيش من عقاقير * رضع على الرأس بقيارا تدوره * كقبة النسر في وزن القناطير
واجمع معاجين من رب تخلطها * واسحق سفوفا واكحال العواوير * وسم ما شئت من أسماء مغربة
كالسند والهند والسرحا وخنفور * وقل من الهند جا هذا ومن عدن * هذا وهذا أتى من ملك فغفور
وذا من البحر بحر الصين معدنه * وذا من البر البر المدعو بيربور * فان رأيت بالاستسقاء ذا ورم
فقل تورم من لسع الزنابير * ان اقشعر فقل برد عراه وان * يحم قل حره وهج التنانير
وان أتاك مريض لا تخف وأشر * بما ترى من دواء دونه البوري * فان يعش قل دوائي كان منعشه
وان يمت قل أتاه حكم مقدور * كذلك الرمل والتنجيم خذه على * هذا المثال وخض في علم تعبير
فان أصبت فقل علمي ومعرفتي * وفي التخالف قل ضد المقادير * وان رأيت فقيها فر منه ولا
تنطق بخطئك في فسق وتكفير * وأنت تحتاج في هذا وذاك الى * ذوق ومعرفة مع حسن تدبير

فاتفق أن زمام خليفة الانام رأى في المنام شيأ هاله وغير حاله فحصل له في رأسه صداع وفي فؤاده أوجاع فسمع بهذا الربيع الجديد وانه أستاذ مفيد فأرسل اليه وعرض ما رآه عليه فقال هذا منام يدل على خير وانعام وبقاء ذكر الزمام على الدهر والاعوام ولكن لا أعبر هذه الاحلام الا بدينار تمام فناوله دينارا وأظهر لذلك استبشارا فقال له يولد لك غلام بعد ثلاثة أيام فضحك الزمام من هذا الكلام وقال يا امام أنا رئيس الخدام طواشي بلا شي لا زوجة ولا سريه ولا آلة ولا شهيه فمن أين لي هذه السعاده ولا فرحت بحسن الحسنى فني تحصل هذه الزياده فلا تسخر مني وكف كلامك عني وأخبرني

السنين المائة تعاما من كل ألم وأذى وصار الى الامن والسرور كان حقيقا ان لا يرى تلك السنين ولا شيأ منها وكيف يأبى الصبر على أيام قلائل
به يشها في النسك وأذى تلك الايام قليل يعقب خيرا كثيرا فلتعلم ان الدنيا كلها بلاء وعذاب أو ليس الانسان انما يتقلب في
عذاب الدنيا من حيث يكون جنينا الى ان يستوفي أيام حياته فاننا نجد في كتب الطب ان الماء الذي يقدر منه الولد السوي اذا وقع في رحم المرأة يختلط بدمها وماثمها فيثخن ويغلظ ثم تمخض الريح ذلك الماء والدم حتى تتركه كالجبن ثم كالرائب الثخين الغليظ ثم تقسم فيه اعضاء الولد لابان ولادته فان كانت أنثى فوجهها قبل وجه أمها وان كان ذكرا فوجهه قبل ظهر أمه ويداه على وجنتيه وذقنه على ركبتيه وهو منقبض في المشيمة كأنها صرة مصرورة وهو يتنفس من متنفس ضيق شاق عليه وليس من عضو الا وهو مقمط بقماط فوقه حر البطن وثقله وتحته ما تحته من الظلمة والضيق وهو منوط بمعى من سرته الى سرة أمه ومن ذلك المعى يمص ويقتبس الطعام فهو بهذه المنزلة في الظلمة والضيق الى يوم ولادته واذا كان ابان المخاض والولادة سلطت ريح على رحم المرأة فتهب الجنين قوة يقدر بها على الحركة فيضرب برأسه قبل المخرج من ضيقه وحرجه فاذا وقع الى الارض فاصابته ريح أو لمسته يد وجد لذلك من الالم ما يجده الانسان اذا سلخ جلده ثم هو في أنواع العذاب ان جاع فليس به استطعام أو عطش فليس به استسقاء أو وجع فليس به استغاثة مع ما يلقى من الوضع والحل واللف والدهن والمسح ان أنيم على ظهره لم يستطع تقلبا ثم يلقى أصناف العذاب ما دام رضيعا فاذا
بتعبير

بتعبير هذا المنام ودع عنك الملام فقال حقا أقول وأنا جربت هذا المقول وقد عبرت لك هذا التعبير ولا ينبئك مثل خبير فقال الزمام يا أخي دع هذا المقال فان وجود الولد مني محال وأنا رجل بي وجع ومابي في منتجع فقال وماذا تشكو وألمك في أي مكان هو فقال في فؤادي أوجاع وفي رأسي صداع فقال يا زبرين من فا خوأعطني دينارا آخر أصف لك أيسر دواء يحصل لك منه العافية والشفاء فدفع اليه الدينار وطلب منه دواء الدوار ومابفؤاده من ألم أورثه الوهج والضرم فقال يا أبا الغيض ضمد جالك بمحة بيض مضافا النهاعسل مشتار ولكن ذلك مسخنا بالنار فاستشاط الطواشي غضبا وفار كالنار شواظا ولهبا وعرف أنه جاهل وعن طرق العلم غافل فأدبه التأديب البالغ ورده الى ماكان عليه من منادمة السالغ واستمر على كلاحته بعد رجوعه الى فلاحته (وانما أوردت) هذا المثال يا غول الاغوال لتعلم أننا اذا اشتغلنا بمناظرتهم اشتغلنا بمحاورتهم لانه في دقيق الاسرار وعميق الافكار وتحقيق الانظار لا يقاوم أحد جنس الانسان فكيف يستطيع الجان معارضة من أيده الله تعالى برفيع المعاني وبديع البيان فاذا قابلناهم في المباحث بالمعارضه تعود مسئلتنا علينا بالمناقضه فلما رأى العفريت خور ذلك العفريت وانه نكل عن المقاومه ونكص عن المصادمه خاف أن تكون آراء الوزراء تبعا لرأيه في عدم لقائه وظنهم مستحسنين لدهائه مستصوبين لآرائه فارخى عنان الكلام ليقف على ماعندهم من مرام وكان عزمه المباحثه والمعابثة والمباعثه والتصدي للاقدام والقاء المسائل بحضرة الخاص والعام لكن مشى مع امام الوزراء ليرى ماهم عليه من الاراء (فقال للوزير) نعم ما قلت أيها الوزير والرأي ما أشرت من الرأي والتدبير فان الله تعالى خلقنا من النار وطبعها الاهلاك والدمار واحراق كل رطب ويابس وبارد وحار والظلم والخسار والافناء والجهل والبوار وطلب الرفعة وعدم القرار وافساد ماتجده من غير فرق بين نفاع وضرار وخلقهم من تراب واليه الاياب وطبعه الحلم والسكون والترابية والركون والعلم والعدل والاحسان والفضل ومع هذا فلو خرجوا عن مادة ماجبلوا عليه وتلبسوا بغير ماندبوا اليه وله أدنى الخروج ورعوا للمارج من مروج لتحكم منافهم كالمختار ولعبنا بهم كما يلعب بالكرة الصغار ونحن اذا خرجنا عن دائرة طبعنا وتخالفت أوصاف أصلنا وفرعنا ونقلنا الى دائرة الخير عن جادة الشر أقدام صنعنا لا ينفع لنا منهم صيد ولا يؤثر لنا فيهم سيف كيد فاذا عجزنا عن الايذاء في الظاهر لم يبق الا الاغواء من باطن الضمائر والتعلق باسباب ماتصل اليه من الحيل البواطن والظواهر فقد قال الحكماء وأهل التجارب ومن ابتلى من مكايد الدهر بالنوائب ومني من ذلك بالعجائب والغرائب اذا تصدى الانسان وقصد غريمه وعجز عن مقاومته في الحكومة والخصومه فعليه بهدم ذلك الجبل بمعنا طيس الخداع ومعاول الحيل ويستعين في ذلك باهل النجدة وذوي البطش الشديد والشده فيتوصل بهم الى حسم ذلك الداء ولو كانوا أعداء غير أوداء فتسليط بعض الاعداء على بعض من أيمن سنة بل من أحسن فرض ولقد أحسن من قال

تفرقت غنمي يوما فقلت لها * يارب سلط عليها الذئب والضبعا

ولا يوجد في هذا الباب لجمع شمل الاعداء أوثق من تفريق الاحباب ومصداقه قوله تعالى لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا وما قويت أعضاد الاسلام الا باجتماع كلمة الانصار والائتلاف والالتئام ولهذا قصد من نافقوا لما ترافق الانصار وتوافقوا أن يتشاققوا ويتفارقوا فأنزل عليهم واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وهذا الفن يحتاج الى فكر عميق ومكر دقيق وعقل كبير وفعل كثير ومصيب رأي وتدبير وسلوك في طريق اصطناع كأنه الفارق من الخداع فقال الوزير ينعم مولانا بالبيان بتحقيق هذه الواقعه (فقال) سمعت أن بعض التجار كان له بستان في دار والى جانبه حاصل فيه المغل المتواصل وفي ذلك

أقلت من عذاب الرضاع أخذ بعذاب الادب فاذيق منه ألوانا من عنف المعلم وضجر الدرس وسآمة الكتابة ثم له من الدواء والحمية والاسقام والاوجاع أوفى حظ فاذا أدرك كانت همته في جمع المال وتربية الولد ومخاطرة الطالب والسعي والكد والتعب وهو مع ذلك يتقلب مع أعدائه الباطنين اللازمين له وهي الصفراء والسوداء والريح والبلغم والدم والسم المميت والحية اللادغة مع الخوف من السباع والهوام مع صرف الحر والبرد والمطر والرياح ثم أنواع عذاب الهرم لمن يبلغه فلو لم يخف من هذه الامور شيأ وكان قد أمن ووثق بالسلامة منها فلم يفكر فيها الوجب عليه أن يعتبر بالساعة التي يحضره فيها الموت فيفارق الدنيا ويتذكر ماهو نازل به في تلك الساعة من فراق الاحبة والاهل والاقارب وكل مضنون به من الدنيا والاشراف على الهول العظيم بعد الموت فلو لم يفعل ذلك لكان حقيقا أن يعد عاجزا مفرطا محبا للدناءة مستحقا للسوم فمن ذا الذي يعلم ولا يحتال لغد جهده في الحيلة ويرفض مايشغله ويلهيه من شهوات الدنيا وغرورها ولاسيما في هذا الزمان الشبيه بالصافي وهو كدر فانه وان كان الملك حازما عظيم المقدرة رفيع الهمة بليغ الفحص عدلا مرجوا صدوقا شكورا رحب الذراع مفتقدا مواظبا مستمرا عالما بالناس والامور محبا للعلم والخير والاخيار شديدا على الظلمة غير جبان ولا خفيف القياد رفيقا بالتوسع على الرعية فيما يحبون والدفع لما يكرهون فانا قد نرى الزمان مدبرا بكل مكان فكأن أمور الصدق قد نزعت من الناس فأصبح ماكان عزيزا فقده مفقودا وما كان ضائرا وجوده موجودا وكأن الخير أصبح ذابلا والشر ناضرا وكان الفهم أصبح قد زالت سبله وكأن

الحاصل وكر اشاطر من شطار الفاره له غدة منافذ والى الجهات طرق وما آخذ أحدها الى جهة البستان والبستان كانه جنة رضوان فكانت الفاره ذات الشطارة والمهاره تأخذ من الغلات وأطايب الطعامات ما يكفيها غداء وعشاء صيفا وشتاء وفى وقت المصيف تخرج من ذلك المنزل اللطيف الى جهة البستان فتتمشى بين الغدران وتترقى الى أعلى الاغصان وتتمرغ فى المروج والرياض وتتبختر فى ظلال الدوح والغياض ثم تعود الى وكرها وتأرز الى جحرها وكان عيشها هنيا وأمرها رضيا ومضى على ذلك دهرها وانقضى فى أرغد عيش أمرها ففى بعض الاحيان خرجت على العادة للتنزه فى البستان فربسكنها افعوان فرأى مكانا مكينا وسكنا حصينا بالاطعمة محفوفا وبطيب الاغذية مكنوفا فدخله واستوطنه وترك ماسواه من الامكنه فلما رجعت الفارة الى مكانها المألوف وجدت به العدو الظالم العسوف فأحاط بها من الامر المخوف ما يحصل من الذئب اذا عاق الخروف فأسرعت الى أمها وشكت اليها نوائب غمها ومادهمها من نوازل همها فقالت أمها الاشك انك ظلمت أحدا أو وضعت على ماليس لك يدا أو تعديت الحدود أو عاملت مغرما بالصدود فجوزيت باخراجك من وطنك وابعادك عن مقرك وسكنك ومن ظلم ضعيفا عاجزا سلط الله عليه قويا لا كزا وقد رأيت يا أنسى فى حديث قدسى اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى فلا تطيلى الكلام ولا تتصورى أنك ترجعين الى مالك من مقام ولا طاقة لك على مقاومة الثعبان فدعى تعب الخاطر واطلبى لك مأوى غير هذا المكان فتوجهت الى ملك الفار والجرذان وشكت ما بها من ذلك الشيطان وقالت أنا فى خدمتك ومعدودة من رعيتك عمرى على ذلك مضى وزمانى فى اخلاص العبوديه انقضى وأبى كان فى خدمة أبيك وجدى عبد جدك وذويك لم نزل فى رق الطاعه متمسكين بحبل سنة الولاء مع الجماعه كل ذلك لامر يدهم أو نازلة تقدم فنستدفع ذلك الخطب بخطابكم ونستكفى هول ذلك النازل بجنابكم والآن لقد وقعت حادثه بالباب عابثه وبالافكار عائثه وللارواح كارثه وذلك انى خرجت من مسكنى لطلب قوتى ثم رجعت الى مبيتى فوجدت ظالما قد استحوذ عليه وغاصبا قد دخل اليه وهو ثعبان مالى به يدان وقد ترامت على جنابك أستدفع هذا البلاء بك فقال ملك الفار يا سائبة الاشفار من ترك ماله سائبا فقد جعله ذاهبا وقال ذوو الاعتبار وأولو الابصار ينبغى بل يجب على الدزدار وحافظ القلعة والحصار أن تكون رجله ذات عرج وانكسار لئلا يكون دينار وجوده خارج الدار وأنت أيتها الفاره فرطت فى أمرك والمفرط أولى بالخساره وقد خاب منك المسعى لانهم قالوا أظلم من أفعى ومن ظلم الافعوان انه لا يكد نفسه فى حفر مكان وتهيئة مبان ومغان ولكنه حيث وجد مسكنا اتخذه لنفسه مقاما ووطنا وهذا قد عرف مكانك النزه وهو جبار شره فلا يزايله ولا يقابله ومن أين يلتقى مثل هذا المأوى وفى المثل عرف الكلب بيت العيا فالاولى أن ترتادى لك موضعا فتتخذيه مقاما ومرتعا فقالت الفاره وقد تأثرت لهذه العباره يا أيها السلطان وملك الفار والجرذان فما فائدة خدمتى وانقياد أبى وطاعة جدى الكبير الابى واذا كنتم فى الدنيا لا تنفعوننا وفى الآخرة لا تشفعون لنا ولا تدفعون فى الاولى صدمات الدواهى والبلا ولا تحمون الاوداء عن مواطئ أقدام الاعداء ولا تدفعون فى الاخرى نوائب الطامة الكبرى ولا تحلونا بمالكم من الاستيلاء غرف الدرجات العلى فاى فائدة لكم علينا ونعمة منكم تسدى الينا وهل أنتم الا كما قيل فى الاقاويل

اذا لم يكن لى منك عز ولا غنى * ولا عند ما يغتالنى الدهر موئل
فكل التفات لى اليك تكرم * وكل سلام لى عليك تفضل

فقال ملك الفار يا قليلة الاستبصار العديمة العقل والافتكار اذا اجتهدنا فى ردك الى مكانك وكنا على الثعبان بجندك وأعوانك فهل تشكين يا مسكينه وبنت مسكين فى أن الافعى تتوجه الى سلطانها

الحق ولى كسيرا وأقبل الباطل تابعه وكأن اتباع الهوى واضاعة الحكم أصبح بالحكام موكلا وأصبح المظلوم بالحيف مقرا والظالم لنفسه مستطيلا وكأن الحرص أصبح فاغرا فاه من كل جهة يتلقف ما قرب منه وما بعد وكان الرضا أصبح مجهولا وكان الاشرار يقصدون السماء صعودا وكان الاخيار يريدون بطن الارض وأصبحت المروأة مقذوفا بها من أعلى شرف الى أسفل درك وأصبحت الدناءة مكرمة ممكنة وأصبح السلطان منتقلا عن أهل الفضل الى أهل النقص وكانت الدنيا جزلة مسرورة تقول قد غيبت الخيرات وأظهرت السيآت * فلما فكرت فى الدنيا وأمورها وان الانسان هو أشرف الخلق فيها وأفضله ثم هو لا يتقلب الا فى الشرور والهموم عرفت أنه ليس انسان ذو عقل الا وقد أغفل هذا ولم يعمل لنفسه ويحتل لنجاتها فعجبت من ذلك كل العجب ثم نظرت فاذا الانسان لا يمنعه عن الاحتيال لنفسه الا لذة صغيرة حقيرة غير كبيرة من الشم والذوق والنظر والسمع واللمس لعله أن يصيب منها الطفيف أو يقتنى منها اليسير فاذا ذلك يشغله ويذهب به عن الاهتمام لنفسه وطلب النجاة لها فالتمست للانسان مثلا فاذا مثله مثل رجل نجا من خوف فيل هائج الى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين كانا على سمائها فوقعت رجلاه على شئ فى طى البئر فاذا حيات أربع قد أخرجن رؤسهن من أجحارهن ثم نظر فاذا فى قعر البئر تنين فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه فرفع بصره الى الغصنين فاذا فى أصلهما جرذان أسود وأبيض وهما يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران فبينما هو فى النظر لامره والاهتمام لنفسه اذ أبصر قريبا منه كوارة وتخبره

وتخبره بشأنها وأنها أخرجت من مكانها وتستنصر باعوانه وتنتصر على سلطاننا بقوة سلطانه وتستجيش وتستغيث وتغرى علينا ذلك الخبيث كما فعل الرافضى العادى العلقمى البغدادى حين دعا التتار الطغام لخراب مدينة السلام ومن بعده الذميم نابذة الامام وقصد ماورديار الشام ولا طاقة لنا بعساكر الحيات ونحن فى أحيائهم كعساكر الاموات فتذهب الاموال والارواح وتتعب القلوب والاشباح ومع هذا الامر المعلوم حصول القصد والظفر موهوم فبالله اتركيني واذهبي واطلبي لك مسكنا غيره ولا تتعبي فقالت هذا منزلى القديم وميراثى عن سلفى الكريم وأين أذهب وفيمن أرغب ان لم تغثنى هلكت واندهلت وانسلبت فقال لا تطيلى القول فلا قوة لنا ولا حول فلما أيست الفاره المكارة الغداره تركت سلطانها وذهبت وسلكت طريقها وانقلبت وأنشدت فارشدت

أبعين مفتقر اليك نظرتنى * فحقرتنى وقذفتنى من حالق

لست الملوم أنا الملوم لاننى * أنزلت آمالى بغير الخالق

ثم غاصت فى بحر الفكر وتشبثت باذيال المكر واستعرضت على مرآة أفكارها وجوه الحيل واستورت من زناد آرائها شرر النظر فى الجدل وأخذت تطوف فى أكناف البستان فعثرت فى طوافها على ذلك الافعوان نائما تحت ورده متطوقا فى أهنى رقدة فرقت غصنا من الاغصان فلاح لها الباغيان قد سقى البستان وهو تعبان متكئا فى الرياض على مسكبة ريحان فاغتنمت الفرصة ونزلت اليه وقربت منه ودارت حواليه ثم وثبت على وجهه وكان نائما فانتهض مرعوبا قائما فذهبت واختفت وبذا القدرا كتفت فرجع ونام وغرق فى المنام فدخلت فى قميصه ورقصت فاستيقظ متعجبا منزعجا فرآها فهربت ونكصت ثم عادوا تكا بعدما غضب واشتكى فوثبت على وجهه وأدخلت ذنبها فى أنفه فنهض مستيقظا مجدا فرآها واقفة لا تتغدى فقصدها فهربت ثم رجع فآبت وأتت فنام فى مسنده فقربت منه وعضته فى يده فانكته وآلمته وأوهجته بما أضرمته فطفر من مرقده وأخذ غصنا بيده وقصدها وقد ذاق نكدها فهربت غير بعيد فرأى وجهها من حديد فتبعها فمشت ثم وقفت وارتعشت تطمعه فى صيدها وهو غافل عن كيدها فتبعها وهى قائده حتى انتهت به الى الحية الراقده فعندما رأى الثعبان نسى أفعال بنت الجرذان فقتل تلك الافعى ولم يخب للفارة مسعى (وانما أوردت) هذه الحكايه لتقفوا منها على طريق النكايه وليعلم الضعيف اذا كان له أعدا كيف يوقعهم فى مصايد الردى واذا استعمل اللبيب العقل المصيب والفكر النجيب وساعده فى ذلك قضاء وقدر نال ما أمل وأمن ما حذر وأفلح أمره ونجح فكره وهذا اذا كان الضعيف مظلوما والقوى ظالما غشوما كما أنتم عليه مما توجهتم اليه من معاداة شيخ الشام المستحق للتبجيل والاكرام والتعظيم والاحترام فانه على الحق وأنتم ظالمون وقاصد الصدق وأنتم كاذبون يريدون أن يطفؤا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فهذا أمر مشكل وداء معضل فانى تصح أبدانكم وقلوبكم مرضى ومن يحبكم وأنتم محسوبون من البغضا وكيف تقتفون وأنتم على الباطل وفى أى ذوق يحلى ما منكم من عاطل وأنا أخاف أى اجلاف أن تسفر هذه القضايا بعد ارتكاب البلايا وتحمل المشاق والتعب باقتحام موارد الهلاك والنصب عما هو أشد وأنكى وأخزلعينكم وأبكى كما أصاب مضيف العراق من زوجته زبيدة ذات النطاق حين بدا منها الزنبور على حافة التنور فقال الوزير للعفريت أفدنا هذا الصوت باذا الصيت (قال) نزل فى بعض الرستاق من بلاد العراق فقير نحيف على مسكين ضعيف وكان بعض أيام الخريف والبرد الشديد يقطع الحديد فبعدما طبخوا وتعشوا سجروا النار ليتدفوا فبقى كل من الحضور يتدفا على جانب التنور فقعد الضيف مقابل زوجة المضيف

فيها عسل نحل فذاق العسل فشغلته حلاوته وألهته لذته عن الفكرة فى شئ من أمره وأن يلتمس الخلاص لنفسه ولم يذكر أن رجليه على حيات أربع لا يدرى متى يقع عليهن ولم يذكر أن الجرذين دائبان فى قطع الغصنين ومتى انقطعا وقع على التنين فلم يزل لاهيا غافلا مشغولا بتلك الحلاوة حتى سقط فى فم التنين فهلك فشبهت البئر بالدنيا المملوأة آفات وشرورا ومخافات وعاهات وشبهت الحيات الاربع بالاخلاط الاربعة التى فى البدن فانها متى هاجت أو أحدها كانت كحمة الافاعى والسم المميت وشبه الجرذان الاسود والابيض بالليل والنهار اللذين هما دائبان فى افناء الاجل وشبه التنين بالمصير الذى لابد منه وشبه العسل بهذه الحلاوة القليلة التى ينال منها الانسان فيطعم ويسمع ويشم ويلمس ويتشاغل عن نفسه ويلهو عن شأنه ويصد عن سبيل قصده فحينئذ صار أمرى الى الرضا بحالى واصلاح ما استطعت اصلاحه من عملى لعلى ان أصادف باقى أيامى زمانا أصيب فيه دليلا على هداى وسلطانا على نفسى وقواما على أمرى فاقمت على هذه الحال وانتسخت كتبا كثيرة وانصرفت من بلاد الهند وقد نسخت هذا الكتاب * انقضى باب برزويه المتطبب

(باب الاسد والثور وهو أول الكتاب)

(قال دبشليم الملك) لبيدبا الفيلسوف وهو رأس البراهمة اضرب لى مثلا للمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء قال بيدبا اذا ابتلى المتحابان بان يدخل بينهما الكذوب المحتال لم يلبثا ان يتقاطعا ويتدابرا (ومن أمثال ذلك) أنه كان بأرض دستاوند رجل شيخ وكان له ثلاثة بنين فلما بلغوا

فظهر من تحت نطاقها وجه ذلك الحر الظريف ولاح من تحت السجيف كأنه قرص أو رغيف أو قرص عسلي نظيف أو خد جندي نتيف أو القمر شق نصفين أو بدر لاح من تحت ذيل حنين فلما أحس بحرارة النار وظهر على وجهه الاحمرار صار يتلمظ ويتحلى ولسانه من الحر والدفء تدلى فلمح الضيف وهو يتثاءب فتمطى قائم ربحه ونحوه قام وتصاوب وقد قيل في الاقاويل عضوان متعاونان وهما اليدان وعضوان مختلفان وهما الرجلان وعضوان متتابعان وهما العينان وعضوان متصاحبان وهما اليد والفم وعضوان متباغضان وهما الاست والانف وعضوان متوافقان وهما العين والاير وكان الضيف يسارقه النظر ويترشف شفاهه بلسان الفكر ويود في مطالعة جبينه لو أتبع العين بالاثر وجعل يتغنى ويترنم ويهيم بما يتكلم

ليس في العاشقين أقنع مني * أنا أرضى بنظرة من بعيد

فتنبه امام هواه الهاجد وجعل يقوم ويقع وهو راكع ساجد ويسلم على محرابه أحسن التحيات ويتشهد رافعا أصبعه بالسلام والصلوات ثم غلبته الحيره فاخذ يجلد عميره فنظر صاحب البيت فرأى الضيف غارقا في ذيت وذيت مشغولا بكيت وكيت متأملا معنى هذا البيت

وعند الملتقى انكشف المغطى * تثاءب كسها أيري تمطى

فاراد أن ينبه ربة البيدار على هذا العثار لتسترحالها وتغطي ما لها بطريقة لا يؤبه اليها ولا يقف ضيفها عليها فمديده الى سفود وحرك به النار ذات الوقود فعلق من النار به في الطرف وما شعر بذلك أحد وما عرف ثم لعب ساعة بذلك العود وأوصل في خفية طرفه الى ذلك الشق المعهود لتتيقظ فتتحفظ فشوطها وأحرقها وأحرق رأس السفود بظرها فالتأمت وانضبطت واحترقت واختبطت وتحركت بزعجة فضرطت فزادت فضيحة العين فضيحة الانف والاذن ولم يحصل من تلك الحركة الا الخجالة والغبن (وانما أوردت) هذه الحكايات لتتأملوا في الغايات والنهايات فان من لا يراقب ما يأتي في العواقب ما الدهر له بصاحب وهذا الرجل الصالح القيم الراجح ما فاق أقرانه وساد أصحابه واخوانه الا بشيء تقدم به عليهم وتحقق موجب تقدمه لديهم وذلك درجات العلم والعمل فبذلك ساد الرجل وكمل وقال منزل الآيات وخالق البريات يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقد برع في أنواع العلوم واطلع على حقيقتها من طريق المنطوق والمفهوم وأنتم عن طريقه غافلون وعن حقيقة ما هو عليه ذاهلون واعلموا ان طريقه واحدة وهي الحق وطرقكم متعددة وكلها فسق وأتباعه على اتباعه متحد الفون وأنتم في طرائقكم القدد مختالفون فقد قال الله تعالى في محكم تنزيله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال بعض أهل الفضل وكلامه في بيان الحق فصل ما ناظرت ذا فنون الا غلبته وما ناظرني ذو فن الا غلبني وانما أخشى ان ناظرت هذا الرجل الكامل الفاضل ان لا أحصل منه على طائل ويظهر فضله قصوري فينهدم بنيان قصوري فقال الوزراء بعد ان اتفقت الآراء كلمة واحده متفقة متعاضده نعم ما رأى مولانا الرئيس صاحب التدليس واستاذ التلبيس وأنجب أولاد ابليس ونحن أيضا يا قومنا نخشى عاقبة هذه الواقعه ولقد جرى مثل هذا المجرى بين بزرجمهر ومخدومه كسرى في قضية فاق فيها الوزير مخدومه الكبير فسأل العفريت وزراءه عن بيان ذلك الشان كيف كان (فقالوا) بلغنا أيها الخناس الملقي الوسواس في صدور الناس أن بزرجمهر الوزير كان ذا علم غزير ورأي وتدبير وبديهة جواب تفهم الكد والتفكير وكان حكيم زمانه وعليم أوانه وممن فاق في الفضل والحكم سائر أترابه وأقرانه وكان مقربا عند مخدومه يزيد في كل وقت في تكريمه وتعظيمه وتوقيره وتفخيمه ويصغي الى نصائحه ويعد قربه من أعظم مناجحه ويصبر على كلامه الصادع

أشدهم أسرفوا في مال أبيهم ولم يكونوا احترفوا حرفة يكسبون لانفسهم بها خيرا فلامهم أبوهم ووعظهم على سوء فعلهم وكان من قوله لهم يا بني ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها الا بأربعة أشياء أما الثلاثة التي يطلب فالسعة في الرزق والمنزلة في الناس والزاد للآخرة وأما الاربعة التي يحتاج اليها في درك هذه الثلاثة فاكتساب المال من أحسن وجه يكون ثم حسن القيام فيما اكتسب منه ثم استثماره ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الاهل والاخوان فيعود عليه نفعه في الآخرة فمن ضيع شيأ من هذه الاحوال لم يدرك ما أراد من حاجته لانه ان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به وان هو كان ذا مال واكتساب ثم لم يكن يحسن القيام به أوشك المال ان يفنى ويبقى معدما وان هو وضعه ولم يستثمره لم تمنعه قلة الانفاق من سرعة الذهاب كالكحل الذي لا يؤخذ منه الا غبار الميل ثم هو مع ذلك سريع فناؤه وان أنفقه في غير وجهه ووضعه في غير موضعه واخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له ثم لم يمنع ذلك ماله من التلف بالحوادث والعلل التي تجري عليه كحبس الماء الذي لا تزال المياه تنصب فيه فان لم يكن له مخرج ومفاض ومتنفس يخرج الماء منه بقدر ما ينبغي خرب وسال ونز من نواح كثيرة وربما انبثق البثق العظيم فذهب الماء ضياعا * ثم ان بني الشيخ اتعظوا بقول أبيهم وأخذوا به وعلموا ان فيه الخير وعولوا عليه فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها ميون فاتى في طريقه على مكان فيه وحل كثير وكان معه عجلة يجرها ثوران يقال لاحدهما شتربه والآخر بندبه فوحل شتربه في ذلك المكان فعالجه الرجل وأصحابه ووعظه

ووعظه القارغ ونصحه الفادح لما فيه من الفوائد والمنافع والحكم والبدائع وقد قيل من أحبك نهاك ومن أبغضك أغواك فكان الوزير يبادر قبل سائر الخدم فى وظائف الخدم ويجعل من الليل والظلم حتى كأنه يوافق النجم أو يسابقه فى الرجم ومع ذلك كل يوم يجد مخدومه راقدا فى النوم فيقرعه بالغفله وينقم عليه هذه الفعله ويعلن بالندا وينادى فى الملا فيقول أفق يا محبوب وتيقظ حتى تظفر بالمطلوب فمن باكر نجح ومن غلس المطلوب أفلح ومن تخلف فى النوم سبقه الى المنزل القوم وفاته المطلوب ولا يدرك المحبوب واترك لذة الكرى فعند الصباح يحمد القوم السرى وكان كسرى يجد لهذا الكلام أنواعا من الآلام لانه كان يطيل السهر الى وقت السحر عاكفا على المدام وسماع الانغام ومغازلة الغزلان ومعاقرة الندمان واحياء الليل بمرثات فاذا نام واستراح امتد نومه الى الصباح فلا يوقظه الاعياط الوزير وصراخ ذلك الصائح النذير فلما طال عليه المطال وغلب عليه من ذلك الملال أرصد للوزير فى الطريق من منعه عن التبكير بالتعويق فتصدى له الرصد وأعروا رأسه والجسد وأخذوا قماشه وسلبوا رياشه فرجع الى بيته مكرها ولبس ثيابا غيرها فابطأ فى ذلك اليوم وتخلف فى الخدمة عن القوم ولم يجئ الا وقد استيقظ كسرى من النوم وهو جالس فى صدر الايوان وحواليه مباشر والديوان وسائر الوزراء والاركان وعامة الجند والاعوان كل فى مقامه ضابط زمامه فأدى بزرجهر وظائف الخدمة على عادته ووقف فى مكانه مع جماعته فقال كسرى ما دعا مولانا الوزير فى هذا اليوم المنير الى التخلف والتأخير وترك التبكير وانشاده بالتبكير قول الشاعر الكبير

بكرا صاحبى قبل الهجير * ان ذاك النجاح فى التبكير

فقال ان الحرامى عارضنى أمامى وقصدنى فى ظلامى فأخذ شاشى وسلبنى قماشى ورياشى فرجعت الى كناسى وجددت زينتى ولباسى فهذا سبب تأخيرى وعدم تبكيرى وموجب تخلفى عن وعظى وتذكيرى فقال كسرى ما أفادك التذكير الا الغرامة فى التبكير ولولاه ما سلب القماش ولا ذهب الرياش ولا قام الحرامى بالمعاش فاين الفلاح فى القيام قبل الصباح فقال بزرجهر فى الحال وقد أصاب فى الجواب ليس ذلك كذلك يا امامى وانما بكر قبلى الحرامى ولو أبا كرنا بالنسبة اليه فرجع فائدة تبكيره منى عليه فعجب كسرى من خطابه وسرعة بديهته فى جوابه (وانما أوردت) هذا القول بين يدى امامنا الغول أو شيخ المردة المهول ليعلم أن كسرى وان كان عالما وفاضلا وحاكما أذعن لكلام وزيره واتبع رأى مشيره وانصف من نفسه اذ أدرك الوزير بفهمه ما لم يدركه هو بحسه فاسترسل معهم العفريت فيما هم عليه والتخلف عما ندبهم اليه وقال فبأى الحبائل نصيدهم وبماذا نكيدهم فقال أحد الوزراء بالنساء فانهن زمارة المحن وطبل الفتن والطبل لا يضرب تحت الكساء هن أعظم وسائلنا وأحكم أوهاقنا وحبائلنا وناهيك ما قاله العزيز العليم الذى جبلهن على غير تقويم وفطرهن على الكيدان كيدكن عظيم وجعل كيدنا بالنسبة الى كيدهن سخيفا فقال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال سيد السادات ورئيس الرؤساء ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء وقال الولى ومن قدره الرفيع على

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال من أجاد فى المقال وشنف المسامع بالاقوال حيث قال

وما حز أعناق الرجال سوى النسا * وأى بلاء جاء لسن له أهلا

فكم نار شر أحرقت كبد الورى * ولم يك الا مكرهن لها أصلا

وانهن أشراك الاشراك وأوهاق الازهاق وأسواق الفساق ومصايد المصائب ومراصد النوائب وحسبك يا ذا الدها ما أوى ذلك الحكيم حين سها وأذعن لزوجة الرئيس اذ نبهته على ما عنه لها فسأل

حتى بلغ منهم الجهد فلم يقدروا على اخراجه فذهب التاجر وخلف عنده رجلا يشارفه لعل الوحل ينشف فيتبعه بالثور فلما بات الرجل بذلك المكان تبرم به واستوحش فترك الثور والتحق بالتاجر فاخبره ان الثور قد مات وقال له ان الانسان اذا انقضت مدته وحانت منيته فهو وان اجتهد فى التوقى من الامور التى يخاف فيها على نفسه الهلاك لم يغن ذلك عنه شيأ وربما عاد اجتهاده فى توقيه وحذره وبالا عليه كالذى قيل ان رجلا سلك مفازة فيها خوف من السباع وكان الرجل خبيرا بوعث تلك الارض وخوفها فلما سار غير بعيد اعترض له ذئب من أحد الذئاب وأضراها فلما رأى الرجل أن الذئب قاصد نحوه خاف منه ونظر يمينا وشمالا ليجد موضعا يتحرز فيه من الذئب فلم ير الا قرية خلف واد فذهب مسرعا نحو القرية فلما أتى الوادى لم ير عليه قنطرة ورأى الذئب قد أدركه فألقى نفسه فى الماء وهو لا يحسن السباحة وكاد أن يغرق الا أنه بصر به قوم من أهل القرية فتواقعوا لاخراجه فاخرجوه وقد أشرف على الهلاك فلما حصل الرجل عندهم وأمن على نفسه من غائلة الذئب رأى على شط الوادى بيتا مفردا فقال أدخل هذا البيت فاستريح فيه فلما دخله وجد جماعة من اللصوص قد قطعوا الطريق على رجل من التجار وهم يقتسمون ماله ويريدون قتله فلما رأى الرجل ذلك خاف على نفسه ومضى نحو القرية فاسند ظهره الى حائط من حيطانها ليستريح مما حل به من الهول والاعياء اذ سقط الحائط عليه فمات قال التاجر صدقت قد بلغنى هذا الحديث * وأما الثور فانه خلص من مكانه وانبعث فلم يزل فى مرج مخصب كثير الماء والكلا فلما

العفريت عن تلك الحاله وبيان مافيها من المقاله (فقال) ذكر أن حكيما من العلماء وعالما من الحكماء أولع بضبط مكر النساء وشرع في تدوينه صباحا ومساء وصار يجول البلدان ويطالع لذلك كل ديوان ويكتب مايكون وما كان ويحرر من ذلك الاوزان بالمكيال والميزان فنزل في بعض الاثناء على حي من الاحياء فصادف ذلك التعيس بنت الرئيس فتلقته امرأة ظريفه ذات شمائل لطيفه وحركات رشيقة خفيفه وقابلته بالترحاب وفتحت للدخول الباب فاقبل عليها وتراحى لديها فأنزلته في صدر البيت وأخذت معه في كيت وكيت كأنها معرفة قديمه وحديثة كريمه وكان زوجها غائبا قد قصد جانبا فشرعت في نزل الضيف لئلا تنسب الى بخل وحيف فاخذ يطالع في ديوانه ويسرح سوائم طرفه في طرف بستانه يشغل أوقاته ويتفكر مافاته ليتعاطى اثباته فقالت له ضرة الريم ماهذا الكتاب العظيم أيها الفاضل الحكيم فقال شئ صنعته وكتاب ألفته وهو في الغربة أنيسي وفي الوحدة جليسي فقالت ياذا الحكم والحلم مافيه من فنون العلم فقال سر مصون وأمر مخزون ودر مكنون لايجوز ابداؤه ولايحل افشاؤه فقالت ياذا الشكل الظريف والوصف اللطيف والعلم المنيف هذا التعريف لايليق بالتصنيف فان فائدة التصنيف الاشتهار وثمرة العلم الانتشار ودونك ماقاله الكئيب في مخاطبة الحبيب

أذقني من رضابك ياحبيبي * فما الشهد دون الذوق لذه

وما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا فقال الامر كذلك يازين الامور ولكن هذا علم يصان عن ربات الخدور فقالت ان الله الجليل الذات الجميل الصفات ذكر المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ومامنع نساء الانصار الخيرات الاطهار أن يسألن المصطفى المختار عليه أفضل الصلاة والسلام عن غسل المرأة في الاحتلام ولا أن يلجن معه المخاضه في السؤال عن الحائض والمستحاضه فجمح في ميدان الامتناع وأصر على الممانعة والدفاع وقال ياحصان هذا مر يصان لاسيما عمن في دينه وعقله نقصان فاغراها هذا المقال على الالحاح في السؤال وزادت في اللجاج ومارت في الاحتجاج وترامت لديه وأقسمت بدلالة الدال عليه فقال هذا علم لم أسبق اليه جمعت فيه مكر النساء ومن أجاد منهن ومن أساء ومن تعاطت لطائف الحيل وخفي الفعل وخفيف العمل ومن دعت بدعاها حتى بلغت مناها ومن وقعت في الشدائد فاحتالت بدقيق فكرها لتلك المكايد وتخلصت من شرك المصايد فلما سمعت ماقال ووعت صكت وجهها وأعربت تقهقها وتمايلت تمايل القضيب وقالت سر غريب وأمر عجيب وضيعة عمر حاصل فيما لاتحته طائل وشغل سر وبال في جمع أمر محال لقد ركبت المشاق وكلفت نفسك مالايطاق ونسفت الرمل بالكربال وغرفت البحر بالغربال ووزنت الطور بالمثقال وحملت الدر بالاثقال فارجع عن هذا الغلط ولاترم ذلك الشطط فان مكر ربات الخدور لايدخل ضبطه بسفر تحت مقدور فقال لها أنت غبيه وعن هذا الكلام غنيه وان كنت فاضلة ذكيه أنا قد بلغت في ذلك الغايه وأحطت به بداية ونهايه ووقفت على مجمله ومفصله فلم يشذ عني شئ من آخره وأوله فسلمت وماتكلمت وغالطت وماباطت وسارت ومامارت وفوضت اليه هذا التحقيق وسلكت معه غير هذا الطريق حتى كان هذا الكلام في هذا المقام شيأ فريا ونسيا منسيا ثم نزلت من برج المنازله وأخذت تلك الغزالة في المغازله وانتهى بها المقال الى هذا السؤال فقالت أيها اللبيب الماهر مامعنى قول الشاعر

يهددني بالرمح ظبي مهفهف * لعوب بألباب البرية عابث
ولو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

سمن أو أمن جعل يخور ويرفع صوته بالخوار يطالب البقرات وكان قريبا منه أجمة فيها أسد عظيم وهو ملك تلك الناحية ومعه سباع
كثيرة وذئاب وبنو آوى وثعالب وفهود ونمور وكان هذا الاسد منفردا برأيه غير آخذ برأي أحد من أصحابه فلما سمع خوار
الثور ولم يكن رأى ثورا قط ولاسمع خواره لانه كان مقيما مكانه لايبرح ولا ينشط بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لاحدهما كليلة والآخر دمنة وكانا ذوي دهاء وعلم وأدب فقال دمنة لاخيه كليله ياأخي ماشأن الاسد مقيما مكانه لايبرح ولا ينشط قال له كليله ماشأنك أنت والمسئلة عن هذا نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب وتاركين مايكره ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك والنظر في أمورهم فامسك عن هذا واعلم انه من تكلف من القول والفعل ماليس من شأنه أصابه ما أصاب القرد من النجار قال دمنه وكيف كان ذلك (قال كليله) زعموا ان قردا رأى نجارا يشق خشبة بين وتدين وهو راكب عليها فاعجبه ذلك ثم ان النجار ذهب لبعض شأنه فقام القرد وتكلف ماليس من شغله فركب الخشبة وجعل ظهره قبل الوتد ووجهه قبل الخشبة فتدلت خصيتاه في الشق ونزع الوتد فلزم الشق عليهما فخر مغشيا عليه ثم ان النجار وافاه فرآه وضعه
فاقبل عليه يضربه فكان مالقي من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبة (قال دمنه) قد سمعت ماذكرت
ولكن اعلم أن كل من يدنو من الملوك ليس يدنو منهم لبطنه وانما يدنو منهم ليسر الصديق ويكبت العدو وان من الناس من لامروأة له وهم

فالربح

الذين يفرحون بالقليل ويرضون بالدون كالكلب الذى تصيب عظما يابسا فيفرح به وأما أهل الفضل والمروءة فلا يقنعهم القليل ولا يرضون به دون أن تسمو به نفوسهم الى ماهم أهل له وهو أيضا لهم أهل كالاسد الذى يفترس الارنب فاذا رأى البعير تركها وطلب البعير ألا ترى ان الكلب يبصبص بذنبه حتى ترمى له الكسرة وان الفيل المعترف بفضله وقوته اذا قدم اليه علفه لا يعتلفه حتى يمسح ويتملق له فمن عاش ذا مال وكان ذا فضل وافضال على أهله واخوانه فهو وان قل عمره طويل العمر ومن كان فى عيشه ضيق وقلة وامساك على نفسه وذويه فالمقبور أحيا منه ومن عمل لبطنه وقنع وترك ما سوى ذلك عد من البهائم (قال كليله) قد فهمت ما قلت فراجع عقلك واعلم أن لكل انسان منزلة وقدرا فان كان فى منزلته التى هو فيها متماسكا كان حقيقا ان يقنع وليس لنا من المنزلة ما يحط حالنا التى نحن عليها (قال دمنه) ان المنازل متنازعة مشتركة على قدر المروءة فالمرء ترفعه مروءته من المنزلة الوضيعة الى المنزلة الرفيعة ومن لا مروءة له يحط نفسه من المنزلة الرفيعة الى المنزلة الوضيعة وان الارتفاع الى المنزلة الشريفة شديد والانحطاط منها هين كالحجر الثقيل رفعه من الارض الى العاتق عسر ووضعه الى الارض هين فنحن أحق أن نروم ما فوقنا من المنازل وان نلتمس ذلك بمروءتنا كيف نقنع بها ونحن نستطيع التحول عنها (قال كليله) فما الذى اجتمع عليه رأيك (قال دمنه) أريد أن أتعرض للاسد عند هذه الفرصة فان الاسد ضعيف الرأى ولعلى على هذه الحال أدنو منه فاصيب عنده منزلة ومكانة (قال كليلة) وما يدريك ان الاسد

فالرمح الواحد قامته والرمح الثانى ما حوته راحته وقل لى يا أبا الجرث ما هو الرمح الثالث فقال ذلك النبيه قبل ما ظهر من تثنيه فان هز لين اعطافه وسرعة انعطافه تراه العينان كأنه رمحان وقيل ما ظهر من ذلك المهفهف عند هزه الرمح المثقف فانه يتراءى العين الشكل الواحد اثنين ولهذا نظير فى اليوم المطير وأحسن مثال عند رشق النبال وفى تدوير المحجن وفتل الصولجان عند سرعة الدوران وقيل كان معه رمحان فعده واحدا وهما اثنان وعندى يا دمية القصر أنه ليس المراد الحصر وانما المراد التكثير يا نضرة البدر المنير لان عطفه كلما انهزه حل فى صدر المتيم ونخزه ورمح قامته ينثنى ويتقصف فتارة يميل وأخرى يتثقف والطعن العشاق يخطر ويتهفهف فالمتيم لا يبرح من قده فى طعنات كما لم يزل من سهام جفنه فى محزات ونخزات وهو من المجاز المرسل اذ المراد الطعن من ذلك الاسل وكان قصده أن يسرد الاعداد لا الى غاية ويبلغ بها الى ما لا نهاية فيقول ثان وثالث ورابع وخامس وسادس وسابع فلم تسع القافيه يا من هى بوصلها شافيه * ورضابها عافيه ونظير هذا يا حوه ان تستغفر لهم سبعين مرة وليس المراد الحصر يا رقيقة الخصر ويا عين العين فى السبعين حتى لو زاد على هذا العدد لغفر لهم الواحد الصمد بل المراد أنه لا يغفر لهم ولو زاد فقالت يا صاحب البيان وربه انما عنى بالرمح الواحد زبه فافصحت له بالكلام عما لها من مرام كأنها ثالثة بنات همام نفخت عن الرجل واستحت لما أفصحت عن مقصودها وأوضحت فقالت حييت وحييت لا تستح واصنع ما شئت فحركت بهذا الكلام العابث من الشيخ الحكيم الرمح الثالث فدا اليها يد الفاجر العائث وذهب ذلك الرجل الحازم وراودها مراودة العازم الجازم وصارت تلك اللاعبة بين الاطماع والمناعة تنثنى وتنقصف فتارة تتثقف وأخرى تتخسف وبينما هما فى المجاذبة والمداعبة والمطايبة وهى تنزوى وتلين وتصعب وتستكين اذ تراءى لها زوجها من بعيد فقالت جاء زوجى وهو عنيف عنيد فسلب القرار وطلب الفرار ووقع ذلك الحكيم النبيه فى فتنة فيها الحليم سفيه ودهمه ما هو أهم مما هو فيه من دواهى العشق ودواعيه ونسى الغشق والعشيق وطلب الخلاص من المضيق وأظهر صورة حاله ما عناه الشاعر فى قاله

سألت بحـــر بالطبا علما * خبيرا بالوقائع مستعاذا * وقلت الشهد أحلى أم رضاب

أم النيك الذى للروح حاذى * فقال وحق ربى النفس أولى * اذا حر الجزا هذا وهـــذا

واشتغل الحكيم بنفسه وخاف حلول رمسه وكان فى طرف البيت صندوق مقفل عليه ستر مسبل ففتحت له الصندوق ووعدته باخفائه عن زوجها الحقوق وأمرته بولوجه ليكفى من زوجها شر خروجه فشكر لها صنعها وامتثل وانسل الى ذلك اللحد الضيق ودخل فأقفلت عليه أغلاقه وأحكمت وثاقه ثم تلقت زوجها بالترحاب ودخلت معه فى الاطعمة من كل باب وقدمت له ما أكل وانسدحت له فركب ووكل ثم قالت أخبرك يا حبيب بوقوع أمر غريب وحادث بديع عجيب وهو أنه قدم حكيم فاضل حليم عالم عظيم فأكرمت نزله وبوأت منزله وكان معه كتاب فيه العجب العجاب فسألته عما حوى فقال مكر النسا فقلت له هذا شئ لا يحصى ولا يحصر ولا يجمعه ديوان ولا دفتر فلم يسلم الى ولم يعول على وذكر أنه أنهاه ولم يدع من مكر النسا فنا الا أوعاه اياه فما وسعنى الا انى غازلته وداعبته وهازلته فطمع من لين محاورتى فى حسن مزاورتى وطلب منى ذلك العقوق ما هو أعز من بيض الانوق وبينا نحن فى العيش الرغيد واذا بك أقبلت من بعيد كل ذلك والحكيم يسمع قولها وما تخبر به بعلها فلما سمع الزوج هذا الكلام اضطرب وزمجر واصطخب وقال وأين هذا الفاسق الفاجر المنافق والله لاذيقنه كأس التلف ولالحقنه بمن سلف فلم يبق فى الحكيم مفصل الا ارتجف فقالت ها هو فى الصندوق مختفى فخذ ثارك منه واشتفى فنهض وصاح هاتى المفتاح فعلم الحكيم أن عمره ذهب وراح وكان سبق من زمان بين الزوجين

قد التبس عليه امره (قال دمنه) بالحس والرأى اعلم ذلك منه فان الرجل ذا الرأى يعرف حال صاحبه وباطن أمره بما يظهر له من دله وشكله
(قال كليلة) فكيف ترجوا المنزلة عند الاسد ولست بصاحب السلطان ولا لك علم بخدمة السلاطين (قال دمنه) الرجل الشديد
القوى لا يعجزه الحمل الثقيل
وان لم تكن عادته الحمل
والرجل الضعيف لا يستقل
به وان كان ذلك من صناعته
(قال كليله) فان السلطان
لا يتوخى بكرامته فضلاء
من بحضرته ولكنه يؤثر
الادنى ومن قرب منه ويقال
ان مثل السلطان فى ذلك
مثل شجر الكرم الذى
لا يعلق الا باكرم الشجر
وكيف ترجوا المنزلة عند
الاسد ولست تدنو منه (قال
دمنة) قد فهمت كلامك
جميعه وماذكرت وأنت
صادق لكن اعلم أن الذى
هو قريب من السلطان
ولا ذلك موضعه ولا تلك
منزلته ليس كمن دنا منه
بعد البعد وله حق وحرمة
وأنا ملتمس بلوغ مكانتهم
بجهدى وقد قيل لا يواظب
على باب السلطان الا من
يطرح الانفة ويحمل الاذى
ويكظم الغيظ ويرفق
بالناس فاذا وصل الى ذلك
فقد بلغ مراده (قال كليله)
هبك وصلت الى الاسد فما
توفيقك عنده الذى ترجو
ان تنال به المنزلة عنده
والحظوة لديه (قال دمنة)
لو دنوت منه وعرفت أخلاقه
رفقت فى متابعته وقلة
الخلاف له واذا أراد أمرا
هو فى نفسه صواب زينته له
وصبرته عليه وعرفته بما فيه من النفع والخير وشجعته عليه وعلى الوصول اليه حتى يزداد به سرورا واذا أراد . ليعزى
أمرا يخاف عليه ضره وشينه بصرته بما فيه من الضر والشين وأوقفته على ما فى تركه من النفع والزين بحسب ما أجد اليه السبيل وأنا أرجو

عقد رهان انه من فتح منهما الصندوق غلب وأقام لصاحبه بما طلب فلما ذكرت له حكاية الحكيم
تذكر عقد الرهن القديم وذهل لشدة الغيره ووفور الحيره وتوجه الى الصندوق فبمجرد ما فتح
القفل المغلوق صاحت عليه غلبتك يا معشوق فأد ما ثبت لى عليك من الحقوق فتذكر عقد المراهنه ولم
يشك أن كلامها كان مداهنه فضحك بعد ما كان عبس وألقى المفتاح من يده وجلس ولعبها ومكرها
ولعبها وفكرها ثم اصطلحا وانشرحا وزادا نشاطا ومرحا ثم خرج فى ضمن وراته وتوجه الى حاجاته
فاقبلت تلك العروس الى الحكيم المحبوس وأفرجته من الاعتقال وذكرت له هذه المناقلة والانتقال
وقالت أيها الحكيم العظيم هل كتبت هذه المناقلة فى كتابك الكريم فقال لا والله الرحمن الرحيم وانى
قد سلمت اليك وتبت الى الله على يديك (وانما أوردت) هذا المثال لاعرض على شيخ السعالى وامام
الاغوال ان النساء فى هذه الحركة أعظم متشبث وأقوى شبكه وهن لسلب اللب من الرجال أضعاف فتنة
المسيح الدجال خلقهن أعوج وخلقهن أهوج ورأيهن غير سديد والرجال لهن أذل عبيد وان كن
ناقصات عقل ودين فهن الكاملات فى سلب العقل المتين والفكر الرزين وأذهب للب الرجل الحازم
والعقل السديد الجازم وهل أخرج آدم من جنة المأوى الا قصة صدمته من قبل حوا وما قتل هابيل قابيل
الا بفتنة الزوجة كما قيل وكذلك قصة من أوتى الآيات فانسلخ منها وقد عرف كل ذلك ابداء وانها وغالب
من عصى الله وأسا انما كان سبب كفره واخزائه النسا فلا تعترضوا على هذا الرأى المتين ولا تتعرضوا
لهذا الرجل فانه على الحق المبين ولا تقصدوا المعارضته وسؤاله فربما يكون مجالكم أضيق من مجاله وانا
لا نقدر على مناقشته ويظهر جهلنا وعجزنا عند مباحثته فقال سائر الوزراء هذا الرأى أصوب الآراء
فانا الى الآن ما بارزناهم بالخاشنه وانما كنا نأتيهم بالمخادعة والمحاسنه فنزين لهم الباطل ونحلى لهم
العاطل ونشوه وجه الحق ونسود طلعة الصدق الى أن ظهر هذا الرجل ونحن على ذلك فوقف فى
طريقنا وأراهم الدرب السالك وعلا شانه ووضح برهانه ونحن على ما نحن عليه من الاغواء والقائهم
فى مهاوى الاهواء والحرب بيننا وبينهم سجال فلو كاشفناهم بسوء الفعال انكشف لهم زيف نقدنا
وبطل ما كنا نسوله بجهدنا فاذا ظهر الحق من الباطل وتميز الحالى من العاطل أخذوا حذرهم
وضبطوا أمرهم وذاروا بالعداوه ومروا بالملوحة بعد الحلاوه ثم ظفرنا بهم موهوم ونصرنا عليهم
غير معلوم فما نظفر الا بالندامه ونرضى اذ ذاك بغنيمة السلامه ويستمر هذا العار علينا الى يوم القيامه
وقد قيل

لا تسع فى الامر حتى تستعد له * سعى بلا عدة قوس بلا وتر

فعند ذلك استشاط العفريت غضبا وطار شرار الهذا الاشتعال ولهبا وقال لقد عظمتم من شأن الانسان
وأوهنتم بل أهنتم جانب اخوانكم الجان وضيعتم حقوق الاخوان وأبطلتم حكاية السعالى والغيلان
ونسيتم فتن جدكم الاعلى الباقية على ممر الزمان ونحن أدق حيله وأجل جماعة وقبيله وأوسع ذكرا
وأسرع مكرا وأقدم وجودا وأعظم جنودا وأغزر علما وادرا كا وفهما ولا أرى لكم همة صادقه
ولا عزيمة موافقه وأنا ما قلت لكم ما تقدم من القول الا لا خبر ما فى قرائض علمكم من الرد والعول فلا
أقوالكم سديده ولا أفعالكم رشيده ولقد حل بكم الصغار وسطا بكم من الانس الصغار وأما أنا فلا بد لى من
المباحثه والمناقشة والمنابشه والالقاء للمسائل والابحاث فى الرسائل من غير وسائط ولا وسائل ليهلك من هلك
عن بينة ويحيا من حى عن بينه فاعلموا ذلك وتحققوه ثم أمعنوا النظر فيه ودققوه وهذا هو الرأى الذى
صممت عليه فليتوجه كل منكم بقلبه وقالبه اليه ويقل فى ذلك غثه وسمينه ويلق هجان قوله وهجينه ولا
يدخر شيأ من آرائه فلا بد لى من القائه واعلموا أن الولى الحرار الذى هو الى جهة جار لو اتفقت الآراء
على صرف جريانه الى جهة أخرى وأن يسد عن هذه الجهة المجرى فانهم لو قصدوا ذلك من أسفل الوادى

ان ازداد بذلك عند الاسد مكانة ويرى مني مالا يراه من غيري فان الرجل الاديب الرفيق لو شاء أن يبطل حقا أو يحق باطلا لفعل كالمصور الماهر الذي يصور في الحيطان صورا كأنها خارجة وليست بخارجة وأخرى كأنها داخلة وليست بداخلة (قال كليلة) أما ان قلت هذا أو قلت هذا فاني أخاف عليك من السلطان فان صحبته خطرة وقد قالت العلماء ان أمورا ثلاثة لا يجترئ عليهن الا أهوج ولا يسلم منهن الا قليل وهي صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم للتجربة وانما شبه العلماء السلطان بالجبل الصعب المرتقى الذي فيه الثمار الطيبة والجواهر النفيسة والادوية النافعة وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب وكل ضار مخوف فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد (قال دمنة) صدقت فيما ذكرت غير انه من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب ومن ترك الامر الذي لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة لما لعله أن يتوقاه فليس ببالغ جسيما وقد قيل ان خصالا ثلاثة لن يستطيعها أحد الا بمعونة من علو همة وعظيم خطر منها عمل السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو وقد قالت العلماء في الرجل الفاضل الرشيد انه لا يرى الا في مكانين ولا يليق به غيرهما اما مع الملوك مكرما أو مع النساك متعبدا كالفيل انما جماله وبهاؤه في مكانين اما أن تراه وحشيا أو مركبا للملوك (قال كليلة) خار الله لك فيما عزمت عليه ثم ان دمنة انطلق حتى دخل على الاسد فسلم عليه فقال الاسد لبعض جلسائه من هذا فقال فلان بن فلان قال قد كنت أعرف أباه ثم سأل أين تكون قال لم أزل مرابطا بباب الملك رجاء أن يحضر أمر فأعين الملك فيه بنفسي ورأيي فان

لسخرهم الحاضر والبادي ولا بتهيأ لفاعله ما يتمناه حتى يسد طريق الماء من أعلاه وأنتم ان قصدتم معالي الامور واهلاك رؤس الجهور ثم تعمدتم الاراذل وتبدلتم الاكابر بالاوغاد والاسافل فاسكم اذا اغمار وقد ضيعتم في غير حاصل الاعمار وقد قيل

اذا كنت لابد مستتربا * فمن أعظم التل فاستترب

وما اللعين كالرصاص والجروح قصاص ولا يكافأ الرئيس الا بالرئيس ولا يقابل النفيس بالخسيس وأي فخر للملوك اذا نازلوا السوقة والصعلوك وقد قيل

ألم تر أن السيف يزرى بقدره * اذا قيل هذا السيف أمضى من العصا

وما كفى صناديد قريش يوم بدر بدون أكفائهم في النسب والقدر وماذا تفيد بيلستكم وتجدي شيطنتكم ووسوستكم وأنتم أولو الزعاره وذوو الشطارة والدعاره اذا قهرتم من الانس وعلاكم أضعف جنس وهم أقصر أعمارا ونحن أطول أطوارا لم نزل نصادم الجبال ونقتحم الاهوال ونظهر كما شئنا في باب الخيال ومن قبل جدنا اللعين جادل رب العالمين فقال في حق جدهم أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقال لاغوينهم أجمعين وقال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين وهم يموتون وهو من المنظرين وعلى كل حال نحن أقوى منهم وأجرا واعرف بطريق الخبث والمكر وادرى وبالجملة الحكم على الشئ فرع عن تصوره والشخص لا يحكم على شئ الا بعد تصوره وتقرره وهذا الانسان الى الآن لا سبرناه ولا خبرناه ولا عرفناه ولا عرفناه فكيف تقطعون له بالغلبه وتفضلون علينا مسيره ومنقلبه وان لم تفصحوا بالعباره فقد دللتم على ذلك بالاشاره وكنيتم عنه بالتلميح والكناية أبلغ من التصريح هذا ونحن كم قد أضللنا من حكيم وأذللنا من عليم وأفسدنا من عقائد وعقدنا من فسائد ونصبنا لهم من مصايد وأرصدنا عليهم من مراصد وأبطلنا من طاعات وعطلنا من خيرات وأخللنا من صلوات وأحبطنا من زكوات ومنعنا من حجات وصدقات وضيعنا من ميراث ونفقات وأسقطنا من أعمال صالحات وكم لنا في الشر من سوق ومن سوق الى فسوق والقاء في حرام وتسربل بمظالم وآثام وكم لنا من احكام أحكام على القضاة والحكام يستحلون بها السحت والحرام ويأكلون بها أموال الايتام ويستبيحون بها الدماء والفروج وكم دخلنا فيهم فاخرجنا منهم الاسلام أخفى خروج وكم لنا فيهم من مصائب لعصائب وخواصب بمناصب وكتائب نوائب وعجائب نواهب وغرائب نوادب نسلبهم بها دينهم ونمنعهم اعتقادهم الحق ويقينهم وكم لنا في سكونهم الى الطاعات من حركات وفي ركونهم الى الخيرات من سقطات وكم لهم الى الطاعات من همم فبردتها وساوسنا فصل منها في أحشائهم الضرم وفي وجود خيرهم العدم وفي صحة ايمانهم السقم وفي شباب صدقهم الهرم وفي سكون أمانهم الضربان والالم وفي دائرة حلالهم الحرام والحرم وكم وكم وكم ونحن الآن على ما كنا عليه وهو الذي طبعنا عليه وندبنا اليه دأبنا عن الحق اضلالهم وعن الصراط المستقيم ازلالهم والى الباطل دلالتهم وادلالهم نزين لملوكهم الاجتراء ولكبرائهم الافتراء ولرؤسائهم الازدراء ولعلمائهم المراء ولزهادهم الرياء ولتجارهم الربا ولامرائهم سفك الدما ولنسائهم السلاطة والزنا ولخواصهم الغيبة والنميمه ولعوامهم الخوض في كل جريمه وللمشايخ قول الزور ولشبانهم الوقاحة والفجور وهذا دأبنا ودأبهم ولم نزل أوهاقنا ورقابهم فان قلنا نصل هذا الواصل فان هذا تحصيل الحاصل وان قلنا نستأنف عملا جديدا فانا لم نترك في ذلك ما يبقى مزيدا وقد بلغنا في ذلك كله الغايه وها نحن ملابسون منه ما ليس وراءه نهايه ولم يبق الا المقابلة في المقاتله والمباشرة بالمكاثره والمفاتحة في المقابحه والمكالحة في المناكحه فلما سمع الوزراء هذا الكلام عرفوا أن أسباب دولتهم آذنت بانصرام غير أنهم لم يقدروا على المخالفه فما وسعهم الا المطاوعة والمؤالفه لئلا

أبواب الملوك تكثر فيها الامور التى ربما يحتاج فيها الى الذى لايؤبه به وليس أحد يصغر أمره الاوقد يكون عنده بعض الغناء والمنافع
قدره حتى العود الملقى فى الارض ربما نفع فيأخذه الرجل فيكون عدته عند الحاجة اليه فلما سمع الاسد قول دمنة أعجبه وظن
أن عنده نصيحة ورأيا فاقبل
على من حضر فقال ان
الرجل ذا العلم والمروأة
يكون خامل الذكر خافض
المنزلة فتابى منزلته الاأن
تشب وترتفع كالشعلة
من النار يضربها صاحبها
وتابى الاارتفاعا فلما عرف
دمنة ان الاسد قد عجب منه
قال ان رعية الملك تحضر
باب الملك رجاء أن يعرف
ماعندها من علم وافر وقد
يقال ان الفضل فى أمرين
فضل المقاتل على المقاتل
والعالم على العالم وان
كثرة الاعوان اذا لم يكونوا
مختبرين ربما تكون مضرة
على العمل فان العمل
ليس رجاؤه بكثرة الاعوان
ولكن بصالحى الاعوان
ومثل ذلك مثل الرجل الذى
يحمل الحجر الثقيل فيقتل
به نفسه ولايجد له ثمنا
والرجل الذى يحتاج الى
الجذوع لايجزئه القصب
وان كثر فانت الآن أيها
الملك حقيق أن لاتحقر
مروأة أنت تجدها عند
رجل صغير المنزلة فان
الصغير ربما عظم كالعصب
يؤخذ من الميتة فاذا عمل
منه القوس أكرم فتقبض
عليه الملوك وتحتاج اليه
فى الباس واللهو وأحب
دمنة أن يرى القوم انما
ناله من كرامة الملك انما
هو لرأيه ومروأته وعقله لانهم عرفوا قبل ذلك ان ذلك لمعرفته اياه فقال ان السلطان لايقرب الرجال لقرب
آبائهم ولايبعدهم لبعدهم ولكن ينبغى أن ينظر الى كل رجل بما عنده لانه لاشئ أقرب الى الرجل من جسده فمن جسده مايدوى حتى

يتسبهم الى غرض فيصيبهم منه عرض أو مرض فحسنوا له رأى المصادمه ومباحثة العالم والمقاومه واتفقت الآراء أن يرسلوا للعالم أولا وانتخبوا من يصلح أن يكون مرسلا فحملوا العفريت فى الرساله تتضمنه من الجاسة والبساله حسبما يراه رأيه التعيس وفكره المدبر الخسيس وكان فى شياطينه المريده وغيلانه العتاه العنيده عفريت من الجن مارد مسن اسمه صن بن مصن قد أضل عقائد وأزل قواعد وأشرب بغض بنى آدم وغمس طائفة منهم فى نار جهنم بعدما غطهم من المعاصى فى يم لايمنعه وجوده عن الهجوم ولايخاف الرجوم من النجوم طالما أطال العوائق فى المغارب والمشارق وأضرم نيران الافساد بين الخلائق وملأ مابين الخافقين من مواقع الصواعق وفوح نتانة الوساوس وفساد الظربان فى المجالس وانقض للشر والفتن على كل قائم وجالس فكم له توفيق بين الحرامين وتفريق بين الحلالين وسفك دماء بين الاخوين والقاء للبغضة بين المحبين والعداوة بين الالفين والعربدة بين السكارى والحروب بين المسلمين والنصارى وبالجملة فقد أوتى من الوسوسة والتلبيس صنوفا كثيرة فاق بها على ذرية ابليس فانتدبه العفريت الملم الى هذا الامر المهم وامهلاه الى ان انسلخ اهاب الضوء طارا فى عنان الجو حتى وصلا الى سفح الجبل متعبد ذلك العالم البطل الذى ملأ الدنيا بالعلم والعمل فكمن العفريت فى مغاره وأرسل رسوله بالسفاره يقول أبلغ عالم الانس صاحب الكرامات والانس ومقرب حظيرة القدس عن شيخ العفاريت الطغاة المصاليت أنى من قديم الزمان وبعيد الحدثان أضللت كثيرا من الناس بالمكر والخداع والوسواس وفى أمثالى نزلت قل أعوذ برب الناس وابن عمى هو الوسواس الخناس وكان من جنس بنى آدم كذا كذا ألف عالم خدامى ومعى وجندى وتبعى منهم رؤس الزهاد وعلماء العباد وعلى محبتى مضوا وباتباع أوامرى قضوا فانا فتنة العالم وأعدى أعداء بنى آدم الشيطان الرجيم وابليس الذميم اسم ذاتى ووصف صفاتى أنا مقتدى الشياطين ورأس العفاريت المتمردين ومحل غضب رب العالمين خلقت من مارج من نار وطبعت على القاء البوار والدمار رجوم النجوم انما أعدت لاجلى وعتاة الغواة لاتصل رؤسها الى مواطئ رجلى الامن خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب آية منعتى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم طراز خلعتى أأسجد لمن خلقت طينا مقالى لاحتنكن ذريته الاقليلا مجال جدالى لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا منشورى القديم يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا مرسومى الكريم الشياطين تستمد من زوائد مكرى والاعور اللعين يقتبس من ضمائر فكرى لم تمر قضية فى الزمان الغابر الاولى الشركة فيها ولاحدثت محنة لنبى ولاولى الاوأنا متعاطيها جدى ابليس نهض بجدى التعيس والى نحو آدم هوى فعصى ربه فغوى وأنا قضيت بالتسويل حتى قتل قابيل هابيل وحلت بقوم نوح عن النصوح وأرشدت المجوس الى عبادة النار ووضعت الناقوس وأضللت عادا وثمود وشدادا ونمرود وبعثت على عبادة الاصنام فى البيت الحرام وعلى كيفية القاء ابراهيم فى نار الجحيم وهديت قوم لوط الى الخوض فى الشلوط ومحافر القلوط وسولت لاولاد يعقوب وحاولت فى قضية أيوب وتصديت لام اسمعيل وعارضت ابنها وهو مع الخليل وأنسيت يوشع قصة الحوت وساعدت على صاحب الحوت وجاسست بالعصيان على تخت سليمان وحضرت وقعة طالوت وساعدت عليه جالوت وأنا كنت العون لهامان وفرعون وبحسن ضبطى قتل موسى القبطى وأنا فتنت داود وأغويت قارون اليهود وسلطتهم على الوالدة والمولود ودللت على نشر زكريا وذبح يحيى وجرأت على قتل الانبياء والاوليا وتوصلت بتزيين الوسواس لقاتلى الذين يامرون بالقسط من الناس ودعوت على عبادة العجل قوم موسى وساعدت فى التفريق والاضلال بين أمة عيسى وكم أغويت من رهبان بما زخرفت من صلبان وقد بلغنى من جميع مسترقى السمع وطن على أذنى ووعاه خاطرى ووقر فى ذهنى وأنا أشارف

التخوم

يؤذيه ولا يدفع ذلك عنه الا بالدواء الذي يأتيه من بعد فلما فرغ دمنة من مقالته هذه أعجب الملك به اعجابا شديدا وأحسن الرد عليه وزاد في كرامته ثم قال لجلسائه ينبغي للسلطان أن لا يلج في تضييع حق ذوي الحقوق

والناس في ذلك رجلان رجل طبعه الشراسة فهو كالحية ان وطئها الواطئ فلم تلدغه لم يكن جديرا أن يغره ذلك منها فيعود الى وطئها ثانيا فتلدغه ورجل أصل طباعه السهولة فهو كالصندل البارد الذي اذا أفرط في حكه صار حارا مؤذيا ثم ان دمنة استأنس بالاسد وخلا به فقال له يوما أرى الملك قد أقام في مكان واحد لا يبرح منه فما سبب ذلك فبينما هما في هذا الحديث اذ خار شتربه خوارا شديدا فهيج الاسد وكره أن يخبر دمنة بما ناله وعلم دمنة ان ذلك الصوت قد أدخل على الاسد ريبة وهيبة فسأله هل راب الملك سماع هذا الصوت قال لم يربني شئ سوى ذلك (قال دمنة) ليس الملك بحقيق أن يدع مكانه لاجل صوت فقد قالت العلماء انه ليس من كل الاصوات تجب الهيبة قال الاسد وما مثل ذلك (قال دمنة) زعموا أن ثعلبا أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة وكلما هبت الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم باهر فتوجه الثعلب نحوه لاجل ما سمع من عظيم صوته فلما أتاه وجده ضخما فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم فعالجه حتى شقه فلما رآه أجوف لا شئ فيه قال لا أدري لعل أفشل الاشياء أجهرها صوتا وأعظمها جثة وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن هذا الصوت الذي راعنا لو وصلنا اليه لوجدناه أيسر مما في أنفسنا فان شاء الملك بعثني وأقام بمكانه حتى آتيه ببيان هذا الصوت

النجوم وأسارق النجوم وأسابق الرجوم ان لي أسماء تذكر في السماء منها الغليظ الرقبه وشيخ نجد وأزب العقبه والمقيم في الدست البيضه والغوي على نقض عهد بني قريظه والمحرض على أحد وبدر من الصناديد كل جليل القدر والمشهور في أحد بالندا والملقي العرب بالردة الى الردى وأنا المتسبب في قتل عمر وعثمان واهلاك علي أمير الشجعان والغوي في وقعتي الجمل وصفين والملقي الفتن بين جنود المسلمين وان شري سرى الى يزيد وفاض للحجاج والوليد وبي تكثر البدع بين الجماعات والجمع ويظهر من الفتن ما بطن ويغلب من التتار وأهل البوار والخسار أنواع الشرور والجدال الى حين يظهر الدجال وتستمر هذه الامور الى يوم البعث والنشور وبالجملة والتفصيل أنا شيخ التكفير والتضليل وتلك صنعتي من الابتداء وحرفتي الى الانتهاء ثم انك نبعت في هذا الزمان وظهرت في هذا المكان تريد أن تهدم ما بنيته وتعوج بصلاحك ما بفسادي سويته وترد كلامي وتعاكسني في مرامي وأنا كنت في قديم الزمان من قبل ان توجد أنت في هذا المكان ناديت بين بنيه وشهرت في ذويه قولي

كلوا واشربوا وازنوا ولوطوا وقامروا * وهيا اسرقوا واسروا وخوضوا الدما جهرا

ولا تتركوا شيأ من الفسق مهملا * مصيركم عندي الى الجنة الجسرا

وكانوا قد سمعوا وأجابوا وأطاعوا وأنابوا وشملي بهم منتظم وأمري بتفريق كلمتهم ملتئم وأسهم مرامي المشومه نافذة في المشارق والمغارب وسيوف مناشري المسمومه قاطعة في الاعاجم والاعارب ولي في الاطراف والآفاق والاكناف من قاض ونائب ومانع من الخير حاجب وأمير وصاحب ووزير وكاتب ومشير وحاسب وجليس ونديم وتابع وخديم وناظر وعامل وناقص وكامل ولي من جابي منوط بتفريق قلوبهم وجمع سويدائها الى بابي ولي في المدارس ذو وساوس وفي الجوامع والبيع والصوامع من مذكر وواعظ وامام وحافظ ومقرئ وعابد وشيخ وزاهد ولي في الزوايا من خبايا وفي أصحاب الروايات من درايات وفقيه في النادي فاق الحاضر والبادي يعلم لي في الشيطنة أولادي وفي الابلسة حفدتي وأجنادي وأما سائر الفساق في الآفاق وسكان الاسواق وقطان الجبال والرستاق ورجال الصحارى والاوراق فكلهم لي عشاق والى ديني مشتاق وسل عني أرباب الخانات وسكان الحانات وبالجملة غالب الطوائف وأرباب الوظائف على باب خدمتي واقف وعلى طاعة مراسيمي ليلا ونهارا عاكف مناي مناهم ورضاي رضاهم وان خالف بعض سري نجواهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وأنت الآن جئت برايتك وسالوسك وطامتك وناموسك تبدد عني عساكري وتشرد من بني الانس عشائري وتشتت جموعي وتخلي من الفسق والفساق ربوعي من غير أن تشاورني ولا تخبرني ولا تحاورني ولا تبحث معي ولا تناظرني وها أنا قد جئت اليك ونزلت كالقضاء المبرم عليك أريد أن أناظرك في أنواع من العلوم وأسألك عن حقائقها من طريق المنطوق والمفهوم بحضرة من الجن والانس وسائر نوع الحيوان والجنس فيظهر اذ ذاك جهالك فينبذك قومك وأهلك ويتركك معتقدوك ويتراجع عنك مريدوك وأفسد بين العالم صيتك وأتلفه فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه * فلما وصل رسول العفريت الكافر الصفريت الى الشيخ العابد والعالم الزاهد الجاهد المجاهد فعندما وقع نظر الشيخ عليه ووصلت سهام خطابه اليه كاد أن يذوب كالملح وأن لا يقوم الفساد للصلح فبهت الذي كفر وأخذته الدهشة والخور وغلب عليه الانبهار وكاد يحترق من الانوار واستولى عليه الرجيف وسقط من الوجيف فما أبدى ولا أعاد ولا قام للصلاح ذلك الفساد فقال له الشيخ مالك وما حالك وغير حالك وما موجب دخولك علي وأنت غير منسوب الي فقال كف عني أنوارك واطو عني أسرارك حتى أقول فاني رسول فما لي طاقة برؤيتك ولا سواغ

وماعلى الرسول الا البلاغ فقال رسول أى طعين وشيطان لعين فقال أنا رسول محبك العفريت المشقوق الحوافر الواسع المناخر المسلوب المفاخر أبى السعالى الكافر العالى قد أقبل اليك فى جمع كثير وعدد من الجن غزير ومعه رؤس العفاريت والعتاة المصاليت والطغاة المفاليت وقد حملنى اليك رساله تتضمن من الخبث شجاعة وبساله ان شئت أديتها وان أبيت رددتها فقال قل ما تريد وأبلغ ما معك عن ذلك العنيد وأوجز ما تقول ولعن الله المرسل والرسول فأبلغ الرسالة وأداها وأسال فى أوديتها مؤداها فقال الزاهد وكان بالاحوال خبيرا واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا والله ما لكم شبه فى هذا الكيد الا الحمار فى الوحل والحمام فى شبكة الصيد قل لمرسلك أرى قدمك أراق دمك وهواك أهواك وأفعالك أفعى لك وسؤالك أسوالك وخيالك أخبى لك فأولى لك أولى لك ولعن الله أولى لك لاشك أن الله تعالى أراد دماركم وان يمحوآثاركم ويخلى دياركم فتستريح البلاد من فسادكم والعباد من عنادكم أما أنا فاذل الخلق وأحقر الداعين الى الحق ولكن بعون الله وقدرته والهامه وقوته لى من العلم والفضل ما أجيبه ويقتله من خوفه به وجيبه وسيظهر فى الجمع على رؤس الاشهاد عويله ونحيبه وسيبين الله فى سنن الخلق فروضه ويكشف صحيح الحق ومريضه واذا ادعى بدعاوى طويلة عريضه فان الله تعالى قتل نمروذ العاتى ببعوضه يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون أما سمع ذلك الملعون وعلم الشقى المغبون انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فمتى أراد يحضر ويسير نفسه وخصمه ويحضر ويحضر معه من يريد من كل جنى عنيد وشيطان مريد فان الحق يحق فيبطل الباطل ويتميز فى حلبة السباق الحالى من العاطل فردهذا الجواب الرسول وكشف عن حقيقه المقول ثم ان العفريت المخذول سأل الرسول عن أوضاع الشيخ الزاهد وأحواله فى المساجد والمشاهد وما شاهده من أموره وحكاياته وحركاته وسكناته وأخلاقه ومعاملاته وكيفية هيئته وصورته وما شاع عنه فى قومه من سيرته فقال رأيت رجلا سعيد الحركات كامل البركات صورته جميله وأوصافه نبيله وهيئته جليله بدنه نحيل وفضله عريض طويل وكلامه الصادع فى أمثالنا ثقيل قاطع فقذف الله فى قلبه الفزع وأخذته نوافض الرعب والهلع فقال أما والله ان هذه الاوصاف لصفة الاعراق والاعراف وستطرحنا وراء جبل قاف وانها لسيمة الصلاح وعلامة الفوز والنجاح وانهم لهم المنصورون وحزب الله الغالبون ولقد ندمت على مراسلته وكان الاولى سلوك طريق مجاملته ولكن الشروع ملزم ولابد أن أتم ما عليه أعزم فواعده الى وقت معلوم ثم انه أحضر وأحضر معه من جنده كل جنى ظلوم وعفريت غشوم ومنهم مشوم ومخلوق من قبل من نار السموم واجتمع من بنى آدم عند الشيخ تلامذته وأصحابه الصالحون وجماعته وكانوا الجم الغفير والجمع الغزير واشترطوا بعد ما خبطوا واختبطوا وحلوا وارتبطوا أنه ان أجاب الشيخ سؤالات العفريت وسرى فى نارهم سريان النار فى الكبريت لا يظهر بعد ذلك اليوم لبنى آدم أحد من أولئك القوم بل يكونون عن الابصار مختفين وتحت الارض فى الجزائر والخرائب كزنادقة بغداد منتفين وان عجز الشيخ عن جواب سؤاله يملكه العفريت مع خيله ورجاله ثم شرع العفريت فى الرسائل والقاء المسائل فقال العالم على كم قسم بالعرض والجسم وهل للعالم موجد وهل هو واحد أو متعدد فقال الزاهد الامام العالم على ثلاثة أقسام (الاول) مفردات العناصر كالتراب والماء والنار والهواء وتسمى الاستقصاآت وأصول الكائنات والمركبات من هذه الاجزاء المفرده لا تستمر على حالة واحده ولا تخلو من حركة وانتقال ودأبها التغير من حال الى حال

فوافق الاسد قوله فاذن له بالذهاب نحو الصوت فانطلق دمنة الى المكان الذى فيه شتربه فلما فصل دمنة من عند الاسد فكر الاسد فى أمره وندم على ارسال دمنة حيث أرسله وقال فى نفسه ما أصبت فى ائتمانى دمنة وقد كان ببابى مطروحا فان الرجل اذا كان يحضر باب الملك وقد أبطلت حقوقه من غير جرم كان منه أو كان مبغيا عليه عند سلطانه أو كان عنده معروفا بالشره والحرص أو كان قد أصابه ضر وضيق فلم ينعشه أو كان قد اجترم جرما فهو يخاف العقوبة منه أو كان يرجو شيأ يضر الملك وله منه نفع أو يخاف من شئ مما ينفعه ضرا أو كان لعدو الملك مسالما ولمسالمه محاربا فليس السلطان بحقيق أن يعجل بالاسترسال الى هؤلاء والثقة بهم والائتمان لهم فان دمنة داهية أديب وقد كان ببابى مطروحا مجفوا ولعله قد احتمل على بذلك ضغنا ولعل ذلك يحمله على خيانتى واعانة عدوى ونقيصتى عنده ولعله صادف صاحب الصوت أقوى سلطانا منى فرغب فيه عنى ويميل معه على ثم قام من مكانه تمشى غير بعيد فبصر بدمنة مقبلا نحوه فطابت نفسه بذلك ورجع الى مكانه ودخل دمنة على الاسد فقال له ماذا صنعت وماذا رأيت قال رأيت ثورا هو صاحب الخوار والصوت الذى سمعته قال فما قوته قال لا شوكة له وقد دنوت منه وحاورته محاورة الاكفاء فلم يستطع لى شيأ قال الاسد لا يغرنك ذلك منه ولا يصغرن عندك أمره فان لريح الشديد لا تعبأ بضعيف الحشيش لكنها تحطم طوال النخل وعظيم الشجر (قال دمنة) لا تهابن أيها الملك منه شيأ ولا يكبرن عليك أمره فانا آتيك به ليكون لك عبدا سامعا مطيعا قال الاسد دونك وما بدا لك فانطلق دمنة الى ال

(الثانى) الاجرام العلويه كالسموات وكواكبها المضيه وهى متحركة بالبروج ولحركتها دائرة مالها من مركزها خروج فهى متحركة من بعض الجهات ساكنة كالفصوص فى المرصعات وتوصف فى حركتها بالصعود والهبوط والارتفاع والسقوط والرجوع والاقبال واستقامة الحال والاحتراق والانصراف والانحطاط الى الحضيض والاشراف ويحكم عليها بالافتراق والاقتران والتربيع والتثليث والتسديس فى السيران والمقابلة فى الرجعه وبطء السير والسرعه وينسب اليها ما يحدث فى العالم السفلى من جزئى الوقائع والكلى ومن نحوسة وسعاده ونقص وزياده وخير وشر ونفع وضر وتاثر وتاثير وقليل وكثير وانحراف واعتدال وحدوث وزوال وصحة وسقم وسكون وألم ووجود وعدم فبعض من لم يعرف الطريقه يسند هذه الاشياء على الحقيقه وذلك لقصور فهمه وقلة العقل كقول الجاهل أنبت الربيع البقل وبعض من لم يكن له ادراك يزعم أن هذا اشراك ولا يسند هذه الحوادث اليها ولا يعول فى ذلك أبدا عليها لا بالحقيقة ولا بالمجاز ولا يسلم فى ذلك الى طريقة المجاز والمحققون من العلماء والراسخون فى العلم من حكماء الفقهاء يسندون هذه الحوادث والتأثير الى قدرة اللطيف الخبير الصانع القدير الفاعل المختار الذى يخلق ما يشاء ويختار فاذا نسبوا هذه الافعال الى غير ذى الجلال فانما يجعلونها فى ذلك الباب كالآلات والاسباب كتأثير الخبز فى الاشباع والنار فى الاحراق والايجاع وكفعل الماء فى الارواء والدواء فى الادواء وانما ذلك كله بتقدير صانعها وما أودعه فيها من خواص بدائعها وصفات ودائعها كخاصية الاسهال المودعة فى السقمونيا وخواص التصبير وغيره الكامنة فى الموميا والاسكار فى الخمر والاحراق فى الجمر وقد رأينا القوة النامية عقيب الامطار الهاميه والشمس حاميه تهيج وتنمو وتموج وتزكو وهذا الصنيع البديع اذا حلت الشمس فى برج الحمل وقت الربيع واذا نقلت الى برج الاسد احترق ذلك الجسد وعند نقلها الى الميزان ينقلب هذا الزمان وكذا اذا تحولت الغزالة الى برج الجدى فكأنه بلغ الى محل الهدى فتموت اذ ذاك قوة الزمان ويضعف لذلك غالب الحيوان وهذا كله مشاهد محسوس لا يمكن أن تنكره النفوس خواص وضعها خالق الكون يستفاد بعضها من الطعم والريح واللون وبعضها لا يدرك ما أودع فيه الا بارشاد خالقه ومنشيه هكذا جرت سنة العزيز الوهاب أن الاحكام والوقائع تناط بالاسباب وقد يتخلف منها الاثر عن المؤثر ليعلم من ذلك وجود القاهر المدبر وأنها مقهورة تحت الامر ومقسورة قسر العقل مع الخمر ولولا أن ذلك من سر جسيم لما تخلفت النار عن احراق ابراهيم ولما ولدت مريم عيسى ولا أغرق البحر القبط وأنجى بنى اسرائيل وموسى وكم من آكل وهو جيعان وشارب وهو عطشان ومتدثر يتدفأ بالنار وهو بردان والفلك الاعظم محيط بهذه الاجرام ونسبتها اليه كنقطة للبحر الطام متأثرة بتأثيره دائرة بتدويره يتصرف فيها على حسب ما شاء باريها وصرفه فيها منشيها فاطر السموات والارض جامع الخلائق ليوم العرض وكما هى محاطة بالدائرة الفوقانية كذلك هى محيطة بالكرة التحتانية (القسم الثالث) العقول والنفوس الملكيه وهى أشرف من الاجرام العلويه ومقام هذه العقول فى مقام عزيز الوصول يسمى أعلى عليين وجواهرها لا توصف بتحريك ولا تسكين ولا بهذه البساطة والتركيب وأمرها بديع وشأنها عجيب وأما العرض فلا يقوم بذاته وهو فى العالم كالالوان والطعوم وأصواته والروائح والقدر وارادانه وأما الجسم فما تركب من جوهرين فأكثر وما قام بنفسه يسمى الجوهر (وأما) الموجد للعالم فهو واحد لا يثنى واحد لا يتجزأ ولو لم يكن للعالم صانع لكان العالم أضيع ضائع وهل رأيت مصنوعا بلا صانع وسقفا مرفوعا بلا رافع وهل نفى الصانع الا مكابره وما يجحده الا النفوس الكافره فقال العفريت فما الدليل على وجود الصانع العقل والنقل أم أحدهما متبوع والآخر تابع فقال العالم الزاهد قد أطبقت العقلاء وأجمعت الحكماء

فقال له غير هائب ولا مكترث ان الاسد أرسلنى اليك لآتيه بك وأمرنى ان أنت عجلت اليه طائعا أن أؤمنك على ما سلف من ذنبك فى التأخر عنه وتركك لقاءه وان أنت تأخرت عنه وأحجمت أن أعجل الرجعة اليه فاخبره قال له شتربه ومن هو هذا الاسد الذى أرسلك الى

وأين هو وما حاله (قال دمنة) هو ملك السباع وهو بمكان كذا وكذا ومعه جند كثير من جنسه فرعب شتربه من ذكر الاسد والسباع وقال ان أنت جعلت لى الامان على نفسى أقبلت معك اليه فاعطاه دمنة من الامان ما وثق به ثم أقبل والثور معه حتى دخلا على الاسد فاحسن الاسد الى الثور وقربه وقال له متى قدمت هذه البلاد وما أقدمك ها فقص شتربه عليه قصته فقال له الاسد اصحبنى والزمنى فانى مكرمك فدعا له الثور وأثنى عليه * ثم ان الاسد قرب شتربه وأكرمه وأنس به وائتمنه على أسراره وشاوره فى أمره ولم تزده الايام الا عجبا به ورغبة فيه وتقريبا منه حتى صار أخص أصحابه عنده منزلة فلما رأى دمنة أن الثور قد اختص بالاسد دونه ودون أصحابه وانه قد صار صاحب رأيه وخلواته ولهوه حسده حسدا عظيما وبلغ منه غيظه كل مبلغ فشكا ذلك الى أخيه كليلة وقال له ألا تعجب يا أخى من عجز رأيى وصنعى بنفسى ونظرى فيما ينفع الاسد وأغفلت نفع نفسى حتى جلبت الى الاسد ثورا غلبنى على منزلتى (قال كليله) قد أصابك ما أصاب الناسك قال دمنة وكيف كان ذلك (قال كليله) زعموا ان ناسكا أصاب من بعض الملوك كسوة فاخرة فبصر به سارق فطمع فى الثياب فاتى الناسك وقال له انى أريد أن أصحبك فاتعلم منك وآخذ عنك فاذن له الناسك فى صحبته

أن العقل دليل على وجود الصانع وبه الدلالة والشرع له تابع وكما هو الدليل على وجود الذات كذلك هو الدليل المستقل على اثبات الصفات وهى صفات الكمال ونعوت الجلال فقال العفريت فالدليل على وحدانيته فقال الزاهد كل من العقل والشرع كاف فى دلالته قال العفريت فالمراد من عالم الكون والفساد فقال العالم معرفة أمور المبدا والمعاد قال العفريت فأفضل العقل أم النقل فقال العالم كل منهما حجة الله قد أسنده من عباده من براه وذلك ان الله لما أرشدنا الى الدين القويم وثبت أقدام توحيدنا على الصراط المستقيم نبهنا الى أن المقصود من الدخول فى دائرة الوجود معرفة موجدنا المعبود كما قال من يقول للشئ كن فيكون وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ثم طلب مراضيه بما تبرز به أوامره وتقتضيه وذلك هو الرشاد ياذا المكر والعناد الى المعارف الالهيه وما به نظام المعاش ونجاة المعاد وليس لنا دليل فى العلم والتعريف سوى طريقتين مرشدتين الى التوقيف على أمور المبدا والمعاد وما بينهما فى دار التكليف احداهما ما جبلنا عليه وما اكتسبناه من العقل وثانيتهما ما بلغنا من الاخبار الصحيحة والنقل فالعقل لا يدخل فى اثبات المعارف الالهية ولا فى هذا الباب المقدم من الامور المعاشية والمعاديه وهو حجة الله القاطعة البالغه وأصل براهينه الساطعة الدامغه وبواسطته استعبد عباده الكمله والى من خصه به أرسل رسله ثم العقل جوز ارسال الرسل ولا برد ما تقوى به لتوضيح السبل والنقل لا ياتى بما يناقض العقل وانما يرد بما تزكى قضاياه ويصقل مرائى أحكامه أحسن صقل ونظير ما حصل للعقل بالشرع من الاستئناس ما حصل للكتاب من معاضدة السنة والاجماع والقياس ولو ورد المنقول بما يناقض المعقول لاشبه فرعا وجد ماله من أصول اذا أقبلت مواكب الاوامر الالهيه على لسان الرسول خضعت جماجم العقول منقادة بزمام الانقياد والقبول سامعة لما يرد منها مطيعة لما يصدر عنها فتارة يظهر للعقل ما للاوامر الشرعية من الحكم ... على علم وتارة يعجز عن الاطلاع على ما تضمنته الاحكام النقلية من الحكم فاذا ورد الشرع بحكم وكان للعقل فى حكمته ادراك آثره وأكده واستمسك به فى تصرفاته أقوى استمساك وان لم يكن له فى ادراكه مدخل نادى بلسان العجز والتسليم سبحان من لا يسئل عما يفعل والحاصل أن سلطان العقول فى ممالك خليفة الشرع وولايته معزول ومن جملة ما ورد على لسان السمع على لسان عدول صاحب الشرع الصادق فى المقال مما ليس للعقل فيه مجال أحوال المعاد ومبدؤها ما يطرأ على العباد فى حد هذا الكون من الفساد فقال العفريت أخبرنى ياذا الانسان مخلوق مماذا وما الآدميه والنفس الانسانيه وهل هى واحده أو متعدده وما آلها الى أين بعد وقوع البين فقال العالم الانسان مخلوق يا مصفعه من هذه العناصر الاربعه التى مر ذكرها وتبين أمرها التراب والماء والنار والهواء فاذا تمازجت واعتدلت اذا تزاوجت حصل لها من التركيب أمزجة ثمانية لا على الترتيب والآدمية عبارة عن القوة المميزة بين الحسن والقبيح والفاسد والصحيح والحق والباطل والحالى والعاطل والخير والشر والنفع والضر والمميزة لهذه الاشياء الفارقه يقال لها النفس الناطقه وهى ثلاثة أنواع يا خارج الطباع أحدها الروح الطبيعية القائمة بالكبد وهى من الاغذية تستمد الثانية الروح الحيوانية ومقامها القلب أى كلب وللابدان منها حراك واستمدادها من حركات الافلاك الثالثة الروح النفسانيه ومقامها فى الدماغ ومنها الحركات الذهنيه والقوة التامة القويه تطلب غذاءها من الروح الطبيعيه والقوة المميزة تطلب ما يسعدها فى الدارين من الروح النفسانيه ويبعدها فى المقامين عن الاسباب الشقيه واستمدادها وقوتها من الاجرام العلويه وأعلى مقامات هذه النفس الحكمه والحكمة أوفى منحة وأوفر نعمه وقد قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة ...

فصحبه منشهايه ورفق له فى خدمته حتى اذا ظفر به أخذ تلك الثياب فذهب بها فلما فقد الناسك ثيابه علم أن صاحبه قد أخذها فتوجه فى طلبه نحو مدينة من المدن فمر فى طريقه بوعلين يتناطحان حتى قد سالت دماؤهما فجاء ثعلب يلغ فى تلك الدماء فبينما هو يلغ ولوغه فى تلك الدماء اذ أقبل عليه الوعلان بنطاحهما فقتلاه ومضى الناسك حتى دخل تلك المدينة فلم يجد فيها اقرى الا بيت امرأة فنزل بها واستضاف عندها وكانت المرأة جارية تؤاجرها وكانت الجارية قد علقت رجلا وهى له مريدة وقد أضر ذلك بمولاتها فاحتالت لقتل الرجل فى تلك الليلة التى استضاف بها الناسك ثم ان الرجل وافى فاسقته من الخمرة حتى سكر ونام ونامت الجارية الى جانبه فلما استثقلا نوما عمدت الى سم كانت قد أعدته فى قصبة لتنفخه فى دبر الرجل فلما أرادت ذلك بدرت من دبر الرجل ريح فعكست السم الى حلق المرأة فوقعت ميتة وكل ذلك بعين الناسك وسمعه فلما رأى ذلك خرج يبتغى منزلا غيره فاستضاف عند رجل اسكاف فأتى به امرأته وقال لها انظرى الى هذا الناسك وأكرمى مثواه وقومى بخدمته فقد دعانى بعض أصدقائى للشرب عنده ثم انطلق ذاهبا وكان للمرأة خليل والسفير بينهما امرأة حجام فأرسلت امرأة الاسكاف الى امرأة الحجام تأمرها بالمسير اليها وتعرف خليلها خلو وجهها وقالت ان زوجى قد ذهب ليشرب عند بعض أصدقائه ولن يعود الا سكران فقولى له يسرع اوتى السكرة ثم ان خليل المرأة جاء فقعد على الباب ينتظر الاذن وجاء الاسكاف سكران فرأى الرجل وارتاب به ودخل مغضبا الى امرأته فأوجع

أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب ومصيرهذه الارواح الى عالم الغيب لاجل الثواب والعقاب وقيل حقيقة نفس الانسان أيها المارد الشيطان لطيفة روحانيه ودقيقة ربانيه لها تعلق ربانى بقلبه وقالبه الجسمانى وهى المدركة العالمه العارفة الفاهمه بها يتكلم الانسان وتبصر العينان وتسمع الاذنان وتبطش اليدان وتمشى الرجلان وهى المخاطبة والمعاتبه والمثابة المعاقبه والمطلوبة والمطالبه ويطلق عليها لفظ القلب تارة ولفظ الروح أخرى ويقال لها النفس مرة ولفظ العقل أيضا وابن آدم هو المخصوص بهذه الكرامات وبهذه النفس دون سائر الحيوانات وان كان يطلق على الجميع ان لها نفسا بالاشتراك لكن هذه النفس الناطقة والنطق هو الادراك واختلف أيضا وتحيرت الالباب فى صنع رب الارباب وتاهت الافكار والفطن فى كيفية تعلقها بالبدن ولا يحصل لاحد على هذا وقف الابطريق الولاية والكشف وهذه النفس لما كثرت صفاتها وتضادت نعوتها تخالفت أوصافها وازدادفى صفاتها اختلافها حتى قسموها فقالوا أنواعها ثلاثة ناطقة وشهوانيه وغضبية رضيه فالناطقة مسكنها الدماغ ولها فيه مساغ والكبد مسكن الشهوانيه والقلب مسكن الغضبيه الرضيه فأية نفس غلبت أختيها جذبت أحوالهما وصفاتهما اليها وهذه يا أنحس زوبعه كالعناصر الاربعه فانها اذا فسد مزاجها وعدل عن الاعتدال ازدواجها عسر علاجها واستحال الى المطلوب الطالب وعجز عن المعالجة الطبيب ففسد البنيان وانهدمت الاركان وقيل هما روح ونفس بغير لبس ومتضادان بل ندان لا يجتمعان ولا يرتفعان وطبع النفس يا لئيم طبعك طبع الشيطان الرجيم كالنار فى جوهرها وخاصة عنصرها تنسب اليها الصفات الذميمه والخلال غير المستقيمه كالجهل والغضب والحدة والعجب واللؤم والسفه والطيش والشره والحمية والشهوه والقسوة والجفوه والحسد واللجاج والحقد والاحتجاج والحرص والبخل والتوانى والكسل والحمق والخيانه والفجور وعدم الامانه والترفع والرياء والمخاصمة والمراء وسائر الاخلاق الذميمه والاوصاف المشؤمة اللومه والملكات الخبيثة الرديه والحركات الشيطانيه فهى كالنار فى احراقها وحدتها واستشاطتها وشدتها ودخانها ولهيبها واهلاكها وتعذيبها واقدامها فى اعدامها وأكل ماتجده وما اتصل اليه تفسده وطلب العلو والغليان والغلو وطبع الروح يا أنحس مجروح طبع الماء فى النشو والنماء ينسب اليه كل خلق كريم وطبع سليم صافى الجوهر مالامسه تطهر شيمتها الحياء والعلم والصدق والحلم والتفويض والتوكل والتسليم والتحمل والاحتمال والاناه والصبر والموافاه والتودد والاسداء والسكون والاعطاء والركون والبذل والرضا والفضل والحياء والعدل والتواضع والعفه وعدم الترفع والخفه والسلامة والسهوله وسرعة الانقياد واللين والوداد والرقة والصفاء والكرم وعدم الجفاء الى سائر الاخلاق المحموده والاوصاف المطلوبة الموددوه وأيتهما قويت غلبت وجذبت الاخرى اليها وسلبت وسيرتها على طبعها واستخدمتها على ربعها فكم من شيطان يرى فى صورة انسان ومن انسان غلبت عليه أخلاق الجان ومن جان فى صورة انسان ونظير هذا الروح والبدن يدركه ذو العقل والفطن فان الروح من عالم نورانى لطيف سماوى والبدن من عالم ظلمانى كثيف أرضى فأيهما غلب على صاحبه جذبه الى مركزه فى جانبه قال الله تعالى وعز كمالا وجل جلالا ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وقال جل عليا ورفعناه مكانا عليا وقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض فالانبياء عليهم السلام صارت أجسادهم أرواحا والكفار مثلك صارت أنفسهم ظلمانية أشباحا وقيل يا زوبعه الانفس أربعه امارة وهى أنفس مثلك الكفار الطغاه ولوامة وهى أنفس العصاه وملهمة وهى أنفس المخلصين ومطمئنة وهى أنفس الانبياء والمقربين والحق يا جاحده ماهى الانفس واحده

ضربا ثم أوثقها فى اسطوانة فى المنزل وذهب فنام لا يعقل وجاءت امرأة الحجام تعلمها ان الرجل قد أطال الجلوس فماذا تأمرين فقالت لها ان شئت فأحسنت الى وحللتينى وربطتك مكانى حتى انطلق الى خليلى وأعجل العودة فأجابتها امرأة الحجام الى ذلك وحلتها وانطلقت الى خليلها وأوثقت هى نفسها مكانها فاستيقظ الاسكاف قبل ان تعود زوجته فناداها باسمها فلم تجبه امرأة الحجام وخافت من الفضيحة ان ينكر صوتها ثم دعاها ثانية فلم تجبه فامتلأ غيظا وحنقا وقام نحوها بالشفرة فجدع أنفها وقال خذى هذا فاتحفى به صديقك وهو لا يشك فى انها امرأته ثم جاءت امرأة الاسكاف فرأت صنع زوجها بامرأة الحجام فساءها ذلك وأكبرته وحلت وثاقها فانطلقت الى منزلها مجدوعة الانف وكل ذلك بعين الناسك وسمعه ثم ان امرأة الاسكاف جعلت تبتهل وتدعو على زوجها الذى ظلمها ثم رفعت صوتها ونادت زوجها أيها الفاجر الظالم قم فانظر كيف صنعك بى وصنع الله بى كيف رحمنى ورد أنفى صحيحا كما كان فقام وأوقد المصباح ونظر فاذا أنف زوجته صحيح فاستغفر اليها وتاب من ذنبه واستغفر الى ربه وأما امرأة الحجام فانها لما وصلت الى منزلها تفكرت فى طلب العذر عند زوجها وأهلها فى جدع أنفها ورفع الالتباس فلما كان عند السحر استيقظ الحجام فقال لامرأته هاتى متاعى كله فانى أريد المضى الى بعض الاشراف فأتته بالموسى فقال لها هات الآلة جميعها فلم تأته الا بالموسى فغضب حين أطالت التكرار ورماها به فألقت نفسها الى الارض وولولت وصاحت أنفى أنفى وجلبت حتى جاء أهلها وأقرباؤها فرأوها على تلك الحال فأخذوا الحجام

لكن لما تجلت في ملابس الصفات وتكثرت لها الاخلاق والسمات نوعوها وبمقتضى التنويع فرعوها تنزيلا للتنويع بالصفات منزلة التنويع في الذات فيقال كانت نفس هذا شيطانيه فتاب فصارت رحمانيه وكانت نفس ذاك أبيه فصارت دنيه قال من براها ونفس وماسوّاها فالهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها قال العفريت أخبرني أيها الباصر كيف تركيب هذه العناصر فقال الزاهد بحسب الخفة واللطافه والثقل والكثافه ولما كان عنصر التراب أثقل كان أركز من غيره وأنزل ومن فوقه عنصر الماء وفوق الماء عنصر الهواء ومن فوق هذه الثلاثة عناصر عنصر النار وهو بها محيط دائر وكذلك كل عنصر محيط بما تحته وقد حققت هذا وعلمته قال العفريت أخبرني عن أقرب الاشياء اليك قال العالم الاجل أقرب الاشياء الاجل قال أخبرني عن أبعد الاشياء عنك قال العالم الاكبر مالم يقسم ولم يقدر قال أخبرني عن الشئ الممكن عوده قال الدولة ان زالت وتغيرت واستحالت يمكن ردها ولا يستحيل عودها قال أخبرني عن الشئ المستحيل عوده قال الشباب بغير شك ولا ارتياب قال أخبرني عما لا يمكن بالاكتساب ولا ينال الا بتوفيق الوهاب قال العقل الغريزى فانه وهبي عزيزى قال أخبرني عما لا يمكن ضبطه ولا ينضبط ربطه قال الدهر اذا ولى والسعد اذا تخلى قال أخبرني يا ذا الجد عن الهزل الذى يراد به الجد قال ابراز حكم الامثال والآيات على لسان الحيوانات والجمادات قال أخبرني عما لا يمكن الاحاطة به ولا الوقوف على معرفة كنهه قال عظمة صانع الكائنات خالق الموجودات تعالى أن يحاط به علما وتقدس أن تدرك عظمته معرفة ووهما ولهذا قال سيد المرسلين وحبيب رب العالمين لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وهذا مصداق قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره * فلما طالت المقاوله وانتهت الى هذا الكلام المجادله أقبل الليل وحل بالعفريت وجنده الويل رتصدع المجلس وقام العفريت وهو مبلس وتواعدوا الى الصباح عند قول حي على الفلاح أن تجتمع الوجوه الصباح لردجواب الشياطين القباح فتفرقوا وقد أحاط بالعفريت لوهم ونفذ في أحشائه من سهام الذل أقطع سهم وبات لا يقر له قرار ولا يأخذه اصطبار وساوره الافتكار وثاوره الهم والدمار والغم والبوار

الى أن أضاء الصبح كالحق مقبلا * وولى ظلام الليل كالجهل مدبرا

فاجتمع من كان بالامس حاضرا ومن سمع بحضورهم ولم يكن ناظرا من جموع الانس والجن وطوائف الجن والبن وأخذ كل مقامه وابتدأ العفريت كلامه وقال ما منبع الصفات الجيده والشمائل السعيده المار ذكرها القار أمرها وهي بهذا نتيجة ماذا فقال العالم المحقق العامل المدقق هي ثمرة العقل القويم الهادى الى الصراط المستقيم ويكفي العقل الشريف انه مناط التكليف لانه به يخاطب وبه يثيب ويعاقب وبه يأخذ وبه يعطي وتابعه يصيب ولا يخطي وكلما كان العقل أتم كانت محاسن الاخلاق أعم وكلما كان رأى العقل أصوب كان في اقتناء مكارم الاخلاق أرغب قال العفريت فهل هو نوع متحد أو طريقه متعدد قال الشيخ العقل نوعان وحكمه واحد لا يختلف فيه اثنان أحدهما العقل الغريزى اللطيف وهو مناط التكليف يحدثه الرحمن ويتدرج الى بلوغ الانسان فيكمل اما بالسن أو الاحتلام ويجرى عليه اذ ذاك قلم الاحكام ويدخل في حيز المخاطبين من ذوى الاحلام ويترتب عليه الحساب والعقاب من الحلال والحرام والثاني يحصل بالاكتساب والتجربة في كل باب ولهذا يقال ان الشيوخ أكمل عقلا من الشباب وقيل من بيضت الحوادث سوادلمته وأخلقت التجارب لباس جدته وأرضعه الدهر من وقائع الايام اخلاف ذريته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف اقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحته فهو في قومه بمنزلة النبي في أمته قال بعض الحكماء

فانطلقوا به الى القاضي فقال له القاضي ما حالك على جدع أنف امرأتك فلم تكن له حجة يحتج بها فامر به القاضي ان يقتص منه فلما انطلق للقصاص وافى الناسك فتقدم الى القاضي وقال له أيها الحاكم لا يشتبهن عليك هذا الامر فان اللص ليس هو الذى سرقني وان الثعلب ليس الوعلان قتلاه وان البغي ليس السم قتلها وان امرأة الحجام ليس زوجها جدع أنفها وانما نحن فعلنا ذلك بانفسنا فسأله القاضي عن التفسير فأخبره بالقصة فأمر القاضي باطلاق الحجام (قال دمنه) قد سمعت هذا المثل وهو شبيه بأمرى ولعلى ما ضرني أحد سوى نفسي ولكن ما الحيلة (قال كليله) أخبرني عن رأيك وما تريدان تعزم عليه في ذلك (قال دمنه) أما أنا فلست اليوم أرجو ان تزداد منزلتي عند الاسد فوق ما كنت عليه ولكن التمس ان أعود الى ما كانت حالى عليه فان أمورا ثلاثة العاقل جدير بالنظر فيها والاحتيال لها بجهده منها النظر فيما مضى من الضر والنفع أن يحترس من الضر الذى أصابه فيما سلف لئلا يعود الى ذلك الضرر ويلتمس النفع الذى مضى ويحتال لمعاودته ومنها النظر فيما هو مقيم فيه من المنافع والمضار والاستيثاق بما ينفع والهرب مما يضر ومنها النظر في مستقبل ما يرجو من قبل النفع وما يخاف من قبل الضر ليستتم ما يرجو ويتوق ما يخاف بجهده وانى لما نظرت في الامر الذى به أرجو أن تعود منزلتي وما غلبت عليه مما كنت فيه لم أجد حيلة ولا وجها الا الاحتيال لآكل العشب هذا حتى أفرق بينه وبين الحياة فانه ان فارق الاسد عادت لى منزلتي ولعل ذلك يكون خيرا للاسد فان افراط

فى تقريبة الثور خليق أن يشينه و يضره فى أمره (قال كليلة) ما أرى على الاسد فى رأيه فى الثور ومكانه منه ومنزلته عنده شيئا ولا شرا (قال
دمنه) انما يؤتى السلطان و يفسد أمره من قبل ستة أشياء الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق فاما الحرمان
فانه يحرم صالح الاعوان
والنصحاء والساسة من أهل
الرأى والنجدة والامانة
وترك التفقد ممن هو كذلك
وأما الفتنة فهو تحارب
الناس ووقوع الحرب
بينهم وأما الهوى فالاغرام
بالنساء والحديث واللهو
والشراب والصيد وما أشبه
ذلك وأما الفظاظة فهى
افراط الشدة حتى يجمع
اللسان بالشتم واليد
بالبطش فى غير موضعهما
وأما الزمان فهو ما يصيب
الناس من السنين والموت
ونقص الثمرات والغزوات
وأشباه ذلك وأما الخرق
فاعمال الشدة فى موضع
اللين واللين فى موضع الشدة
وأن الاسد قد أغرم بالثور
اغراما شديدا هو الذى
ذكرت لك انه خليق أن
يشينه ويضره فى أمره (قال
كليلة) وكيف تطيق الثور
وهو أشد منك وأكرم على
الاسد منك وأكثر أعوانا
(قال دمنه) لا تنظر الى
صغرى وضعفى فان الامور
ليست بالضعف ولا القوة
ولا الصغر ولا الكبر فى الجثة
فرب صغير ضعيف قد بلغ
بحيلته ودهائه ورأيه ما
يعجز عنه كثير من الاقوياء
أولم يبلغك ان غرابا ضعيفا
احتال لاسود حتى قتله (قال
كليلة) وكيف كان ذلك (قال
دمنه) زعموا أن غرابا كان له وكر فى شجرة على جبل وكان قريبا منه جحر ثعبان أسود فكان الغراب اذا أفرخ عمد الاسود الى فراخه فأكلها
فبلغ ذلك من الغراب وأحزنه فشكا ذلك الى صديق له من بنات آوى وقال له أريد مشاورتك فى أمر قد عزمت عليه قال وما هو قال الغراب قد

كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل وقال

ألم تر أن العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

(قال) العفريت فما فائدة العقل (قال العالم) فائدته الارشاد فى ابتداء الجهالة الى جادة الرشاد والاعانة فى
الشدائد والوقوع فى مصايد المكايد وحصول الخلاص من شرك الاقتناص واجابة الاغاثة عند
الاستعانة والاستغاثة ومد المعونه اذا انكسرت من الجهل السفينه فى بحر الملامه والخلاص الى بر
السلامه والاغناء من كنز السعاده والصبر عند استيلاء نوائب الفقر قال فمن العاقل فى العالم ومن يطلق
عليه هذا الاسم من بنى آدم قال العالم العاقل من يحتمل اذا ضيم ومن هو فى الغضب حليم فاذا أعطى
شكر واذا منع صبر و يعفو اذا قدر و يستهين بأمور الدنيا ولا يغفل عن أمور الاخرى (قال العفريت)
ما الفائدة فى حب الدنيا والرغبة الى ما فيها من الاشيا ولاى معنى غلب الحرص والهوى والرغبة فيها على
أهلها و بنيها (قال العالم) لاجل قيام العالم وانتظامه على المنهج الاقوم وبقائه المطلوب الى الاجل
المضروب الذى قدره موجده القديم الذى أنشأه أول مرة وهو بكل خلق عليم ولابد من أن تتم كلمته
وتنفذ مشيئته ولولا الحرص والامل لبطل العلم والعمل فانهما حجاب الغفلة يغشيان أعين البصائر
و يغطيان طرق الاستدلال والضمائر فلذلك ذهلت العقول عن التأمل فى العواقب واشتغلت بالتهائها
عما يجب عليها أن تراقب ولولا طول الامل لما رجى العمل ولما انتظم أمر المعاش ولا اهتم لادخار قوت
و رياش ولا افتكر صاحب اليوم فى أحوال الغد ولا ارتفعت المعاملات وما دان أحد أحدا ولا زرع زارع
ولا غرس غارس ولا بنى بان ولا اخضر يابس ولانقرض اذ ذاك نظم العالم و بانقراضه تنقرض أمور بنى
آدم (قال العفريت) أخبرنى عن أصل الانسان وما جوهره وجوهر الملك والجان (قال) الشيخ أما جوهر
الملك فمن العقل المحض براه رب السموات والارض ولذلك لا يصدر من الملائكه الا الشيم المباركه من
الطاعات لمولاهم والانقياد لاوامر من أنشاهم وامتثال ما أمر من أمر مروم وما منا الا له مقام معلوم
لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون وأما جوهر الجان وأصلك يا أخس شيطان فمن الاخلاق
الذميمه والصفات المشومه فلهذا لا يوجد منكم الا المكر والبلبسه والشيطنة والوسوسه وأخس
بصفاتكم من صفه ولم يكن بينكم و بين الحق معرفه فأنتم يا أخس بغيض وأنحس نهيض مع الملائكة
فى طرفى نقيض وأما جوهر الانسان فما اشتملت عليه صفاتا الملك والجان فمن غلب عقله شهوته ألبس
من مكارم الشيم خلعته واضمحلت ظلمات نفسه فى أنواع الطاعه وتجلت صفات ذاته من سنن الابرار فى
جماعه وخط رسم اسمها قلم الكرام الكاتبين كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما أدراك ما عليون كتاب
مرقوم يشهده المقربون فهو وان كان بجسمانه مع الانس له حضور وأنس لكن بسره فى عالم
الملكوت حضرة القدس فهو بصفاته المباركه أشرف من الملائكه ومن غلبت شهوته عقله واستولت
على قلبه حجب الغفله فانغمس فى بحر الشهوات واستحوذتم أنتم عليه بذميم الصفات وأشقاه القدر
السابق ولم يعقكم عن التصرف فيه عائق فهو بالنهار ساه و بالليل لاه استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم
ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون فهو أخسر من أرذل الحيوانات
وأدنى من أدنى الجمادات فقد خاب مآبا وتعس انقلابا و يقول يوم القيامة يا ليتنى كنت ترابا (قال
الراوى) فلما انتهى الكلام الى هذا المقام أمسك العفريت عنانه وأخرس الله لسانه وظهر فضل
الزاهد وعلمه و وفور حكمه وحكمه وفهمه وانه أصاب فيما أجاب ولزم العفريت ومن معه من
الجن والعفاريت وطوائف المردة والشياطين والعندة المتمردين وذوى الابلاس والوسواس الخناس
ما شرطوه على أنفسهم من التخفى وعدم الظهور والتفرق فى الخرائب والكفور فتفرقوا واختفوا

ومصلين وبجد عين انتفوا وسكنوا الخرائب والحمامات والحانات والخانات فلم يظهر وابعد ذلك للانس وحصل منهم بذلك للانس الانس واستراحوا من مشاهدة طلعتهم القبيحه واستمرت الى يوم القيامة من تلك القبائح مستريحه * وهذا آخر الباب والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

﴿الباب الخامس فى نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع﴾

(قال) الشيخ أبو المحاسن المرتوى من بحار الحكمة بماء غير آسن فلما أنهى الحكيم هذا الباب العظيم عن عالم الانس والشيطان الرجيم تنبه الملك لغزارة حكمه فافرغ عليه خلع احسانه وكرمه وغمسه فى غدير فضله ونعمه ثم أمر أن يقوى الطباع ويذكر نوادر الوحوش والسباع لتنبسط النفس وترتاض وتحلى بعقود عقيد هذه الاحماض فقبل أرض العبودية بشفاه الادب وانتهض لاداء ما عليه من المراسيم وجب وقال كان فى بعض الغياض أسد رباض عظيم الصوره كريم السريرة والسيره وافى الحشمه عالى الهمه كثير الاسماء والالقاب عزيز الاصحاب كبير بين الامراء والحجاب والوزراء والنواب يدعى فى جوانب مملكته وأطراف ولايته بحيدرة وبيهس وضيغم والدوكس والغضب والضرغام والعنبس والطيثار والهندبس الغضنفر والهرماس والغضبان وأبى العباس الى سائر الاسماء والالقاب والكنى وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى وهو مطاع فى ممالكه وولاياته وأقاليمه مترشف ثغور الامتثال بشفاه أمثلته ومراسيمه وكان له ومن خواص الندماء وكبراء الجلساء نديمان كندمانى جذيمه يلازمان حضرته ويلجان حريمه أحدهما ثعلب يدعى أبا نوفل والآخر ضبع يسمى أخا نهشل طبعهما ظريف وشكلهما لطيف ومحاضرتهما مرغوبه وصحبتهما مطلوبه وكان فى خدمته دب هو وزيره ومعتمده ومشيره كافل أمور مملكته ومدبر مصالح رعيته والملك مفوض أمور الرعية اليه ومعتمد لما يعلم من كفايته عليه ومشغول ليلا ونهارا بمعاشرة نديميه فاتسع خيال الوزير وأخذ فى مجال التفكير الى النديمين لكونهما مصاحبين قديمين ربما صدر منهما عند الملك ما يحط منزلته ويفسدان بالحسد الذى لم يخل منه جسد صولته واستحوذ عليه هذا الخيال واتسع فى ميدانه المجال فكان خائفا على وظيفته ومنصبه مترقبا منهما ما يكون عزله بسببه فنشا من ذلك فى خاطره جساوه أورثته قساوه وجذبته الى عداوه ووقر فى قلبه ذلك وتأكد وطال عليه من الدهر الامد فكان يترقب لهما الفرص ليوقعهما من الغصص فى قفص ويسابقهما قبل انتيابه ويتغدى بهما قبل أن يتعشيا به ويقول لابد من تنظيف الطريق قبل حصول التعويق وقد أحسن من قال واتقن فى المقال

ومن لم يزح عن دربه الشوك قبل أن * يطأه فلا يعتب اذا شاك رجليه

وأقل الاقسام أن يبعدهما عن حضرة الملك الهمام فاتفق أن فى بعض الاسحار تجاذب الملك ونديماه أطراف الاسمار فأثر فيهم السهر لطيب السمر فى ضوء القمر وحلاوة ما جنوا منه من ثمر عاملين بما قيل

متى ما أصادف من أحب بخلوة * أصرح بما أرجوه من متكتم * يقول فأصغى أو أبث فينثنى
ليسمع قولى كالمشوق المتيم * أسامره لا أن أمل حديثه * وآمره كل الامور سوى ثم

فأخذت الملك عيناه فاستند الى متكاه فانحل من طرفه وكاه فلم يتمالك أبو نوفل ان ضحك لما غنت زمارة الملك فتنبه من ضحكه وتعجب من جراءته وفتكه ثم استمر متناوما لينظر ما يصدر منهما فابتدره أخو نهشل وزجره فقال والله ماذا رأيت وأى عجب سمعت ووعيت حتى ترتبك فى الضحك أما قرأت وفهمت وسمعت وعلمت أن الضحك بلا سبب من قلة الادب وان الحشم وسائر الخدم ومن نادم الملوك وجالسهم يحترم أمورهم ويعظم مجالسهم سواء غابوا أو حضروا ناموا أو سهروا قاموا

عزمت ان أذهب الى الاسود اذا نام فانقر عينه فافقأها لعلى أستريح منه قال ابن آوى بئس الحيلة التى احتلت فالتمس أمرا تصيب فيه بغيتك من الاسود من غير أن تغرر بنفسك وتخاطر بها واياك أن يكون مثلك مثل العلجوم الذى أراد قتل السرطان فقتل نفسه قال الغـراب وكيف كان ذلك

(قال ابن آوى) زعموا ان علجوما عشش فى أجمة كثيرة السمك فعاش بها ما عاش ثم هرم فلم يستطع صيدا فاصابه جوع وجهد شديد فجلس حزينا يلتمس الحيلة فى أمره فمر به سرطان فرأى حالته وما هو عليه من الكآبة والحزن فدنا منه وقال مالى أراك أيها الطائر هكذا حزينا كئيبا قال العلجوم كيف لا أحزن وقد كنت أعيش من صيد ما ههنا من السمك وانى قد رأيت اليوم صيادين قد مرا بهذا المكان فقال أحدهما لصاحبه ان ههنا سمكا كثيرا أفلا نصيده أولا فقال الآخر انى قد رأيت فى مكان كذا سمكا أكثر من هذا السمك فلنبدأ بذلك فاذا فرغنا منه جئنا الى ههنا فافنيناه وقد علمت انهما اذا فرغا مما هنالك انتهيا الى هذه الاجمة فاصطادا ما فيها فاذا كان ذلك فهو هلاكى ونفاد مدتى فانطلق السرطان من ساعته الى جماعة السمك فاخبرهن بذلك فاقبلن الى العلجوم فاستشرنه وقلن له انا أتيناك لتشير علينا فان ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه قال العلجوم أما مكابرة الصيادين فلا

طاقة لى بها ولا أعلم حيلة الا المصير الى غدير قريب من ههنا فيه سمك ومياه عظيمة وقصب فان استطعن الانتقال اليه كان او
فيه صلاحكن وخصبكن فقلن له ما من علينا بذلك غيرك فجعل العلجوم يحمل فى كل يوم سمكتين حتى ينتهى بهما الى بعض التلال فيأ كلهما

أوقعدوا استيقظوا أورقدوا وقدقيل رفع قلم الحساب والضبط والعتاب عن الصبي والمجنون والعاشق والمفتون وكذلك السكران والنائم لاسيما السهران وعذر النائم يامسكين أعظم من عذر الباقين فان النوم أخو الموت وفيه ماليس في غيره من الفوت وقدقال صاحب الشرع الذي زكا منه الاصل والفرع حفظه الله بجنود الصلاة والسلام وحرسه يعتذر عن النائم العين وكاء السه وقال ذو الصدق والتصديق رفع قلم التكليف عن النائم حتى يفيق وانما اعتبر الشرع أحوال النيام وساواهم باليقظى صونا لبعض الاحكام في نحو من خمس وعشرين مسئله ضبطها من الفقهاء الكمله واقد طالعت في كتاب الاخلاق أن الله الكريم الخلاق حيث جعل جنسا من الامم في طبائع وصفات متساوي القدم فلا يعتب أحد أحدا ولا يزدريه ولا ينقم عليه عيبا هو فيه وعلى الخصوص اذا صدر من الملوك شئ يعاب فلا يحمل ذلك منهم الاعلى الفضل والصواب وكل ما كان في غير الملوك معتبه فانه اذا صدر من الملوك يعد منقبه ويجب على من يجالس الملوك وكان له في خدمتهم سلوك واختص بمحاضرتهم واستعد لمناظرتهم ان لايبصر منهم الا المحاسن ولا يخبر عنهم الا بالاحاسن وقدقيل من جالس الملوك بغير أدب حبسه فانه خاطر بروحه وعرض للبلاء نفسه وقال الله الاعظم في كتابه المحكم لنبيه صلى الله عليه وسلم فاستقم كما أمرت ولهذا قال عليه السلام شيبتني هود وأخواتها وماساد العجم والعرب الا بسلوك طريق الادب وقال عليه الصلاة والسلام أدبني ربي فاحسن تاديبي فقال المغفل أبو نوفل اذا طهر القلب من الخيانه وعاملت اليد بالامانه وتنقى العرض من العيوب وكان اللسان غير كذوب وزكت النفس بالحلم وعريت عن الجهل بلباس العلم يصلح لها أن تسخر بكل أحد وتفخر على أكبر من يكون ولو أنه الاسد وأنا اذا طار بهذه الصفات طيرى فلاعلى اذا ضحكت على غيرى فقال أخو نهشل لاتقل ذلك لا واستعذ بالله من الجهل والخيلا واعلم ياذا الكرامات أن الجاهل يعرف بثلاث علامات احداها يامحبوب أن يرى نفسه عارية عن العيوب الثانية يارفيق الخير ان يرى نفسه أعلم من الغير الثالثة أن يرى انه انتهى في فنون العلم والنهى وبلغ أعلى المراتب وهذا أكبر المعايب وقالت الحكماء اذا رأيت نفسك عارية عن العيوب وتصديت لتتبع عثرات الناس بالغيوب وفتشت عن عيوبهم الجيوب فانت حينئذ غارق في بحر العيوب وبالذي أنت طالبه مطلوب وانظر ياذا السكينه ماذا قاله الامام مالك رضي الله تعالى عنه حبر المدينه ليكن جل مطلوبك حرصك على تفقد عيوبك وقم بذلك عن نفسك وذاتك مقام حسادك ورقبائك وعداتك وقال ذو هدى وماقال سدى

لكل فتى خرج من العيب ممتلى * على كتفه منه ومن أهل دهره

فعين عيوب الناس نصب عيونه * وعين عيوب النفس من خلف ظهره

فقال أبو نوفل صدقت ونصحت اذا نطقت فجزاك الله عني خيرا ووقاك شرا وضيرا ولكن ياأخي وقعت هفوه على سبيل السهوه وحصلت زله على غفله واللفظ عن غير نظر كالسهم اذا رمي عن الوتر لايمكن رده ولا وقوفه وصده كما قيل

القول كاللبن المحلوب ليس له * رد وكيف يرد الحالب اللبنا

ولكن الذنب والاجترا اذا لم يشتهر لايتوجه عليهما العتاب ولايستحق مرتكبهما العقاب اذا استغفر وأناب وأنا وان وقع مني الخطا آمن بحمد الله من شر الجزا ومن المؤاخذة بالجريمه وان كانت عاقبتها وخيمه لانها بينك وبيني وأنت بمنزلة روحي وعيني ورفيقي وصاحبي ومراعي حقي وجانبي فسري عندك مصون وأمري عن الاشاعة مخزون وقدقال الحكماء ذو والتجارب لاتودع السر الا عند صاحب صدوق صديق ومحب شفيق وأنت هو ذاك الموثوق فاطرحه من سويداء قلبك في أسفل الصندوق

حتى اذا كان ذات يوم جاء لاخذ السمكتين فجاءه السرطان فقال له اني أيضا قد أشفقت من مكاني هذا واستوحشت منه فاذهب بي الى ذلك الغدير فاحتمله وطار به حتى اذا دنا من التل الذي كان ياكل السمك فيه نظر السرطان فرأى عظام السمك مجموعة هنالك فعلم ان العلجوم هو صاحبها وانه يريد به مثل ذلك فقال في نفسه اذا لقي الرجل عدوه في المواطن التي يعلم انه فيها هالك سواء قاتل أو لم يقاتل كان حقيقا ان يقاتل عن نفسه كرما وحفاظا ثم أهوى بكلبتيه على عنق العلجوم فعصره فمات وتخلص السرطان الى جماعة السمك فاخبرهن بذلك * وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان بعض الحيلة مهلكة للمحتال ولكني أدلك على أمر ان أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الاسود من غير ان تهلك به نفسك وتكون فيه سلامتك قال الغراب وماذاك قال ابن آوى تنطلق فتبصر في طيرانك لعلك ان تظفر بشئ من حلي النساء فتخطفه ولاتزال طائرا واقفا بحيث لاتفوت العيون حتى تأتي جحر الاسود فترمي بالحلي عنده فاذا رأى الناس ذلك أخذوا حليهم وأراحوك من الاسود فانطلق الغراب متحلقا في السماء فوجد امرأة من بنات العظماء فوق سطح تغتسل وقد وضعت ثيابها وحليها في ناحية فانقض واختطف من حليها عقدا وطار به فتبعه الناس ولم يزل طائرا واقعا بحيث يراه كل أحد حتى انتهى الى جحر الاسود فالقى العقد عليه والناس ينظرون اليه فلما أتوه أخذوا العقد وقتلوا الاسود (وانما) ضربت لك هذا المثل لتعلم ان الحيلة تجزي مالاتجزي القوة (قال كليلة) ان الثور لو لم يجتمع مع شدته رأيه لكان كما تقول ولكن له مع شدته وقوته حسن الرأي والعقل

فماذا تستطيع له (قال دمنة) ان الثور لكما ذكرت في قوته ورأيه ولكن مقر لي بالفضل وأنا خليق ان أصرعه كما صرعت الارنب الاسد (قال كليلة) وكيف كان ذلك (قال دمنة) زعموا ان أسدا كان في أرض كثيرة المياه والعشب وكان في تلك الارض من الوحوش في سعة

قال استمر عندك ساكنا صرت من بال أمره آمنا ولا يبعد ذلك من شفقتك وسابق صداقتك ووفائك بالمروه وقيامك بحقوق الاخوه وأسأل احسانك ان تحبب لصاحبك القديم مرجوه قال أخو نهشل أعجب لابي نوفل كيف يغفل أما سمعت يا عاقل قول القائل من علامات الجاهل ان يقرض ماله باللطف ثم يتقاضاه بالفظاظة والعنف وان يودع سره وخفاياه وأمره عند من يحتاج أن يتضرع اليه ويقسم في اخفائه واكتتامه عليه ثم يحلفه أن لا يبديه ولا يذكره لاحد ولا ينهيه وقد قالت الحكماء لا تودع أحدا سرا فان فعلت فانك السر لان كتمانه قيدهم وعناء وابداءه كيدهلاك وبلاء وقد قيل

وكل سر جاوز الاثنين شاع * وكل علم ليس في القرطاس ضاع

ولم يقصد بالاثنين الا الشفتين وقال الشاعر

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق

(وقال أيضا)

لا تودعن ولا الجماد سريرة * فمن الحجارة ما يسر وينطق
واذا المحك أضاع سر أخ له * وهو الجماد فمن به يستوثق

(وقال أيضا)

صن السر عن كل مستخبر * وحاذر فما الحزم الا الحذر
أسيرك سرك ان صنته * وأنت أسيره ان ظهر

وكل ما تحرك به اللسان انتشر في الكون والمكان وناهيك يا تامر قضية الحرامي مع الطامر قال أبو نوفل كيف تلك يا أخا نهشل (قال) بلغني ان رجلا من الحراميه واللصوص الكرار به كانت نفسه ذات الخيانه تحرضه على الدخول من حواصل الملك الى الخزانه وانها رؤيه الخزانة مشتاقه ولمعانقة فاسق التحرم عشاقه وكان جاهدا في أن يعطها من مناها ما يرضيها ولكن كانت نجوم الحراس بالرصد ولرجوع ذلك الشيطان كل بعد وكتم ذلك السر عن الاخوان ومضى عليه برهة من الزمان وهو يكابد اكتتامه ويخاف من السوء ختامه والقدر كائن والكائن حائن الى ان طفح عليه ماقصد وغلا جمر سره في قلبه وقذف بالزبد فطلب صاحبا يتلفظ به اليه ويعتمد في اكتتام سره عليه واختلا في حجرته فقرصه برغوث في خضرته فديه اليه وأفشى سره معتمدا عليه وقال في خاطره عند افشاء سرائره لا لهذا لسان يقدر على البيان وعلى تقدير أن لو كان فهو مثل ولدي تربى من دم كبدي ولحم جسدي واطلع على عورتي فلا يقصد عثرتي ولا يكشف سري ولا يهتك ستري ثم أدنى فاه حتى وافاه وقال يا أبا طامر وكاتم السر في السرائر اني عزمت كالنهمك على الدخول الى خزائن الملك لاستصفيها وآخذ ما فيها فاكتم هذا السر عني وامصص ما شئت من الدم مني ثم طرحه في سراويله واستمر في نيته على أباطيله ثم قصد في بعض الليالي ما كان يحاوله على التوالي ورصده في المكان من الدخول الى الخزائن فلاحت له فرصة فانتهزها واستعمل دقائق صنعه وابرزها وانتقل من ذلك الى المبيت ولطئ تحت سرير الملك كالعفريت والملك نائم فوق السرير على فراش الحرير معانق الظبي الغرير وخوزة التاج عند رأسه تقد كأنها سراج متقد فقصد اللص أخذها واقتطاعها وفلذها فامهل القوم الى أن استغرقوا في النوم وبينما هو متفكر فيما به اذ خرج البرغوث من ثيابه ودخل الى جسد السلطان وقص عليه بلسان القرص كل ما كان من شأن اللص فنهض الملك من مرقده فرأى نقطة على جسده فطلب النور لينظر الامور فرأى برغوثا طار ونزل تحت السرير فقصوا أثره على المسير فوجدوا الحرامي الكسير فربطوه كالاسير ووقع في الامر العسير بالامر اليسير فصار كما قيل

مشى برجليه عمدا نحو مصرعه * ليقضي الله أمرا كان مفعولا

(وانما أوردت هذا المثل) لتعلم يا أبا نوفل أن سرا في الفؤاد لا يؤمن عليه الجماد فضلا عن متحرك من

المياه والمرعى شيء كثير الا أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الاسد فاجتمعت وأتت الى الاسد فقالت له انك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب وقد رأينا لك رأيا فيه صلاح لك وأمن لنا فان أنت أمنتنا ولم تخفنا فلك علينا في كل يوم دابة نرسل بها اليك في وقت غدائك فرضي الاسد بذلك وصالح الوحوش عليه ووفين له به ثم ان أرنبا أصابتها القرعة وصارت غداء الاسد فقالت للوحوش ان أنتن رفقتن بي فيما لا يضركن رجوت ان أريحكن من الاسد فقالت الوحوش وما الذي تكلفينا من الامور قالت تأمرن الذي ينطلق بي الى الاسد ان يمهلني ريثما أبطئ عليه بعض الابطاء فقلن لها ذلك لك فانطلقت الارنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذي كان يتغدى فيه الاسد ثم تقدمت اليه وحدها رويدا وقد جاع فغضب وقام من مكانه نحوها فقال لها من أين أقبلت قالت انا رسول الوحوش اليك بعثتني ومعي أرنب لك فتبعني أسد في بعض تلك الطريق فأخذها مني وقال انا أولى بهذه الارض وما فيها من

الوحش فقلت ان هذا غداء الملك أرسلن به الوحوش اليه فلا تغصبنه فسبك وشتمك فأقبلت مسرعة لاخبرك

فقال الاسد انطلقي معي فأريني موضع هذا الاسد فانطلقت الارنب الى جب فيه ماء غامر صاف فاطلعت فيه وقالت هذا المكان فاطلع الاسد

حيوان ونعوذ بالله ان كان من جنس الانسان وقد قيل للحيطان آذان ومن أمثال العجم الاوباش للدوان أكواش فلما انقضى هذا الكلام وكان الاسد قد استوفاه على التمام وقد أثار فى أحشائه لهيبا نهض من مرقده ممتلئا غضبا واستحال وتحرك وأمر بابى نوفل فقبضوا عليه ووضعوا الغل فى رقبته والسلاسل فى يديه ورجليه وأمر الى السجن برفعه بعد التنكيل به وصفعه فتشوش خاطر صديقه وجليسه ورفيقه ثم انفض المجلس العظيم ودخل الملك الى الحريم فتوجه أخو نهشل الى السجن المقفل ولام صاحبه أبا نوفل وزاد فى التعنيف وقال أيها الاخ الظريف ألم تعلم أن الشخص اذا تكلم يضبط كلامه عليه ويعود محصول ما يلفظ به اليه وقد قال الرب المجيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وان كثرة الكلام تضر بالنفس أكثر مما يضر بالبدن الطعام وكل هذا المصاب انما جاء من قبل الاعجاب وكثرة الكلام والغرور وعدم التأمل فى عواقب الامور قال الشاعر

ما ان ندمت على سكوتى مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا

قال حكماء الهند وفضلاء السند مادام الكلام فى الفؤاد ولم يبد منه على اللسان باد ولم يصب منه سائل حرف فى صدفة الآذان أو وعاء الطرف فهو كالبنت البكر المشهورة الذكر كل أحد يخطبها ويميل اليها ويطلبها ويتمنى أن يراها ويترشف لماها فان ألقى الى المسامع ووعاه كل ناظر وسامع فهو كالعجوز الشوهاء اذا سلوها وقلوها وهى تلازم صباحا ومساء ويفر منها الرجال والنساء ويحيد كل أحد عنها فاذا تكلمت أسكتت واذا سلمت أعرض عنها وقال بعض الحكماء اللسان أسد وهو حارس الرأس والجسد ان حبسته حرسك وان أطلقته حبسك وان سلطته افترسك وقالوا الكلام أسيرك مالم تبده فان تكلمت به فأنت أسيره قال بعض الحكماء انا على مالم أقل أقدر منى على ما قلت وقال عيسى صلوات الله عليه العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت الا عن ذكر الله وواحد منها فى ترك مجالسة السفهاء وقال نبى الحرمين وامام الثقلين صلوات الله وسلامه عليه الصمت حكمة وقال عليه الصلاة والسلام البلاء موكل بالمنطق وقال الحكماء السكوت يستر عيب الجهل ويعظم حرمة الملوك ولقد آذيت نفسك ونسيت فيما أوجب حبسك وأقلقت ودودك وأشمت حسودك ولقد كانت حصتى من بلائك ومما دهانى من شدة عنائك أعظم من كل حصه وقصتى فى ذلك أعجب من كل قصه اذ أنت رفيقى وزميلى وفى حضرة الملك ومنادمته عديلى نشأنا على ذلك وسلكنا فى الموافقة والمرافقة أقوم المسالك وكنت المرحو لمخافى واياب فى مطافى ومشتكى حزنى ومشتفى شجنى ومخزن أسرارى وأعظم أستارى وراوية أخبارى فى احبارى وراوية أسفارى فى اسفارى ومن أين ألقى مثلك رفيقا أو أجد صديقا شفيقا وأنت صاحب السراء ومصاحب الضراء وأنشد

ومن أين ألقى بعد سبعين حجة * رفيقا كمن أرضعته قهوة الصبا

أديبا أريبا لم أمل مقامه * ولاملنى يوما حكيما مهذبا

ويعز على ويعظم لدى ان أراك فى هذه الحاله ثم أجرى سحائب دموعه الهطاله وقال

وما على الحر أنكى أن يرى حزنا * فى محنة ضاق عنها دونه الحيل

ولقد تحيرت فى هذا الامر المهول وما أدرى مساراه الى ماذا يؤل وليلة الغم الصراح عماذا يسفر فيها الصباح فأنكى لذلك أبو نوفل وبكى وتضرع الى الله وشكا وقال يا أعز الاصحاب وأحب الاحباب لقد أثر عندى ماقلت من الكلام أكثر مما أصابنى من الآلام كيف يغتفر لاحد الجانيين ويطلق أحد القيدين وأنى يعتذر بالقضاء والقدر لاحدى الغصتين وهل شئ فى عالم الكون والفساد جاء خارجا عما قدره الله وأراد وكلنا فى هذا سويه والعبد مقهور مع المنيه ولكن الجد اذا أقبل ولاحظ بسعده

فرأى ظله وظل الارنب فى الماء فلم يشك فى قولها ووثب اليه ليقاتله فغرق فى الجب فانقلبت الارنب الى الوحوش فاعلمتهن صنيعها بالاسد (قال كليله) ان قدرت على اهلاك الثور بشئ ليس فيه مضرة للاسد فشانك فان الثور قد أضر بى وبك وبغيرنا من الجندوان أنت لم تقدر على ذلك الا بهلاك الاسد فلا تقدم عليه فانه أغدر منى ومنك ثم ان دمنه ترك الدخول على الاسد أياما كثيرة ثم أتاه على خلوة منه فقال له الاسد ما حبسك عنى منذ زمان لم أرك ألخير كان انقطاعك قال دمنه خيرا فليكن أيها الملك قال الاسد وهل حدث أمر (قال دمنه) حدث مالم يكن الملك يريده ولا أحد من جنده قال وما ذاك قال كلام فظيع قال أخبرنى به (قال دمنه) انه كلام يكرهه سامعه ويشجع عليه قائله وانك أيها الملك لذو فضيلة ورأيك يدلك على أن يوجعنى ان أقول ما تكرهه وأثق بك أن تعرف نصحى وايثارى اياك على نفسى وانه ليعرض لى أنك غير مصدقى فيما أخبرك به ولكنى اذا تذكرت وتفكرت أن نفوسنا معاشر الوحوش متعلقة بك لم أجد بدا من اداء الحق الذى يلزمنى وان أنت لم تسألنى وخفت أن لا تقبل منى فانه يقال من كتم السلطان نصيحته والاخوان رأيه فقد خان نفسه قال الاسد فما ذاك قال دمنه حدثنى الامين الصدوق عندى أن شتربه خلا برؤس جندك وقال قد خبرت الاسد وبلوت رأيه ومكيدته وقوته فاستبان لى أن ذلك يؤل منه الى ضعف وعجز وسيكون لى وله شان من الشؤن فلما بلغنى ذلك علمت انه شرير خوان غدار وانك أكرمته الكرامة كلها وجعلته نظير نفسك وهو يظن

وتفضل فكل حركة تصدر من الغبي العاجز يعجز عن مقاومتها البطل المبارز وكل قول يتفوه به الجاهل يدع دليل معانيه أدلة العقلاء فى مجاهل ومذاهل ودعاميص ذوى الآراء المنضبطة المناهل تلقى من عقنقل الحيرة فى مجاهلها مناهل فيصير كل وجه البها مائل وكل انسان بها قائل وقوام كل سعد وقبول البها قابل كما قيل

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل * واقتد بها الجوزاء فهى عنان

ونعوذ بالله من ليل السعد اذا أدبر وصبح الخول اذا أسفر فان اللبيب اذ ذاك يخطئ ما كان يصيب ويفعل العاقل ما لا يرتضيه باقل فيكون جهد النفس زيادة فى العكس

واذا تولى الجد يحتاج الذكى * فى رأيه قبل الزوال مراحا

وانقلاب الدهر وانعكاس الزمان شيمة معهوده وخصلة معدوده كما قيل

ومن ذا الذى ما غره صرف دهره * فاضحكه يوما ولم يبكه سنه

وانا كنت غافلا وان لم أكن جاهلا وقد يكون الشخص عما تحققه ذاهلا وذلك لما كان عودنى الزمان وألفته من سالف الدوران وارخاء العنان ونيل الامانى والامان واسبال ذيل النعم والاحسان الدائم والكرم فمشيت على ما كنت أعهده وفى نفسى أجده وأيضا كانت لذة عشرتك ونعيم صحبتك وحسن موافقتك وعز مرافقتك أنسانى كل بليه وأمنت بذلك كل رزيه فالهانى عن التنكد ودهتنى غفلة عن التوزع والتبدد مثل ما أصاب ذلك الهدهد قال أخونهشل أسرد ذلك المثل (فقال) ذكروا ان الله مجرى الخير علم بعض عبيده الصلحاء منطق الطير فصاحب منها هدهدا وازداد ما بينهما توددا ففى بعض الايام مر بالهدهد ذلك الامام وهو فى مكان عال ملتفت الى ناحية الشمال وهو مشغول بالتسبيح يسبح الله بلسانه الفصيح فناداه يا صاحب التاج والقباء والديباج لا تقعد فى هذا المكان فانه طريق كل فتان ومطروق كل صائد شيطان ومقعد أرباب البنادق ومرصد أصحاب الجلاهق فقال الهدهد انى عرفت ذلك وانه مسلك المهالك قال فلاى شئ عزمت على القعود فيه مع علمك بما فيه من دواهيه قال أرى صبيا أظنه غويا نصب لى فخا يروم لى فيه زخا وقد وقفت على مكايده ومناصب مصايده وعرفت مكيدته أين هى والى ماذا تنتهى وأنا أتفرج عليه وأتقدم بالضحك اليه وأتعجب من تضييع أوقاته وتعطيل ساعاته فيما لا يعود عليه منه نفع ولا يفيده فى قفاه سوى الصفع وأسخر من حركاته وأنبه من يمر على خزعبلاته فتركه الرجل وذهب وقضى حاجاته وانقلب فرأى الهدهد فى يد الصبى يلعب به لعب الخلى بالشجى ولسان حاله يلهج بمقاله

كعصفورة فى يد طفل يهينها * تقاسى حياض الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها * ولا الطير مطلوق الجناح فيهرب

فناداه وقال يا أبا عباد كيف وقعت فى شرك الصياد وقلت لى انك وعيت ورأيت ما رأيت فقال أما سمعت ان الهدهد اذا نقر الارض يعرف مسافة ما بينه وبين الماء ولا يبصر شعرة الفخ وذلك لينفذ ما كتبه الله تعالى وقدره من قضائه وقدره وناهيك فى قضية القضاء والقدر قضية آدم أبى البشر مع موسى الكليم عليهما الصلاة والتسليم لما جرت عليه أحكام القضاء والقدر فتمت مشيئة الله تعالى السابقة فى علمه وجرى ما لم تدركه عقول الفحول فى ميدان ارادته من سوابق حكمه وحكمته وأنشد الهدهد

ياسائلى عما جرى * والعين مبصرة القدر
أوما سمعت بأن اذا * جاء القضا عمى البصر

(وقال أيضا)

ان كنت أخطأت فما أخطا القدر * ان القضاء اذ أتى يعمى البصر

واسمع أيها العاقل قول القائل

اذا أراد الله أمر الامرئ * وكان ذا عقل وسمع وبصر

أنه مثالك وأنك متى زلت عن مكانك صار له ملكك ولا يدع جهدا الا بلغه فيك وقد كان يقال اذا عرف الملك من الرجل أنه قد ساواه فى المنزلة والحال فليصرعه فان لم يفعل به ذلك كان هو المصروع وشتربه أعلم بالامور وأبلغ فيها والعاقل هو الذى يحتال للامر قبل تمامه ووقوعه فانك لا تأمن أن يكون ولا تستدركه فانه يقال الرجال ثلاثة حازم وأحزم منه وعاجز فاحد الحازمين من اذا نزل به الامر لم يدهش له ولم يذهب قلبه شعاعا ولم تعى به حيلته ومكيدته التى يرجو بها المخرج منه وأحزم من هذا المتقدم ذو العدة الذى يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيعظمه اعظاما ويحتال له حيلة حتى كأنه قد لزمه فيحسم الداء قبل أن يبتلى به ويدفع الامر قبل وقوعه وأما العاجز فهو فى تردد وتمن وأمان حتى يهلك ومن أمثال ذلك مثل السمكات الثلاث قال الاسد وكيف كان ذلك (قال دمنة) زعموا أن غديرا كان فيه ثلاث سمكات كيسة وأكيس منها وعاجزة وكان ذلك الغدير بنجوة من الارض لا يكاد يقربه أحد وبقربه نهر جار فاتفق انه اجتاز بذلك النهر صيادان فأبصرا الغدير فتواعدا أن يرجعا اليه بشباكهما فيصيدا ما فيه من السمك فسمع السمكات قولهما فأما أكيسهن لما سمعت قولهما ارتابت بهما وتخوفت منهما فلم تعرج على شئ حتى خرجت من المكان الذى يدخل فيه الماء من النهر الى الغدير وأما الكيسة الاخرى فانها مكثت مكانها حتى جاء الصيادان فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ذهبت لتخرج من حيث يدخل الماء فاذا بهما قد سدا ذلك المكان فحينئذ قالت فرطت وهذه عاقبة وحيلة

وحيـلة بفعلها فى دفع ما * يأتى به محتوم أسـباب القدر * أصم اذنيه وأعمى قلبه
وسل منه عقله سل الشعر * فلا تقل فيما جرى كيف جرى * فكل شئ بقضاء وقدر

وأنا لما اغتررت بحـدة بصرى ذهلت عما يجول فى فكرى فتغطت حـدة استبصارى فوقعت فى فخ غترارى أما سمعت يا همام قول الامام اذا حلت المقادير ضلت التدابير ثم قال أبو نوفل وقد أثر فيه كلام أخى نهشل دع عنك لومى فان اللوم اغراء * رداونى بالتى كانت هى الداء

وانما أوردت هذه الحكايه لتخفف عنى ما تقريعك وتوبخك من نكايه وتعلم ان الامور كلها جلها وقلها جارية على وفق ما قضاه الله تعالى وقدره وأثبته فى سابق علمه فى اللوح المحفوظ وسطره وان كانت الاحكام فى هذا الباب تضاف الى العلل والاسباب ولا شك فى هذا ولا ارتياب فقد مر ان الذهول شغلنى عن الفضل بالفضول وان العذر غير مقبول فان الجهل لا يكون حجه ولا مخلص لسالك لا سوأ المحجه وقد طال الكلام والحق بيدك والسلام وأما الآن فجل المقصود من لطفك المعهود وبذل المجهود وتذكر سابق العهود وقديم الصداقه وأكيد المحبه والعلاقه عطف الخواطر الملكيه ورجوعها على ما كانت عليه من الصدقات السنيه والعواطف الملوكيه وأقل الاقسام الخلاص من هذه البليه وعلمك قد أحاط بأوثق مناط انى مخلص وحيد بين ملازمى الخدمة فريد لم يكن لى أخ سواك وأنت مشتكاى وأنا مشتكاك وهـذا أوان الفتوه وزمان المروه وعـدم التخلى عن الاخوان والانبعاث بالهمة الثابتة الاركان والسعى فى خلاص الصاحب القديم من هذا البلاء العظيم وأسألك بسالف الخدمه والمودة ذات القدمه ان لا تذكر ما سلف من التقصير الموجب للتلف فانى معترف أنى للذنب مقترف وأنشد

جاوزت فى اللوم حدا قد أضر به * من حيث قدرت أن اللوم ينفعه

وانى اذا تفكرت وتصورت ما وقع اذا تذكرت وان كان قد مضى يضيق بى الفضا وأغرق فى عرق الحيا وتسود فى عينى الدنيا فكأنه فى هذا القبيل عنى قيل

كأن فؤادى فى مخالب طائر * اذا ما ذكرت الحب يشتد بى قبضا

وهذا القدر من الاعلان يكفى وانى أستحلى اذا مر بخاطرى غصص حتفى ثم علا زفيره وشهيقه وبدا من لهيب قلبه بريقه ومن وادى دمعه عقيقه حتى خيف عليه غريقه وحريقه ورق له عدوه وصديقه وبكى لبكائه رفيقه قال أخوه نهشل اعلم أيها الاخ المفضل انى لم أقل ذلك الكلام للعدوان والملام فضلا عن ايحاش قلب وايلام ولكن لما تألم جنانى أجرى الله ذلك على لسانى ولم يكن لذلك الحديث باعث ولا قصد عابث أو عائث ولكن صفو المحبة وفور الصدق أوجبا التلفظ بذلك النطق وكيف لا أدرك دقائق المعانى وأنا الهامن ثمار فصائلك جانى وأما بذل الاجتهاد من أهل الوداد فهل يخطر ببالك غير ذلك ويأبى الله والاخلاق الكريمه وما علمته من همة وشيمه وفواضـل فضائل من مواغ خصائلك اقتبستها ومطارف معارف على منوال سجاياك نسجتها ان أتخلف عن التعلق باهدابها وأغلق أبواب مقاصدها فى وجوه طلابها وأنا ان لم أبذل مجهودى وأصرف موجودى فى مساعدة خلى وصديقى وصاحبى ورفيقى بما تقتضيه المروأة والفتوه والصداقة القديمة والاخوه والا فأى فائدة فى وجودى لوالدى ومولودى وطارفى وتليدى وصديقى وودودى وقد قيل أربعة أشياء فرض عين فى شريعة المروأة على المحبين وكذلك الاخوان وسائر الاصحاب والخلان الاول المشاركة فى النوائب وتعاطى دفعها من كل جانب الثانى اذا ضل أحدهم عن طريق السداد يردونه الى سبيل الرشاد ولا يتركونه على غير الصواب بل يستلطفونه بالطف خطاب الثالث اذا صدر من أحدهم نوع جفاء يلاقونه بالوفاء والصفا ولا يتركونه عـلى شفا ولا ينسون الوفاء القـديم بالجفاء الحادث فربما يتفرع على ذلك ما يؤكده من العوائث

التفريط فكيف الحيلة على هذه الحال وقلما تنجح حيلة العجلة والارهاق غير ان العاقل لا يقنط من منافع الرأى ولا ييأس على حال ولا يدع الرأى والجهد ثم انها تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة وتارة على بطنها فاخذها الصيادان فوضعاها على الارض بين النهر والغدير فوثبت الى النهر فنجت وأما العاجزة فلم تزل فى اقبال وادبار حتى صيدت قال الاسد قد فهمت ذلك ولا أظن الثور يغشنى ولا يرجو لى الغوائل وكيف يفعل ذلك ولم يرمنى سوأ قط ولم أدع خيرا الا فعلته معه ولا أمنية الا بلغته اياها (قال دمنـة) ان اللئيم لا يزال نافعا لصاحبه حتى يرفع الى المنزلة التى ليس لها بأهل فاذا بلغها التمس ما فوقها ولا سيما أهل الخيانة والفجور فان اللئيم الفاجر لا يخدم السلطان ولا ينصح له الا من فرق فاذا استغنى وذهبت الهيبـة عاد الى جوهـره كذنب الكلب الذى يربط ليستقيم فلا يزال مستويا ما دام مربوطا فاذا حـل انحنى وتعوج كما كان واعلم أيها الملك انه من لم يقبـل من نصحائه ما يثقل عليـه مما ينصحون له لم يحمد رأيه كالمريض الذى يدع ما يبعث له الطبيب ويعمد الى ما يشـتهيه ويحق على موازر السلطان ان يبالغ فى التحضيض له على ما يزيد سـلطانه قوة ويزينـه والكف عما يضره ويشينه وخير الاخوان والاعوان أقلهم مداهنة فى النصيحة وخير الاعمال أحلاها عاقبة وخير النساء الموافقة لبعلها وخير الثناء ما كان على أفواه الاخيار وأشرف السلطان ما لم يخالطه بطر وخـير الاخلاق أعونها على الورع وقد قيـل لو أن امرأ توسد النار وافترش الحيات كان أحق أن لا يهنئه النوم والرجل اذا أحس من صاحبه بعداوة يريده بها لا يطمئن اليه وأعجز

الملوك آخذهم بالهوينا وأقلهم نظرا فى مستقبل الامور وأشبههم بالفيل المغتلم الذى لا يلتفت الى شئ فان أحزنه أمر تهاون به وان أضاع الامور حمل ذلك على قرنائه قال له الاسد لقد أغلظت فى القول وقول الناصح مقبول محمول وان كان شتربه معاديا لى كما تقول فانه لا يستطيع لى ضرا وكيف يقدر على ذلك وهو آكل عشب وأنا آكل لحم وانما هو لى طعام وليس على منه مخافة ثم ليس الى الغدر به سبيل بعد الامان الذى جعلته له وبعد اكرامى له وثنائى عليه وان غيرت ما كان منى وبدلته سفهت رأيى وجهلت نفسى وغدرت بذمتى (قال دمنه) لا يغرنك قولك هو لى طعام وليس على منه مخافة فان شتربه ان لم يستطعك بنفسه احتال لك من قبل غيره ويقال ان استضافك ضيف ساعة من نهار وأنت لا تعرف اخلاقه فلا تأمنه على نفسك ولا تأمن ان يصلك منه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث قال الاسد وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان قملة لزمت فراش رجل من الاغنياء دهرا فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر وتدب دبيبا رفيقا فمكثت كذلك حينا حتى استضافها ليلة من الليالى برغوث فقالت له بت الليلة عندنا فى دم طيب وفراش لين فاقام البرغوث عندها حتى اذا آوى الرجل الى فراشه وثب عليه البرغوث فلدغه لدغة أيقظته وأطارت النوم عنه فقام الرجل وامر أن يفتش فراشه فنظر فلم ير الا القملة فأخذت فقصعت وفر البرغوث * وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن صاحب الشر لا يسلم من شره أحد وان هو ضعف عن ذلك جاء الشر بسببه وان كنت لا تخاف من شتربه فخف

الرابع لا يؤاخذون المقصر فى حال الغضب بل يرجئون عقوبته الى أن يطفأ اللهب فربما يتعدى بواسطة الغضب الحد فيقع بسبب ذلك بين الاصحاب نكد ثم ان أبا نوفل قال لاخيه نهشل المبادرة أولى الى التلافى لئلا يسابق الجنود الى تلافى وهذا المصاب انما جاء بغتة وأخذ فلو بنا وأسرع اعنابهته فاستعمل فكرك القويم وتوجه الى التدارك بقلب سليم فقال ها أنا أذهب على الفور لهذا المطلب النافع وأقوى العزيمة واجتهد فى دفع الموانع فاول ما ابتدئ بقصد الملك وانظر ما يصدر منه قولا وفعلا فى هذا الامر المشتبك فابنى على ذلك ما يناسبه وأجاريه فيما يميل اليه خاطره ولا أجاذبه ثم توجه الى الاسد ودخل عليه فوجد الدب جالسا بين يديه وقد بلغه قضية النديم وأنه حل به العذاب الاليم فاغتنم الفرصة وبادر ليتم على أبى نوفل الغصة ويتعامى فى أمره قصة وحصة فاراد أخوه نهشل أن يفتتح الكلام ثم أفكر فى أنه ربما عاكسه الدب فى المرام وانه اذا قام فى المناقضة لا يمكنه مقابلته بالمعارضة وان سكت فالسكوت رضا وان وافق فعلى غير مراده مضى فامسك عن الكلام ورأى السكوت مقتضى المقام ثم أمعن النظر وأجال قداح الفكر فرأى انه ان انفصل المجلس من غير أن يفصح بشئ وينبس ربما يفوت المقصود أو يسابقه بالمعاكسة عدو أو حسود لاسيما مثل الوزير الرفيع الخطير صاحب الرأى والتدبير وهو عدو قديم وفى طرق الخزى نظيره عديم فاذا بادر الملك بالكلام ربما يقع منه فلتة بعقام كما قيل

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فتلقاه الملك بقبول فيصول كما يختار فى ميدان الفتك ويجول فتنعقد الامور وتتقصد وتنعقف الاخلاق الاسدية وتتعرد فرأى الاولى المبادرة بالكلام والوقوف فى مقام الشفاعة أنسب بالمقام فان عارض أحد عرف أن جوهر كلامه عرض ولا تصدى الا لغرض وكان الملك قد سمع كلامه بعد معرفة سلامته والقائه على أبى نوفل عذله وملامه وكلامه بلا شك مقبول وما لاحد عنه عدول وكان الدب منتظرا خروجه من عند الملك حتى يختلى بالكلام معه وينهمك فادرك أخوه نهشل هذا المرام فوقف فى مقام الدعاء وبادر بالكلام ثم قال بعد وظائف الدعاء والقيام بما يجب من مراسيم الثناء العلوم الشريفه والآراء المنيفه محيطة ان من عادة الملوك العظام وأخلاق السلاطين الكرام العفو عن الجرائم والاغضاء عن العظائم لاسيما اذا صدر ذلك من أحد المخلصين والعبيد المتخلصين على سبيل السهو والخطا لا على سبيل العمد والاجترا

من ذا الذى ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط

وان العبد الاقل أبا نوفل الواقع فى الخطر الخطير المعترف بالذنب والتقصير متوقع غفرها من صدقات الحضرة الملوكية ومراحمها وما اعتاده من حلمها الشامل ومكارمها ويحتم على الملوك القيام بقبول الشفاعه دون سائر الخدم والجماعه خصوصا وقد كان رفيقا نديما ومصاحبا قديما ولا يقصد المملوك بذلك الا سوق الحسنات الكثيفه الى دفاتر الصدقات الشريفه وقصد الخير وذهاب الاسى والضير وانتشار صيتها فى الآفاق والاطراف بالعلم والحلم والعفو والصفح والفضل والعدل والالطاف فلان الاسد من هذا الخطاب وعرف أن قصد الشافع من هذا انما هو الثواب والصواب فاطرق مليا ولم يحر من الاجوبة شيا فتأثر الدب الخبيث والعدو القديم لهذا الحديث وخاف أن يكون السكوت رضا وان هو رضى يفوت منه المنى والاطراق علامة الحلم والسكوت فى الحرب دليل السلم ومن فوت الفرصه وقع فى غصه ومتى يقع أبو نوفل المحتال فى مثل هذا العقال وما أطرف مقال من قال

وان رأيت غراب البين فى شرك * فاذبح وكل وذر الافراخ فى عنق

(وقد قيل) اذا صارت الاعداء غلافانهم * اذا لم تطأهم أصبحوا مثل ثعبان

وكم ذا يقاسى من أذاه وقرصه * على ضعفه ان صار داخل آذان

فانبرى

غيره من جندك الذين قد حملهم عليك وعلى عداوتك فوقع فى نفس الاسد كلام دمنه فقال فما الذى ترى اذا و بماذا تشير (قال دمنة) ان الضرس لا يزال ما كولا ولا يزال صاحبه منه فى ألم وأذى حتى يفارقه والطعام الذى قد عفن فى البطن الراحة فى قذفه والعدو المخوف دواؤه قتله قال الاسد لقد تركتنى أكره مجاورة شتربه اياى وأنا مرسل اليه وذاكر له ما وقع فى نفسى منه ثم آمره باللحاق حيث أحب فكره دمنة ذلك وعلم ان الاسد متى كلم شتربه فى ذلك وسمع منه جوابا عرف باطل ما أتى به واطلع على غدره وكذبه ولم يخف عليه أمره فقال للاسد أما ارسالك الى شتربه فلا أراه لك رأيا ولا حزما فلينظر الملك فى ذلك فان شتربه متى شعر بهذا الامر خفت ان يعاجل الملك بالمكابرة وهو ان قاتلك قاتلك مستعدا وان فارقك فارقك فراقا يلبك منه النقص ويلزمك منه العار مع ان ذوى الرأى من الملوك لا يعلنون عقوبة من لم يعلن ذنبه ولكن لكل ذنب عندهم عقوبة فلذنب العلانية عقوبة العلانية ولذنب السر عقوبة السر قال الاسد ان الملك اذا عاقب أحدا عن ظنة ظنها من غير تيقن بجرمه فلنفسه عاقب واياها ظلم (قال دمنة) أما اذا كان هذا رأى الملك فلا يدخلن عليك شتربه الا وأنت مستعد له واياك ان تصيبك منه غرة أو غفلة فانى لا أحسب الملك حين يدخل عليه الا سيعرف انه قد هم بعظيمة ومن علامات ذلك انك ترى لونه متغيرا وترى أوصاله ترعد وتراه ملتفتا يمينا وشمالا وتراه يهز قرنيه فعل الذى هم بالنطاح والقتال قال الاسد سأكون منه على حذر وان رأيت منه خبرا يدل على ما ذكرت علمت ان ما فى أمره شك فلما فرغ دمنة من تحميل الاسد على الثور وعرف أنه قد وقع فى

فانبرى وانبرم وتصدى للمعاكسة ذلك البرم وغطى دسائس لؤمه بنقوش الكرم وقال اعلم أيها النديم القديم ومن هو للملك أوفى خديم أن الواجب على جميع الخدام أن يكونوا فى الصدق متساوى الاقدام ولا يقدموا على نصح الملك غرضا ولا يطلبوا سوى رضاه على النصيحة عرضا ولا عوضا فلا يصادقوا الخائن ولا يصدقوا المائن ولا يواطؤا الخاطى ولا المذنب المتعاطى ولو بالكلام الواطى ولا يخفوا الخيانة والجنايه ولا يرعوا فى ذلك أدنى الرعايه فساعد السارق سارق ومعاضد المارق مارق والقيام مع الجانى جنايه واخفاء الخيانة نكايه وفى هذا الكلام كفايه ومن اعتذر من جناية جان لاسيما ان كانت فى حق ملك أو سلطان فهو شريك فيها بل أعظم جرما من متعاطيها لان عظم الجنايه يا ذا الدرايه انما هو بحسب المجنى عليه وان ذلك لوهن عائد اليه لا على مقدار الجانى وأنت لا تجهل هذه المعانى ولهذا قال بعض أهل الافضال ان تعاطى الفساد يا ذا الرشاد ليس فيه صغيره وأن كل ما يخالف الامر كبيره وذلك بالنظر الى الجناب الاقدس القاهر تعالى وتقدس فقال أخونهشل كلام مولانا الوزير هو المفضل وما أشار به هو الصواب المعدل ولكن يا مولانا الوزير علمك الخطير خبير باننا كلنا محل الخطا والتقصير ولا يسع الكبير منا والصغير الا الحلم الغزير والعفو عن كثير وقل لى من هو البرىء عن الهفوه والذى لا يتوقع من مولانا الملك عفوه وان لم تقع الشفاعه فى الجانى وذى الخلاعه وتخالف سنة الجماعه فالمحسن لا يحتاج الى شفاعه ومن لم يجبر المكسور ويأخذ بيد المحقور فما يجد عند انكساره جابرا ولا يؤخذ بيده حين يصير عاثرا وقد قيل من مثلك الفضيل وصاحب الادب الجزيل

اذا أصبحت فينا ذا اقتدار * وأمرك فى رقاب الخلق جارى * أقل واقبل عثارا واعتذارا
فمن يقبل يقل عند العثار * فما زال الصغار تروم عفوا * وغفران الكبائر من كبار

وأحسن العفو يا ذا السلوك عفو السلاطين والملوك لاسيما اذا عظم الجرم وكبر الاثم فان العفو اذ ذاك صادر من ملك ذى سلطان قادر مع قوة الباعث على المؤاخذه والقدرة الشاملة النافذه وغير الملوك من العاجز والصعلوك عفوهم انما هو عن خشيه أو لتمشية غرض مشيه والملوك انما يؤثر عنهم الخلال الجيده والخصال الشريفة السعيده والاكابر يعفون والاصاغر يهفون وقد قسم الحكماء والحكام ما يقع من الذنب والآثام أربعة أقسام فاسمع يا كبير هفوة وتقصير وخيانة ومكروه وحرروا ذلك وضبطوه وذكروا لكل جزاء قرروه فجزاء الهفوة العتاب وبه نطق الكتاب وجزاء التقصير الملامه على ما أورث من ندامه وجزاء الخيانة العقوبه فان فى ارتكابها العاقل صعوبه وأعظم بعقابها مشوبه وما يرتكب المكروه الا الغافل المعتوه وجزاؤه أضعافه وهذا على مقتضى العقل وعدله والذى صدر فى سابق القدر من الخاص أبى نوفل انما هى هفوة بها زل وجزاؤه على هذا الحساب انما هو العتاب وقد استوفاه وزياده وفى هذا لمولانا الملك الاراده فان شاء عاقب على الذنب الصغير وان شاء عفا عن الجرم الكبير والهفوة لا يكاد يسلم منها الخواص فضلا عمن هو فى شرك العبوديه والاقتناص ولأن يؤثر الفضل عن الملك وعلى طريق عفوه يسلك الدرب المسالك خير من أن يؤثر عنه لنفسه الانتقام ويخلد ذلك على صفحات الايام ولا شك أن سيرة العفو والفضل أفضل من القصاص والعدل وذلك هو اللائق بالحشمه والاوثق للعرمه والاجدر لناموس السلطنه والابقى على ممر الدهور والازمنه وقد قال سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ينادى منادى يوم القيامة من كان له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله ولقد كان جماعة من عظماء الملوك والاكابر يعفون عمن تعاطى الذنوب والاجرام من الاصاغر لاسيما لمن يتعرض لذات الملك ونفسه ويستعين بطوائف على فساده من أبناء جنسه فاذا

نفسه مما كان يلتمس وأن الاسد سيستحذر الثور و يتهيأ له أراد أن يأتي الثور ليغريه بالاسد وأحب أن يكون اتيانه من قبل الاسد مخافة أن
يبلغه ذلك فيتأذى به فقال أيها الملك ألا آتي شتربه فانظر الى حاله وأمره وأسمع كلامه لعلي أطلع على سره فاطلع الملك على
ذلك وعلى ما يظهر لي منه فاذن له الاسد في ذلك فانطلق فدخل على شتربه كالكئيب الحزين فلما رآه الثور رحب به وقال ما كان سبب انقطاعك عني فاني لم أرك منذ أيام ولعلك في سلامة (قال دمنه) ومتى كان من أهل السلامة من لا يملك نفسه وأمره بيد غيره ممن لا يوثق به ولا ينفك على خطر وخوف حتى ما من ساعة تمر ويأمن فيها على نفسه قال شتربه وما الذي حدث (قال دمنة) حدث ما قدر وهو كائن ومن ذا الذي غالب القدر ومن ذا الذي بلغ من الدنيا جسيما من الامور فلم يبطر ومن ذا الذي بلغ مناه فلم يغتر ومن ذا الذي تبع هواه فلم يخسر ومن ذا الذي حادث النساء فلم يصب ومن ذا الذي طلب من اللئام فلم يحرم ومن ذا الذي خالط الاشرار فسلم ومن ذا الذي صحب السلطان فدام له منه الامن والاحسان ولقد صدق الذي قال مثل السلاطين في قلة وفائهم لمن صحبهم وسخاوة أنفسهم عن فقدوا من قرنائهم كمثل البغي كلما فقدت واحدا جاء آخر قال شتربه اني أسمع منك كلاما يدل على أنه قد رابك من الاسد ريب وهالك منه أمر (قال دمنة)
أجل لقد رابني منه ذلك وليس هو في أمر نفسي قال شتربه ففي نفس من رابك (قال دمنة) قد تعلم ما بيني وبينك وتعلم
حقك علي وما كنت جعلت لك من العهد والميثاق أيام أرسلني الاسد اليك فلم أجد بدا من حفظك واطلاعك على ما اطلعت عليه مما أخا

قدر واعلمهم عفوا وتلذذوا بالعفو والاحسان واستعفوا وحسبك بأبا جهينه ومن فضله أعذب مزنه
واقعة ابن سليمان الخالدة على ممر الازمان وما تضمنت من مكارم الاخلاق التي تعطرت بها الآفاق
فتوجه الاسد اليه ومال وقال أخبرنا يا أخا مشلل كيف كان هذا المثال (قال) لما انتهت أيام بني أميه
وتطرزت خلع الايام باعلام الدولة العباسيه وأشرق بطلعة أبي العباس السفاح في دياجير الدهر أيمن صباح
بأحسن فلاح اختفت نجوم أفلاك بني أميه وكواكب من بقي من تلك الزواهر المضيه وكان منهم ابراهيم
ابن سليمان بن عبد الملك بن مروان وجعل السفاح يتطلبهم ويرغب من يدريهم ويرهبهم الى أن
ظهر ابن سليمان وكان من أمره ما كان فحكى انه كان بالحيره مختفيا في همه وحيره قال ففي بعض الايام
تراءت لي على سطح سواد أعلام فوقع في نفسي وغلب على حدسي انها قد جاءت لطلبي راغبة في عطبي
فتنكرت في الحال واختفيت وخرجت من الحيرة والى الكوفة أتيت فدخلتها خائفا أترقب ولم يكن لي
فيها مترصد ولا مترقب ولا صديق أركن اليه ولا صاحب أعول عليه فصرت في تلك البلاد مثل المنشد
ببغداد

بغداد دار لاهل المال منعمة * وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران أمشي في أزقتها * كأنني مصحف في بيت زنديق

فأداني المسير الى باب كبير منظره جليل وداخله دهليز طويل ليس فيه أحد من الحجاب والرصد
فدخلت اليه وبه مكان فجلست عليه واذا برجل جسيم جميل الشكل وسيم على فرس جواد
مع طائفة من الاجناد فدخل الى دهليز الباب وفي خدمته غلمانه والاصحاب الى ان نزل عن دابته
وانفرد عن جماعته فلما رآني في وجيف ووجل قال من الرجل فقلت خلالك الذم مختف على ن
واستجرت بجوارك ونزلت في دارك فقال أجارك الله لا تخف من سواه ثم أدخلني في حجرة لطيفه تشتمل
على أشياء ظريفه قد جعلها لمضيفه ينزلها كل من قصده جهله أو عرفه فكنت عنده حولا أصول في
نعمه صولا ولا يسألني فعلا ولا قولا بل كان يركب من الاسحار وينزل اذا انتصف النهار وذلك كل يوم
لا تأخذه عن ذلك سنة ولا نوم فسألته في بعض الايام ونحن في أهنى مقام وقد صرت عيبة سره وما
قلبه وصدره عن ركوبه ونزوله وموجب تنقله وحلوله فقال ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك بن
مروان قتل أبي صبرا وأورثني بذلك نكدا وضرا وأوهج في فؤادي لهبا وجمرا وقد دارت على بني أمية
الدوائر وبلغني انه بالكوفة مختف حائر فانا كل يوم أركب اليه وأفتش عليه لعل الله يوقعني به لاشفي
قلبي بقتله من كربه فآخذ بثاري واكشف عني عاري وأطفئ لهبي وآخذ ثار أبي قال ابن سليمان
فعجبت من قضاء الرحمن وكيف ساقتني أرجلي الى شبكة مقتلي وأمشاني القضاء برجلي الى من هو دال
على قتلي فاستحييت منه ومن الله وكرهت عند ذلك الحياه فسألته عن اسم أبيه لاتحقق ما يبديه
ويبنيه فأخبرني فعرفته وتذكرت اني أنا قاتله فقلت يا هذا وجب علي حقك وأنا غريمك ومستتر لك
وقد قرب الله خطاك وأنا لك متمكن فقال وماذاك فقلت أنا ابراهيم الذي على طلبه تهيم وأنا قاتل أبيك
فافعل بي ما يرضيك وخذ ثارك وأطفئ نارك فقال كأنه طال بك الجفاء وأضر بك الاختفاء فأردت
بالموت الخلاص واستندت لدعوى القصاص فقلت لا والله الذي علم السر وأخفاه بل قلت الحق
وفهت بالصدق وخلاص الذمة في الاولى أخف من قصاص الاخرى وأولى أنا فعلت بأبيك الاذى في
يوم كذا ومكان كذا بسبب كذا قال فلما علم ذلك مني وتحقق أنه صدر عني احمرت عيناه وانتفخت
شفتاه وقامت عروقه ولمعت بروقه وأزبدت شدوقه وأطرق الى الارض وكاد يأكل بعضه البعض
وجعل يرجف ويرعد ويزأر كالاسد ويتململ كريشة تقلبها الريح في قاع البلد واستمر على ذلك زمانا
يتأمل فيما يفعله بي اساءة واحسانا الى أن سكنت رعدته وبردت همته فامنت سطوته وقهر جسدي

سورته

عليك منه قال شتربه وما الذي بلغك (قال دمنة) حدثني الخبير الصدوق الذي لا مرية في قوله ان الاسد قال لبعض أصحابه وجلسائه قد أعجبني سمن الثور وليس لي الى حياته حاجة فانا آكله ومطعم أصحابي من لحمه فلما بلغني هذا القول وعرفت غدره وسوء عهده أقبلت اليك لاقضي حقك وتحتال أنت لامرك فلما سمع شتربه كلام دمنة وتذكر ما كان دمنة جعل له من العهد والميثاق وفكر في أمر الاسد ظن أن دمنة قد صدقه ونصح له ورأى أن الامر شبيه بما قال دمنة فاهمه ذلك وقال ما كان للاسد أن يغدر بي ولم آت اليه ذنبا ولا الى أحد من جنده منذ صحبته ولا أظن الاسد الا قد حمل علي بالكذب وشبه عليه أمري فان الاسد قد صحبه قوم سوء وجرب منهم الكذب وأمورا هي تصدق عنده ما بلغه من غيرهم فان صحبة الاشرار ربما أورثت صاحبها سوء ظن بالاخيار وحملته تجربته على الخطا كخطا البطة التي زعموا أنها رأت في الماء ضوء كوكب فظنته سمكة فحاولت أن تصيدها فلما جربت ذلك مرارا علمت أنه ليس بشيء يصاد فتركته ثم رأت من غد ذلك اليوم سمكة فظنت أنها مثل الذي رأته بالامس فتركتها ولم تطلب صيدها فان كان الاسد بلغه عني كذب فصدقه علي وسمعه في فما جرى على غيري يجري علي وان كان لم يبلغه شيء وأراد السوء بي من غير علة ان ذلك لمن أعجب الامور وقد كان يقال ن من العجب كيف يطلب الرجل رضا صاحبه ولا يرضى وأعجب من ذلك أن يلتمس رضاه فيسخط فاذا كانت الموجدة عن علة كان الرضا موجودا والعفو مأمولا واذا كانت عن غير علة انقطع الرجاء لان العلة اذا كانت الموجدة في ورودها كان الرضا مأمولا في صدورها اقد

سورته ثم أقبل على ورفع رأسه الى وقال أما أنت فستلقى أبى غدا فيقتص له منك جبار السما وأما أنا فلا أخفر ذمتى ولا أضيع جوارى وحرمتى ولا يصل اليك مكروه منى ولكن قم واخرج عنى فلست آمن نفسى عليك ولا أقدر بعد اليوم أنظر اليك ثم دفع الى ألف دينار وقال استعن بها على ما تختار فلم آخذها ولا نظرت اليها وخرجت من داره ولم أعرج عليها ولم أر أكرم من ذلك الرجل ولا أحلم ولا أعظم مكارم منه ولا أجسم (وانما أوردت) هذه الحكاية وقى الله مولانا الملك شر النكايه ليعلم ان الذنب الكبير يستدعى العفو الكثير ممن قدره عظيم وحسبه جسيم ونسبه كريم كما قيل فى محكم الكتاب الحكيم ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فقال الوزير ناموس السلطنة وحشمتها وهيبة الملك وحرمتها له شروط كل منها محرر مضبوط وبالمحافظة عليه محوط ولا بد من اقامة أركانها وتشييد بنيانها ويجب الوفاء بها على الملوك والمالك ويفترض القيام بها على سلاطين الممالك والاخلال برعايتها وهن فى الولايه فلا غنى عن العمل بها ورعايتها أحسن رعايه فمن ذلك أن لا يسامح جماعه ولا يغفل عنهم وعن كيدهم ساعة فساعه ولا يركن اليهم فى اقامة ولا سير حيث لا يصدر عنهم للملك ولا للملكة خير فمنهم من يعزل الانسان عن منصبه من غير وقوف لعزله عن سببه ومنهم من يوالى أعداء الملك وهو ذو اجتراء منه ملك ومنهم من يراعى مصلحة نفسه ويقدمها على مصلحة مخدومه فى حالتى رخائه وباسه ومنهم من يفشى سره ولا يراعى خيره وشره ومنهم من يتعرض لسقطه وغلطه لتغيير خاطره وسخطه ومنهم من ينتقص حرمته وينتهك عظمته وحشمته ومنهم ذو الطبع اللئيم المفسد فى الحريم ولاشك ان أبا نوفل المهمل المغفل قد ارتكب بعض هذه الصفات وهو متلبس باشنع الحركات وهذا يدل على لؤم أصله وشؤم محله وسوء طويته وفساد نيته ومن أكرم اللئيم فهو الملوم وهذا أمر معلوم وقد قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فقال أخو نهشل الفقير لا تقل ذلك أيها الوزير فان أبا نوفل عبد خديم ومخلص قديم وظريف نديم ومحب صديق وودود شفيق أمين ثقه ذو وفاء ومقه محب ناصح وجليس صالح لم يعلم مولانا الملك عليه الا الخير ولم يزل يسير فى طريق العبودية أحسن سير ولم يطلع منه على شئ يعيبه ولا يشينه فى الدارين ولا ريبه بل هو ملازم لوظائف عبوديته مباشر لما يجب عليه من شرائط خدمته لم يصدر عنه أبدا غش لمخدومه ولا خروج عن امتثال أوامر مرسومه فان صدرت منه هفوة نادره أو سهوة بادره أو جفوة سادره فحلم مولانا الملك لا يقتضى بل ولا يرتضى اطراح هذه الاوصاف المتعاضده لاجل هذه الزلة الواحده كما قيل

فان يكن الفعل الذى ساء واحدا * فافعاله اللاتى سررن ألوف

مع أنه حصل له من كسر الخاطر واحراق القلب واغراق الجفن الماطر ما لا يجبره الا العواطف السلطانيه والمراحم الشريفة الملوكيه ونظرة من الحنو والعطف وذرة من الشفقة واللطف تكفيه ومن أليم الجفاء تحميه وبعد شدة الممات تحييه والا فلا نعرف أحدا يجبر كسر ذلك الوهن أبدا الا الآلاء السلطانية من يد العلو تعالى مقامها الى درجات السمو والعطف والحنو ثم عطف على الدب وقد حفر لايقاعه الجب وقال أما أنا مع قلة البضاعه واحتقار مقامى بين الجماعه فقد أقمت نفسى لما وجب علىها فى مقام الشفاعه فلا أقصر فيها ولا أرجع عنها ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها وأسال صدقات مولانا أبى اللماس المساعدة فى انجاز هذا الالتماس وأن يكون هذا شريكالى فى احراز هذا الجعل والوصول الى أنواع الفضل من هذا الفصل فانه يردعنا فته ومن يشفع شفاعة سيئه وأرجو من وزير الممالك أن لا يقع منه مخالفة فى ذلك فان من سكن الكريم فى ربعه لا يصدر منه الا ما يليق بكرم طبعه واللئيم يتكلف

بل يحسد عليه و يتاسف اذا شرع فى مكارم الاخلاق وتعاطى فيها مالم يقسمه له مقسم الارزاق ترى وجوه محاسنها فى مكامنها تستر منه بانقاب النشوز وأبكار خدورها فى قصورها تتراءى لعينه فى صورة شوهاء عجوز فلا يطاوعه لسانه فى طيب المقام الى طيب المقال ولا يبعثه جنانه الى مباشرة حسن الفعال فيصير كما قيل

يراد من القلب نسيانكم * وتابى الطباع على الناقل

والناس على دين ملوكهم سالكون طريق سلوكهم وحيث كان مولانا الملك مجبولا على الشفقة الكامله والمراحم الشامله فكان ما يجب على ذمتنا و يلزم دائرة همتنا أن نتخلق باخلاقه العليه ونتشبث باهداب شمائلها الرضيه ونتعاون جميعا على التزين بملابسة ملابسها البهيه ونستضيء بل نهتدى فى دياجير المعاش بدرارى افلاك صفاتها الزكيه فان العبد فيما يتعاناه مجبول من طينة مولاه وان الله جل وعلا لا يضيع أجر من أحسن عملا قال فالجم الدب ذو السافطه بما فعله به من المغالطه ثم امسكوا عن الكلام وانتظروا ما يصدر من الضرغام فلم يبد خطابا ولا أنهى جوابا سوى أن قال صلوا فى الرحال ولا تبدوا ولا تعيدوا ولا تنقصوا فى هذه القضية ولا تزيدوا حتى أمعن فيها النظر وأستشير فيها مشير الفكر فهما أشار اليه الرأى وأرشد الى اتباعه الهدى فيما يتعلق بحاله تقدمت اليكم بامتثاله فلما انصرفوا توجه أخو نهشل الى الحبس وذكر لاخيه ما جرى بينه و بين ذلك النحس ثم قال أبشر بالنجاح والفلاح والصلاح فقد رأيت فى جبين الفوز نور صباح ولا شك ان الله الغفور يجرى على يدى ولسانى من الامور ما يجلب السرور و يذهب الشرور فكن أوثق صبور وان حصل فى الطريق عقبة تعويق فلا يكن فى صدرك حرج فان وراءها باب الفرج فان الظفر مقرون بالصبر والصبر مشفوع باليسر وقد أجاد صاحب الانشاد

اصبر على ما جرى من سابق قدما * فراكب الصبر بالامهال تلحقه

فشكر له جميل سعيه ثم عرض على مشير وعيه فقال كنت أرى ان هذه القضية تؤخر و ربما السعى فى أمرها ولا يذكر وسبب ذلك ان الطالع قد أدبر والحظ عن المساعدة قد تاخر واذا تحرك الشخص والسعد ساكن وتبسم الدهر والزهر باك وطلب شكر مسالمته وهو شاك فهو كقاطع البحر بالمراكن والبانى على ثبجه أماكن لا يصلح له عمل ولا ينجح له أمل فيشبه اذ ذاك الحمار المعصوب العينين فى المدار يقطع بالمسير زمانه ولا يفارق مكانه كذلك من يتعاطى الاعمال والسعد غير عمال فلا يستفيد الا التعويق والتبعيد ففى تلك الحال ينبغى الامهال لا الاهمال الى أن يتوجه السعد بالاقبال فعند ذلك مد الشباك وصيد السماك فان السعد أتاك والدهر واتاك وناهيك قصة كسرى القديم مع وزيره بزرجمهر الحكيم فسال أخا نهشل بيان ما نقل من المثل أخوه أبو نوفل (فقال) بلغنى أن كسرى أراد التنزه فثنى الى حديقة عنان التوجه وطلب الحكيم بزرجمهر وجلسا تحت دوحة زهر على بركة ماء أصفى من دموع العشاق وأنقى من قلوب الحكماء ثم طلب طائفة من البط لتلعب قدامه فى البركة وتنغط و جعل ينادم وزيره و يتلقف منه حكمه المنيره و يتعرج على البط وهو يلعب و يتامل فى أنواع حكم الصانع القديم و يطرب وصار يعبث بالخاتم فى أصبعه و يسرح فى رياض الصنع سوائم منظره ومسمعه فسقط الخاتم من أصبعه وهو ساه وشاهد بزرجمهر هذا الأمر فما أبداه ولا أنهاه فالتقمته بطه وغطت فى الماء غطه وكان فيه فص ثمين وكسرى به من المغرمين فلما سود قلم الاقتدار بياض النهار وأكمل مشقه على قرطاس الاقطار أذن كسرى للوزير بالانصراف وقد أسبغ عليه خلع الانعام والاسعاف ودخل كسرى الى الحرم وافتقد من أصبعه الخاتم فلم يتذكر ما جرى له ولا وقف على كيفية هذه الحاله فارسل بطلب الوزير البارع وسال منه عن خاتمه الصائغ وكان الوزير قد نظر فى الطالع فرأى أن الكلام فى

نظرت فلا أعلم بينى و بين الاسد خرما ولا صغير ذنب ولا كبيره ولعمرى ما يستطيع أحد أطال صحبة صاحب أن يحترس فى كل شيء من أمره ولا ان يتحفظ من أن يكون منه صغيرة أو كبيرة يكرهها صاحبه ولكن الرجل ذا العقل وذا الوفاء اذا سقط عنده صاحبه سقطة نظر فيها وعرف قدر مبلغ خطائه عمدا كان أو خطأ ثم ينظر هل فى الصفح عنه أمر يخاف ضرره وشينه فلا يؤاخذ صاحبه بشئ يجد فيه الى الصفح عنه سبيلا فان كان الاسد قد اعتقد على ذنبا فلست أعلمه الا انى خالفته فى بعض رأيه نظرا منى ونصيحة له فعساه أن يكون قد أنزل أمرى على الجراءة عليه والمخالفة له ولا أجد لى فى هذا المحضر اثما الا انى لم أخالفه فى شئ الا ما قد ندر من مخالفة الرشد والمنفعة والدين ولم أجاهر بشئ من ذلك على رؤس جنده وعند أصحابه ولكنى كنت أخاويه وأكلمه سرا كلام الهائب الموقر وعلمت أنه من التمس الرخص من الاخوان عند المشاورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ منافع الرأى وازداد فيما وقع فيه من ذلك تورطا وحمل الوزر وان لم يكن هذا فعسى أن يكون ذلك من بعض سكرات السلطان فان مصاحبة السلطان خطرة وان صوحب بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة وان لم يكن هذا فبعض ما أوتيت من الفضل قد جعل لى فيه الهلاك وان لم يكن هذا ولا هذا فهو اذا من مواقع القضاء والقدر الذى لا يدفع والقدر هو الذى يسلب الاسد قوته وشدته ويدخله القبر وهو الذى يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل المغتلم وهو الذى يسلط على الحية ذات الحمة من ينزع حمتها و يلعب بها وهو الذى يحزم العاجز

امر

أمر الخاتم غير نافع فلو تكلم بصورة الواقع ذبح جميع البط وما وجدلان الطالع مانع فكتم أمره وكله بكلام لحقيقة الحد جامع مانع ثم انصرف وذهب واستمر كسرى على الطلب ولم يزل بزرجمهر يراقب الاوقات وينظر في أحوال الساعات الى أن استقام الطالع وزال من السعد المانع وتمين الفال وحسن البال وحال الوبال فتوجه بزرجمهر الى خدمة مخدومه وأخبره بما كان مخفيا من أمر الخاتم في جيب مكتومه وأنه سقط من أصبعه وهو على البركة في موضعه فبادرت بطه الى الغطه فاختطفته وابتلعته بعدما التقمته فاحضروا البط جميعه وذبحوا من عرضه واحدة بديعه فوجدوا الخاتم في حشاها ولم تحوج الى ذبح سواها ثم سال كسرى الحكيم الاديب لم لم يخبره بهذا الامر الغريب في أول وقوعه وصدوره وما موجب تاخيره فقال كان اذ ذاك الجد في انعكاس والسعد في انتكاس والطالع في سقوط والنجم في هبوط وأما الآن فالطالع استقام والسعد كالخادم أقام ونجم السعود قد حال عنه الهبوط والوبال وفي استقامة السعد واقباله من بعد يفحل الشخص ماشا فالدهر معه جار سواء جاري أو ماشي (وانما أوردت) هذا النظير لتعلم أن معاندة التقدير أمر خطير وخطب عسير فربما يفرغ الانسان جهده في المبالغه ويكون الامر فيه ممانعة ومراوغه فينعكس المرام ولم يحصل سوى اضاعة أيام ولم أذكر هذه المفاوضه الا على سبيل العرض لا المعارضه لما أعلم منك من وفور الفضيله وان مقاصدك على كل حال جميله فقال أخو نهشل الأمر كما زعمت وأشرت به ورسمت ولكن خشيت ان لم أبادر يسبقني عدو غادر أو حسود ماكر أو مبغض مكار فينهي الى المسامع ماليس بواقع فلم نشعر أنها البطال الا وقد ولج قلب الملك أنواع من مكر ودخل فيصير كما قيل

أتاني هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

لاسيما وقد تقرر في الامثال عند غالب الرجال أن الدعوى لمن سبق لا لمن صدق وبالجملة يا أبا عوبله اذا كانت مقاصد الشخص جميله فان الله تعالى ينجحها ولا يفضحها ويدبرها ولا يدمرها وان كان في الظاهر وعند البادي والحاضر يظهر في بعض القضايا نوع هم وغم لكن ذلك السر لم يطلع عليه الا مدبر العالم واذا فوض الشخص الامور الى العزيز الغفور الذي هو مدبر الطالع والغارب وفي الحقيقة رب المشارق والمغارب وعلم أن مقاليد الامور بيد تدبيره وان ملوك الارض تحت تصريف تقديره وتسخيره استراح في كل المطالع وأخلص التوكل فنجاه الله من كل الوقائع وأوصله الى ما رام من المطامع (وحسبك) قضية الناصح الاستاذ الامين الدمشقي مع الخائن جاسوس بغداد وهي طويلة طائله في مجلدة كامله وأيضا لم أبادر بمفاتحة السلطان في أمرك يا أعز الاخوان الا لئلا أنسب الى تهاون وتوان وما من شروط المروءة والصداقة والاخوه أن يتخلف الفطن في مثل هذا الموطن عن مساعدة الاصحاب ومعاونة الاحباب لاسيما صديق مثلك وحبيب متسم بفضلك واني لا أدع من أنواع الاجتهاد وما يحسن بمالي في الاصدار والايراد شيأ الا فعلته ولا أمرا الا قدمته ولا فكرا الا استعملته ولو بذلت في ذلك روحي ومالي وخيلي ورجالي واني مباكر باب الملك وملازمه كاحسن من سدلك فان رأيته مكرما مقامي مصغيا الى كلامي خاطبته بما يليق وسلكت في الشفاعة وحلو العبارة أوضح طريق وان شاهدت في خلقه شكاسه وفي طبعه شراسه وصعوبة وشماسه سلكت سبيل حسن السياسه وفي الجملة استعمل علم الفراسه وفي كل حكم نظيره وقياسه وأستعين بالاقرباء والاوداء وأغالط المناقض والمعارض من الاعداء وأقصد النجح وأراقبه وارتقب السعد وأخاطبه وأسلك مع كل أحد ما يناسبه فالعدو أفتله والحسود أختله والعذول أفتله والمحب أحتله والمبغض أبتله ومن تصلب في المدافعة أمثله الى أن ينقضي هذا الامر وينطفي منه الجمر ويقبل مبشر الاماني بالطبل والزمر ثم انه بات مفكرا وبادر الى الصباح مبكرا وأم أبواب السلطان قبل سائر الخدم والاعوان

ويثبط الشهم ويوسع على المقتر ويشجع الجبان ويجبن الشجاع عندما تعتريه المقادير للعلل التي وضعت عليها الاقدار (قال دمنة) ان ارادة الاسد بك ليست من تحميل الاشرار ولا سكرة السلطان ولا غير ذلك ولكنها الغدر والفجور منه انه فاجر خوان غدار لطعامه حلاوة وآخره سم مميت قال شتربه فاراني قد استلذذت الحلاوة اذ ذقتها وقد انتهيت الى آخرها الذي هو الموت ولولا الحين ما كان مقامي عند الاسد وهو آكل لحم وأنا آكل عشب فانا في هذه الورطة كالنحلة التي تجلس على ورق النيلوفر اذ تستلذ ريحه وطعمه فتحبسها تلك اللذة فاذا جاء الليل ينضم عليها فترتبك فيه وتموت ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف الذي يغنيه وطمحت عينه الى ما سوى ذلك ولم يتخوف عاقبتها كان كالذباب الذي لا يرضى بالشجر والرياحين ولا يقنعه ذلك حتى يطلب الماء الذي يسيل من اذن الفيل فيضربه الفيل باذانه فيهلكه ومن يبذل وده ونصيحته لمن لا يشكره فهو كمن يبذر في السباخ ومن يشير على المعجب فكمن يشاور الميت أو يسار الاصم (قال دمنة) دع عنك هذا الكلام واحتل لنفسك قال شتربه باي شيء أحتال لنفسي اذا أراد الاسد أكلي مع ما عرفتني من رأي الاسد وسوء أخلاقه واعلم انه لو لم يرد بي الا خيرا ثم أراد أصحابه بمكرهم وفجورهم هلاكي لقدروا على ذلك فانه اذا اجتمع المكرة الظالمة على البريء الصحيح كانوا خلقاء أن يهلكوه وان كانوا ضعفاء وهو قوي كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل حين اجتمعوا عليه بالمكر والخديعة والخيانة (قال دمنة) وكيف كان ذلك قال شتربه زعموا ان

فوجد الدب قد سبقه وجلس من عين المكروه في الحدقه وقد فوق سهم الكيد وصوبه الى شاكلة الصد ولم يبق الا اطلاقه ليشد من المرمي وثاقه فقبل النديم الارض وأعلن سلامه وقطع على أبي جميد كلامه وعارض ملامه وناقض مرامه وقال أدام الله أيام السعاده وأعوام الحسنى و زيادة المستمدة من بقاء مولانا السلطان وعمر دهره الخالد على تعاقب الزمان وأوطأ قمم الامم مواطئ قدمه وأطاب بطيب حياته معايش عبيده وخدمه كانت المواعيد الشريفة والآراء المنيفه سبقت بالتأمل في أمر عبدها القديم وخديمها الفقير النديم وجالب سرورها أبو نوفل النديم مع ما كان لائحا وعلى صفحات الرضا واضحا من شمائل الاخلاق الملوكيه ومكارم الشيم السلطانيه ان مراحمها ستأخذ بيد العاثر وتقبل عثرته بحسن المآثر بحيث يشرح الخاسر و يربح الخاسر والمملوك يسال مراحمها و يرجو مكارمها أن لا تخيب ظنه وان تجبر بتحقيق ظنه وهنه وان تجري مماليكها وعبيدها على ما عودها من الصدقات قديمها وجديدها ثم أنشد والى الرضا أرشد

أرجو أبا العباس أن يروى لنا * عن ثغره الضحاك نورا يقتبس
فاقرأ تبسم ضاحكا من قولها * منه للأنجوى ولا تقرأ عبس

فتبسم أبو العباس ابتسامه ظهرت منها للرضا علامه فاشتعل الدب من القيظ وكاد يتمزق من الغيظ وعلم أن عقد أمره نفرط ونجم سعده من فلك السعد سقط وأنه لم يكتسب من مكايد القساوه الا هاتيك العداوه وانكشف عند مالكه ما وطاه من مغطى وقرأ كل أحد حديث ذلك الموطا وغلب عليه الوجد في الحال فخرج عن دائرة الاعتدال وسكر من خمرة العداوة فطفح وعربد وشطح فقال كل من ستر على أعداء الملك فهو في الخيانة والجناية مشترك وكل من شفع في الجاني فهو في قيد العصيان عاني بل هو أشد من المباشر اذ هو معاشر للمتعاطي ومكاثر والابقاء على المعصية شر منها والرضا بكفر الكافر فتنة يفرعنها وما أظنك أيها النديم العارف القديم لمعرفة هذا القدر عديم فان أبيت الا الاصرار ومساعدة الفجار ومعاونة الاشرار فانت حينئذ مستخف لهيبة ولي نعمتك مستنقص حرمة مالك رقبتك طالب لابتذاله مستهين بمقام جلاله راض بتسليط الانذال والاوغاد الارذال على انتهاك حرمته وابتكاك أستار حشمته ونحن لا نرضى بذاء الذمامه ولا كيد المخالف ولا كرامه فعند ذلك استشاط الغضنفر وتاثر لكلام الوزير وتغير وزأر وهمر وزفر زفره وزمجر وكاد أن يثب على أبي جهر ثم انه تماسك وتناسى الغدر وتناسك وقال يا أبا سلمه كبرت كلمة غيبة الاصحاب والنميمة بين الاحباب وساءت حركه وبئست ملكه تناسي الحقوق وتحاسي العقوق واطراح جانب الصديق الصدوق والرفيق الشفوق واضاعة خدمة الخديم لا سيما النديم القديم ولم تزل الاصاغر تستمطر مراحم الرؤساء والاكابر ولم تبرح الملوك تعطف على مسكينها الصعلوك أنسيت ما قاله الملك في حقيقة من ملك وهو

ليس المليك الذي تشقى رعيته * وانما الملك مولى يحفظ الخدما

وأيضا لم تزل الاصحاب تساعد أصحابها وتستعطف عليها ملوكها وأربابها وترفع بحسن السفارة من ستائر الدهشة حجابها ويثبتون بذلك الاجر العظيم والثواب الجسيم والثناء العاجل والجزاء الآجل في صحائف مخادعهم ويعدون ذلك أربح معالمهم ويبذلون في ذلك الجهد ويبلغون فيه غاية الكد وذلك مما يجب عليهم ويتقدم بالمحافظة عليه اليهم كما قيل

يستعطفون الاكابر * يستعبدون الاصاغر يحبون رسم الاوائل * يعلمون الاواخر

وأي فائدة واستفاده أيها الوزير أو افتاده في رعية ملك لا تتفق قلوبهم ولا تستتر بينهم عيوبهم ولا تطهر بالصفاء جيوبهم ولا تتجافى عن مضاجع الجفاء جنوبهم ولا يتساوى في الوفاء حضورهم وغيوبهم

أسدا كان في أجمة تجاور الطريق من طرق الناس وكان له أصحاب ثلاثة ذئب وغراب وابن آوى وان رعاة مروا بذلك الطريق ومعهم جمال فتخلف منها جمل فدخل تلك الاجمة حتى انتهى الى الاسد فقال له الاسد من أين أقبلت قال من موضع كذا قال فما حاجتك قال ما يأمرني به الملك قال تقيم عندنا في السعة والامن والخصب فأقام الاسد والجمل معه زمنا طويلا ثم ان الاسد مضى في بعض الايام لطلب الصيد فلقي فيلا عظيما فقاتله قتالا شديدا وأفلت منه مثقلا مثخنا بالجراح يسيل منه الدم وقد خدشه الفيل بانيابه فلما وصل الى مكانه وقع لا يستطيع حراكا ولا يقدر على طلب الصيد فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياما لا يجدون طعاما لانهم كانوا يأكلون من فضلات الاسد وطعامه فأصابهم جوع شديد وهزال وعرف الاسد ذلك منهم فقال لقد جهدتم واحتجتم الى ما تأكلون فقالوا لا تهمنا أنفسنا لكنا نرى الملك على ما نراه فليتنا نجد ما يأكله ويصلحه قال الاسد ما أشك في نصيحتكم ولكن انتشروا لعلكم تصيبون صيدا تأتوني به فيصيبني ويصيبكم منه رزق فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الاسد فتنحوا ناحية وتشاوروا فيما بينهم وقالوا ما لنا ولهذا الآكل العشب الذي ليس شأنه من شأننا ولا رأيه من رأينا ألا نزين للاسد فيأكله ويطعمنا من لحمه قال ابن آوى هذا مما لا نستطيع ذكره للاسد لانه قد أمن الجمل وجعل له من ذمته عهدا قال الغراب أنا أكفيكم أمر الاسد ثم انطلق فدخل على الاسد فقال له الاسد هل أصبت شيئا قال الغراب انما يصيب من يسعى و يبصر وأما نحن فلا سعي لنا ولا بصر لما بنا من الجوع ولكن

وغيوبهم تراهم فى الغيبة يغتب بعضهم بعضا فتاو يرعون لحومهم فتاكيها ثم لاقت فى مرعاها فتنا وفى الحضور تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ثم ان كان أخو ثم شل يساعد أخاه أبا نوفل فذلك شئ يجب عليه و يندب اليه فانه صاحبه القديم و جليسه القويم وان تخلى عنه فماذا يرجى منه وبحر النوائب هو محك الاصحاب و جر المصائب يظهر من تبر الصداقة اللباب وقد قام فى هذه النوائب بعدة أشياء كلها عليه واجب أولها القيام بحق أخيه والسعى فى خلاصه من هـذا الامر الكريه ثانيها ساق الى صحائفى الحسنات وقصد لى رفع الدرجات ثالثها طلب رضا خاطرى ومايشرح صـدرى و يسر سرائرى رابعها مباعـدتى عن الآثام وخلاص ذمتى من الوقوع فى الحرام فربما يحملنى العنود والخلق الشرود على التعدى فى الحدود خامسها اشتهار اسمى بالفضـل وعدم المؤاخذة بالعدل فيشيع فى الآفاق عنى مكارم الاخلاق سادسها انتشار صيتى بحسن الوفاء والقيام بحقوق الاخوان وعدم الجفاء سابعها انه غرس فى قلوب الاماثل محبته و زرع فى أرواح الافاضل مودته وان كان صدر من أبى نوفل ماصدر فانه اعترف بالذنب وعنه اعتذر فنعمل معه بالظاهر والله تعالى يتولى السرائر كما قيل

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان برعنـدك فيما قال أوفجرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

ولو بلغت هذه الحكايه غاية الشرونهاية النكايه ماتدنى واقعة الملك الصافح عن عدوه المؤذى السافح فقبل الدب الارض وقام فى مقام العرض وسأل الملك بيانها ليعلم بحسن التصريف فرزانها و يقيس عليها أوزانها (فقال) ذكر أن بعض السـلاطين تصدى له عدو من الشياطين يحرض عليـه الاعادى و يفسد عليه الحاضر والبادى ويجتهد فى اقامته ومسيره فى ازالة الملك عن سريره و يغرى به العساكر فيقابله ظاهرا بالنواكر و باطنا بالمواكر وما فسد منه ما فسد الابدواعى الحقد والحسد فجعل الملك يسترضيه بالهبات فلا يرضى و يستدنيه بالصلات فلا تزيده صلاته الا بعدا ونقضا كما قيل

الى كم يدارى القلب حاسد نعمة * اذا كان لا يرضيه الا زوالها

فاضطر الملك من أموره واشتغل لايقاعه بمذوره وجعل ينصب له شرك الوقائع و يجتهد فى ايقاعه بكل دان وشاسع وذلك الباغى أحذر من الغراب وأسهر من طالع الكلاب والملك لايقر له قرار ولا يطيب له عيش لا بالليـل ولا بالنهار فكان من أحسـن الاتفاق ان علق ذلك الباغى ببعض الاوهاق فحمل الى حضرة الملك وهو فى قيد البلاء مشتبك فلما رآه فى قيـد النكد بادر الى الارض فسجد وقال الحـمد لله المغيث حيث أمكن منك أى خبيث أترى هذا فى المنام فهو أضغاث أحلام أم سمح الزمان باهـل العدوان وانا يقظان ثم شرع فى السب والتجديع والتوبيخ والتقريع واقسم بفالق الاصـباح وخالق الارواح والاشـباح ليفعلن بذلك النباح من النكال والجراح مافعل المصطفى عليه الصـلاة والسـلام مع سراق اللقاح وليذيقنه كأس الباس وليجرعنه من خمر المنية أمر كاس ثم أمر الجـلاد ان يأتيه بماله من النطع والسيف والعتاد فعلم ذلك الزنديق انه وقع فى الضيق وانه لاينجيه أخ ولا صديق ولا افتداء بشقيق ولا حميم وشفيق فضـلا عن مال ومنال أوخيل و رجال فلما غسـل يده من العيش استهوته الخفة والطيش فشرع فى السباب ودخل فى الشتم من كل باب و رفع بفاحش الكلام الصوت وقال مابعد الموت موت فسأل الملك أحد الوزراء ماذا يقول من الافتراء هذا الظالم المجترى الباغى المفترى فقال يدعو بدوام البقاء ورفعة مولانا الملك والارتقاء و يقول ما أحسن العفو عند المقـدره واللطف والكرم أيام الميسره وان لم يكن ثم مجال للمعذره ولو جعـل العفو شكر المقـدرة لكان أولى وأعلى مقاما فى مكارم الشيم وأحلى كما قيل

قـد وفقنا الرأى واجمعنا عليـه ان وافقنا الملك فحن له مجيبون قال الاسد وماذاك قال الغراب هذا الجمل آكل العشب المتمرغ بيننا من غير منفعة لنا منه ولا ردعائدة ولا عمل يعقب مصلحة فلما سمع الاسد ذلك غضب وقال ماأخطأ رأيك وما أعجزمقالك وما أبعدك من الوفاء والرحمـة وما كنت حقيقا أن تجترئ على بهذه المقالة وتستقبلنى بهذا الخطاب مع ماعلمت من أنى قد أمنت الجمل وجعلت له من ذمتى أولم يبلغك انه لم يتصدق متصدق بصدقة هى أعظم أجرا ممن أمن نفسا خائفة وحقن دما مهدرا وقد أمنته ولست بغادر به قال الغـراب انى لاعـرف ما يقول الملك ولـكن النفس الواحـدة يفتدى بها أهل البيت وأهل البيت تفتدى بهـم القبيلة والقبيـلة يفتدى بها أهل المصر وأهل المصر فداء الملك وقد نزلت بالملك الحاجة وأنا أجعـل له من ذمتـه مخرجا على أن لايتكلف الملك ذلك ولا يليه بنفسه ولا يأمر به أحدا ولـكنا نحتال بحيلة لنا وله فيها اصلاح وظفر فسكت الأسد عن جواب الغراب عن هذا الخطاب فلما عرف الغراب اقرار الاسـد أتى أصحابه فقال لهم قد كان الاسد فى أكله الجمل على ان نجتـمع نحن والجمل عند الاسـد فنذكر ماأصابه ونتوجع له اهتماما منا بامره وحرصا على صلاحه و يعرض كل واحـد منا نفسه عليه تجملا ليأكله فيرد الآخران عليـه و يسفهان رأيه و يبينان الضرر فى أكله فاذا فعلنا ذلك سلمنا كلنا ورضى الاسـد عنا ففعلوا ذلك وتقدموا الى الاسد فقال الغراب قد احتجت أيها الملك الى مايقويك ونحن أحق ان نهب أنفسنا لك فانا بك نعيش فاذا هلكت فليس لاحـد منا بقاء بعدك ولا لنا فى الحياة من خيرة فليأكلنى الملك فقـد طبت

بذلك نفسا فاجابه الذئب وابن آوى أن اسكت فلا خير للملك فى أكلك وليس فيك شبع قال ابن آوى لكن انا أشبع الملك فليأكلنى فقد
رضيت بذلك وطبت عنه نفسا فرد عليه

الذئب والغراب بقولهما انك لمنتن قذر قال الذئب انى لست كذلك فليأكلنى الملك فقد

سمحت بذلك وطبت عنه نفسا فاعترضه الغراب وابن آوى وقالا قد قالت الاطباء من أراد قتل نفسه فليأكل لحم ذئب فظن الجمل انه اذا عرض نفسه على الاكل التمسوا له عذرا كما التمس بعضهم لبعض الاعذار فيسلم ويرضى الاسد عنه بذلك وينجو من المهالك فقال لكن انا فى للملك شبع ورى ولحمى طيب هنى وبطنى نظيف فليأكلنى الملك ويطعم أصحابه وخدمه فقد رضيت بذلك وطابت نفسى عنه وسمحت به فقال الذئب والغراب وابن آوى لقد صدق الجمل وكرم وقال ما عرف ثم انهم وثبوا عليه فمزقوه وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم انه ان كان أصحاب الاسد قد اجتمعوا على هلاكى فانى لست اقدر أن امتنع منهم ولا احترس وان كان رأى الاسد لى على غير ماهم عليه من الرأى فى فلا ينفعنى ذلك ولا يغنى عنى شيأ وقد يقال خير السلاطين من عدل فى الناس ولو ان الاسد لم يكن فى نفسه لى الا الخير والرحمة لغيرته كثرة الاقاويل فانها اذا كثرت لم تلبث دون أن تذهب الرقة والرأفة ألا ترى أن الماء ليس كالقول وان الحجر أشد من الانسان

ما أحسن العفو من القادر * لاسيما الغير ذى ناصر

ويترحم على أسلاف مولانا السلطان الذين كان شيمتهم العفو عن ذوى العصيان وكان ذلك منتهى لذتهم وغاية أمنيتهم وما أجدر مولانا الملك ان يحيي مكارم سلفه ويجعل العفو كلمة باقية فى خلفه ولا زال يقول من هذا المقول حتى لان له القلب القاسى ورق له قلب الملك الجاسى فامر باطلاقه ومن عليه باعتاقه وكان أحد الوزراء وأركان الامراء شخص يعاكس هذا الوزير ويناقضه فيما يراه ويشير وبينهما مرت أسباب عداوه أحلى فى مذاق طبعهما من الشهد والحلاوه كل مترصد للآخر زلة متوقع لايقاعه فى شبكة البلاء غفله فحين رأى شقة الحال نسجت على هذا المنوال وجد فرصة للمقال فتقدم وقال ما أحسن الصدق وأعز كلام الحق خصوصا فى حضرة المخدوم وهذا أمر معلوم عدو مبين وحسود مهين لم يترك من أنواع العداوة شيأ الا تعاطاه ولا من الافساد والشر منفا الا هيأه قد أهلك الحرث والنسل وبدل جنى الصلاح من الفساد بخمط وأثل الى ان أمكن الله تعالى منه وحان تفريغ الخواطر الشريفة عنه ثم انه فى مثل هذا المقام بين الخواص والعوام يثلب الاعراض من الامراض ويجهر بالسوء من القول ويصرف فى الخنى والسب ماله من قوة وحول كيف يحل السكوت عن جرائه وتغطية مساويه وعظائمه فضلا عن ان تحلى سيآته فى خلع الحسنات وتحلى شوهاء سواخط أدعيته بملابس أحسن الدعوات ومع هذا يطالب له التوقع والخلاص والاطلاق من شرك الاقتناص وهو على ما هو عليه من الاساءة المنسوبة اليه أما والله يا مولانا الهمام وسلطان الانام ما قال الا كذا كذا من قبيح الكلام وتناول العرض المصون بالسب والدعاء والملام فتغير خاطر الملك وتعكر وتشوش صافى خاطره وتكدر ثم قال أيها الوزير ذو الصدق فى التحرير والله وحقك ان كذب هذا الوزير عندى خير من صدقك فانه بكذبه أرضانى والى طريق الحق هدانى وأصفى خاطرى من الكدر وأطفا ما كان تلهب فى غيظى من شرر ونجانى من دم كنت أريقه ولا يهتدى الى كيفية استحلاله طريقه فاصلح بذلك ذات البين وأصار المتعادين أحسن محبين وخلد ذكرى بجميل الصفات وسلك بى طريقة أجدادى الرفات وأما أنت فكدرت عيشى وآثرت غضبى وطيشى وأسمعتنى الكلام المر وقد مسنى منك الضر وأما أنا فقد أعتقت هذا وأطلقته فلا أرجع فى ايذائه وقد أعتقته وقد ثبت لهذا الوزير على حقوق لا ينكرها الا ذو عقوق ولا تسعها الاوراق والرقوق فكذبه عندى خير من صدقك وباطله أحلى على قلبى من حقك ولهذا قال ذو الافضال ما كل ما يعلم يقال (وانما أوردت) هذا الكلام يا كرام لتعلموا ان السلطان بمنزلة الامام وأركانه له تبع فى القعود والقيام ولا يتم الائتمام الا بالاتفاق بين الرفاق فاذا كان الجماعة مجمعين طائعين لامامهم مستمعين استقام القيام وانتهوا من جميل التحيات الى السلام ولا يقع لهم انتظام مع مخالفتهم لحال الامام هذا قائم وهذا قاعد وهذا راكع وهذا ساجد وهذا نائم وهذا جاحد وأيضا السلطان بمنزلة القلب والرأس وبمنزلة الاعضاء رؤساء الناس وباقى الرعية خدم للرأس والاعضاء منتظرين لما تبرز به المراسيم من الزجر والامضاء فاذا اتفقت الاعضاء واصطلحت انتظمت أمور كل من الرأس والرعية وانصلحت واذا وقع اختلاف وتباين فى الاعضا صار كل من الرأس والقلب والرعية مرضى ولقد صدق من قال وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضى المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وخلاصة هذا الكلام ان قصدى ان تكون أحوال رعيتى على النظام لا يقع بينهم شقاق ولا تنافر ولا نفاق وأما أبو نوفل فيكفيه حياؤه وخجلته فقد انتهت وتمت عقوبته وأخذ حده حده ولا يليق بكرمى ان أرده وهذا الذى ورثته عن اسلافى وهو الحق اللائق بمحاسن شيمى وأوصافى فلما سمع الوزير هذا الكلام

فالماء اذا دام انحداره على الحجر لم يلبث حتى يثقبه ويؤثر فيه وكذلك القول فى الانسان (قال دمنة) فماذا تريد أن تصنع الآن قال شتربه ما أرى الا الاجتهاد والمجاهدة بالقتال فانه ليس للمصلى فى صلاته ولا للمتصدق فى صدقته ولا للورع فى ورعه من

وجرح

وجرح فؤاده نصل هذا الملام ندم غاية الندم وعلم انه قد زلت به القدم وانه لاحاجته قضى ولا على صديقه أبقى ولم يستفد مما أبداه من جفم سوى اظهار معاداة أبي النجم وانه اذا تخلص من دسيسه وكربه ورجع عند الملك الى منادمته وقربه لابد أن يتصدى لمعاداته وسلبه ولا يفيده بعد ذلك افعاله ولا يسمع في أبي نوفل أقواله فانصرف من عند الملك الطيشار لايدرى أين يضع قدمه من الافتكار حتى وصل الى منزله واختلى في فكره بعمله وفرغ للخلاص من هذه الورطة طرقا وتفرقت رواد أفكاره في منازل الخلاص فرقا فادى ندبب الرواد من الآرا ومفيد القصاد من الشورى الى السعي في مصالحة أبي نوفل وازالة ماوقع من الغبار في وجوه الصداقة وتخالل ثم أدى افتكاره وأورى من زند رأيه شراره الى ان الذى وقع منه قد اشتهر وعلم به أصحاب البدو والحضر فاذا طاب من بعده الصلح فذلك في غاية القبح اذ كل من في عصره يتحقق ان ذلك خور وعجز فصار يتردد بين هذه الافكار ويتامل مافيها من تحقيق الانظار وتدقيق الاسرار فبينماه وفي بحر الافتكار باطمه الموج وصدمه التيار دخل عليه صفى له صافى الوداد وهو ظبي أغر يدعى مبارك الميلاد ذكى الجنان فصيح اللسان دقيق النظر عميق الفكر ذو رأى صواب وشفقة كاملة على الاصحاب فرآه مطرقا الى الارض في فكر ذى طول وعرض فسلم عليه وتقدم بالسؤال اليه عن نشور باله وتوزع حاله فطلب الوقوف على ماناله لينظر عاقبة أمره ومآله فاخبره بموجب ذلك وانه قد سدت في وجهه المسالك فقال مبارك الميلاد ياصحيح الوداد أنت قد زعمت ان مولانا السلطان قد ترك أبا نوفل الندمان وطرحه اطراحا لارجعة فيه وانه بعد اليوم لايذكره ولا يدنيه وان عثرته لاتقال وغصته لاتزول وقصته لاتزال هيهات هيهات ياأبا الترهات الملوك ان لم يعرفوا حقوق خدمهم ولم يثبتوا في ديوان احسانهم قدم قدمهم خصوصا هذا الملك العظيم الذى أنفاس شيمه تحيى العظام الرميم ونحن قد زجينا عمرنا في خدمه وأذاقنا برد عفوه وحلاوة كرمه وغذاء أرواحنا انما هو غوادى حلمه وروائح نعمه مع ان أبا نوفل لم يقع في محذور معضل يوجب تناسى ذممه وابتذال حرمته وحرمه وانه استغفر وأناب واعتذر وتاب واعلم أيها الوزير الاكرم ان ذوى النهى والحجر اذا أرادوا الشروع في أمر تاملوا في مبداه غايته ومنتهاه وهذا التقرير كالجلوس المقصود من عمل السرير فانما تنبعث لصنعته النفوس اذا علمت بحصول الرفعة عليه من الجلوس كما قيل

فاياك والامر الذى ان توسعت * موارده ضاقت عليك مصادره

اما بلغك ياأخى وأكرم سخى حكاية التاجر البلخى قال الوزير أخبرنى بكيفية هذا التنظير (قال) مبارك الميلاد بلغنى من أحد العباد الذين طافوا البلاد أنه كان في مدينة بلخ تاجر كثير العروض والمتاجر عريض المال والجاه غزير الضياع والمياه تكاثر نقوده الرمال وتباهى خزائنه معادن الجبال وتفاخر جواهره در البحار وتسامى بضائعه تلال القفار تراجع عنه الحظ وعامله الزمان بعادة طبعه الفظ وأدبرت عنه من الدنيا القوابل ونزلت بساحة موجوده بالاعدام النوازل وولت وفود معايشه فكادت تقد السلاسل فصار كلما عامل معاملة انعكست عليه حتى نفد جميع مابين يديه فلم ير لنفسه أوفق من التغرب عن وطنه والاقامة في سكن غير سكنه فأخذ بعضا من المال وخرج من بلاد الشرق الى بلاد الشمال وداوم في الارض على الضرب حتى انتهى الى بلاد الغرب فاقام بها دهرا يتعاطى معاملة وتجرا الى أن زاد ماله وأثرى ورجع اليه بعض ماذهب من يديه ثم اشتاق الى بلده ورؤية زوجته وولده فتجهز اليها وسار حتى نزل عليها وأراد الدخول الى داره فاوقفه مشير افتكاره الى اعمال النظر في حادث القضاء والقدر وأنشده الزمان بلسان البيان

للسكون دائرة من قبلنا صنعت * لابى تضيق ولا من أجلنا تسعت

الا حرما المجاهد عن نفسه اذا كانت مجاهدته على الحق (قال دمنة) لاينبغى لاحد أن يخاطر بنفسه وهو يستطيع غير ذلك ولكن ذا الرأى جاعل القتال آخر الحيل وبادئ قبل ذلك بما استطاع من رفق وتمحل وقد قيل لاتحقرن العدو والضعيف المهين ولاسيما اذا كان ذا حيلة ويقدر على الاعوان فكيف بالاسد على جراءته وشدته فان من أحقر عدوه لضعفه أصابه ماأصاب وكيل البحر من الطيطوى قال شتربه وكيف كان ذلك (قال دمنة) زعموا ان طائرا من طيور البحر يقال له الطيطوى كان وطنه على ساحل البحر ومعه زوجة له فلما جاء أوان تفريخهما قالت الانثى للذكر لو التمسنا مكانا حريزا نفرخ فيه فانى أخشى من وكيل البحر اذا مد الماء ان يذهب بفراخنا فقال لها افرخى مكانك فانه موافق لنا والماء والزهر منا قريب قالت له ياغافل ليحسن نظرك فانى أخاف وكيل البحر أن يذهب بفراخنا فقال لها افرخى مكانك فانه لايفعل ذلك فقالت له ماأشد تعنتك اما تذكر وعيده وتهدده اياك ألا تعرف نفسك وقدرك فابى أن يطيعها فلما أكثرت عليه ولم يسمع قولها قالت له ان من لم يسمع قول الناصح يصيبه ماأصاب السلحفاة حين لم تسمع قول البطتين قال الذكر وكيف كان ذلك (قالت) الانثى زعموا ان غديرا كان عنده عشب وكان فيه بطتان وكان في الغدير سلحفاة بينها وبين البطتين مودة وصداقة فاتفق أن غيض ذلك الماء فجاء البطتان لوداع السلحفاة وقالتا السلام عليك فاننا ذاهبتان عن هذا المكان لاجل نقصان الماء عنه فقالت انما يبين نقصان الماء على مثلى التى كانى السفينة لا أقدر على العيش الا بالماء فاما أنتما فتقدران على العيش

والسر في جيب غيب الله مكتتم * فلست تدري يد التقدير ما صنعت

فرأى أن يدخل متنسما متنكرا مختفيا ويتوصل الى داره ويتجسس أحوال كباره وصغاره وما حدث عليهم من الحوادث وتقلبات الزمان العائث فتوجه لما أظلم الى داره وهو يترنم

بالله قل لي خبرك * فلي زمان لم أرك

الى أن وصل الى الباب وما عليه حاجب ولا بواب فرأى الباب مقفلا والقنديل عليه مسبلا وكان يعرف للسطوح دربا خفيا فاستطرق منه وارتفع مكانا عليا وأشرف من الكوه فرأى ربة البيت المرجوه فوق سرير الامان معانقة فتى من الفتيان كأنهما لفرط العناق كأنا ميتين من ألم الاشتياق فبعثهما قيامة التلاق فتلازما والتفت الساق بالساق ولسان حال كل منهما يروى عنهما

عانقت محبوب قلبي حين واصلني * كأنني حرف لام عانقت ألفا

فتبادر الى وهله لغيبوبة عقله ان ذلك الشاب الظريف معاشر حريف أفسد زوجته مغتنما غيبته وأنه في تلك الليلة استعمل قوله لاتاق الابليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد فسل السكين وقصد قتل ذلك المسكين وصمم على النزول الى البيت واثارة الفتن بكيت وكيت ثم استثبت وهله واسترابت عقله وأخذ يتفكر ويتأمل ويتدبر واستحضر أحوال قرينته وأنها في العفة مجبولة من طينته وانه لم يعلم عليها الا الخير وعدم ميلها عن حلالها الى الغير فطلب قبل الفضيحه لزوجته طريقة مندوحه ظريفة ممدوحه فان مدة غيبته طالت وزوجته ان كانت حالتها حالت فلابد أولا من الوقوف عليها كيف استحالت ثم كف عن الذبح ونزل عن السطح وقصد جارة داره ودارة جاره وطرق بابها واستنبح كلابها فخرجت اليه عجوز كانت الى داره تجوز فسألت من هو وما مراده ومن أين اصداره وايراده فقال اني رجل غريب ليس لي بهذه البلدة خليل ولا قريب وبلادي أرض مكه كنت أتردد الى هذه السكه وأعامل التجار وكان لي في هذه المحلة جبير وجار من التجار الكبار كنت آوي اليه وأنزل في قدومي عليه اسمه فلان وقد مر علينا زمان وعاقني عنه نوائب الحدثان والآن قدمت الى هذا المكان وقد قصدت داره ولا أدري أي جواد عاره ولم أعرف له خبرا ولا رأيت عينا ولا أثرا فهل تعرفين كيف حاله والى ماذا آل ماله فقالت نعم زالت عنه النعم وألجأته الحال الى الترحال فرحل منذ سنين وكنا في جواره من الآمنين وانقطع عنا خبره وعن زوجته عينه وأثره وطال عليها منتظره فدعتها الضرورة والاعدام الى عرض حالها على الحكام فأذن لها قاضي بلخ في ابطال نكاحها بالفسخ ففسخت نكاحها واعتدت وطلبت نصيبها واستبدت ولقد أوحشنا فراقه وآلمنا اشتياقه غير ان زوجته قامت مقامه وأفاضت علينا احسانه وانعامه وهي متشوقة الى رؤيته متشوفة الى مطالع طلعته متلهفة على أيام وصاله متأسفة على ترشف زلاله فلما وقف على صورة الحال سجد شكرا لله ذي الجلال وحمد الله على الثبات في مثل هذه النائبات (وانما أوردت) هذا المثال لتعلم فضيلة التأمل في المآل والتفكر في عواقب الأحوال قال الدب دعنا من هذا الكلام والاخذ في الملام وأسعدني في التدارك فانك نعم المشارك قبل انفلات العنان وانقلاب الزمان وخروج زمان التلافي من أنامل الامكان وانتقال حل عقدته من اللسان والبنان الى الاسنان فقال مبارك الميلاد الرأي عندي يا أبا قتاده المبادرة الى الصلح والاصلاح ليحصل النجح والفلاح والاخذ في المصافاه وسلوك طريق الموافاه والعمل به باطنا وظاهرا والاستمرار عليه أولا وآخرا ومحو آثار العداوه وتناسي أسباب الجفا والقساوه واستئناف المودة الصافيه والمحبة الوافيه وصرف القلب نحو دروس فقه الحلة الشافية والمكافيه حتى يقول من رأى وسمع الحمد لله آلت العاقبة الى العافيه ثم اعلم أنه لا يصفو لك صاحب وخاطرك عليه متكدر

حيث كنتما فاذهبا بي معكما قالتا لها نعم قالت كيف السبيل الى حملي قالتا نأخذ بطرفي عود وتتعلقين بوسطه ونطير بك في الجو واياك اذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطقي ثم أخذتاها فطارتا بها في الجو فقال الناس عجب سلحفاة بين بطتين قد حملتاها فلما سمعت ذلك قالت فقأ الله أعينكم أيها الناس فلما فتحت فاها بالنطق وقعت على الارض فماتت * قال الذكر قد سمعت مقالتك فلا تخافي وكيل البحر فلما مد الماء ذهب بفراخهما فقالت الانثى قد عرفت في بدء الامر ان هذا كائن قال الذكر سوف أنتقم منه ثم مضى الى جماعة الطير فقال لهن انكن اخواتي وثقاتي فاعنني قلن ماذا تريد ان نفعل قال تجتمعن وتذهبن معي الى سائر الطير فنشكو اليهن ما لقيت من وكيل البحر ونقول لهن انكن طير مثلنا فاعننا فقلن له جماعة الطير ان العنقاء هي سيدتنا وملكتنا فاذهب بنا اليها حتى نصيح بها فتظهر لنا فنشكو اليها ما نالك من وكيل البحر ونسألها أن تنتقم لنا منه بقوة ملكها ثم انهن ذهبن اليها مع الطيطوى فاستغثنها وصحن بها فتراءت لهن فاخبرنها بقصتهن وسألنها أن تسير معهن الى محاربة وكيل البحر فاجابتهن الى ذلك فلما علم وكيل البحر ان العنقاء قد قصدته في جماعة الطير خاف من محاربة ملك لا طاقة له به فرد فراخ الطيطوى وصالحه فرجعت العنقاء عنه وانما حدثتك بهذا الحديث لتعلم أن القتال مع الاسد لا أراه لك رأيا قال شتربه فما أنا بمقاتل الاسد ولا ناصب له العداوة سرا ولا علانية ولا متغير له عما كنت عليه حتى يبدو لي منه ما أتخوف فاغالبه فكره دمنة قوله وعلم ان الاسد ان لم ير من الثور العلامات التي كان

مصاحب ولايخلص للصديق وابن خلوص محبتك ايامذيق وقاطع بغضك فى الطريق وشولك سعيك راكب التعويق والقلوب فى المحبة تجازى ان حقيقة فحقيقة وان مجاز افمجازا وكل شئ بمقدار وميزان وكماتدين تدان وقلماتجد من تحبه و يبغضك وتربه و يرفضك وتصفوله و يتكدر ولاتتغير عليه و يتغير ودونك ياذا الكرامات ماقال صاحب المقامات

وكات للخل كماكال لى * على وفاء الكيل أو بخسه

وقال من أحسن المقال والعين تعرف من عينى محدثها * ان كان من حزبها أومن أعاديها

وأناماأقول هذا الكلام الامن قول خير الانام عليه أفضل التحيات وأكمل السلام الارواح أجناد مجندة فماتعارف منها ائتلف وماتنا كرمنها اختلف وانمايقع التعارف من الجهتين والتناكر من الطرفين ولا تغالط نفسك وتكابر حسك أن يحبك من تكرهه و يزينك من تشوهه و يقربك من تقصيه ويقيمك من ترميه و يرفعك من تضعه ويأخذ بيدك من تدفعه كماقيل فى الاقاويل

والناس أكيس من أن يمدحوار جلا * مالم يرواعنده آثاراحسان

واعلم أن غالب الاخوان فى هذا الزمان مسلوب الانسانية وان كان فى زى الانسان من أحسنت اليه أسا ومن ترفقت له قسا ومن نفعته ضرك ومن أمنته غرك ومن سكنت أوامه بزلال فضالك حرك وقد أجادصاحب الانشاد جزى الله عنا الخيرمن ليس بيننا * ولا بينه ود ولانتعارف

فماسامنا خسفاولاشفنا أذى * من الناس الامن نودونالف

واذا كان هذا فيمن تحسن اليه وتسبغ ملابس افضالك عليه فكيف يكون حال من تضمرله النكال وتتمنى وقوعه فى شرك العقال أنى تراه يصفولك ويتقاضى سؤلك ومأمولك وهومترقب غيلة غولك متوقع منك أن يصير مقتولك فماذا عسى أن تبلغ منه سؤالك ومسؤلك أوترى من محبته ومودته مأمولك ومحصولك (وانماأوردت) هذه المقامات وان كانت من فضلات علمك ورشحات قلمك أن تتنامتقدمات الالتعاطى أسباب الصلح أولافى نفسك ثم تستعمل الوسائط فيه من أبناء جنسك فينتج المقصود و يصفو الورد المورود كماقيل فان القلوب مرائى الصفات * كماالسيف مرآة وجه الذوات

قال الدب أناألقى الزمام فى هذا المقام لنيل هذا المرام الى يد تدبيرك واكتفى فى رعى رياضه برائد رأيك وتقديرك فان فكرك نجيب وسهم رأسك مصيب فافعل ماتختار وأذقنا من راتق رأيك المشتار فقال تقسم أولاباللطيف الخبير انك أصفيت الضمير من الغش والتكدير وكرعت من وارد الصفاء الزلال النمير ونفضت يد المحبة والاخاء من علاقات البغضاء والشحناء حتى يجيب دعي ولايخيب سعي وأبذل مجهودى فى نيل مقصودى وأبنى على أساس وأسلك مع الناس مسلك الناس فبادر باليمين الى اليمين واشهد عليه الكرام الكاتبين انه صقل مرآة محبته عن صدا المداهنة وجلا طريق مودّته من غبار المباينه وانه يكتفى من غدير الغدر بماجرى و يطوى حديث الشحناء فلا يسمع الواشى بذالك ولا درى فلم يبذل مبارك الميلاد جهده فى السعى فى اصلاح الفساد وعقدا على ذلك العهد وتوجه مبارك الميلاد من بعد وقصد منزل أخى نهشل فرآه فيمن ثارهمومه فى مشغل وقدغرق فى بحر الافكار هائما لا يقرله قرار فسلم عليه وتقدم بالسؤال عن حاله اليه وآنسه بالمحادثه وذكرله الدهر وحوادثه وتذاكراماوقع من الدب وكيف أظهر نواقض الحب و بارز بالعداوه وأبرز بادنى حركة موجبات القساوه ثم أخذ أخونهشل فى العتاب وفتح لمبارك الميلاد من جهة صاحبه وعتابه الباب فاعترف عن صاحبه بان الظلم فى جانبه وأنه كان حصل له من الوهم الكاذب ماأورثه الوقيعة فى جانب الصاحب وانه ندم على ذلك واعترف بان فعله حالك ولم يسعه الاالاعتذار وجبر ماوقع لابى نوفل من الانكسار بالسعى فى مساعدته والقيام معه

ذكرهاله اتهمه وأساءبه الظن فقال دمنة لشتربه اذهب الى الاسد فستعرف حين ينظر اليك ما يريد منك قال شتربه وكيف أعرف ذلك (قال دمنة) سترى الاسد حين تدخل عليه مقعياعلى ذنبه رافعاصدره اليك مادابصره نحوك قدضراذنيه وفغرفاه واستوى للوثبة قال شتربه ان رأيت هذه العلامات من الاسد عرفت صدقك فى قولك ثم ان دمنة لمافرغ من تحميل الاسد على الثور والثور على الاسد توجه الى كليلة فلما التقيا (قال كليلة) الام انتهى عملك الذى كنت فيه (قال دمنة) قريبامن الفراغ على ماأحب وتحب ثم ان كليلة ودمنة انطلقاجميعا ليحضراقتال الاسد والثور وينظراما يجرى بينهما ويعاينا مايؤل اليه أمرهما وجاء شتربه فدخل على الاسد فرآه مقعيا كما وصفه له دمنة فقال ما صاحب السلطان الا كصاحب الحية التى فى مبيته ومقيله فلايدرى متى تهيج به ثم ان الاسد نظر الى الثور فرأى الدلالات التى ذكرها له دمنة فلم يشك انه جاء لقتاله فواثبه ونشأ بينهما الحرب واشتدقتال الثور والاسد وطال وسالت بينهما الدماء فلمارأى كليلة ان الاسد قدبلغ منه مابلغ قال لدمنة انما السلطان باصحابه والبحر بامواجه وماعظتى وتأديبى اياك الاكما قال الرجل للطائر لاتلتمس تقويم من لايستقيم ولا تعالج تاديب من لايتأدب (قال دمنة) وكيف كان ذلك (قال كليلة) زعموا ان جماعة من القردة كانوا سكانافى جبل فالتمسوا فى ليلة باردة ذات رياح وأمطار نارافلم يجدوا فرأوايراعة تطير كانها شرارة من نار فظنوها نارا وجمعوا حطبا كثيرافالقوه عليها وجعلوا ينفخون طمعاان يوقدوانارا يصطلون بهامن البرد وكان قريبامنهم طائر على شجرة ينظرون اليه

فى جماعته والتوجه الى حضرة المخدوم والتلافى برهم التصافى ماسبق من جراحات الكلام والكلوم ثم اذا حصل من الخواطر الشريفة الاغضا وأثمر فى رياض العفو لجانى الخدم فواكه الرضا يستأنف شوق المحبة عقود المبايعه و يروج تاجر الصداقة على مشترى الحشمة فى مظان رغباتهم ابضائعه الى أن يتزايد الوداد ويتأكد بين الجميع عالم الاتحاد فانهض يارئيس الاصحاب وأنيس الاحباب

فالعمر أقصر مدة * من أن يدنس بالعتاب

ثم نهضا جميعا وأتيا أبانوفل سريعا فوجداه فى أحرج مكان وأوهج زمان محفوفا بالاحزان مكنوفا بالاشجان وما حال من جفاه أحباه وأقصاه مولاه وصار وهو جان غريم السلطان فلما سلما عليه وجلسا اليه واعتذر مبارك الميلاد بعد اظهار تباشير الوداد أن موجب تقصيره فى السؤال عنه وتأخيره ان قلبه الوامق وطرفه الوادق لم يطاوعاه على رؤيته فى تلك الحال ولاسمحت قدمه بالتقدم اليه وهو مشغول البال ثم تفاوضا فى أسباب الصلح وقصد أبواب النجح فتجاذبوا أطراف الطرائف وتفكهوا على موائد التحف واللطائف ومازالوا ينسجون خلع الوفاق ويمزقون شقق الشقاق الى أن انعقدت أهداب المحبة والوداد وانحلت عقود الحقود والكباد وتحقق كل أحد من كبير وصغير ومأمور وأمير وجليل وحقير بحصول خالص المودة بين النديم والوزير

وما أن تراءى الفجر يحكى * جبين الحب أو رأى اللبيب

توجه الوزير ومبارك الميلاد وأخوه شل ورؤس الاجناد مع سائر الامراء والوزراء والاعيان والكبراء حتى انتهوا الى السدة العلية والحضرة الملكية السلطانيه فقبلوا أرض الطاعه ووقفوا فى مواقف الشفاعه ونشروا من الدعاء والثناء مايليق بجناب الملوك والعظماء وذكروا النديم أبانوفل بما يستعطف به الخاطر المفضل حتى عطفت عليه مراحمه وانمحت من جريدة الانتقام جرائمه وسمح باحضاره لديه ليسبل ذيل الكرم والعفو عليه ثم يشمله ثوب الرضا وخلع العفو عما مضى فاسرع نحوه البشير بما اتفق من الجماعة مع الوزير ثم وصل القاصد وهو له مراصد فتوجه منشرح البال منبسط الآمال حتى دخل على حضرة ذى الدولة والاقبال وقبل الجدا له ووقف فى موقف الخجالة لايرفع طرفا ولا ينطق حرفا فرسم بالتشريف والخلع ليرفع عنه التخويف والهلع فتضاعفت الادعية الصالحة والاثنية الفائحة

بغادية من ذكره قد تمسكت * بطيب ثنايا الزمان روائحه

وأقيمت حرمته واستمرت عليه وظيفته ثم ان الملك انتقل من المجلس الغاص الى مجلس خاص واجتمع بالخواص وعم الخطاب لكل ناص ومحدث وقاص فقال ليعلم الوزير والنائب والامير والحاجب والصديق والصاحب والجندى والكاتب والمباشر والحاسب والراجل والراكب والآتى والذاهب وليبلغ الشاهد الغائب ان مقتضى الرياسه فى الشرع والسياسه على ماقدره حكماء الملوك وسلكوا بعباد الله تعالى أحسن السلوك أن كل واحد من الغنى والصعلوك لاسيما من له من الامر شئ أو نوع مباشرة على ميت أوحى له مقام معين لا يزايله ومكان مبين لا يقابله قال الحى القيوم ذو الملك الدوم حكاية عن متصرف فى ملك الدوم ومامنا الاله مقام معلوم وعلى هذا جرت سنته وورد كلامه وعلت كلمته وبه أمر الشرع والانسان مدنى بالطبع فالواجب على كل من أقامه الله فى خدمة ملك ولاه أوسلطان علاه أن يلازم مقامه ويلاحظ فى صف جماعته امامه ويراقب مايصدر عنه فقد قيل اياك ومايعتذر منه فاذا رام أن يتكلم بكلام بحضرة الامام أو بحضور أحد من الخواص والعوام يسبر كلامه أولا بمسبار التفكر ويعيره بمعيار التامل والتبصر ثم يسبكه فى بوتقة الفصاحه ويسكبه فى قالب الملاحه ويصوغه بآلات حسن الانسجام ويرصعه بجواهر مقتضى المقام فاذا صيغ على هذه الصياغه وقعدت على

و ينظر اليهم وقد رأى ماصنعوا فجعل يناديهم و يقول لاتتعبوا فان الذى رأيتموه ليس بنار فلما طال ذلك عليه عزم على القرب منهم لينهاهم عماهم فيه فمر به رجل فعرف ماعزم عليه فقال له لاتلتمس تقويم مالا يستقيم فان الحجر المانع الذى لا ينقطع لاتجرب عليه السيوف والعود الذى لا ينحنى لا يعمل منه القوس فلا تتعب فابى الطائر ان يطيعه وتقدم الى القردة ليعرفهم ان البراعة ليست بنار فتناوله بعض القردة فضرب الارض فمات فهذا مثلى معك فى ذلك ثم قد غلب عليك الخب والفجور وهما خلتا سوء والخب شرهما عاقبة ولهذا مثل

* قال دمنة وماذلك المثل (قال كليلة) زعموا ان خبا ومغفلا اشتركا فى تجارة وسافرا فبينما هما فى الطريق اذ تخلف المغفل لبعض حاجته فوجد كيسا فيه ألف دينار فاخذه فاحس به الخب فرجعا الى بلدهما حتى اذا دنيا من المدينة قعدا لاقتسام المال فقال المغفل خذ نصفها وأعطنى نصفها وكان الخب قد قرر فى نفسه ان يذهب بالالف جميعها فقال له لانقتسم فان الشركة والمفاوضة أقرب الى الصفاء والمخالطة ولكن آخذ نفقة وتأخذ مثلها وندفن الباقى فى أصل هذه الشجرة فهو مكان حريز فاذا احتجنا جئنا أنا وأنت فنأخذ حاجتنا منه ولا يعلم بموضعه أحد فاخذا منها يسيرا ودفنا الباقى فى أصل دوحة ودخلا البلد ثم ان الخب خالف المغفل الى الدنانير فاخذها وسوى الارض كما كانت وجاء المغفل بعد ذلك باشهر فقال للخب قد احتجت الى نفقة فانطلق بنا نأخذ حاجتنا فقام الخب معه وذهبا الى المكان فحفرا فلم يجدا شيأ فاقبل الخب على وجهه يلطمه و يقول لاتغتر بصحبة صاحب

صورة سبكه نقوش البلاغه وأخرج له غواص الفكر من بحر المعاني والبيان فرائد أفكار لم تظفر بها أصداف الآذان وخرائد أبكار لم تفترعها فحول الاذهان ازدانت بها من حور جنان الجنان ومقصورات خيام الدهور والازمان آنسات لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فاختلب بها انه القلوب والارواح واستلب برواته الاموال والاشباح واستمال الخواطر وسحب الايادى المواطر وصار الدهر من بعض رواته وأشناف مايرويه عنه معلقة بآذان نيسانه وان وقع والعياذ بالله منه مايورث الندم والحزن وأخرج سهم الكلام من قوس العجلة لا كتال ولا أتزن حصل في سوق ظاهره وباطنه الغبن والغين وأصابه ما أصاب نديم فغفور الختن فنهض الجماعة وللارض قبلوا وعن كيفية هذا الخبر سألوا (فقال) الملك ذكر المخبرون وأخبر المذكرون أنه في قديم الزمن كان عند فغفور الختن ندمان كامل المعاني في البيان ذو نعمة جزيله وصورة جميله وفضائل فضيله مبرز في العلم كامل المودّة والحلم محبوب الصوره مشكور السيره طاهر السريره ثقيل الراس خفيف الروح والحواس قد جال وجاب وبلا الاعداء والاصحاب وترشح لمنادمة الملوك والامراء ومجالسة السلاطين والوزراء وهو خصيص بملك الختن والصين مقبول عند الملوك والسلاطين اتفق له في بعض الليالي أنه كان عند جناب ملكه الغالي وعنده جماعة من العلماء وطائفة من الاخصاء والندماء وهم يتعاطون كؤس اللطائف ويتواطون على ما في الدنيا من طرف وطرائف ويتذكرون عجائب الاقطار ويشنفون المسامع بخصائص الامصار فقال النديم رأيت في بعض الاقاليم من الاراضي الحاميه والبلاد القاصيه حيوانا كبيرا سريع السير متردداشكاله بين شكلي الجمل والطير يضرب به في البديهة المثل فيتعاطى التعلل في الكسل ان قيل له احمل يقول أنا طير وان قيل له طر يقول أنا جمل وذكر ان اسمه النعام وسائر أوصافه وأعضائه على التمام فتعجب الحاضرون من هذه الصفات والاشكال البديعة والهيآت ثم قال وأعجب من هذه الصفات أن هذه الدابة تأكل الجمرات وتلتقط الحصيات وتختطف الحديدة المحماة من النار تزدردها ولا يتألم لذلك فمها ولا جسدها وتذيب كل ذلك معدتها ولا يتأثر بها لسانها ولا ترقوتها فانكر بعض الحاضرين هذا المقال لكونه لم يشاهد هذه الاحوال ولا رأى ولا سمع خبر طير يأكل النار ويبلع الاحجار ونسبوه الى المخارقة في الاخبار فتصدى لاثبات ما يقول بطريقي المنقول والمعقول فلم يسعف كلامه القبول على ما ألفته منهم العقول لان الحيوانات بل وسائر الجمادات اذا اتصلت بها النار محت منها الآثار وهذا طير من الاطيار من لحم ودم فكيف لا تحرقه النار فاتفق الجمهور على تكذيب هذه الاخبار وقالوا المثل المشهور انما هو موضوع على لسان الطيور فيمن تردد بين الامور فيقال هذا الفقير كالنعامة لا يحمل ولا يطير ومثل هذا المضرب ياشيخ المشرق والمغرب قولهم طارت به عنقاء مغرب فقال النديم الفاضل الحكيم أنا رأيت هذا بالعين فلم يزدهم الا تأكيد المين وقالوا قد غلطت ولزمت الغلط فوقع من أعينهم بهذا الكلام اذ قالوا هذا كذب وسقط فحصل لذلك النديم من الخجالة والندم أمر عظيم واستمر في حصر حتى منعه السلطان من الدخول الى القصر وصار بين الاصحاب يشار اليه بياكذاب فلم يسع ذلك الاستاذ الا السفر من تلك البلاد والتوجه الى العراق وبغداد وأخذ من طير النعام عده واستعمل عليها رجالا مستعده ونقلها الى الصين في عدة سنين تارة في البحر وأخرى في البر وقاسى أنواعا من البؤس والضر وتكلف جلا من الاموال وتحمل مع المشاق مؤن الرجال فما انتهى به السير الا وقد مات غالب تلك الطير فوصل الى حضرة ملك الخطا واشتهر في المملكة أن النديم الفلاني أتى فاجتمع الناس لينظروا وأمر الملك الخاص والعام فحضروا وأحضروا النعام في ذلك المحفل العام وطرح لها الحديد المحمى فخطفته والجمر والحصى فالتقفته فتعجب الناس لذلك وسجدوا الله مالك الممالك وعلم الصغار والكبار انه يخلق ما يشاء ويختار

خالفتني الى الدنانير فاخذتها فجعل المغفل يحلف ويلعن آخذها ولا يزداد الخب الا شدة في اللطم وقال ما أخذها غيرك وهل شعر بها أحد سواك ثم طال ذلك بينهما فترافعا الى القاضي فاقتص القاضي قصتهما فادعى الخب أن المغفل أخذها وجحد المغفل فقال للخب ألك على دعواك بينة قال نعم الشجرة التي كانت الدنانير عندها تشهد لي أن المغفل أخذها وكان الخب قد أمر أباه ان يذهب فيتوارى في الشجرة بحيث اذا سئلت أجاب فذهب أبو الخب فدخل جوف الشجرة ثم ان القاضي لما سمع ذلك من الخب أكبره وانطلق هو وأصحابه والخب والمغفل معه حتى وافى الشجرة فسألها عن الخبر فقال الشيخ من جوفها نعم المغفل أخذها فلما سمع القاضي ذلك اشتد تعجبه فدعا بحطب وأمر أن تحرق الشجرة فاضرمت حولها النيران فاستغاث أبو الخب عند ذلك فاخرج وقد أشرف على الهلاك فسأله القاضي عن القصة فأخبره بالخبر فاوقع بالخب ضربا وبابيه صفعا وأركبه مشهورا وغرم الخب الدنانير فأخذها وأعطاها المغفل * وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان الخب والخديعة ربما كان صاحبهما هو المغبون وانك يادمنة جامع للخب والخديعة والفجور واني أخشى عليك ثمرة عملك مع انك لست بناج من العقوبة لانك ذو لونين ولسانين وانما عذوبة ماء الانهار مالم تبلغ الى البحار وصلاح أهل البيت مالم يكن فيهم المفسد وأنه لاشئ أشبه بك من الحية ذات اللسانين التي فيها السم فانه قد يجرى من لسانك كسمها واني لم أزل لذلك السم من لسانك خائفا ولما يحل بك متوقعا والمفسد بين

فشمله الملك بمزيد الانعام واعتذر واليه عما مضى من ملام وزادت رفعته ونفذت كلمته اذ قد أثبت مدعاه وحقق بشاهد الحس معنى ما ادعاه ففى بعض الاوقات تذاكروا ما فات وانجر بهم الكلام الى ما مر من حديث النعام فقال النديم أيها الملك الكريم انى تكلفت على هذه الاطيار كذا وكذا ألف دينار وقاسيت من المشقة فى الاسفار وعاينت من شدائد الاخطار ما لا تقاسيه عيدان النار واستمريت فى هذا العذاب الاليم المهين وفى سجن المشاق بضع سنين حتى بلغت تحقيق مرامى وتصديق كلامى ولولا عناية مولانا السلطان لما ساعدنى على مقصودى الزمان ولما زال عنى اسم الكذاب الى يوم الحساب فتبسم السلطان وقال لقد أتيت بمحاسن وما قصرت ولكن كلما يحتاج فى اثبات تصديقها والخروج عن عهدة تحقيقها الى صرف المال الجزيل وتجشم مشقة السفر العريض الطويل وتحمل منن الرجال وركوب الاخطار والاهوال وازعاج الروح والبدن واضاعة جانب كبير من العمر والزمن لاى معنى يتفوه بها العاقل ولماذا ينطق بها مستمع أو ناقل (وانما أوردت) هذا المقول ليعلم أرباب المعقول من جلساء الملوك والعظماء ورؤساء الامراء والزعماء خصوصا خواص القدماء وعوام الندماء ان شيئا يحتاج فيه الى تعب النفس وقيد ونكال وحبس ثم استعمال منن جماعه وأصحاب يتقدمون الى الشفاعه لا ينبغى للعاقل أن يحوم حوله ولا يعقد أبدا عليه فعله وقوله فتقدم مبارك الميلاد وبذل فى أداء وظائف الدعاء الاجتهاد وقال انما كان عاقبة هذا الامر واطفاء نائرة هذا الجمر واداؤه الى انتظام عقود السعد واشتماله على جمع الخواطر من بعد بيامن الخواطر الشريفه وشرف ملاحظتها المنيفه وتوجه مساعدتها لخدمها وشمول عواطفها على عبيدها وحشمها واقبال طالعها السعيد ولولا ذلك لما انتظم لنا شمل أيها العبيد فالمنة فى هذا كله للصدقات الشريفه والجملة لعواطف منتها المنيفه ونظير هذا الشان ما جرى للخارج على الملك أنوشروان فسال الملك المطاع عن هذا المضاع (فقال) ذكر أهل التاريخ باعالى الشماريخ ان كسرى أنوشروان جاهره أحد الملوك بالعصيان وانتدب لحاربته طائفة من الاعوان فتوجه كسرى اليه ووثب وثوب الاسد الضارى عليه ورأى التوانى فى أمره والتاخير من جملة الاخلال والتقصير فقابله قاتلا وقاتله قائلا

اذا استحقرت أدنى من تعادى * بمالك من يدوندى وطاقه
فما استحقرت ان أهملت الا * أمورك وهو ذاعين الحماقه

فلما توافقا واصطدما وتثاقفا انكسر ذو الطغيان وانتصر أنوشروان وقبض على العدو وحصل الامان والهدو وقص طائره وتفرقت عساكره وجىء به وقد سيم خسفا وكسرا الى الملك العادل كسرى فتقدم بالاحسان اليه وجعل العفو شكر القدرته عليه وبالغ معه فى اللطف والاحسان وأنزله عنده فى بستان ترتع النزاهة فى ميادين رياضه وتكرع الفكاهة من رياحين حياضه وأفاض عليه من خلع الانعام وادرارات الفضل والاكرام ما أزال دهشته وأحال وحشته وأبدى استعباده وأبعد استبعاده فلما حصل أنسه وهدأت نفسه أخذ فى تجيزه وابلاغه الى مامنه وتجهيزه فابى الا الاقامه والتلبث بدار الكرامه وسال الصدقات وما لها من عميم الشفقات مجاورة نخلها والاقامة تحت ظلها واغتنام مشاهدتها والتشرف بيامن طلعتها مدة أيام فانها محسوبة من العمر العزيز بلا عوام فاجابت مسؤله واستنجزت ماموله وكان فى ذلك البستان نخلة كنخلة مريم قد يبست من الهرم ولما تعاور نهايد القدم فلم تصلح الا للضرم فارسل يسأل الصدقات الجزله أن تهبه تلك النخله فاستنزل كسرى عقله وأجاب قصده وسؤله ووهبه تلك النخلة فكان كل يوم يتوجه اليها ويسند ظهره ويعتمد عليها وهو فى أرغد حال وأنعم بال فبعد عدة شهور طلب الى التوجه الدستور فاستدعاه وأكرم مثواه وأجاب قصده ومتمناه وأسبغ عليه نعمه وفضله

الاخوان والاصحاب كالحية يربيها الرجل ويطعمها ويمسحها ويكرمها ثم لا يكون له منها غير اللدغ وقد يقال الزم ذا العقل وذا الكرم واسترسل اليهما واياك ومفارقتهما واصحب الصاحب اذا كان عاقلا كريما أو عاقلا غير كريم فالعاقل الكريم كامل والعاقل غير الكريم اصحبه وان كان غير محمود الخليقة واحذر من سوء أخلاقه وانتفع بعقله والكريم غير العاقل الزمه ولا تدع مواصلته وان كنت لا تحمد عقله وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك والفرار كل الفرار من اللئيم الاحمق وانى بالفرار منك لجدير وكيف يرجو اخوانك عندك كرما وودا وقد صنعت بملكك الذى أكرمك وشرفك ما صنعت وان مثلك مثل التاجر الذى قال ان أرضا تاكل جرذانها مائة من حديد أليس بمستنكر ان بزاتها تختطف الفيلة (قال دمنة) وكيف كان ذلك (قال كليلة) زعموا انه كان بارض كذا تاجر فاراد الخروج الى بعض الوجوه لابتغاء الرزق وكان عنده مائة من حديد فاودعها رجلا من اخوانه وذهب فى وجهه ثم قدم بعد ذلك بمدة فجاء والتمس الحديد فقال له انه قد أكلته الجرذان فقال قد سمعت أنه لا شىء أقطع من أنيابها للحديد ففرح الرجل بتصديقه على ما قال وادعى ثم ان التاجر خرج فلقى ابنا للرجل فاخذه وذهب به الى منزله ثم رجع اليه الرجل من الغد فقال له هل عندك علم بابنى فقال له التاجر انى لما خرجت من عندك بالامس رأيت بازيا قد اختطف صبيا ولعله ابنك فلطم الرجل على رأسه وقال يا قوم هل سمعتم أو رأيتم ان البزاة تختطف الصبيان فقال نعم وان أرضا تاكل جرذانها

وساله عن موجب سؤاله النخلة وسبب طلبه الاقامه ثم سؤاله التوجه بالسلامه فقال أما سبب الاقامة بهذا البلد فلجوار مولانا الملك الامجد والاستسعاد بمشاهدة وجهه الاسعد فان طالعه قوى سعيد ومجاورته للسعادة تفيد ويحصل منها لمجاورها المزيد فأردت أن يكون لى منها نصيب ويلاحظنى منها سهم مصيب

فان تلم بقفر عاد روضا * وان تمرر بملح صار شهدا

وان يخطر ببالك نحس نجم * يعد فى الحال من رياك سعدا

فصرت مشمولا بميامن ظلها مغمورا بفائض وابلها وطلها وأما طلبى النخلة اليابسه فانى تفاءلت بها من حظى مساعدة ومناحسه فكنت أترددا ليها وأعول فى ذلك عليها فدامت فى محول كان بجدى وسعدى فى نحول الى أن رأيتها قد خضرت وأطلعت واستبكرت فاقبل سعدى وحيا وعاد بعد أن مات حيا وساقطت نخلة سعدى من ثمرات السعادة رطبا جنيا فعلمت أن طالعى الهابط عاد الى الاوج ورسول حظى دخل فى دينه ناس الايناس فوجا بعد فوج وأرمل جدى ازدوج ببكر الآمال وكان لها أحسن زوج كل ذلك أى أعظم ملك بسعد فالك وجوار دار جلالك ومشاهدة أنوار جمالك واستماع كلامك وانتجاع كمالك فمن بعد اسعاد السعد كل سهم امل فوقته ونحو شاكلة قصد أطلقته أصبت الغرض وحزت جوهره بلا عرض فاذا أسعف السعد النفس لا يعيقها معه نحس (وانما أوردت) هذا القول ياذا الكرامة والطول ليعلم الحضار والسادة النظار أن استقامتنا واقبال سعدنا وانتظام أمورنا وجدنا انما هو بالتفات الخواطر الشريفه وشمول أحوالنا بلاحظتها المنيفه واستدامة بركاتها وميامن حركاتها كما قيل فى ذا القبيل

تلقى الامان على حياض محمد * ثولاء مخرفة وذئب أطلس

لاذى تخاف ولا لهذا جرأة * تهدى الرعية ما استقام الريس

وكما أن الرعية لا يستقيم حالها الا بالملك الراعى فانما كل راعية لا ينتظم لها أمر الا بالراعى كما قيل

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لها * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

كذلك الملك ياذا الدرجات العليه لا يصير ملكا الا بالرعيه ولو لم يكن العاشق مشوقا لم يكن المعشوق معشوقا ولو لم يوجد الرامق بالامل مشوقا لم يصر الملك المامول مرموقا وقد عنى هذا المعنى من فى رياض المعانى أعنى

وأحقر صب فيك يهدى سناؤه * كاعظمهم اذ من هواك تعظما

فلا تحتقره ان تملكت قلبه * فلولا الهوى ما كنت ملكا مفخما

ففى موقف العشاق منك وظيفة * لكل فلا يبغى لها متقدما

وكل له وجد يليق بحاله * وكل له حال نوافيك مغرما

ألم تر أن الله أوجد حكمة * ذبابا وعقبانا وبقا وضيغما

وكل له نفع وضر مخصص * فسبحان من قد خص طورا وعمما

والله تعالى لكمال قدرته واسبال ذيل رحمته خلق الكبير الاعلى محتاجا لخدمة الصغير الادنى وجعل الحقير الادنى محتاجا لرحمة الكبير الاعلى ولهذا أعظم الخلق من خلق الخلق وأحوج الخلق الى الخلق وهو غنى عن الخلق وقيل أيها الملك السنى الانسان بطبعه مدنى وبمقدار كثرة الرعيه واشتراكهم فى الصفات المرضيه وانقيادهم لاوامر ملكهم السنيه تصير درجة الملك عليه كما كان فى زمن نبي الله سليمان صلوات الله عليه وسلامه وتحيته وا كرامه ولقد جرى فى عصره بين الطيور مفاوضة بين اللقلق والعصفور فسأل ملك الاساد عن تلك المفاوضة مبارك الميلاد (فقال) بلغنى ياسلطان الاسود أن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام كان فى سيرانه مع خواص أركانه فمر بذلك الطالب على شجرة دلب للقلق فيها عش قد بناه كاحسن عش وقد استوكر فى عشه عصفور واحتمى بجواره من مؤذيات أبى مذعور فكانا يتخاصمان ويتقاولان ويتراجمان ويتصاولان فوقف النبي الكريم واستوقف

ما ثمه من حديد ليس بعجب ان تختطف بزاتها الفيلة قال له الرجل انا أكلت حديدك وهذا ثمنه فاردد على ابنى * وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم انك اذا غدرت بصاحبك فانت لاشك بمن سواه أغدر وانه اذا صاحب أحد صاحبا وغدر بمن سواه فقد علم صاحبه انه ليس عنده للمودة موضع فلا شئ أضيع من مودة تمنح من لا وفاء له وحباء يصطنع عند من لا شكر له وأدب يحمل الى من لا يتأدب به ولا يسمعه وسر يستودع عند من لا يحفظه فان صحبة الاخيار تورث الخير وصحبة الاشرار تورث الشر كالريح اذا مرت بالطيب حملت طيبا واذا مرت بالنتن حملت نتنا وقد طال وثقل كلامى عليك فانتهى كليلة من كلامه الى هذا المكان وقد فرغ الاسد من الثور ثم فكر فى قتله بعد ان قتله وذهب عنه الغضب وقال لقد فجعنى شتربه بنفسه وقد كان ذا عقل ورأى وخلق كريم ولا أدرى لعله كان بريئا أو مكذوبا عليه فحزن وندم على ما كان منه وتبين ذلك فى وجهه وبصر به دمنة فترك محاورة كليلة وتقدم الى الاسد فقال له ليهنك الظفر اذا أهلك الله أعداءك فما ذا يحزنك أيها الملك قال أنا حزين على عقل شتربه ورأيه وأدبه قال له دمنة لا ترحمه أيها الملك فان العاقل لا يرحم من يخافه وأن الرجل الحازم ربما بغض الرجل وكرهه ثم قربه وأدناه لما يعلم عنده من الغنى والكفاية فعل الرجل المتكاره على الدواء الشنيع رجاء منفعته وربما أحب الرجل وعز عليه فاقصاه وأهلكه مخافة ضرره كالذى تلدغه الحية فى أصبعه فيقطعها ويتبرأ منها مخافة أن يسرى سمها الى بدنه فرضى الاسد بقول دمنة ثم علم بعد ذلك بكذبه وغدره وفجوره فقتله شر قتلة انقضى باب الاسد

الجند العظيم ليسمع ما يقولان و ينظر كيف يجولان فسمع اللقلق يقول وهو يجول و يصول و يخاطب العصفور بجمع من الطيور أشكر لي حسن الصنيع حيث أنزلتك في حصني المنيع لا حية ترقى اليك ولا جارح ينقض عليك ولولا أن لك عندي مناخا ما أبقت لك الحية ذاتا ولا افراخا وانما سلمتم بجواري و بقربكم من داري فوثب أبو محرز وتوسط الجمع وهو يحمز ونادى بين الاطيار أنسيت أبا خديج أي جار وأنا في المدار حول هذه الديار آناء الليل وأطراف النهار ألقط النمل الكبار والصغار ولولا أنا حارس مناخك ما أبقى لك النمل أثرا ولا لافراخك فكل منا محتاج الى جاره مغتبط بجواره آمن به في سربه ومطاره فارفع من بيننا هذا النكد ولا يمن منا أحد على أحد فالحقوق ما تضيع بين الجيران كما تراعى بين الاصحاب والاخوان وكما تدين تدان ومع هذا فكلنا نصلي على نبي الله سليمان ملك الانس والجان وسلطان الطيور وسائر الحيوان فانه بحسن عدله اعتدل الزمان و بيمن فضله صلح الكائن والمكان ونحن أيضا كذلك نشكر الله رب الممالك اذ من علينا بهذا السلطان المالك ملك الوحوش الاكابر وكاسر السباع الكواسر المشفق على الضعفاء والاصاغر فلم يخل من فضله سبع ولا طائر ثم نهضوا فوقفوا ودعوا للملك وانصرفوا هذا آخر الباب والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(الباب السادس في نوادر التيس المشرقي والكلب الافرقي)

(قال) الشيخ أبو المحاسن من ماء معارفه غير آسن ومن لممدود أرض الفضل من فضائله رواس وفي مشحون بحر العلم من فواضله مواس فابتهج الملك لهذا الكلام وارتاح لما تضمنه من الحكم والاحكام واستزاد أخاه من عقود هذا النظام فقبل الارض في مقام الخدام وقال بلغني يا ملك الانام ان راعيا كان يرعى ثلة من الاغنام وجملة من المعز الجسام وفي ماشيته تيس مطاع كلها له أتباع وهو قديمها وقائدها وزعيمها وأبو نتاجها وجو نعاجها وأصله من الشرق لم يكن بينه و بين ابليس في الشيطنة فرق اسمه الذميم التيس الزنيم وكان بواسطة الفحولة والكبر والتقدم في الحضر والسفر يستطيل و يصول و ينطح الكباش والوعول و يكسر أصحاب القرون من الفحول فيجرح ضعيفها و يطرح نحيفها و يضرب بمخالصها لفيفها الى ان أباد أعيانها وأعجز رعيانها وطال منه العقوق فذهب به الراعي الى السوق ليبيعه و يستريح و يخلص الماشية من شره و يريح فبينما هو يطوف اذا برجل مهول مخوف طويل القامة كبير الهامة كانه زبني القيامة شثن اليدين أزرق العينين أسود الجفين بثوب وسخ وطرطور سنخ وسطه محزوم بسير مبزوم فصادف الراعي وهو في السوق ساعي فمد يده الى التيس وقال بكم هذا يا أبا الكيس فوقع بينهما الاتفاق ووقع الزنيم في شبكة الرباق فتأمل شكل القصاب وصورته القاضية بالعجاب فرأى رجلا كانه من الشياطين معلقا في وسطه عدة سكاكين فدخله الرعب ورجف من الرهب وأدرك بالفراسه انه سيهلكه و يحذف رأسه وقال ظني والظن يخطي و يصيب اني وقعت مع هذا في يوم عصيب وأنه قاصد هلاكي ومقيم على البواكي فالاولى الاحتراز والتأهب قبل زمان الجزاز فان حصل خير فما في الاحتراز ضير وان وقع على الاهلاك العزم فأتلقى سيفه بما أعددته من ترس الحزم فوزن الجزار الثمن وشحط الزنيم بالرسن وأتى به مطابخ فقطعها الى مسالخ فشم رائحة لزومه وأحس من الجزار نكده وشومه فلما دخل المسلخ ورأى القصابين هذا يذبح وهذا يسلخ واللحم شقات على الجدران معلقات وأنهر الدماء كدموع العشاق جاريه ورؤس الغنم وجلودها وأكارعها كل كاشيه هذه الكاشية في ناحية وهذه الكاشية في زاويه فرجف قلبه وازداد رعبه والتجأ الى الله تعالى وتاب اليه عما عليه من الذنوب مالا فلما واطأ القصاب المصارع ان شد من المشرقي

الاكارع

والثور (باب الفحص عن أمر دمنة) قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد حدثتني عن الواشي الماهر بالمحال كيف يفسد بالنميمة المودة الثابتة بين المتحابين فحدثني حينئذ بما كان من حال دمنة وما آل أمره اليه بعد قتل شتربه وما كان من معاذيره عند الاسد وأصحابه حين راجع الاسد رأيه في الثور وتحقق النميمة من دمنة وما كانت حجته التي احتج بها (قال) الفيلسوف أنا وجدت في حديث دمنة أن الاسد حين قتل شتربه ندم على قتله وذكر قديم صحبته وجسيم خدمته وأنه كان أكرم أصحابه عليه وأخصهم منزلة لديه وأقربهم وأدناهم اليه وكان يواصله بالمشورة دون خواصه وكان من أخص أصحابه عنده بعد الثور النمر فاتفق انه أمسى النمر ذات ليلة عند الاسد فخرج من عنده جوف الليل يريد منزله فاجتاز على منزل كليلة ودمنة فلما انتهى الى الباب سمع كليلة يعاتب دمنة على ما كان منه و يلومه على النميمة واستعمالها خصوصا مع الكذب والبهتان في حق الخاصة وعرف النمر عصيان دمنة وتركه القبول له فوقف يستمع ما يجري بينهما فكان فيما قال كليلة لدمنة لقد ارتكبت مركبا صعبا ودخلت مدخلا ضيقا وجنيت على نفسك جناية موبقة وعاقبتها وخيمة وسوف يكون مصرعك شديدا اذا انكشف للاسد أمرك واطلع عليه وعرف غدرك ومحالك وبقيت لا ناصر لك فيجتمع عليك الهوان والقتل مخافة شرك وحذرا من غوائلك فلست بمتخذك بعد اليوم خليلا ولا مفش اليك سرا لان العلماء قد قالوا تباعد عمن لا رغبة فيه وأنا جدير بمباعدتك والتماس الخلاص

الاكارع وجدله على الجداله وأخرج لذبحه الآله فلما رأى هذه الحاله تحقق ما كان ظنه فاستحضر باله وأيقن انه هالك لامحاله فنظر الى القصاب وذكر ما قيل فى حق السباب

نظروا اليك بأعين محمرة * نظر التيوس الى شفار الجازر

فوجد السكين كليله ليس للذبح بها حيله فطلب المسن ليحدها ويريح ذبيحته ان حدها فتركه وذهب للمسن وقد تحقق الزنيم ما كان ظن فتنفس له البلاء وارتخى عنه عقد القضاء فتمطى فى رباط الاكارع فزقه بحبل قاطع ثم وثب وقصد الهرب وخرج من الباب وصاحوا عليه هراب فلم يلتفت الى الصوت وفر فرار من عاين الموت وطلب الخلاء وطريق الفضاء فادى به الذهاب الى بستان بجوار بيت القصاب فدخل البستان وامتد فى الجريان والقصاب وراءه بهيئته المهوله والسكين فى يده مسلوله وكان قبل هذا الزمان بين زوجة القصاب وصاحب البستان ما يكون بين الحرفاء والاخدان وكانت كلما وجدت فرصه جعلت للبستانى من نفسها حصه تنزل من بيتها الى بيته وتغمس سراجها من فتيلة قنديله وزيته فاتفق أن فى تلك الحال طلب كل من المحبين الوصال وكان زمان اشتغال العام بالمعاملة مع الخاص والعام فلاشتغال وهله لايتردد فيه الى أهله فاغتنمت الزوجة غفلة الرقيب ونزلت من بيتها الى بيت الحبيب فكان المحبان آمنين وقد تعانقا تحت دوحة ياسمين فاتفق ان الهارب من الموت ودواهيه أخذ على مكان هما فيه والقصاب يتبعه رافعا يده والسكين فى يده مجرده فلم تشعر الاوز وجها رافع الصوت واقف على رأسهما وبيده آلة الموت وما شعر بدواهيهما حتى عثر عليهما فقفز كلاهما من مكانهما مفتضحين فى مكانهما فاشتغل القصاب بنفسه والتهى بنجيته عن تيسه وكان الناس تابعيه فوقفوا على ما وقع فيه وقامت الغوغاء وقعدت للعار من البلاء فتفرس النجاة من الردى فلم يزل فى ميدان الجرى ذاهلا عما جرى حتى وصل الى ثغرة خرج منها الى الصحرا فانقطع عن ذلك الجنى تابعه ولم يوجد من شياطين الانس رائيه وسامعه فانتهى به التسيار فى تلك الصحارى والقفار الى جبل فاوى فيه الى غار كان ياوى اليه مع المواشى أوان الامطار فامسى فيه تلك الليلة الى وقت الاسفار

فلما رأى الليل العبوس صنيعه * تبسم فافترت تباشير فجره

فلما أصبح الصباح خرج الى السراح وهو فى نشاط ومراح وجعل يرتاد أنيسا يكون له جليسا أو رفيقا صالحا أو صديقا ناصحا يتأنس به فى الغربه ويمسح بانامل مؤانسته ثقل الكربه وما يحصل على جبين راحته من عرق القربه وبينما هو ينشر البيداء ويطوى اذ سمع نباح كلب يعوى فترجى الخير وزوال الضير ثم قصد نحوه فرآه مقبلا من نحوه فناداه أهلا يا حب الاحباب وأعز الاصحاب المفضل على كثير ممن لبس الثياب فلما دنا منه بادر الى عناقه وتباكى لالم فراقه فتعانقا تعانق المحبين وتباثا مباثة من مضه البين ثم قال له اعلم يا لطيف الحركات وكثيف البركات ان كلا منا غريب وكل غريب للغريب نسيب وأنا قد تفرست فيك وما تكاد فراستى تخطيك انك رفيق صالح وشفيق ناصح وأحسن مليح مصالح وفى طريقة اخوان الصفاء قيم وراجح وان كانت الجنسية بيننا مختلفه لكن القلوب بحمد الله تعالى مؤتلفه وكم لك من أياد سابقه وصدقات متناسقه وكم حططنا فى المراعى وبتنا فى الحظائر نائمين وأنت لحفظنا ساعى تحرسنا من الغداة الى الرواح ومن المساء الى الصباح فاخبرنى ما شأنك وأين مكانك وما اسمك وما صنعتك ورسمك ومجيئك من أين وما حاجتك فى البين قال أما اسمى فيسار وأما مكانى فبلاد التتار وصنعتى راعى وسبب مجيئى ضياعى ولى صاحب اسمه أقرق من دشت قفعاق بن شقرق كنت فى خدمته راعى ماشيته فاضلت رعيتى وضيعت حق حرمتى فاذا أطلب ولى نعمتى لامحو من وصمة الجفاء سمتى فهذا شأنى وجل بغيتى قال الزنيم أنا من حين شاهدت فى وجهك الانوار علمت انك يسار

لى مما وقع فى نفس الاسد من هذا الامر فلما سمع النمر هذا من كلامهما ذهب راجعا فدخل على أم الاسد فأخذ عليها العهود والمواثيق أنها لا تفشى ما يسر اليها فعاهدته على ذلك فاخبرها بما سمع من كلام كليلة ودمنة فلما أصبحت دخلت على الاسد فوجدته كئيبا حزينا مهموما لما ورد عليه من قتل شتربة فقالت له ما هذا الهم الذى قد أخذ منك وغاب عليك قال يحزننى قتل شتربة اذ تذكرت صحبته ومواظبته على خدمتى وما كنت أسمع من نصيحته وأسكن اليه من مشاورته وأقبل من مناصحته قالت أم الاسد ان أشد ما شهد امرؤ على نفسه وهذا خطأ عظيم كيف أقدمت على قتل الثور بلا علم ولا يقين ولولا ما قالت العلماء فى اذاعة الاسرار وما فيها من الاثم والشنار لذكرت لك وأخبرتك بما علمت قال الاسد ان أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ومعان مختلفة وانى لاعلم صواب ما تقولين وان كان عندك رأى فلا تطويه عنى وان كان قد أسر اليك أحد سرا فاخبرينى به وأطلعينى عليه وعلى جملة الامر فأخبرته بجميع ما ألقاه اليها النمر من غير ان تخبره باسمه وقالت انى لم أجهل قول العلماء فى تعظيم العقوبة وتشديدها وما يدخل على الرجل من العار فى اذاعة الاسرار ولكنى أحببت ان أخبرك بما فيه المصلحة لك وان وصل خطؤه وضرره الى العامة فاصرارهم على خيانة الملك مما لا يدفع الشر عنهم وبه تحتج السفهاء ويستحسنون ما يكون من أعمالهم القبيحة وأشد معارهم اقدامهم على ذى الحزم فلما قضت أم الاسد هذا الكلام استدعى أصحابه وجنده فادخلوا عليه فلما وقف دمنة بين يدى الاسد ورى

وانك معدن الذكاء والالقاب تنزل من السماء وأما طلبك لصاحبك ورعيتك فانه دال على كمال مروأتك ولا ينكر لك الوفاء فان بينك وبينه الوفاء مقام الصدق والصفاء ولم يقع بينكما قط بعد ولا جفاء وشهرتك بحمد الله بجميل الصفات التى قلما تجتمع فى زكى الذوات ولا تصفو الا للاولياء والبررة المبرزين الاصفياء من المسكنة والقناعه والجراءة والشجاعه وحفظ العهود والوفاء وكسر النفس والصفاء وعدم الحقد والحسد واطراح العجب والنكد والحراسة والسهر وقيام الليل الى السحر والتودد الى الناس حتى قال فيك ابن عباس كلب أمين خير من صديق خؤن وعندك من التهذيب وقبول التعلم والتأديب ما يصير صيدك مذكى وسنك كالشفرة مزكى وفى شأنك يا ذا الوفاء والمنفعه قال الحرث بن صعصعه

ومازال يرعى ذمتى ويحوطنى * ويحفظ عرسى والخليل يخون
فياعجبا للخل يهتك حرمتى * وياعجبا للكلب كيف يصون

ومن هذا الضرب ما رواه أحمد بن حرب عن ذى العتاب منادم الكلاب ان الكلب يكف عنى أذاه ويكفينى أذى سواه ويشكر قليلى ويحفظ مبيتى ومقيلى فهو من بين الحيوان خليلى ثم قال أحمد ابن حرب تمنيت والله أن أكون مثل هذا الكلب لاحوز هذه الصفات وأرقى هذه الدرجات وأرجو الله تعالى أن يعطفك على ويقلب قلبك ووجهك الى بحيث ترغب فى صحبتى وتميل الى صداقتى فترى اذ ذاك منى بحمد الله تعالى من الاخوة والصداقه والمروأة والرفاقه ماتنسى به كل صديق وتفضل به الصاحب الجديد على العتيق فتترك سائر أصحابك وتنتهى بى عن أعز أوليائك وأحبابك خصوصا بنى آدم الذين أنت بهم أعلم من أذهبت عمرك فى خدمتهم والقيام بحقوقهم وحفظ حرمتهم وحراسة مواشيهم ودورهم وكمال فضلك فى حياطة بيوتهم وقصورهم ورعاية رعيانهم وصيانة أهلهم وجيرانهم مع قناعتك منهم بما يفضل عنهم من كسرة خبز شعير أو عظم يابس كسير أو فضلة مرقة قدر واضاعتهم حقوق خدمتك ونسيانهم موجبات شفقتك حتى لو وصل فمك الى زادهم أو الى شئ من عتيد عتادهم رموك بالحطاب ورضوا رأسك بالحجارة والخشب ولو ولغت فى انائهم أو شربت من مائهم ما قنعوا فى تنظيفه وتطهيره وتشطيفه بمرة ولا مرتين ولا اكتفوا فى ازالة لعابك بالعين بل دونوا الغسل بالحساب وعفروا الوعاء بالتراب ويعدون ذلك من التعبد ولا يرعون مالك من تحبب وتودد وأنا أرجو ان ترتفع منزلتك وتعلو درجتك ويساعدك رب العرش حتى تصير سلطان السباع وملك الوحوش واجتهد فى هذه القضيه الى أن ابلغ هذه الامنية وأكون السبب فى ذلك الى ان تصير رئيس الممالك فان لك علىّ حقا قديما وفضلا جسيما طالما نمنا آمنين فى ظل حراستك ورعينا مسرورين مكنوفين بحياطتك وأجلنا منك فى الخاطر ما قال الشاعر

بقاؤك فينا نعمة الله عندنا * فنحن بأوفى شكرها نستديمها

قال يسار يا أخى جميع ما قررته صحيح مقبول داخل فى الفضل خارج عن الفضول ولكن أنا من جنس السباع مجبول على ما لهم من الطباع ومع هذا فانا عدوهم وبسببى يزول هدوهم وأنا لم أعادهم الا فيكم ولا لى وداد الا فى ناديكم فان تربيتى بينكم وعينى مقارنة عينكم وأنا اليكم أقرب منى اليهم ومعولى عليكم دون معولى عليهم وعلى هذا وجدت آبائى وأجدادى ونشأت من حين ميلادى والخروج عن طريقة الآباء دليل على العقوق والاباء وهو أمر مذموم وهذا شئ معلوم وقد قال صاحب الشرع الحب يتوارث والبغض يتوارث ولكن يا سليم الطباع وخصيب الرباع قولك تصير سلطان السباع سخرية منى واستهزاء ولا أستحق منك هذا الجزاء فان معنى هذا القيل أمر مستبعد بل مستحيل ان أبا طاهر نجس العين فانى من أين وهذا الهوس من أين فان أردت اعانتى على ذلك وتكفلت لى برياسة الممالك

ماهو عليه من الحزن والكآبة التفت الى بعض الحاضرين فقال ما الذى حدث وما الذى أحزن الملك فالتفتت أم الاسد اليه وقالت قد أحزن الملك بقاؤك ولو طرفة عين ولن يدعك بعد اليوم حيا (قال دمنة) ما ترك الاول للاخير شيأ لانه يقال أشد الناس فى توقى الشر يصيبه الشر قبل المستسلم فلا يكونن الملك وخاصته وجنوده المثل السوء وقد علمت انه قد قيل من صحب الاشرار وهو يعلم حالهم كان أذاه من نفسه ولذلك انقطعت النساك بأنفسها عن الخلق واختارت الوحدة على المخالطة وحب العمل لله على حب الدنيا وأهلها ومن يجزى بالخير خيرا وبالاحسان احسانا الا الله ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان حقيقا أن يحظى بالحرمان اذ يخطئ الصواب فى خلوص العمل لغير الله تعالى وطلب الجزاء من الناس وان أحق ما رغبت فيه رعية الملك هو محاسن الاخلاق ومواقع الصواب وجميل السير وقد قالت العلماء من صدق ما ينبغى أن يكذب وكذب ما ينبغى أن يصدق أصابه ما أصاب المرأة التى بذلت نفسها لعبدها حتى فضحها بالتلبيس عليها قال الاسد وكيف كان ذلك (قال دمنة) زعموا انه كان فى بعض المدن تاجر وكانت له امرأة ذات حسن وجمال وكان بجنب التاجر رجل مصور ماهر وكان هو لامرأة التاجر خليلا فقالت له يوما ان استطعت ان تحتال بحيلة اعلم بها بجيئك من غير نداء ولا ايماء ولا ما يرتاب به من فعلك وفعلى قال المصور عندى من الحيلة ما سألت مما يسرك فكلانا ويقر عينك ان عندى ملاءة فيها من تهاويل الصور وتماثيل الصنعة فانا ألبسها حين مجيئى اليك ومتراءاك فيها ثم ان المصور ليس الملاءة

فكلانا فى هذا الهوى سواء وان صممنا على ذلك فالجنون نادواء وهذا الوسواس من خيالات الافلاس وفى مثل هذا الحال قال من صدق فى المقال *لاخيل عندك تهديها ولامال* وأنا أعلم انما تتكلم بما يطيب خاطرى ويسر سرائرى ويقربك فى الحب من ضمائرى قال المشرق لاتقل ذلك يا تقى فانا شاهدت فى جبينك مخايل السياده ومن شمائلك تقاطر السعاده وقد قيل يا فضيل المرء يطير بهمته كما يطير الطير بجناحه أما بلغك يا خير عالم ما رواه الشيخ علاء الدين بن غانم ذو الفضل الكثير عن تاج الدين ابن الاثير قال يسار أخبرنى بهذه الاخبار (قال) قال ابن الاثير وهو بالرواية خبير محرز أيدى المعانى عن الامير حسام الدين البركة خانى قال كنت فى عصر الشباب أصحب من صالحى الشباب الملك المظفر قطز الغضنفر وكان خشداشى وبرؤيته انتعاشى فكنا ونحن صبيان كاننا طيبان غيرانا كنا فى قلة فكنت أفلى قمله وأسرح رأسه وأذهب بأسه وتقدمت اليه بالشرط عليه أن يعطينى لكل قملة فلسا أو أصفعه صفعة ملسا ففى بعض الاوقات أخذت عنه قملا كثيرا وصفعته صفعات وقلت فى غضون ذلك ونحن فى حال حالك أتمنى على الله عز وعلا ان يعطينى امرة خمسين رجلا فقال لى طيب خاطرك وسر سرائرك فانى أبلغك سؤالك وأعطيك مسؤلك وأجعلك أمير خمسين فارسا فابشر ولا تكن عابسا فصفعته صفعه وقلت ويلك أنت تعطينى امرة ورفعه قال نعم وأعمرك بالنعم فصفعته أخرى وازددت نكرا فقال لى عله ونخس المسله يا قليل اليقين أتريد شيأ غير امرة خمسين أنا والله أعطيك او أعليك على ذويك فقلت ومن أين لك تعطينى وترضينى فقال أملك هذه الديار وأكسر التتار وأخل الكفرة والعلوج دار البوار فقلت له يا مفتون أبك جنون أبقملك وقلك وفقرك وذلك تملك الديار المصريه وتصير سلطان البريه قال نعم ولا تعمل زعم فانى رأيت فى المنام النبى عليه الصلاة والسلام وقال لى أنت تملك الديار المصريه وتكسر التتر ولا شك فيما يخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من خبر قال فامسكت عنه لانى كنت أعرف الصدق منه ثم تنقلت به الاحوال وتنقل الى ان بلغ الكمال وتملك هذه الديار ثم كسر على عين جالوت التتار وأعطانى ما وعدنى به وأرضانى (وانما أوردت) هذا المثال لتعلم ان سلطنتك غير محال وأنا أرجو الله تعالى أن ييسر لى القيام بجميع ما قلته لك يا امام وأنا أجلسك على السرير وأقيم فى خدمتك الكبير والصغير وارفع راية مراسيمك وانفذ أوامرها فى ممالكك وأقاليمك واجعل جنود الوحش تحت رايتك وأقاليم القفار كلها تحت ولايتك ولكن بشرط ان تتبع ما أراه ولا تخرج عن طوره ولا تتعداه وتعمل بكل ما أشير اليه ومهما أرشدتك اليه تعول عليه فقال أنا طوع يديك وجميع أمورى منك واليك فقل فانى سامع ولامرك طائع فانهض وعانى هذه الامانى عسى يصير هذا الباطل حقا وينقلب هذا الكذب صدقا وقل ما تقضيه لاتبعه وارتضيه قال ترجع عما أنت عليه من الاخلاق السبعيه والاوصاف الكلبيه من الحرص والشره والتكالب والتره والنفس المتنمره والطبيعة المذمره وتصوم عن الدماء واللحوم وعن تمزيق الحيوانات وتفريق الجماعات وتحمل النفس على الاخلاق الجميله والتلبس بالاوصاف الفضيله من العفة والكرم والعفو عمن ظلم والقناعة بالنبات عن لحوم الحيوانات ومعاملة الكبير والصغير بالفضل الكثير والبذل الغزير وتلافى خاطر الخطير والحقير ليسهل العسير وينقاد لك المأمور منهم والامير وهذا أمر عليك يسير وهذا لانك طالما جرحت جوانحهم وكسرت جوارحهم واصطدت سارحهم وأبدت بارحهم فهم منك متخوفون والى الايذاء والضرر منك متشوفون واذا رأوا اشيا خلاف العاده وعلموا ان ولايتك فيها الحسنى وزياده وأصابوا الخير من مواقع الضير ورأوا ما سر من مواضع الشر والضر تشرب محبتك منهم الكبير والصغير وانهالك أن يراك من الوحوش العير والنفير فيتخذك الغريب

ونراءى للمرأة فعلمت بمكانه فخرجت اليه وفرحت به وتهيأت له فبصر بهما فى تلك الحالة عبد للمرأة فعجب من ذلك وتحير وكان هذا العبد لامة المصور خليلا فطلب الملاءة منها وسألها ذلك وقال أريد أن أريها صديقة الى لاسره بذلك وأسرع الكرة بردها قبل أن يعلم به مولاك فاعطته أمة المصور الملاءة فلبسها العبد وأتى سيدته على نحو ما كان يأتيها المصور فلما رأته لم تشك فى مجيئه ولم ترتب فى أنه خليلها فأتت اليه وبذلت له نفسها فقضى حاجته منها وبلغ غرضه ثم رجع بالملاءة الى أمة المصور فدفعها اليها فوضعتها موضعها وكان المصور عن بيته غائبا فلما جن الليل عاد الى منزله فلبس الملاءة على عادته وتراءى للمرأة فلما شاهدت ذلك وثبت اليه وقالت لقد أسرعت الكرة ألم تكن عندى وقد قضيت حاجتك فماذا العود فلما سمع المصور كلامها رجع الى منزله فدعا جاريته فأوعدها بالقتل أو تخبره بالحقيقة فاخبرته بالقصة فاخذ الملاءة فاحرقها وانما ضربت لك هذا المثل ارادة أن لا يعجل الملك فى أمرى بشبهة ولست أقول هذا كراهة للموت فانه وان كان كريها فلا منجا منه وكل حى هالك ولو كانت لى مائة نفس وأعلم ان هوى الملك فى اتلافهن طبت له بذلك نفسا فقال بعض الجند لم ينطق بهذا حبه الملك ولكن لخلاص نفسه والتماس العذر لها فقال له دمنة ويلك وهل على فى التماس العذر لنفسى عيب وهل أحد أقرب الى الانسان من نفسه واذا لم يلتمس لها العذر لمن يلتمسه لقد ظهر منك مالم تكن تملك كتمانه من الحسد والبغضاء ولقد عرف من سمع منك انك لا تحب لاحد خيرا وانك عدو نفسك فمن سواها بالاولى فمثلك

حبيبا ويصير البعيد منك قريبا فتصيد بالمحبة أرواحهم كما كنت أولا تصيد أشباحهم واذا ضرب صيتك فى الارض ونترده بالطول والعرض وتسامعت بك الوفود وتحققوا انك عدلت عن خلقك المعهود أقبلت اليك منهم الجنود وزان جيد جنودهم من جواهر محبتك عقود وانعقدت بينكم بالمحبة والولاء عقود العهود فتوفرت اذ ذاك جنودك وعلت على رؤس الاقران راياتك وبنودك وجعلوا دارك ماواهم وحمالك مصيفهم ومشتاهم مع ان هيبتك فى قلوبهم مركوزه وأسنة مخافتك فى أحشائهم من قديم الزمان مغروزه وأعلى من فيهم يهابك ويخشاك ويتوقى مكانك ويتحاشاك قال يسار اعلم يا أخي برسار ان حبال الآمال ومطامع الخيال مالم تتعلق بمامول ولم ترتبط باطراف سول فالنفس ساكنه والروح مطمئنة هادئه والقلب فرح والخاطر منشرح اذ الطمع ذل وشين واليأس احدى الراحتين ومتى تعلقت بذيل المطامع مخاليب الآمال وبلغت الى حصول مامول الخيال وقامت النفس فى تحصيله وتحركت الجوارح لنيل ماموله وانبعثت الهمة الى ادراكه وتعلق القلب بسبر أفلاكه توزعت الافكار وتفرقت وتمزعت الخواطر وتمزقت وركب لذلك كل صعب وذلول وتقاذفت النفس فى كل مخوف ومهول وتقلدت بحمائل قول القائل

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاول ما يجنى عليه اجتهاده

ثم اذا لم يحصل المامول ولم تبلغ والعياذ بالله النفس السول مع بذل هذا الجهد والمبالغة فى السعى والكد ومقاساة التعب ومعاناة النصب ترادف النكد وتضاعف السهد وصارت النفس لهذا البدد وكان فى جيد حياتها من فوات المقصود حبل من مسد فلا تزال بين تشويش ضمائر وتقسيم خاطر وفكر غائب وهم حاضر وهذا الامر الذى عزمت عليه وهممت بالترقى الى الوصول اليه الى عدم الحصول أقرب منه الى الوصول وأنا أخاف وذا غير خاف ان يغرنا الطمع فى هذه الحركه فينتزع من فراغ أوقاتنا البركه ولا تحصل الا على مثل ما حصل لمالك الحزين من السمكه قال الزنيم نبئنى أيها العليم بذلك المثل القويم (قال) بلغنى انه كان فى مكان مكين ماوى لمالك الحزين وفى ذلك المكان غياض وغدران تضاهى رياض الجنان

حكى بانها قد الحبيب تمايلا * فجن وفى هذا الجنون تفننا

فدار عليه النهر وهو مسلسل * فقيده اذ قد جنى وتجننا

وفى مياهه من السمك ما يفوق سابحات السماك فكان ذلك الطير فى دعة وخير يزجى الاوقات بطيب الاقوات وكلما تحرك بحركه كان فيها بركه حتى لو غاص فى تلك البحار والغدران لم يخرج الا وفى منقاره سمكه فاتفق انه فى بعض الآناء تعسر عليه أسباب الغذاء وارتج لفوت قوته أبواب العشاء فكان يطير بين عالم الملك والملكوت يطلب ما يسد الرمق من القوت فلم يفتح عليه بشئ من أعلى السماك الى أسفل الحوت وامتد هذا الحال عدة أيام وليال نغاض يوما فى الرقراق يطلب شيأ من الارزاق فصادف سمكة صغيرة قد عارضت مصيره فاختطفها ومن بين رجليه التقفها ثم بعد اقتلاعها قصد الى ابتلاعها فتداركت زاهق نفسها قبل استقرارها فى رمسها فنادت بعد ان كادت ان تكون بادت ما البرغوث ودمه والعصفور ودسمه اسمع يا جار الرضا ومن عمرنا فى صونه انقضى لا تعجل فى ابتلاعى ولا تسرع فى ضياعى ففى بقائى فوائد وعوائد عليك عوائد وهو أن أبى قد ملك هذا السمك فالكل عبيده ورعيته وواجب عليهم طاعته ومشيئته ثم انى واحد أبوى وأريد منك الابقاء على فان أبى نذر النذور حتى حصل له بوجودى السرور فما فى ابتلاعى كبير فائده ولا أسد لك رمقا ولا أشغل لك معده فتصير مع أبى الفضيل كما قيل فاقرنى فمن أحب ولا استغنى فالاولى أن أقر عينك وأعرف ما بين أبى وبينك

لا يصلح أن يكون مع البهائم فضلا عن أن يكون مع الملك وأن يكون ببابه فلما أجابه دمنة بذلك خرج مكتئبا حزينا مستحيا فقالت أم الاسد لدمنة لقد عجبت منك أيها المحتال فى قلة حيائك وكثرة وقاحتك وسرعة جوابك لمن كلمك (قال دمنة) لانك تنظرين الى بعين واحدة وتسمعين منى باذن واحدة مع أن شقاوة جدى قد زوت عنى كل شئ حتى لقد سعوا الى الملك بالنميمة على ولقد صار من بباب الملك لاستخفافهم به وطول كرامته اياهم وما هم فيه من العيش والنعمة لا يدرون فى أى وقت ينبغى لهم الكلام ولا متى يجب عليهم السكوت قالت ألا تنظرون الى هذا الشقى مع عظم ذنبه كيف يجعل نفسه بريئا كمن لا ذنب له (قال دمنة) ان الذين يعملون غير أعمالهم ليسوا على شئ كالذى يضع الرماد موضعا ينبغى أن يضع فيه الرمل ويستعمل فيه السرجين والرجل الذى يلبس لباس المرأة والمرأة التى تلبس لباس الرجل والضيف الذى يقول أنا رب البيت والذى ينطق بين الجماعة بما لا يسئل عنه وانما الشقى من لا يعرف الامور ولا أحوال الناس ولا يقدر على دفع الشر عن نفسه ولا يستطيع ذلك قالت أم الاسد أتظن أيها الغادر المحتال بقولك هذا انك تخدع الملك ولا يسجنك (قال دمنة) الغادر الذى لا يأمن عدوه مكره واذا استمكن من عدوه قتله على غير ذنب قالت أم الاسد أيها الغادر الكذوب أتظن انك ناج من عاقبة كذبك وان محالك هذا ينفعك مع عظم جرمك (قال دمنة) الكذوب الذى يقول ما لم يكن ويأتى بما لم يقل ولم يفعل وكلامى واضح مبين قالت أم الاسد العلماء منكم هم الذين يوضحون

أمره بفصل الخطاب ثم نهضت فخرجت فدفع الاسد دمنة الى القاضي فأمر القاضي بحبسه فالقي في عنقه حبل وانطلق به الى السجن فلما انتصف
الليل أخبر كليلة أن دمنة في الحبس فأتاه مستخفيا فلما رآه وما هو عليه من ضيق القيود وحرج المكان بكى وقال له ما وصلت

وبينك فأكون سببا لعقود المصادقه وفاتحا لاغلاق المحبة والمرافقه ويحصل لك الجليله والمنة التامة والفضيله وأما أنا فأعاهدك ان أعتقتني ومننت وأطلقتني أن أتكفل لك كل يوم بعشر سمكات بيض سمان ودكات تأتيك مرفوعه غير ممنوعه ولا مقطوعه برسلها اليك أبي مكافأة لما فعلت بي من غير نصب منك ولا وصب ولا كد تحمله ولا تعب فلما سمع البلشون هذا المجون أغراه الطمع فابتلع فسهاولها ثم قال لها أعيدي هذه الرمزه فبمجرد ما فتح فاه بالهمزه افلتت السمكة منه بحمزه وغاصت الماء وتخلصت من بين فكي البلاء ولم يحصل ذلك الطماع الا قطع الاطماع (وانما أوردت) يا ذا الدرايه هذه الحكايه لتتأمل عقبى هذا الامر قبل الشروع فيه. وتتدبر منتهى أواخره في مباديه فقد قيل أول الفكر آخر العمل (قال المشرقي) اعلم يا مرتقي ان مبنى الامور في مجاريها وقواعد ما أسس عليه مبانيها تقدير خالقها ومدبر باريها وما حكمه وقضاه وأحكمه وأمضاه لكنه كتمه وأخفاه فلا تدركه العيون والابصار بل ولا البصائر والافكار فانه علم غيب وجهلنا به ليس بعيب لانه تنزه أحدا صمدا قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا كما قيل

على المرء أن يسعى ويبذل جهده * وليس عليه ان يساعده الدهر
فان نال بالسعي المنى تم أمره * وان غلب المقدور كان له عذر

وان الله العلي الاعظم قد وضع أساس بنيان العالم على الاسباب وفتح لتعاطي الاسباب الابواب فقال ذو الجلال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وقال القائل

اذا ما كنت في أمر مروم * فلا تقنع بما دون النجوم * يرى الجبناء أن العجز حزم
وتلك خديعة الطبع اللئيم * فطعم الموت في شئ حقير * كطعم الموت في شئ عظيم

وقال عليه الصلاة والسلام علو الهمة من الايمان والمرء يسعى في تحصيل مرامه ولا يترك شيئا من أسباب قيامه فان ساعده القدر بقدره انقاد اليه مرامه بشعره وكان مصادمه مساعده ومقاومه معاضده كما قيل

واذا أراد الله نصرة عبده * كانت له أعداؤه انصارا

فيساعده اذ ذاك الكون والمكان ويمضي سهم أوامره رامي القضاء من قوس الزمان فيقيض له المساعد ويتعبد له المقارب والمباعد وحسبك يا ذا الصوله ما اتفق من السعد لعماد الدوله فسله يسار عن سرد هذه الاخبار (قال) كان رجل صياد له ثلاثة أولاد كأنهم حلك وقوتهم السمك تقلبت بهم الاحوال حتى صاروا برياستهم على الدنيا اجيال وانتهوا في الرياسه وساسوا الخلق أحسن سياسه وانتشر أمرهم وطاب في الدهر ذكرهم ومما ملكوه العراقان والاهواز وفارس وسريرها شيراز أكبرهم أبو الحسن علي بن بويه الملقب بعماد الدوله وكان في السلطنة ذا جولة وصوله ولما انتهت أيام خموله واتصل بالسعد أسباب وصوله حل ركابه بشيراز وصعد الى حقيقة الملك من المجاز ووفدت عليه الوفود وأحاطت به جموع الجنود وطالبه أهل المراتب بالرواتب والروامك بالجوامك والرفاق بالانفاق والاجناد بالارفاد وأرباب الولايات بالخلع والجرايات وأصحاب الاقامات بالنفقات والانعامات ولم يكن في خزائنه من ظاهر المال وباطنه ولا في ذخائره من ظاهر الرفد وضمائره ما يسد رمقهم ويرد شرقهم فتراكمت همومه وتصادمت غمومه وتوالت أفكاره وتجاذب به من بحر الحيرة دردوره وتياره لان أمره كان في مباديه وليل سعده في هواديه وقد قصرت عن طول الطول أياديه وأشرف أمره على الاختلال وملكه على الاضمحلال ووقع في يوم لا بيع فيه ولا خلال فدخل الى مكان خال وهو مشغول البال فاستلقى فيه على ظهره وغرق في بحار فكره فبينما هو يلاحظ السقوف وأفكاره بين تردد ووقوف واذا بحية عظيمه بجثة جسيمه من السقف خرجت ودرجت وفي مكان آخر

الى ما وصلت اليه الا لاستعمالك الخديعة والمكر واضرابك عن العظة ولكن لا بد لي فيما مضى من انذارك والنصيحة لك والمسارعة اليك في خلوص الرغبة فيك فانه لكل مقام مقال ولكل موضع مجال ولو كنت قصرت في عظتك حين كنت في عافية لكنت اليوم شريكك في ذنبك غير أن العجب دخل منك مدخلا قهر رأيك وغلب على عقلك وكنت أضرب الامثال كثيرا وأذكرك قول العلماء وقد قالت العلماء ان المحتال يموت قبل أجله (قال دمنة) قد عرفت صدق مقالتك وقد قالت العلماء لا تجزع من العذاب اذا وقفت منك على خطيئة ولأن تعذب في الدنيا بجرمك خير من أن تعذب في الآخرة بجهنم مع الاثم (قال كليلة) قد فهمت كلامك ولكن ذنبك عظيم وعقاب الاسد شديد أليم وكان بقربهما في السجن فهد معتقل يسمع كلامهما ولا يريانه فعرف معاتبة كليلة لدمنة على سوء فعله وما كان منه وان دمنة مقر بسوء عمله وعظيم ذنبه فحفظ المحاورة بينهما وكتمها ليشهد بها ان سئل عنها ثم ان كليلة انصرف الى منزله ودخلت أم الاسد حين أصبحت على الاسد فقالت له يا سيد الوحوش حوشيت أن تنسى ما قلت بالامس وانك أمرت به لوقته وأرضيت به رب العباد وقد قالت العلماء لا ينبغي للانسان أن يتوانى في

ولجت فوثب واقفا ورقب خائفا لئلا تسقط عليه ويصل أذاها اليه ودعا الفراشين وجماعة فتاشين بمعاول النباشين وأمرهم بنصب السلم والفحص عن الارقم وتتبع آثارها واطفاء شرارها فصعدوا الحيطان وحفروا ذلك المكان وخرقوا سقفه فانفتحت لهم غرفه كانت مخبأة لمن تقدمه وضع فيها ديناره ودرهمه وفيها عدة صناديق محكمات التوفيق والعاليق فاطلعوه على تلك الخبيه والتهوا عن طلب الحية الخبيه فأمرهم فنقلوها اليه ووضعوها بين يديه فاذا فيها من الذهب النضار خمسمائة ألف دينار فعرف ان ذلك عناية ربانيه ومواهب صمدانية رحمانيه فصرف المال في اصلاح حاله و بذره في مزارع قلوب خيله ورجاله فثبتت أوتاده واستقامت أجناده وقويت سواعده وأعضاده وكان أمره قد أشرف على الاختلال وعقد نظامه على الانفراد والانحلال وكان من تمام هذه السعاده وتعقيب هذه الحسنى بالزياده أن الملك المذكور بعد هذه الامور وحصول هذا السرور وانتظام مصالح الجمهور أراد تفصيل قماش وخياطة خلع ورياش فطلب خياطا طائقه ليقلده هذه المنطقه فارشد الى خياط ماهر شكله زاهر وفضله ظاهر وحذقه في صناعته باهر الا أنه أطروش حقل سمعه بدبي الوقر مدبوش فما يصل ملك الكلام الى سرير صماخه الا بزمر وطبل وجاووش فدعاه فأجلسه بين يديه وطلب الثياب ليعرضها عليه فتصور الخياط انه سعى به اليه بسبب وديعة كانت لصاحب البلد لديه وانما طلبه ليطالبه فاما ان يؤذيه أو يعاقبه فتقدم باليمين مثل المصارعين واقسم بالله خالق المخلوق ورازق المرزوق انها اثنا عشر صندوق لم يشعر بها مخلوق وانه لا يدري ما فيها وانها مختومة بختم معطيها فتعجب عماد الدولة من كلامه وسجد لله شكرا على انعامه ثم وجه معه من أتى بها ودخل الى بيوت ما فيها من أبوابها فكان ما فيها من الاموال ونفائس القماش العال جل متكاثره وأصناف متوافره واستولى على ذلك كله وثبت بواسطة المال في ركاب الملك واطئ نعله (وانما أوردت هذا التنظير ياذا الرأي والتدبير لتعلم أن مسبب الاسباب وميسر الامور الصعاب اذا دبر مصالح عبده وشمله باحسانه ورفده هون عليه كل عسير وصغر عنده كل كبير وأنت بكل هذا بصير قال يسار صدقت وصوابا انطقت ولكنني نظرت الى الدنيا ووزنت أحوالها السفلى والعليا ورأيت كلما ازداد الشخص حرصا وطمعا ازداد لنفسه عبودية وتبعا وللدنيا رقا وللآخرة رشقا فصارت قيوده أثقل وحسابه أشد وأطول وهمومه أتم وغمومه أعم وان الواثق بالدنيا والراكن الى ما فيها من أشيا كالجاعل له من السحاب حصنا ومن الحباب كنا وأي وقاية تحصل من السحاب وأي ايواء يصدر من الحباب ومن تأمل الدنيا بعين التبصر وتفكر في تقلباتها بصيب العقل والتدبر عد جمعها شتاتا ووصلها انبتاتا وبحيثها ذهابا وشرابها سرابا واقبالها ادبارا ونسيمها اعصارا وعطاءها أخذا وعهدها نبذا وصلتها اقلاذا ووهبها نهبا وايجابها سلبا وحربها سلما ووجودها عدما وكثرتها قلا وعزها ذلا وضحكها انتحابه وطلاقتها راحه فلم يكن عنده أحسن من فراقها ولا أرصن من طلاقها والقناعة منها بالكفاف والرضا منها بالعفاف كما ملك الفلاح صاحب الماشية واستراح فقال الزنيم أخبرني كيف كان ذلك يا حكيم (فقال) ان مخدومي الذي كنت عنده أحفظ ماشيته وعبده كان ذا ثروة عظيمه وأموال كثيفة جسيمه وكانت ماشيته لا تزيد في القياس عن ألف راس وان حصل من النتاج المعهود ما زيد على هذا القدر المعدود تصدق به أو باعه أو وهبه لبعض الجماعه ولو أراد لجعلها ألوفا مؤلفه وأضعافا مضاعفه وكان في الجيران والاصحاب والاخوان من هو أقل منه مالا وأقصر باعا وأضيق مجالا له الالوف من المواشي وكذلك من الخدام والحواشي وهم في كل وقت في ازدياد وتضاعف الاعداد من الاصول والاولاد ومخدومي لا يقصد الزياده وان زاد شئ أباده فقال له الراعي وكان عليها أشفق ساعي

الجند التقوى بل ولا ينبغي أن يدافع عن ذنب الاثيم فلما سمع الاسد كلام أمه أمر أن يحضر النمر وهو صاحب القضاء فلما حضر قال له وللجواش العادل اجلسا في موضع الحكم وناديا في الجند صغيرهم وكبيرهم أن يحضروا وينظروا في حال دمنة ويبحثوا عن شأنه ويفحصوا عن ذنبه ويثبتوا قوله وعذره في كتب القضاء وارفعا الى ذلك يوما فيوما فلما سمع النمر وجواش العادل وكان هذا الجواش عم الاسد قالا سمعا وطاعة لما أمر الملك وخرجا من عنده فعملا بمقتضى ما أمرهما به حتى اذا مضى من اليوم الذي جلسوا فيه ثلاث ساعات أمر القاضي أن يؤتى بدمنة فاتي به فاوقف بين يديه والجماعة حضور فلما استقر به المكان نادى سيد الجمع بأعلى صوته أيها الجمع انكم قد علمتم ان سيد السباع لم يزل منذ قتل شتربه خاسر النفس كثير الهم والحزن يرى انه قد قتل شتربه بغير ذنب وانه أخذه بكذب دمنة ونميمته وهذا القاضي قد أمر أن يجلس مجلس القضاء ويبحث عن شان دمنة فمن علم منكم شيأ في أمر دمنة من خير أو شر فليقل ذلك وليتكلم به على رؤس الجمع والاشهاد ليكون القضاء في أمره بحسب ذلك فاذا استوجب القتل فالتثبت في أمره أولى والعجلة من الهوى ومتابعة الاصحاب على الباطل ذل فعندها قال القاضي أيها الجمع اسمعوا قول سيدكم ولا تكتموا ما عرفتم من أمره واحذروا في الستر عليه ثلاث خصال أما احداهن وهي أفضلهن أن لا تزدروا فعله ولا تعدوه يسيرا فمن أعظم الخطايا قتل البريء الذي لا ذنب له بالكذب والنميمة ومن علم من أمر هذا الكذاب الذي اتهم البريء

يا

يامخدوم مالك لاتريدان تزيد مواشيك وحواشيك وتكثر بالرفق والرفد فواشيك وبالورود والاصدار غواشيك فان المواشي تزداد فوائدها وتتوفر عوائدها باعتبار زيادة أصولها وادرار منافعها ومحصولها وجيراننا كانوا أقل عددا من هذا المقدار فصار وابالتوفير أكثر عددا في الاغنام والابقار فزادوا على مواشينا بعدان كان أوساطهم كحواشينا ولاأعرف لهذا موجبا ولاأدري له سببا غير الاهمال وقصد تضييع المال فقال له مخدومي هذا محيط بمعادمي ولكن أيها الولد اعلم ان أنواع العدد آحاد وعشرات وألوف ومئات فالوف غاية الاعداد اذا اعتبرنا التعداد والشئ اذا جاوز غايته وتعدى نهايته أخذ في النقص واذا بلغ مداه تراجع بالنكص وقد قيل الشئ اذا جاوز حده شاكل ضده ومن لم يقنع بالقليل لم يرض بالجزيل ولقد أحسن المقال وصدق فيما قال من قال

وما الدهر الاسلم فبقدرما * يكون صعود المرء فيه هبوطه

وهيهات مافيه نزول وانما * شروط الذي يرقى اليه سقوطه

فمن كان أعلى كان أوفى تهشما * وفاء بما قامت عليه شروطه

وكثيرا ما رأيت وسمعت ووعيت عن أصحاب الالوف القاصدين لازدياد المألوف تراث ألوفهم الى الواحد من الآحاد فاستولى عليهم لذلك الهموم والانكاد فتكدرت خواطرهم واشتغلت ضمائرهم وأما أنا فلم أعلم أن ألفي نقص ولاجاري حلبة مداه نكص فاذا عدا غايته ألزمته نهايته وكبحت جامح طرفه وكففت طامح طرفه طلبا للراحه ورغبة في الاستراحه

فكم دقت ورقت واسترقت * فضول العيش أعناق الرجال

(وانما) أوردت هذا التمثيل لتعلم باذا التفضيل اني مادمت له خادما وفي وصف الخدمة قائما ولم أتعد طوري وهو مقام الخادمية الى ماليس لي وهو مقام المخدومية فانا مستريح ولغيري مريح ونفسي مطمئنه وجوارحي عن طيش السعي مرجحنه وأصحابي أحبابي وأحبابي أصحابي والخواطر صافيه والمحبة وافيه والصداقة باقيه ومياه المودة في رياض الارواح صافيه وفي عروق الاشباح واقفة جاريه فاذا رمت مع وجود هذه الحسنى الزياده وقصدت التعدي الى ماليس له بعاده فانا بين أمرين متقلب على جمرتين اما عدم الحصول والانقطاع عن الوصول فتتضاعف المكدات وتترادف المقسمات وبحسبها تصل الهموم وتحصل الغموم كما مر سالفا وذكر آنفا واما الظفر بالمراد على حسب ما يراد فبقدر ذلك يقع الصداع ويقوم التحاسد والنزاع وأول ذلك معاداة الاصحاب ومعاناة الاحباب ومقاساة الاتراب وحصول الضغائن وبروز المكامن بواسطة الترفع عليهم وصدور المراسيم والتقدم بامتثالها اليهم فالاولى بحالي التفكر في مآلي والالائق بشوري أن لاأتعدى طوري ولاأتورط في هذا البحر العميق والبئر الغميق ولاأخرج عن سواء الطريق فتهوي بي طير الهوان في مكان سحيق

واني بسار خائف أن يردني * زماني بما لاقى يسار الكواعب

قال المشرقي أبو زغه ما أحسن هذه الكلمه وأعز هذا النظر وأرصن هذه الفكر وأدق معاني هذه المباني ولكن اذا رفعك الله من ضعفك واذا أعطاك من عنعك وقد قال ذو الجلال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لامانع لما أعطيت

وكل الناس تطلب المعالي * ونفس الحر تأبى أن تضاما

فلما بلغ بهما الكلام الى هذا المقام قال يسار اعلم يا فحل الفحول وامام المعقول والمنقول اني ما بالغت في الامتناع الا لاقف على ما فيك من طباع أسبر ثبوت قدمك وثباتك وراء كلمك فلقد وجدتك في هذا الامر الخطير فوق ما في الضمير وفي مواطن الاختبار أثبت جنانا من ابن الليث الصفار فانهض لقصدك

بكذبه وتميمته شيافسيترغليه فهو شريكه في الاثم والعقوبة والثانية اذا اعترف المذنب بذنبه كان أسلم له والاحرى للملك وجنده أن يعفوا عنه ويصفحوا والثالثة ترك مراعاة أهل الاثم والفجور وقطع أسباب مواصلاتهم ومودتهم عن الخاصة والعامة فمن علم من أمر هذا المحتال شيا فليتكلم به على رؤس الاشهاد ممن حضر ليكون ذلك حجة وقد قيل انه من كتم شهادة ميت ألجم بلجام من نار يوم القيامة فليقل كل واحد منكم ما علم فلما سمع ذلك الجمع كلامه أمسكوا عن القول فقال دمنة ما يسكتكم تكلموا بما علمتم واعلموا أن لكل كلمة جوابا وقد قالت العلماء من يشهد بما لم يرأو يقول ما لا يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الذي قال لما لا يعلمه اني أعلمه قالت الجماعة وكيف كان ذلك (قال دمنة) زعموا انه كان في بعض المدن طبيب له رفق وعلم وكان ذا فطنة فيما يجري على يديه من المعالجات فكبر ذلك الطبيب وضعف بصره وكان لملك تلك المدينة ابنة قد زوجها لابن أخ له فعرض لها ما يعرض للحوامل من الاوجاع فجيء بهذا الطبيب فلما حضر سأل الجارية عن وجعها وما تجد فاخبرته فعرف داءها ودواءها وقال لو كنت أبصر لجمعت الاخلاط على معرفتي باجناسها ولا أثق في ذلك باحد غيري وكان في المدينة رجل سفيه فبلغه الخبر فاتاهم وادعى علم الطب وأعلمهم انه خبير بمعرفة أخلاط الادوية والعقاقير عارف بطبائع الادوية المركبة والمفردة فامره الملك أن يدخل خزانة الادوية فيأخذ من أخلاط الدواء حاجته فلما دخل السفيه الخزانة وعرضت عليه الادوية ولا يدري ما هي ولا له بها معرفة فاخذ في جملة ما أخذ منها

صمرة فهاسم قاتل لوقته ونخلطه فى الادوية ولاعلم له به ولامعرفة عنده بجنسه فلما تمت اخلاط الادوية سقى الجارية منه فماتت لوقتها فلما عرف الملك ذلك دعا بالسفيه فسقاه من (١٠٠) ذلك الدواء فمات من ساعته (وانما) ضربت لكم هذا المثل لتعلموا ما يدخل على القائل والعامل من الزلة بالشبهة فى الخروج عن الحد فمن خرج منكم عن حده أصابه ما أصاب ذلك الجاهل ونفسه الملومه وقد قالت العلماء يجازى المتكلم بقوله والكلام بين أيديكم فانظروا لانفسكم فتكلم سيد الخنازير لادلاله وتنبه بمنزلته عند الاسد فقال يا أهل الشرف من العلماء اسمعوا مقالتى وعوا باحلامكم كلامى فالعلماء قالوا فى شان الصالحين انهم يعرفون بسيماهم وأنتم معاشر ذوى الاقتدار بحسن صنع الله لكم وتمام نعمته لديكم تعرفون الصالحين بسيماهم وصورهم وتخبرون الشئ الكبير بالشئ الصغير وههنا أشياء كثيرة تدل على هذا الشقى دمنة وتخبر عن شره فاطلبوها على ظاهر جسمه لتستيقنوا وتسكنوا الى ذلك قال القاضى لسيد الخنازير قد علمت وعلم الجماعة الحاضرون انك عارف بما فى الصور من علامات السوء ففسر لنا ما تقول وأطلعنا على ما ترى فى صورة هذا الشقى فاخذ سيد الخنازير يذم دمنة وقال ان العلماء قد كتبوا وأخبروا انه من كانت عينه اليسرى أصغر من عينه اليمنى وهى لا تزال تختلج وكان أنفه مائلا الى جنبه الايمن فهو شقى وقد خبيث جامع للخبث والفجور فلما سمع دمنة ذلك قال ما مثلك الامثل رجل قال لامرأته انظرى الى عورتك وبعد ذلك انظرى الى عورقفيك

وحركته على خيرة الله تعالى وبركته فانى وضعت عنان جموح هذا المرام فى يد تدبيرك وجعلت واسطة هذا العقد جوهرة تفكيرك وسلك نظامه ونظام قلادته جودة تصورك فانك أهل لذلك وبرأيك تقتدى المسالك فابتهج أبو زغة بهذا المقال ووثب قائما فى مقام الخدمة وقال حيث انشرح صدرك لكلامى فسترى فى وجهك بمجالس قيامى وأنا أعلم أن معبودك سيبلغك مرامك ومقصودك ولكن يجب التيقظ وقبل الشروع التحفظ أما التيقظ فلامور يجعلها الملك مقتدى ولا يغفل عنها أبدا كما فعل الملك الظاهر الموفق أبو سعيد محمد جقمق حين اضطربت الاوامر واختلفت العساكر واصطدمت الامور وخرج عليه من عساكره الجمهور وقل المعين وذلك فى سنة اثنتين وأربعين فعصى تنكرى وتترس فى حلب وقام بالراكة الجلب وابنال الحلمى بالشام وكاتبه الطغام والعظام وهرب بالقاهرة العزيز وأزت الشياطين فاشتد الازيز وتخبط بالصعيد العربان وفشا فى عساكر الاسلام الطربان فسفه الحليم وحار الحكيم وضل كل ذى رأى قويم فثبت الملك الظاهر جاشه وتعرف الى الله تعالى فازال استيحاشه وأصفى سرائره ولم تزل سيرته ظاهره فكان الله عونه وناصره فاطفأ بادنى لطفه شواظ تلك النائره وقد بسط ذلك فى سيرته الظاهره فتبدل الجحيم بالنعيم ورفع الله تعالى عن الاسلام والمسلمين العذاب الاليم كل ذلك بثبات القدم وعلو الهمم ولم تحصل هذه الفعلة الذكية الرائحه الا بالطوية الطيبة والنية الصالحه وأما التحفظ فمن مواد شرور ملتبس بها الجمهور منها الحقد والملال والكذب فى المقال والحسد والاحتيال فان الحقود وقود والحسود لايسود والكذوب يذوب والملول لايطول والمحتال مغتال وباقى النصائح الذكية الروائح تاتيك بالسعد فيما بعد وأنا الآن أقدم للبيان وأذكر الاهم وما فائدته أعم قبل الشروع أمام المقصود وهو تاكيد مواثيق العهود فانه اذا حفتك الجنود وأحاط بك أرباب الرايات والبنود وأنت جالس على السرير وفى خدمتك المأمور والامير والكبير والصغير تعسر على استيفاء الخطاب واستيعاب الجواب ولا يليق بعظمتك ومقام حرمتك اطالة الكلام ولو اقتضاه المقام خصوصا بحضور الخاص والعام ولو كان المتكلم أعز الخدام وأقرب الالزام فلا أقدر ان أتجرأ عليك وأنهى جميع ما أريده اليك لان قصد الخادم اقامة حرمة مخدومه والمبالغة فى حفظ ناموسه وتعظيمه وكثرة الكلام تمنعه عن هذا القصد وتدفعه وأما فى هذا الوقت فان كثير كلامى لايورث شيأ من المقت فلا حرج على كلامى كيفما خرج قال يسار بارك الله فيك وأبقاك لذويك فما أدق نظرك وأحسن فى عواقب الامور فكرك وأصوب غوصك على جواهر الانتقاد واغرب بوصلك الى زواهر الاعتقاد فقل ما بدا لك مما زين حالى وحالك فان حرمتى حرمتك وحشمتى حشمتك فان عظمتنى فقد عظمت نفسك وان وفرت مالى فقد زدت كدسك والخادم اذا لم يقصد رفعة مخدومه ويعد ذلك من أكبر همومه ويسعى فيه ساعة فساعه وفى كل مكان وعند كل جماعه والا فيدل ذلك على خساسة مقداره وقصور نظره ولؤم نجاره وركاكة همته واستبذال حرمته فقال أبو زغه أول شروطى ياذا العظمه ان لاتقرب المؤذين ولا تلتفت الى الاشرار المغتابين ولا تضيع الاوقات فى الاصغاء الى القينات ولا تسمع كلام واش وتعد كلامه أقل من لاش ثانيها ان لا تعجل فى فصل الحكومات بل تتعاطاه بالتفتيش والالتفات الى ان تتجلى صورتها وتتعين حقيقتها فاذا وضحت لديك وتجلت مخدرة حقيقتها عليك اجهد فيها بالصدق واعمل بما يقتضيه الحق ثالثها ان لا تعود لسانك الفحش والبذاءه فان فى ذلك على الملك أسوأ أساءه فان الكلام يؤثر فى القلوب وينفر من قبحه الطالب والمطلوب وقد قيل

جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

قال وكيف كان ذلك (قال دمنة) زعموا ان مدينة أغار عليها العدو فقتل وسبى وغنم وانطلق الى بلاده فاتفق انه كان مع جندى مما وقع فى
قسمته رجل حراث ومعه امرأتان له وكان هذا الجندى يسيء اليهم فى الطعام واللباس فذهب الحراث ذات يوم ومعه امرأتاه

وقد قيل ان عيسى عليه السلام مر بجماعة فى بعض الايام فصادفوا كلبا أجرب فقال له سلمك الله اذهب فقال كل من أصحابه مما كان معى فى جرابه من الاستنقاص وطلب البعد عنه والمناص وما سلموا الى عيسى حاله بل سالوه عن كلامه له ومداعاته فقال انى عودت لسانى بيان ما فى جنانى وهو المقاصد الحسنه وترك الالفاظ والعبارات الخشنه وقيل انه مر فى بعض الاوقات ومعه جماعات بكلب من الاموات ملقى على مزبلة فى جملة القاذورات فوضع كل منهم يده على خطمه وتكلم فى رائحته عند شمه فقال عيسى عليه السلام ما أحسن بياض أسنانه فقيل له عما سمع من بيانه فقال عودت لسانى بلفظ الخير وان لا يتكلم بما فيه ضير وكما يجب على الملك كف اللسان الفصيح عن الكلام البذى القبيح كذلك يجب عليه ان لا يصغى اليه ويتأمل قول الشاعر

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

ووجد فى كتاب آداب الصحبة لابى عبد الرحمن السلمى بيت ثالث

وكم أزعج الحرص من طالب * يوافى المنية عن مطلبه

وهذا الامر يا مخدوم لكل أحد معلوم على العموم وأما أكابر السلاطين والملوك الاساطين فهم أعلى مقاما أن يكون الفحش لهم كلاما وأن يجرى فى مجالسهم أو يسمع من محاذثهم ومجالسهم وكل ملك اعتاد مجلسه فاحش الكلام اختل نظامه ومقته الخاص والعام ونفرت عنه قلوب الرعيه وبحسب رغبة الرعيه تكون الممالك راضية مرضيه واذا نفرت قلوب الرعية كرهوه وتوقعوا غيره ليقوموا معه وينصروه واذا لم يوجد عقدوا الحقود واستمروا أذلاء كاليهود والبغضة كامنه والحسائف باطنه فيتقدم العداوة وتتقدم وتتأكد وتتأزم واذا قدمت العداوه ذهبت من الصداقة الحلاوه فلا بد يوما من الايام أن تبرز رأسها من جيب الانتقام واذا وجدوا فرصه وثبوا عليه وقصدوا قصه كما جرى للفريره مع الهريره قال يسار بن زلى هذه الاخبار (فقال) ذكر شخص معتبر من رواة الخبر ان فى القديم كان رجل عديم وعنده قط رباه وأحسن مرباه فكان عنده كالولد الاعز وأكرم من ابن الفرات عند ابن المعتز وكان القط قد عرف منه الشفقه وألف منه المودة والمقه فكان لا يبرح عن مبيته ولا يسعى لطلب قوته فحصل له هزال وتغير ماله من أمر وحال لا عند صاحبه ما يغذيه ولا هو ذو قوة عن الاصطياد تغنيه الى أن عجز عن الصيد فصار يسخر به من أراذل الفيران كل عمرو وزيد وصار كما قيل

خلت الرقاع من الرخا * خ وفرزنت فيها البيادق
وتسابقت عرج الحميـ * ـر فقلت من عدم السوابق
وسطا الغراب على العقا * ب وصاد فرخ البوم باشق
سكتت بلابـل الزما * ن وأصبح الخفاش ناطق

وأيضا

واذا خلا الميدان من أسد * رقص ابن عرس وتومس النمس

وكان فى ذلك المكان ماوى لرئيس الجرذان وفى جواره مخزن للسمان فاجترأ الجرذان لضعف أبى غزوان وتمكن من نقل ما يحتاج اليه وصار يمر على القط آمنا ويضحك عليه الى أن امتلأ وكرم من أنواع المآكل والمطاعم وحصل له الفراغ من المخاوف والمزاحم واستطال على الجيران واستعان بطوائف الفيران على العدوان فاتسكر الجرذان وما فى نفسه فكر أداه الى حلول رمسه وهو أن هذا القط وان كان عدوا قديما ومهلكا عظيما لكنه قد وقع فى الانحلال وضعف عن الاصطياد لقوة الهزال وقوتى انما هى بسبب ضعفه وهذا الفتح انما هو حاصل بحتفه ولكن الدهر الغدار ليس له على

يحتطبون والجندى وهم عراة فأصابت احدى المرأتين فى طريقها خرقة بالية فوضعتها على سوأتها ثم قالت لزوجها ألا تنظر الى هذه الفاعلة كيف لا تستحى وتستر عورتها فقال لها زوجها لو بدأت بالنظر الى نفسك وان جسمك عار كله لما عيرت صاحبتك بما هو بعينه فيك وشأنك عجب أيه القذر ذو العلامات الفاضحة القبيحة ثم العجب من جراءتك على طعام الملك وقيامك بين يديه مع ما يحسسك من القذر والقبح ومع ما تعرفه أنت ويعرفه غيرك من عيوب نفسك أفتتكلم فى النقى الجسم الذى لا عيب فيه ولست أنا وحدى أطلع على عيبك لكن جميع من حضر قد عرف ذلك وقد كان يحجزنى عن اظهار ما بينى وبينك من الصداقة فاما اذ قد كذبت على وبهتنى فى وجهى وقمت بعداوتى فقلت ما قلت فى بغير علم على رؤس الحاضرين فانى أقتصر على اظهار ما أعرف من عيوبك وتعرفه الجماعة وحق على من عرفك حق معرفتك ان يمنع الملك من استعماله اياك على طعامه فلو كلفت ان تعمل الزراعة لكنت جديرا بالخذلان فيها فالاحرى بك ان لا تدنو الى عمل من الاعمال وان لا تكون دباغا ولا حجاما لعامى فضلا عن خاص خدمة الملك قال سيد الخنازير أتقول لى هذه المقالة وتلقانى بهذا الملق (قال دمنة) نعم وحقا قلت فيك

واياك أعنى أيها الاعرج المكسور الذى فى أسته الناسور الافدع الرجل المنفوخ البدن المدلى الخصيتين الافلح الشفتين السيئ المنظر والخبر
فلما قال ذلك دمنة تغير وجه سيد الخنازير واستعبر واستحى وتلجلج لسانه واستكان وفتر نشاطه فقال دمنة حين رأى
انكساره وبكاءه انما ينبغى
ان يطول بكاؤك اذا اطلع
الملك على قذرك وعيوبك
فعزلك عن طعامه وحال
بينك وبين خدمته وابعدك
عن حضرته ثم ان شعهرا
كان الاسد جربه فوجد فيه
امانة وصدقا فرتبه فى
خدمته وأمره ان يحفظ
ما يجرى بينهم ويطلعه على
ذلك فقام الشعهر فدخل
على الاسد فحدثه بالحديث
كله على جليته فامر الاسد
بعزل سيد الخنازير عن عمله
وامر أن لا يدخل عليه ولا
يرى وجهه وأمر بدمنة
ان يسجن وقد مضى من
النهار أكثره وجميع ما
جرى وقالوا وقال قد كتب
وختم عليه بخاتم النمر
ورجع كل واحد منهم الى
منزله ثم ان شعهرا كان يقال
له روزبه كان بينه وبين
كليلة اخاء ومودة وكان عند
الاسد وجيها وعليه كريما
واتفق ان كليلة أخذه
الوجد اشفاقا وحذرا على
نفسه وأخيه فمرض ومات
فانطلق هذا الشعهر الى
دمنة فاخبره بموت كليلة
فبكى وحزن وقال ما أصنع
بالدنيا بعد مفارقة الاخ
الصفى ولكن أحمد الله
تعالى حيث لم يمت كليلة
حتى أبقى لى من ذوى قرابتى
أخا مثلك فانى قد وثقت بنعمة الله تعالى واحسانه الى فيما رأيت من اهتمامك بى ومراعاتك لى وقد علمت انك
رجائى وركنى فيما أنا فيه فاريد من انعامك ان تنطلق الى مكان كذا فتنظر الى ما جمعته أنا وأخى بحيلتنا وسعينا وبمشيئة الله تعالى فتأتينى

حالة استمرار فربما يعود الدهر عليه وترجع صحته وعافيته اليه فان الزمان الكثير الدوران ينهب
ويهب ويعطى ما ساب ويرجع فيما وهب كل ذلك من غير وجب ولا سبب واذا عاد القط الى
ما كان عليه يتذكر من غير شك اساءتى اليه فيثور قلقه ويفور حنقه ويأخذه لاذاى والانتقام
سهره وأرقه فلا يقر لى معه قرار فاحتاج بالاضطرار الى التحول عن هذه الديار والخروج عن الوطن
المألوف ومفارقة السكن المعروف أمر صعب مشوم الكعب فلابد من الاهتمام قبل حلول هذا
الغرام والاخذ فى طريقة الاخلاص قبل الوقوع فى شرك الاقتناص ثم انه ضرب أخماسا لاسداس
فى كيفية الخلاص من هذا الباس فاداه الفكر الى اصلاح المعاش بينه وبين أبى خراش ليدوم له
هذا النشاط ويستمر بواسطة الصلح بساط الانبساط فرأى أنه لا يفيده ما يريده الا بزرع الجميل من كثير
وقليل خصوصا فى وقت الفاقه فانه أجاب للصداقه وأبقى فى الوثاقه ثم بعد ذلك يترتب عليها العهود
ويتأكد ما يقع عليه الاتفاق من العقود وهو أن يلتزم الجرذان أن يقوم لابى غزوان فى كل غداة من
طيب الغذاء ما يكفيه لغداء وعشاء لان الشيخ فى الدرس قال خير المال ما وقيت به النفس الى أن
يصح جسده ويرد اليه من عيشه رغده ويكون ذلك سببا لعقود الصداقه وترك العداوة القديمة المساقه
وان تشترط دوام المحبه وازدياد الوداد والصحبه وأن لا يقصد أبو الهيثم أبا راشد بشئ من الاذى
والشرور والمفاسد ويعمل هذا الهر بموجب ما قال الشاعر

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

ثم ان الجرذان جمع من الاخباز والاجبان واللحم القديد والمطعم المزيد ما قدر على حمله ونهضت
قوته بنقله وقصد مقام الهر وسلم عليه سلام مكرم مبر محب قديم وصديق حميم وقدم ما معه اليه وترامى
بكثرة التودد والاشتياق عليه وقال يعز على ويعظم لدى أنى أراك يا خير جار فى هذا الضرر والاضطرار
ولكن العاقبة الى خير وسيقبل السعد باحسن طير فتقدم أيها الخيطل وكل من هذا المأكل فاذا سددت
خلتك كلمتك بشئ أستشير به خدمتك فانه قد قيل

ان الصداقة أولاها السلام ومن * بعد السلام طعام ثم ترحيب * وبعد ذلك كلام فى ملاطفة
وضحك ثغر واحسان وتقريب * وأصل ذلك أن تبقى شمائلها * بين الاحبة تأبيد وتاديب

لم تنس غيبا ولم تملل اذا حضروا * قد زان ذلك تهذيب وترتيب
ان الكرام اذا ما صادقوا صدقوا * لم يثنهم عنه ترغيب وترهيب

فتناول القط من تلك السرقة ما سد رمقه وشكر للجرذان تلك الصدقه ولما أكل فمه استحيت الحدقه ثم
قال له أنشد ما أنت ناشد يا أبا راشد قال ان لى عليك من الحقوق مثل ما للجار الصدوق على الجار الشفوق
وأردت أن يتأكد الجوار بالصداقه وتترافى الى درجة المحبه باوثق علاقه وان كانت بيننا عداوة
قديمة فنترك من الجانبين تلك الخصلة الذميمه ونستأنف العهود على خلاف الخلق المعهود ونديّر
الامور على مصلحة الجمهور ونبقى القاعدة فى البين على ما يعود نفعه على الجانبين وأذكرك أشياء
تحملك على ترك خلقك القديم وتهديك فى طريق الاخاء الى الصراط المستقيم وهو انى أكلى مثلا
ما يغذى منك بدنا فضلا عن أن يظهر فيك صحة وسمنا ولكن ان أمنتنى مكرك وأعملت نظرك وفكرك
ثم رغبت فى صحبتى وعاهدتنى على سلوك طريق مودتى وأكدت أى أبا غزوان ذلك بمغلظات الاعيان
الى أن أستوثق باستصحابك وأبيت آمنا فى مجيئك وذهابك ولو كنت بين مخالبك وأنيابك فانى ألتزم
لك فى كل يوم اذا استيقظت من النوم بما يسد خلتك ويبقى مهجتك صباحا ومساء وغداء وعشاء
وان قلت أن ذلك شئ مجهول فانا أقدره بنظير هذا المأكول فان هذا الغذاء يكفيك عشاء وغداء وما

قصدت

قصدت بذلك الارعاية لحق الجوار ولقد آنستنى بتسبيحك بالليل والنهار وأظن وظنى لايخيب انك تبت الى الله ورجعت من قريب وكففت عن أذى الجيران وعففت عن أكل الفيران ثم اعلم يا أسد الضياون ان لى من هذه المؤنة عشر مخازن قد أعددتها للثالث وأنا أقدمها لمنزلك وادخرها لاجلك والقصد أن أكون آمنا من سطواتك سالما فى سدمات حركاتك وذلك انما يعلم بتأكيد الاخاء وتأييد المحبة والولاء فلما رأى الهر هذا البر أعجبته هذه النعم وأطربه هذا النغم واقسم طائعا مختارا ليس اكراها ولا اجبارا أنه لايسلك مع الجرذان الاطريق الامان والاحسان وأنه لاينوء اليه بقصد سوء بحيث تتأكد المحبه وتزداد الصداقة والصحبه فرجع الجرذان وهو بهذه الحركة جذلان وصار كل يوم يأتى أبا غزوان بما التزم به من الغداء والعشاء كل صباح وعشاء الى أن صح القط واستوى وسلمت خلوات بدنه من الخوّ والخوا وصارت المحبة تنعقد كل يوم عقدا مجددا ويزداد كل منهما فى الآخر محبة وتوددا وكان لهذا القط ديك وهو صاحب قديم وصديق نديم كل منهما يأنس بصاحبه ويحفظ خاطره بمراعاة جانبه فحصل للديك تعويق عن زيارة الصديق فغاب عنه مدة وكل منهما للفراق فى شدة فلم يتفق لهما القاء الا وقد حصل للقط الشفاء وزال الشقاء فسأل الديك صاحبه بماذا صارت علته ذاهبه وذلك الهزال باى شئ زال فاخبره باحوال الجرذ أبى جوال وأنهى أمره من الاول الى الآخر وبالغ فى الشكر فى الباطن والظاهر وانه كان سبب حياته ونجاته من مخاليب مهلكاته وأنه لم يكن مثله فى الاصحاب وقد صار أعز الاصدقاء والاحباب فغار الديك على الصاحب القديم واخشى أن يفسد ما بينهما المفسد النميم فضحك مستغربا وصفق بجناحيه متعجبا فقال له مم تضحك فقال من سلامة باطنك وانقيادك لمداهنتك وحسن صنائعك مع المنافق المخادعك ومكارم أخلاقك مع ناقض ميثاقك واصغائك لهذا الخبيث بحشوه الكلام ومموه الحديث ومن يأمن لهذا البرم الواجب القتل فى الحل والحرم المفسد لفاسق المؤذى المنافق الذى خدعك حتى أمن على نفسه واستطرق بذلك التمكن من أذاه ونجسه فتسلط فى الاذى كما يختار وانهمك فى الشر آمنا منك البوار كل ذلك بسببك ومكتوب فى صحائف كتبك مع انك لست بمشكور ولا بالخير مذكور وان الذى شاع وذاع وملأ عنك الاسماع أنك ستحل عقده وتنكث عهده وتنقض الايمان وتجازى بالسيئة الاحسان وانه لم ير منك ما يسره وهو متوقع منك ما يضره وأعظم من هذا انه آذى وحشر فنادى وبالشر بادى فقال انه أحياك بعد الموت وردك بعد الفوت ولولا فضله عليك وبره الواصل اليك لمت هزالا وجوعا ولما عشت أسبوعا ولكنه أشبع جوعك وجلب هجوعك واستنقذ من مخاليب المنية بعد ذهابك رجوعك فشفاك وعافاك وصافاك وكفاك المؤنة وكافاك وانك كافيته مكافأة التمساح وجازيت حسناته بالسيآت القباح ولم يكن لاحسانه اليك ولا لما من به عليك سبب ولا علاقة سوى طهارة نفس زكت أخلاقه ولا لاساءتك اليه سبب تنقم به عليه الا ما أسداه من مكارم شيمه الواصلة اليك وفوائد نعمه السابغة عليك وقد أشاع هذا كله فى الشوارع والحارات خصوصا فى هذه المحله ثم أقسم بمن عطفه عليك وساق فضله اليك وجعلك محتاجا الى نواله وأسبل عليك لباس صدقاته وافضاله ليستوفين منك ما صنعته وليحفظن عليك ما عليه ضيعته وليوقعنك فى طوى بليه يعجز عن خلاصك منها كل البريه فليرين منك جنس الفار وليخلدن ذكر هذه القضية فى بطون الاسفار وبالجملة فهل سمعت ان جرذا نا صادق هره أو اتفق بينهما مرافقة فى الدنيا ولو مره ومناصحة القط والفار كمصادقة الماء والنار

فانت كواضع فى الماء جمرا * وأنت كمودع الريح الترابا

فلما سمع القط هذا الكلام تألم باطنه ببعض ايلام وما صدق ولكن ظن واشتغل خاطره لامر عن وتلهب

به ففعل الشعهر ما أمره به دمنة فلما وضع المال بين يديه أعطاه شطره وقال له انك على الدخول والخروج على الاسد أقدر من غيرك فتفرغ لشانى واصرف اهتمامك الى واسمع ما أذكر به عند الاسد اذا رفع اليه ما يجرى بينى وبين الخصوم ويبدو من أم الاسد فى حق وما ترى من متابعة الاسد لها ومخالفته اياها فى أمرى واحفظ ذلك كله فاخذ الشعهر ما أعطاه دمنه وانصرف عنه على هذا العهد فانطلق الى منزله فوضع المال فيه ثم ان الاسد بكر من الغد فجلس حتى مضى من النهار ساعتان استأذن عليه أصحابه فاذن لهم فدخلوا عليه ووضعوا الكتاب بين يديه فلما عرف قولهم وقول دمنة دعا أمه فقرأه عليها ذلك فلما سمعت ما فى الكتاب نادت بأعلى صوتها ان أنا أغلظت فى القول فلا تلمنى فانك لست تعرف ضرك من نفعك أليس هذا مما كنت أنهاك عن سماعه لانه كلام هذا المجرم المسىء الينا الغادر بذمتنا ثم انها خرجت مغضبة وذلك بعين الشعهر الذى آخاه دمنة ويسمعه جميع ما قالت أم الاسد فخرج فى أثرها مسرعا حتى أتى دمنة فحدثه بالحديث فبينما هو عنده اذ جاء رسول فانطلق بدمنة الى المجمع عند القاضى فلما مثل بين يدى القاضى استفتح سيد المجلس فقال يا دمنة قد أنبأنى بخبرك الامين الصادق وليس ينبغى لنا أن نفحص عن شانك أكثر من هذا لان العلماء قالوا ان الله تعالى جعل الدنيا سببا ومصداقا للآخرة لانها دار الرسل والانبياء الدالين على الخير الهادين الى الجنة الداعين الى معرفة الله تعالى وقد ثبت شأنك عندنا وأخبرنا عنك من وثقنا بقوله الا ان سيدنا أمرنا بالعود فى أمرك والفحص عن شانك

وان كان عندنا ظاهرا بينا (قال دمنة) أراك أيها القاضى لم تتعود العدل فى القضاء وليس فى عدل الملوك دفع المظلومين ومن لا ذنب له الى قاض غير عادل بل المخاصمة عنهم والذب فكيف ترى ان أقتل ولم أخاصم وتعجل ذلك موافقة لهواك ولم تمض بعد ذلك ثلاثة أيام

واشتعل ومن يسمع يخل وقال للديك جزاك الله عنى خيرا وما أكثر شفقتك طيرا ولكن من قال لك هذا المقال قال أنت محب وعلى مودة الجرذان مكب وقد قال سيدا لعرب والعجم صلى الله عليه وسلم حبك للشئ يعمى ويصم وقال الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب عمية * كما أن عين السخط تبدى المساويا

ولقد غرك بلقيمات من الحرام والسحت المنغمس فى الآثام وجعلها بمنزلة حبة الفخ فلا تشعر بها الا وأنت فى السلخ قد وقعت ولا رفيق ولا أخ هنالك يعرف تحقيق هذا الكلام ولكن أنت الآن راقد مثل النيام والكلام ما يفيد ولا بد أن الله تعالى يجرى ما يريد وما فى اشاعة الكلام طائل وكأنك أنت القائل

ظن العذول بان عذلى ينفع * قل ما انشافع لى أن لا أسمع

وما قلت لك هذا الكلام الا من فرط الشفقة والضرام ورعاية لحق ما وجب على من القيام وحفظا للصداقة القديمة والمودة التى بيننا بها دعه وأنا لو غششت كل أحد ما خطر لى ان أغشك وأنا لا استشهد على صدق الا بقينك الساكن عشك فرجح جانب صدق الديك كفاك الله شر من يؤذيك وقال القط فى خاطره بعد ما أجال قداح ضمائره هذا الديك من حين انفلقت عنه البيضه وسرحت أنا واياه من الصدقه فى روضه ما وقفت له على كذب ولا سمعت عنه انه لزور مرتكب مع انه مؤذن أمين بين ظهور المسلمين وهو بالصدق قمين وما حمله على هذا الا المحبه وقديم المودة والصحبه وهو أبعد من أن يكذب ويخدع وأى قصد له فى أن يغش ويتصنع وتردد أبو هريرة فى تيه الحيره بين الديك والفريره ثم قال للديك وقاك الله شر أعاديك فكيف أعرف صدق هذا الخبر وهل للدلاله على سوء طويته علامه تنتظر قال نعم ورب الحرم علامة ذلك انه اذا دخل عليك ونظر اليك أن يكون منخفض الراس مجتمع الانفاس متوقعا حلول نائبه أو نزول مصيبة صائبه أو شمول بلية غائبه ملتفتا يمينا وشمالا متخوفا نكالا ووبالا طائفا يتنقب خائفا يترقب وذلك لانه خائن والخائن خائف وهذا بائن وبينما هما فى المحاوره والمناظرة والمشاوره يتجاذبان القيل والقال دخل المفسد أبو جوال وهو غافل عن هذه الاحوال فرأى أبا القيظان يخاطب أبا غزوان نخنس وتقهقر وتخوف وتشوّر وهو غافل عما قضاه الله وقدر فاشمأز رؤيته الديك وازأل وانتفض واشمعل فارتعد الجرذان من شيخ الديكه لما رأى منه هذه الحركه وانتفش وانزوى وتقبض وزوى وأشبه بغداديا بلع الدوا ونظر يمينا وشمالا كالطالب للمفر مجالا والقط يراقب أحواله ويميز حركاته وأفعاله فتحقق ما قاله أبو سليمان ونظر الى الجرذان نظر الغضبان وهمز واكفهر وقصت شواربه وازبأر فاضطرب الجرذان وطلب الامان فنسى السنور العهود والايمان ونفض عرق العداوة القديمة والعدوان وظفر على الجرذان وأدخله فى حيز خبر كان وأخلى منه الزمان والمكان (وانما أوردت) هذا التنظير أيها الصاحب البصير لفائدتين جليلتين عظيمتين احداهما الاعلام بالتحقيق ان العدو العتيق لا يتأتى منه صديق ثانيتهما الاعلام بان الواجب على الحكام أن لا يعجلوا بالانتقام فربما أورثهم الاستعجال الندامة فى المآل فى حالة لا يفيد العذل والتفنيد وعند ذلك لا يمكن التدارك بل اذا نقل اليهم وأورد عليهم ما يثير غبار الغضب ويحمى من نار السخط اللهب لا يفلتون زمام التثبت والتفكر من أنامل التأنى والتدبر خصوصا السلاطين والملوك الاساطين فان قدرتهم واسعه وأطراف أوامرهم شاسعة وأوهاق اختيارهم طويله ومرامى المراد لمرامهم منيله وآذان الكون لاوامرهم سميعه وعين المكان لمراسيمهم مراقبة مطيعه فمهما أرادوا من النفع أوصلوا ومهما اختاروا من الضر فعلوا وذلك فى كل حين مسيئين أو مصحين ولذلك قالوا القاضى لا يحكم حكما الا وهو راضى ولا يحكم وهو غضبان وهو مشغول الخاطر ولا غرثان فان وجد واطريقا الى الخبر بادروا

ولكن صدق الذى قال ان الذى تعود عمل البراهين عليه عمله وان أضربه قال القاضى انا نجد فى كتب الاولين ان القاضى العدل ينبغى له أن يعرف عمل المحسن والمسىء ليجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته فاذا ذهب الى هذا ازداد المحسنون حرصا على الاحسان والمسيئون اجتنابا للذنوب والرأى لك يا دمنة ان تنظر الذى وقعت فيه وتعترف بذنبك وتقر به وتتوب فاجابه دمنة ان صالحى القضاه لا يقطعون بالظن ولا يعملون به لا فى الخاصة ولا فى العامة لعلمهم ان الظن لا يغنى من الحق شيأ وأنتم ان ظننتم انى مجرم فيما فعلت فانى اعلم بنفسى منكم وعلمى بنفسى يقين لا شك فيه وعلمكم بى غاية الشك وانما قبح امرى عندكم انى سعيت بغيرى فما عذرى عندكم اذا سعيت بنفسى كاذبا عليها فاسلمتها للقتل والعطب على معرفة منى ببراءتى مما قذفت به ونفسى أعظم الانفس على حرمة وأوجبها حقا فلو فعلت هذا باقصاكم وأدناكم لما وسعنى فى دينى ولا حسن بى فى مروءتى ولا حق لى

أن أفعله فكيف أفعله بنفسى فاكفف أيها القاضى عن هذه المقالة فانها ان كانت منك نصيحة فقد أخطأت موضعها اليه وان كانت خديعة فان أقبح الخداع ما نظرته وعرفت أنه من غير أهله مع أن الخداع والمكر ليسا من أعمال صالحى القضاة ولا ثقاة الولاة واعلم

اليه واذا قصدوا ايقاع شر توقفوا لديه ولا يهملوه بل يسبروا غوره الى أن يقفوا عليه فربما يكون من مداخلة عدو أو حاسد أو يتعاطى من له غرض فاسد ثم اعلم يا ذا التبصره والفضل والتذكره انه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فلما وعى يسار هذا الحوار قال ما أزهى هذه النصائح وأزكى مالها من روائح وأنا أقبل عليها وأقبلها ولا يزال مرتشف سمعي مقبلها وعلى ذلك أعاهدك ومهما رأيت غيره أعاقدك فانه للملك عين المصلحه وللملك زين ومسلحه وأيضا فاشترط ما بدا لك مما يزين حالك ويصون مالك وما آلك قال وأريد أن تكون حرمتي موفره وكلمتي معتبره ومنزلتي على أقراني مرتفعه ومكانتي في الممالك متسعه بحيث تكون مزيتي ظاهره ومرتبتي لأكفائي باهره وكلامي في محل الاصغاء والقبول متصلا بالنجاح في السؤل والمسؤل فان حسن العهد وحفظ الود ورعاية الحقوق القديمة السابقة والخدمة المستمرة المتلاحقه دليل على كمال المروأة والوفاء ونهاية الفتوة والصفاء لاسيما من الملوك والاكابر في حق خدمهم الاصاغر ففي الحقيقة رفعة الخادم وكمال حرمته من رفعة مخدومه وعزته وكل من رفع قدر خدمه وحافظ على حفظ حشمه ومنع جانبهم ورعى حاضرهم وغائبهم انما حفظ أطراف حشمته وراعى جانب عظمته وحرمته وكل كبير امتهن خدامه وأذل جماعته وقوامه ولم ينزلهم منازلهم ولا عرف فضائلهم وساوى بأواخرهم أوائلهم فانما أضاع مكانة نفسه ولم يفرق في الفكر بين يومه وغده وأمسه واذا لم يصغ الملك لكلام الوزير واستقل بأوضاع ناصحه والمشير فابتذله وانتهره واستقله واحتقره خصوصا في المجامع والمحافل بين العساكر والجحافل فأي حرمة تبقى له عند البقيه من سائر الخدم والرعيه وأي مرسوم وكلام يسمع له عند العوام فيتكدر خاطره وتتغير سرائره فيدعوه ذلك والعياذ بالله الى شق العصا اذ صار على باب مخدومه معلقا كالحصى وقدره في المكانه وقوله في البلاغه صار كالزيف في الصاغه والفسو في الدباغه وناهيك أيها الخبير ما قالته لامها الزاغه قال يسار أخبرني بذلك يا جهينة الاخبار (قال) ذكر ان زاغه في بادم راغه انتشى لها فرخه انتشر لها بين الطيور صرخه وكانت ذات بهجة لطيفه وصفات ظريفه وتربت بتيمة بالدلال وجمعت بين فنون الكمال فلما بلغت مبلغ الزواج خطبها من صنوف الطير الازواج وترادفت عليها الخطاب ودخلوا على أمها في ذلك من كل باب فكانت تابى عليهم ولا تلتفت الى بذلهم ولا اليهم الى أن بلغ خبرها الى بومه كريهة الوجه مشومه بينها وبين أم الزاغة صداقة قديمه فخطبتها لابنها وابانت للطير مزيد رغبتها فاستشارت الام ابنتها وأظهرت في ابن البومة رغبتها وقالت أي ربيبة الخير قد رغب فيك أصناف الطير فكنت أدافعهم واسوف بهم وأمانعهم وقد اشتهر صيتك بين الكبراء وخطبك مني الامراء والوزراء وأنا على المطاوله والرد المقاوله وقد استحييت منهم واختشيت غائلة ما يصدر عنهم ولم أفعل ذلك الا رعاية لحالك وخوفا من زوج ظالم يقدرك غير عالم يستضعف جانبك ويكره أهلك وأقاربك ثم لا تقدر على مقاومته وتتعب في مرافقته ومفارقته لاسيما ان صار بينكما معاشقه فيصير نكاحكما كنكاح الدماشقه كل يضمر السوء لصاحبه حالة المعانقه وكل يا أحسن طائر معنى بما قال الشاعر

رأيت الذي لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ونعوذ بالله من اختلاف الوداد وأن يصير نكاح السنة كنكاح أهل بغداد فان صادفتما في محله مثلي أبي بكر الرباني ودله أو مثل الفرغاني وعلى أو جارة تشبه عيشة تلي خرجتما من يدي وزدتما نكدي فكنت لهذه الامور أخشى تقلبات الدهور وأرد خطاب الجمهور وقد خطبك يا كريمه ابن صاحبة قديمه وهي البومة الفلانيه وهي صاحبة غنيه وأخلاق انها رضيه وهو شخص فقير ضعيف الحال حقير نقلبه في أيدينا كما نريد ونتصرف فيه تصرف الموالي في العبيد لا في الطير جنس يحبه بل كلهم يكرهه ويسبه ولا له

ان قولك مما يتخذه الجهال والاشرار سنة يقتدون بها لان أمور القضاء يأخذ بصوابها أهل الصواب ويخطئها أهل الخطا والباطل والقليلو الورع وأنا خائف عليك أيها القاضي من مقالتك هذه أعظم الرزايا والبلايا وليس من البلاء والمصيبة انك لم تزل في نفس الملك والجند والخاصة والعامة فاضلا في رأيك مقنعا في عدلك مرضيا في حكمك وعفافك وفضلك وانما البلاء كيف أنسيت ذلك في أمري أوما بلغك عن العلماء انهم قالوا من ادعى علم ما لا يعلم وشهد على الغيب أصابه ما أصاب البازيار القاذف زوجة مولاه قال القاضي وكيف كان ذلك (قال دمنة) زعموا أنه كان في بعض المدن رجل من المرازبة مذكور وكانت له امرأة ذات جمال وعفاف وكان للرجل بازيار ماهر خبير بعلاج البزاة وسياستها وكان هذا البازيار عند هذا الرجل بمكان جليل بحيث انه أدخله داره وأجلسه مع حرمه فاتفق أن البازيار راود زوجة مولاه عن نفسها فأبت عليه وتسخطت لذلك وتمعر وجهها واحمرت خجلا وزاد امتناعها عليه وحرص عليها كل الحرص وعمل الحيلة في بلوغ غرضه منها وضاقت عليه أبواب الحيل فخرج يوما الى الصيد على عادته فأصاب فرخي ببغا فأخذهما وجاء بهما الى منزله ورباهما فلما كبر فرق بينهما وجعلهما في قفصين وعلم أحدهما أن يقول رأيت البوّاب مضاجعا لمولاتي على فراش سيدي وعلم الآخر أما أنا فلا أقول شيئا ثم أدبهما بذلك حتى أتقناه وحذقاه في ستة أشهر فلما بلغ الذي أراد منهما جاء بهما الى أستاذه فلما رآهما أعجباه ونطقا

ناصر علينا ولا جار حيدلى به الينا فهو تحت طاعتك كما تحبين وفى ربقة ارادتك كما تريدين لا كالحمام يتطوق بطوق الفخر ولا كالهدهد يتتوج بتاج الكبر فما رأيك فى هذا الامر فقالت الزويغة مقالة بليغه حفظت شيا وغابت عنك أشيا ما أصنع بزوج ممتهن و ببعض الاجناس ممتحن مكسور مهجور يتطاير منه بين الطيور هذا يخطفه وهذا يلقفه وهذا ينقره وهذا ينتره وهذا يأثره وهذا يكسره واذا لم يكن للزوج حرمه ولا تسمع له كلمه خصوصا عند زوجته وأهل بيته وعترته فاى قدر يكون له عند غيرها وانى ينشر بالسعد جناح طيرها وقد قال رب السموات والارض ومالك الطول والعرض والبسط والقبض والرفع والخفض الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وقال من جعلهم قوامين وذوا انتامنعوجه وللرجال عليهن درجة ومقدار المرأة بين جيرانها وأهلها انما يعرف بقدر حرمة بعلها وأنا كيف يبقى حالى و بالى وما على ومالى بين جيرانى وصواحبى وأهلى وأقاربى اذا كان زوجى ذليلا مهينا محتقرا بين الناس حزينا والله لا يكون لى بزوج ولو بلغ رأسه الى الاوج ولا أمد اليه باعى ولا يرفع له فى مركب الزوجية شراعى (وانما) أوردت هذا المثال ياشبه الغزال لا بين انه اذا لم يكن لى فى دارك عزه ولا يرفع مكانتى ومكانى نشاط وهزه فلا يرجونى الصديق الموافق ولا يخافنى العدو المنافق فيختل أمرى ويضيع فى غير حاصل عمرى واذا ما أهمل مرسومى تعدى الوهم الى مخدومى قال يسار أبشر أيها الوزير المشفق والكبير المحقق والحكيم الماهر المدقق بالدرجة العليه والمرتبة السنيه والكلمة المقبوله والوظيفة الفاضلة لا المفضوله ولكن انا أيضا لى عليك شروط تزين عقودها الملتفات فى المروط هن لدار السعادة أبواب والترقى الى درج السيادة أسباب ومثلك لا يدل على صواب وهى أن تتقلد العمل مبسوط الامل بجميع ما قررته وتتعاطى ملازمة كل ما حررته من اقامة ناموس المملكة المبجلة ورعاية شرائط السلطنة المفضله ومحافظة جانب مخدومك والانهاء الى مسامعه جميع ما فى معلومك وتقديم مصالحه على مصالحك ومعاملة رعيته بالجهد فى نصائحك وكفه عن المظالم والعدول به عن طريق المآثم والغيرة على دينه واعتقاده ويقينه أكثر من الغيرة على دنياه وفى الجملة لا يكون الملك الا لله بحيث لا تكون من قبيل لم تقولون ما لا تفعلون واياك والرشا والبرطيل والدخول لعرض الدنيا فى الاباطيل وتوق ظلم الرعيه للاغراض الدنيه أو الاعراض الدنويه واتق دعوة المظلوم وان يصل سهامها الى مولانا المخدوم واعلم أننا ان بنينا أساس الامور على قواعد الظلم والشرور فنحن من الخاسرين ومن الذين ظلموا والله لا يحب الظالمين وسيقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين بل ابن الامور على أساس التقوى فانك بالتقوى تقوى وبراويتها تروى فمن تحلى بالقضايا العاطله وتشبث باذيال الامور الباطله ولم يقصد وجه الله فى حركاته وسكناته وأدخل شوائب الرياء والسمعة فى أعماله وطاعاته لا يمشى له حال ولا يصلح له مال ولا مآل ويصيبه ما أصاب السائح الذى ادعى اخلاص العمل الصالح ثم شرع فى حركته وأخلص فظهرت آثار براءته فلما قصد الاعراض الدنيه فسد ظاهره بفساد النيه فسأل المشرقى عن حال ذلك الشقى (قال) كان فى أقصى بلاد الصين طوائف غير ذى عقل رصين أنبت لهم فى بعض الجبال زراع القدرة ذو الجلال فى رياض النزاهة والكمال شجرة ذات بهجة وجمال أصلها فى أرض الملاحة ثابت وفرعها فى أصل المحاسن نابت وغصنها الى سماء العلى واصل وورقها كعقود الجمان بالبهاء متواصل لا سموم الصيف يزيل زهرتها ولا عواصف الخريف تذهب خضرتها ولا صرصر الشتاء يعرى أغصانها ولا لواقح الربيع تذرى افنانها فاعجب بحسنها أهل تلك الديار وأشربوها اشراب بنى اسرائيل عجلا جسدا له خوار ثم تفانوا فى حبها وتهالكوا على قربها فعبدوها كما عبدوه واعتقدوها كما اعتقدوه واستولى على عقولهم الشيطان وصار يخاطبهم من الشجرة واحد من الجان فزادهم فيها اعتقادا وعمهم بعبادتها كفرا وعنادا فقدم تلك البلاد فقير من السائحين وهو من عباد الله الصالحين فلما رأى تلك الحاله أفزعه ذلك وهاله وأخذته غيرة الاسلام وغضبة دعته الى

القيام

بين يديه فاطرباه الا أنه لم يعلم ما يقولان لان البازيار قد علمهما بلغة البلخية وأن المرزبان أعجب بهما اعجابا شديدا وحظى البازيار عنده بذلك حظوة كريمة فامر امرأته بالاحتياط عليهما والمراعاة لهما ففعلت المرأة ذلك واتفق بعد مدة ان قدم على الرجل قوم من عظماء بلخ فتأنق لهم فى الطعام والشراب وجمع من أصناف الفواكه والتحف شيأ كثيرا وحضر القوم فلما فرغوا من الطعام وشرعوا فى الحديث أشار المرزبان الى البازيار أن يأتى بالببغاتين فاحضرهما فلما وضعتا بين يديه صاحتا بما كانتا علمتاه فعرف أولئك العظماء ما قالتا فنظر بعضهم الى بعض ونكسوا رؤسهم حياء وخجلا فسألهم الرجل عما تقولان فامتنعوا أن يقولوا ما قالتا فالح عليهم وأكثر السؤال عما قالتا فقالوا انما تقولان كذا وكذا وليس من شأننا أن نأكل من بيت يعمل فيه الفجور فلما قالوا ذلك أمرهم الرجل أن يكلموا الطيرين بلسان البلخية بغير ما نطقتا به ففعلوا ذلك فلم يجدوهما يعرفان غير ما تكلمتا به وبان لهم والجماعة حصانة المرأة وبراءتها مما رميت به ووضح كذب البازيار فامر المرزبان بالبازيار أن يدخل عليه فدخل عليه وكان على يده باز أشهب فصاحت به المرأة من داخل البيت أيها العدو لنفسه أنت رأيتنى على ماذا كرتا وعلمت به الببغاتين قال نعم أنا رأيتك على مثل ما تقولان فوثب البازى

القيام فأخذ فأسا وقصدها ليقطع ساقها وعضدها فلما قرب اليها وأراد وضع الفاس عليها سمع منها صوتا خوّفه وعن مراده أوقفه فقال أيها الرجل الصالح والقادم السائح فيم ذى الهمه وعلام هذه العزمة المهمه وما قصدك بهذه الصدمه فقال غيرة لله أيها المضل اللاه شجرة تعبد من دون الرحمن ولا يغار لهذا الشان انسان فلاقطعنك أيتها الشجرة المضله ولاجعلنك حطبا ومثله فانك قد أضللت كثيرا من الناس وفعلت مالم يفعله الوسواس الخناس وانك لاتنفعين ولاتضرين سوى انك الى النار تجرين فقالت أيها الرجل الزاهد الصالح العابد انا ما آذيتك ولا ضاررتك وان رأيت نفعتك وبررتك وحاشاك أن تؤذى من لا آذاك وأنا أعلم أيها الرجل الكبير أنك غريب وفقير وما أقدمك على هذا الباس الا الغربة والافلاس فكف عن هذا الامر واطفئ نائرة هذا الجمر وارجع الى منزلك واشتغل بطاعتك وعملك وأنا أوصلك كل نهار دينارا ذهبا نضارا كاملا وافيا معيارا يأتيك هنيئا ميسرا كل صباح مبكرا اذا استيقظت من رقدتك تجده موضوعا تحت وسادتك وهذا هو الاليق بحالك وأفرغ لخاطرك وبالك وأخلص لك من ورطات المهالك واذا أصلحت مع الله سريرتك وطهرت من أدناس الدنيا سرك وسريرتك فاترك الناس ولو كانوا جيرتك أو أهلك وعشيرتك وعليك بخويصة نفسك فاذا أنقذتها من الورطات فأمسك وقد قال منزل القرآن امرا لكم يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فلما سمع بالدينار ألهاه الطمع والاغترار فبردت همته وضعفت في الله قوته وتركها ورجع وترك القيام وهجع فلما أصبح الصباح وحاز بالصلاة الفلاح بادر الى الفراش وطلب المعاش فوجد الدينار كما ذكره الشيطان وأشار فالتقفه وابتهج وتحقق أنه فتوح باب الفرج واستمر على ذلك أسبوعا والذهب عنده مجموعا ثم بعد ذلك قصد الفراش بسرور وانتعاش فلم يجد شيأ من الذهب فحرق قلبه والتهب فأخذه الحنق والقلق وأخذ الفاس وانطلق فلما قرب من الشجرة نادته بالفاظ عكره قف مكانك واذكر شانك وقل لي فيماذا جئت فلا حييت ولا حبيت فقال جئت لاقطعك ومن الارض أقلعك غيرة على الدين وقياما بحق رب العالمين فقالت كذبت انما غرت وسبيت وقمت وقعدت وبرقت ورعدت لفقدك الذهب الذى عنك ذهب وانما كانت الغيرة الصحيحة والقومة المليحة الناهضة الفصيحة القومة الاولى فانها كانت والحق قد تجلى فلو قامت الخلائق لردك واجتهدوا في منعك وصدك لما ظفروا بك ولا قاموا بحروبك وأما الآن فهذه الغضبه غضبة الفاجرة لقحبه التى حصلت بواسطة عدم الدينار فهى التى أثارت منك ما أثار فلو دنوت منى خطوه وتقدمت من مقامك رتوه دققت عنقك وشققت زقك وقد قلت انى لا أضر ولا أنفع ولا أجلب ولا أدفع فاما المنفعه ياصلمعة بن قلمعه فانك رأيتها فى الدنانير التى لقيتها فتقرر النفع يا مستحق الصفع وأما المضره فقسها على المنفعة يا أبا مره فان الذى له قدرة على المبره ربما يقتدر على الايذاء والمضره وان شئت تقدم وجرب لتعلم واخبر واسبر وانظر كيف أنثر منك الرأس بهذا الفاس وحقق وصدق أن كتفك حلت حتفك فبهت الرجل وتحير وخاف وخار وقهقر وانقطع حبل رجائه وأقبل يتلفت الى ورائه (وانما ذكرت) هذا لتعلم أيها الوزير المكرم ان كل أمر لا يقصد به وجه الله فان عقباه الندم وان حسن أولاه وكل قصد ليس لغرض صالح فان شجرة غراسه لا تثمر الا الفضائح فترك الشروع فيه أولى ومحوصورته من لوح الضمير أجلى ومن لم يترك مالا يعنيه وقع فيما يعنيه وحل به من الفضيحة والايلام ما حل بذلك المفسد فى مدينة السلام فسأل الزنيم المشرقى البصير الافرقى كيف كانت تلك الفضيحه ليأخذ منها لنفسه النصيحه (قال) كان فى مدينة بغداد صانع حرير استاذ خبير له جارسنى الجوار وزوجة تخجل البدر عند الكمال والشمس قبل الزوال وذلك الجار الجانى يدعى ابن الفرغانى ففى بعض مطاره لمح زوجة جاره فتعلق قلبه بها واشتغل من هواها نار أحشائه بحبها فأخذ بلهوها الى أن أفسدها والى الضلال أرشدها وكان الزوج مغرما بها فوجدها على سالها منها فصار يراقبها من كلفه ولا يغفل عنها لشدة شغفه ويجتهد فى

الى وجهه ففقأ عينيه بمخالبه فقالت المرأة بحق أصابك هذا انه لجزاء من الله تعالى بشهادتك على مالم تره عينك (وانما) ضربت لك هذا المثل أيها القاضى لتزداد علما بوخامة عاقبة الشهادة بالكذب فى الدنيا والآخرة فلما سمع القاضى ذلك من لفظ دمنة نهض فرفعه الى الاسد على وجهه فنظر فيه الاسد ثم دعا أمه فعرضه عليها فقالت حين تدبرت كلام دمنة للاسد لقد صار اهتمامى بما أتخوف من احتيال دمنة لك بمكره ودهائه حتى يقتلك أو يفسد عليك أمرك أعظم من اهتمامى بما سلف من ذنبه اليك فى الغش والسعاية حتى قتلت صديقك بغير ذنب فوقع قولها فى نفسه فقال لها أخبرينى عن الذى أخبرك عن دمنة بما أخبرك فيكون حجة لى فى قتلى دمنة فقالت انى لاكره أن أفشى سر من استكتمنيه فلا يهنئنى سرورى بقتل دمنة اذا تذكرت انى استظهرت عليه بركوب ما نهت عنه العلماء من كشف السر ولكنى اطالب الذى استودعنيه أن يحالنى من ذكره لك ويقوم هو بعينه ويسمع منه ثم انصرفت وأرسلت الى النمر وذكرت له ما يحق عليه من تزيين الاسد وحسن معاونته على الحق واخراج نفسه من الشهادة التى لا يكتمها مثله مع ما يحق عليه من نصر المظلومين وتثبيت حجة الحق فى الحياة والممات فان العلماء قد قالت من كتم حجة ميت أخطأ حجته يوم القيامة فلم تزل به حتى قام فدخل على الاسد فشهد

كفها عن الخيانه وأن تحفظ الغيب وتؤدي الامانه ففي بعض الاوقات رأى في بعض الطرقات صيادا ومعه طير قد أوثق رجليه بسير فسأله عن طيره والى أين قصده في سيره فقال هذا من الجوارح السوانح لا البوارح يحاكي الصوادح ويباكي النوائح وفيه سر عجيب وأمر غريب وهو أنه اذا كان في بيت ورأى فيه على صاحبه كيت وكيت أخبر زوجها خبره وقص بجره وبجره وقد رغب فيه رئيس يشتريه فانا ذاهب به اليه أقدمه لديه وامتن به عليه فرغب فيها الحريري واشتراه وأتى به الى داره وقال لزوجته أكرمي مثواه واحسني مأواه فانه يخبر بكل ما رآه وهو من أحسن صفاته وأعجب أموره وحكاياته ومهما فعلت زوجة الانسان ذكره على وجهه كما كان فقالت نحن بحمد الله في بركه آمنون مما ينقل عنا من حركه فان رأى شيأ يهوله لا يكتمه عنا بل يقوله فتركه الزوج وذهب فدخل الحريف الملتهب فرأى المرأة وحدها والطير عندها فأخذ في المهارشه ومد يده للمناوشه فقالت كف يدك واحفظ الذمام فانه قد حصل علينا رقيب نمام فكف يدك يا حبيب لئلا نصاب ولا نصيب وتفكر في قول الشاعر المصيب اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب

فقال وأين الرقيب ياست الجار والحبيب قالت هذا الطير ليس غير فان له خواص عجيبه وفيه أشياء لطيفة عجيبه منها انه نمام ومهما رآه أو سمع من الكلام فانه يفض عنه الختام ويذكره لصاحب البيت على التمام فقهقه بصوت عال وسخر منها وقال صدق سيد المرسلين الذي قال النساء ناقصات عقل ودين ثم أقسم بحياتها وحسن ذاتها وصفاتها ليولجن القضيب في الكثيب بمرأى من ذلك الرقيب حتى اذا فرغ من أمره يمسح في منقاره رأس ايره ليعلها صحة ما أوهمها ثم حاورها وغلبها وساورها وقلبها وحل الصدر بالتكه وتعلقت الحلقة بالسكه وامتزجت الالف العربيه بالكاف الكوفيه والتهم زر الوردة النصيبيه شفاه الوردة النسرينيه واستمرا في أخذ وعطاء بلا غطاء ولا وطاء كأنهما أفواج الحجاج أو ثبات الامواج في شيل وحط وقبض وبسط وهرج ومرج ودخل وخرج واستمر من نحو هذا التصريف في بحث الرفع والجر ومن علم المطاردة والركوب في صنعة الكر والفر ومن علم الزندقة والالحاد في عالم الحلول والاتحاد الى ان دفق الابريق العقيق في قدح اللجين شراب الرحيق وقد أنشد الحريف هذا النظم الظريف وهو

لو تنظر الرقبا وقد عانقته * والشمع مشتعل وبابي مقفل * طورا أشاهده وأرشف تارة
وأضمه من بعدما أتأمل * واذا تغشى ذيل ثوبي بان لى * من جيبه شئ عليه المقتل

فلما سال الميزاب بما جرى وقضى زيد منها وطرا نهض ليبرقسه حسبما ميزه وقسمه وأدنى من منقاره غرموله وكان الطائر مدة لم يتناول ما كوله فتصوره قطعة لحم قدمها اليه طعمه فانشب مخاليبه فيه فاستغاث بملء فيه وكاد ان يغمى عليه واستعان بحبيبة قلبه اليه فاقبلت المرأة كالحدأة فاشار عليها أن تكشف من ساقها وترى الطير بظرها وحرته فربما يلتهي به ويترك آلته فتكشفت وادنته اليه وعولت في خلاص صاحبها عليه فوثب لشدة قرمه وتاثير الجوع وألمه ليلهم ذلك الفلهم فانشب مخاليب رجله الاخرى في فلهم تلك البظرا فاشتبكا وفي البلاء اشتركا وبينما هما في تعاظل الكلاب واذا بالزوج قد دخل من الباب فرآهما على تلك الحال من الاشتباك والاعتقال ونقل الطير ما قال بالافعال دون الاقوال فصح قوله وفعله وفعل معهما ما يجب فعله (وانما أوردت) هذا البيان لاعلم أشرف جنس الحيوان ان الشروع فيما ليس فيه منفوع يجب الابعاد عنه والفرار منه وعدم الاصغاء اليه والتوجه والاقبال عليه ولهذا قال النبي النبيه صلى الله وسلم عليه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال المشرقي ما بقي يا تقي الا أن ترتقي فلقد طال البيان وضاع الزمان (شعر)

فانهض هديت الى مارمته عجلا * فالدهر عات وللتأخير آفات

وكانت هذه المحاوره تحت ظل شجره فيها وكر حمامة وكان اها بالبلد اقامه في برج رجل من أهل

الزعامه

عنده بما سمع من اقرار دمنة فلما شهد النمر بذلك أرسل الفهد المحبوس الذي سمع اقرار دمنة وحفظه الى الاسد فقال ان عندي شهادة فاخرجوه فشهد على دمنة بما سمع من اقراره فقال لهما الاسد ما منعكما أن تقوما بشهادتكما وقد علمتما أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنة فقال كل واحد منهما قد علمنا أن شهادة الواحد لا توجب حكما فكرهنا التعرض لغير ما يمضي به الحكم حتى اذا شهد أحدنا قام الآخر بشهادته فقبل الاسد قولهما وأمر بدمنة ان يقتل في حبسه فقتل اشنع قتلة فمن نظر في هذا فليعلم ان من أراد منفعة نفسه بضر غيره بالخلابة والمكر فانه سيجزى على خلابته ومكره انقضى باب الفحص عن أمر دمنة

(باب الحمامة المطوقة)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل المتحابين كيف قطع بينهما الكذوب والى ماذا صار عاقبة أمره من بعد ذلك فحدثني ان رأيت عن اخوان الصفاء كيف يبتدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض قال الفيلسوف ان العاقل لا يعدل بالاخوان شيأ فالاخوان هم الاعوان على الخير كله والمواسون عند ما ينوب من المكروه ومن امثال ذلك مثل الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب قال الملك وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا انه كان بارض سكاوندجين عند مدينة داهر مكان كثير الصيد ينتابه الصيادون وكان في ذلك المكان شجرة

الزعامه ثم اختارت العزله واحتسبتها نعمة جزله فاختارت هذا المقام ولها فيه عدة أعوام فسمعت جميع ماقالاه من مبدئه الى منتهاه فلما وعت ما اتفقا عليه وتداعيا اليه أخذت تضرب أخماسا لاسداس وتتأمل فيما يتجلى من عرائس معانيه من القدم الى الراس وتجيل فى صور مبانيه قداح النظر وتلاحظ سيرة فاويه بلوامع الفكر وتجوز مذاهبه وتروز عواقبه وتقيس مداركه بمعارجه وتميس فى مداخله ومخارجه فادى قائد فكرها ورائد نظرها الى أنه ربما يكون لهما شان وعلو مكانة ومكان فان محاوراتهما ومامر من مناظراتهما كانت منطوية على ذكاء وفطنه وتجارب وحكمة وعلو همه صادرة عن فكر مصيب ورأى له فى السداد أوفر نصيب ولم يبق لهما فى القدر الامساعدة القضاء والقدر واذا كان الامر كذلك فالاليق فى قطع هذه المسالك المبادرة الى التعرف بهما واعانتهما والتقرب الى خواطرهما ومساعدتهما على ماهما فيه ومساعفتهما بما تصل اليه اليد وتحويه لانهما فى حالة الشده وزمان الانفراد والوحده محتاجان الى المساعده والمساعفة والمرافده وفى مثل هذه الحالة تظهر الفضيله ويحصلان المنة والجيله وتقع مساعدتى أحسن موقع ويتميز لى عندهما أرفع موضع فانه اذا علا شأنهما وارتفع بدون معاونتى قدرهما ومكانهما واجتمع عليهما الجنود وأقبل اليهما الوفود وكثرت الحفدة والاتباع وتكاثفت العساكر والاشياع فما يظهر لمن يتقرب اليهما ويترامى لديهما اذذاك كبير فائده ولاكثير عائده ثم انها توكلت على الرحمن وصدحت على الاغصان بقولها

على الطائر الميمون والبشر والسعد * سموت الى العلياء منهدا على نهد

ثم هبطت وبين أيديهما سقطت فاذكرت قول الرئيس هذا الشعر النفيس

هبطت اليك من المحل الارفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقبلت الارض ووقفت فى مقام العرض ولزمت شرائط الحشمه وأدت واجب الخدمه وهنأت نفسها والسكون بسلطنة الملك يسار ذات الصون وقالت انى لكما نعم العون وموطنى فى هذه الشجره وأنا لاوامركم مؤتمره وقد وعيت ماقلتماه ومادار بينكما وذكرتماه ورأيته صادرا من مشكاة السعاده مشرقا بانوار السياده سهامه نافذة فى قلب الغرض وسيتعبد جواهر الرعايا بادنى عرض فان حسامه مطبق لفصل القصد وشانه سيبلغ أعلى اليمن والسعد وهاقد جئت مبادره واردة منهل الطاعة وصادرة فامر الامتثال وانظر الاحتفال وتحكما لا طيع وتكلما فانى سميع فان أشرتما فالقصد قاف وان استشرتما فالرأى كاف وان خبرتما فالحزم واف وان استنهضتما فالعزم شاف وان استخدمتما فالعبد خادم صاف مصاف فلما رأيا من الحمامه هذه الكرامه تبسم الزنيم وتفاءل وأشرق وجهه وتهلل وتيمن بطلعة الورقا وعلم أن أمرهما يرقى وقال يسار هذا من علامات اليسار وجبر الانكسار والخروج الى اليمين من اليسار وعنوان السعود وحصول النجح والمقصود فانه سبب الاسباب العزيز الوهاب تبارك وتعالى وجل جلالا هو مسهل الصعاب ومفتح الابواب واذا أراد أمرا هيأ أسبابه وفتح على الضعيف طاقته وبابه ووسع رحابه وسدد الى مرامى المرام لراميه نشابه وحصول مثل هذا الصاحب الصادق والرفيق الموافق والمعين المصادق أدل دليل على ان الله الجليل ييسر هذا المطلوب ويظهر هذا النجح المحبوب ثم انهما استشارا الحمامه فى كيفية نيل الزعامه والشروع فى هذا الامر والتوصل الى دعوة زيد وعمرو وطريقة اشتهاره وتعاطى أسباب انتشاره فقالت أنا من جنس الطير مشهورة بينهم بالخير ولهم الى سكون وعلى متاعفى اعتماد وركون فالصواب فى فتح هذا الباب دعوة الجمهور من الطيور وأنا به زعيم وفى الرسالة حكيم فان اقتضى الرأى الرفيع توجهت ودعوت الجميع بعد التخيير والتشهير بين الكبير منهم والصغير ان أبا الجراء السلطان وأبا الجسداء الوزير وقد وقع الاتفاق فى الآفاق على هذا الوفاق فليبتهج سائر الطيور بهذا الفرح والسرور وليقرأ على رؤس الجمهور هذا المقال المنشور وليبادر الى الخدمة بالحضور ولا يتخلف أحد من آمر ومأمور والحذر الحذر من المخالفه

كثيرة الاغصان ملتفة الورق فيها وكر غراب فبينما هو ذات يوم ساقط فى وكره اذ بصر بصياد قبيح المنظر سيئ الخلق على عاتقه شبكة وفى يده عصا مقبلا نحو الشجرة فذعر منه الغراب وقال لقد ساق هذا الرجل الى هذا المكان اما حينى واما حين غيرى فلاثبتن مكانى حتى أنظر ماذا يصنع ثم ان الصياد نصب شبكته ونثر عليها الحب وكمن قريبا منها فلم يلبث قليلا حتى مرت به حمامة يقال لها المطوقة وكانت سيدة الحمام ومعها حمام كثير فعميت هى وأصحابها عن الشرك فوقعن على الحب يلتقطنه فعلقن فى الشبكة كلهن وأقبل الصياد فرحا مسرورا وجعلت كل حمامة تضطرب فى حبائلها وتلتمس الخلاص لنفسها قالت المطوقة لاتخاذلن فى المعالجة ولا تكن نفس احداكن أهم اليها من نفس صاحبتها ولكن نتعاون جميعا فنقلع الشبكة فينجو بعضنا ببعض فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن وعلون فى الجو ولم يقطع الصياد رجاءه منهن وظن أنهن لا يجاوزن الاقريبا ويقعن فقال الغراب لاتبعهن وانظر مايكون منهن فالتفتت المطوقة فرأت الصياد يتبعهن فقالت للحمام هذا الصياد مجد فى طلبكن فان نحن أخذنا فى الفضاء لم يخف عليه أمرنا ولم يزل يتبعنا وان نحن توجهنا الى العمران يخفى عليه أمرنا وانصرف وبمكان كذا جرذ هو لى أخ فلو انتهينا اليه قطع عنا هذا الشرك ففعلن ذلك وأيس الصياد منهن وانصرف وتبعهن الغراب

وعدم الانقياد والمؤالفه فقد طاب الوقت وراق وزال المقت والشقاق والمسارعة في أقرب زمان
ليأخذوا الانفسهم الامان ولا يركبوا من التعويق سوى متن مسافة الطريق فاعجب الملك والوزير من
الهديل هذا الهدير فكتب بذلك بطاقه وحملتها الحمامة باحكم وثاقه ثم أخذت الى الجو ووقيت من
الجوارح السو ثم هبطت الى مجمع الطير وهو نادي الندى والخير فرأت منها خلقا كثيرا وجما غزيرا
فسلمت سلام المشتاق وعانقت عناق العشاق فترحبوا بقدمها وسألوا عن معرب أحوال ومجمعها
وقدموا موائد الضيافه وأظهروا السرور واللطافه فبثتهم كثرة الاشواق وما عانته من ألم الفراق
وقد حرضها شدة الشوق وساقها اليهم أشد سوق وبعثها أيضا باعث وهو من أحسن الوقائع
وأعن الحوادث وذلك أن شخصا من أصلاء بني سلاق الحاكم على بني زغار وبني براق تولى سلطنة
السباع ومالكية الذئاب والضباع مضافا الى ذلك الحكم على الطيور والقيام بسياسة أمور
الجمهور وأقام له في ذلك وزيرا كافيا ناصحا مشيرا يدعى أبا زغمة المشرقي من نسل تكابك الارنق
وهو من الفحول وكباش الوعول وقد أرسلوني الى الجماعه يأمرونهم بالدخول في رياض الطاعه
لتحصل لهم الرعي والرعايه والرفاهية والحمايه ويأمنوا صيد الكائد وكيد الصائد ثم شرعت تبث
للكبير والصغير ما شاهدت من مخايل الملك والوزير وحسن شمائلهما وعن خصائلهما
وما هما عليه ونسبا اليه من الشجاعة والدين والعقل المتين والفضل المبين والقناعة والعفه والجد
الذي لا تدرك وصفه وان الملك المعلوم قد عف عن تناول اللحوم وقد قنع بما يسد الرمق من حشيش
النبات والورق وقد تكفل برفع المظالم وردع الظالم واجراء مراسم العدل واحياء مواسم الفضل
فان أنابوا وأجابوا ربحوا وأصابوا وطالوا وطابوا وان أبوا وصبوا واهتزوا للمخالفة وربوا ثم
كسهم البوار وأركسهم فلا يلوموا الا أنفسهم فصدقوها من أول وهله والرائد لا يكذب أهله لانهم
كانوا بها واثقين ولكلامها في الحوادث مصدقين فما وسعهم الا الطاعه والتوجه الى خدمة الملك في
تلك الساعه وبعدما تبادروا بالتصديق طاروا بالفرح ودخلوا الطريق واستصحبوا من الخدام
والتقادم ما يصلح للمخدوم من الخادم فلما قربت الديار ودنوا من ولاية الملك يسار تقدمت الحمامة
وسبقت وأخبرت الملك والوزير بما فتقت ورتقت فاستبشروا بما تقدم وبادر الوزير لملاقاة المقدم
فتلقاهم بالاحترام والتوقير وأكرم الكبير منهم والصغير ومشى معهم بالاكرام والحرمه وأوقف كلا
منهم في مقام الخدمه وحين استقر بهم المقام افتتح الوزير الكلام فاثنى على الله تعالى وضاعف
التحية على نبيه ووالى ثم امتدح الملك الذكي بثناء يخجل المسك الزكي وذكر بعد ذلك ما يتعلق
بسياسة الممالك وان الله من بالملك عليه وساق سلطنة الوحش والطيور اليه وذكر مقام كل من الطيور
وما وظيفته بين أولئك الجمهور فأطاع الكل وتابعوا وعلى ما اقترحه عليهم بايعوا وأنشدوا فارشدوا

ونحن أتينا طائعين ولم نكن * عصاة فرم غير الطيور عساكرا

ولما انقضى الوطر من قضايا الطير أخذوا في استدعاء جموع الغير من الوحوش الكواسر والبهائم
الجواسر والهوام النواشر والجوارح النواسر وأرسلوا في تلك الجماعة الحمامه وقلدوها فيه طوق
الزعامه فتوجهت نحو الوحش والى كل فارح من الصيد وجحش وكانوا بذلك قد سمعوا وللمشاورة
فيه قد اجتمعوا فبلغت الحمامة الرساله وأظهرت ما فيها من بساله وكان آخر ما وقع عليه الاتفاق الوفاق
وعدم النفاق وقصد الارتفاق والتوجه الى خدمة الملك يسار بصحبة الرفاق وقالوا لا شك أن الكلب بالوفاء
مشهور وبحسن الرعاية والحراسة مذكور ويقدر أن يرغا من الانسان ويحمينا من السباع ومؤذيات
الحيوان وأوصافه مذكورة في الكتاب وناهيك بفضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب فتقدم
خزز من بين تلك الخزز يدعى رئيس الارانب محبب الى الاقارب والاجانب وهو مشهور بالحصافه
موصوف بالذكاء والظرافه والمعرفة التامه والتجربة المفيدة العامه بعيد الفكر في العواقب سديد

فلما انتهت الحمامة المطوقة الى الجرذ أمرت الحمام أن يسقطن فوقعن وكان للجرذ مائة جحر للمخاوف فنادته المطوقة باسمه وكان اسمه زيرك فاجابها الجرذ من جحره من أنت قالت أنا خليلتك المطوقة فاقبل اليها الجرذ يسعى فقال لها ما أوقعك في هذه الورطة قالت له ألم تعلم انه ليس من الخير والشر شيء الا وهو مقدر على من تصيبه المقادير وهي التي أوقعتني في هذه الورطة فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى مني وأعظم أمرا وقد تنكسف الشمس والقمر اذا قضي ذلك عليهما ثم ان الجرذ أخذ في قرض العقد الذي فيه المطوقة فقالت له المطوقة ابدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي فاعادت ذلك عليه مرارا وهو لا يلتفت الى قولها فلما أكثرت عليه القول وكررت قال لها لقد كررت القول علي كأنك ليس لك في نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ولا ترعين لها حقا قالت اني أخاف ان أنت بدأت بقطع عقدي أن تمل وتكسل عن قطع ما بقي وعرفت أنك ان بدأت بهن قبلي وكنت أنا الآخرة لم ترض وان أدركك الفتور ان أبقى في الشرك قال الجرذ هذا مما يزيد الرغبة والمودة فيك ثم ان الجرذ أخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها فانطلقت المطوقة وحمامها معها فلما رأى الغراب صنع الجرذ رغب في مصادقته فجاء وناداه باسمه فاخرج الجرذ رأسه فقال له ما حاجتك قال اني أريد مصادقتك

الرأى حازم مراقب وقال يامعشر الاصحاب وأولى الابصار والالباب كيف خفى عليكم ولم يتضح لديكم عاقبة هذه الامور وما فيها من عكوس وشرور وهل يصلح للرياسه واقامة السلطنة والسياسه أهل النذالة والخساسه المتصف بالقذارة والنجاسه أوما علمتم أن من أخش السباب الشتم باخس من الكلاب أوما سمعتم فى كلام مالك أزمة القلب فى حق من عامله بالسلخ والسلب فمثله كمثل الكلب أوما قال صاحب الشرع فى حق ما ولغ فيه الكلب بالسبع ثم التعفير بالتراب وهو مذهب كثير من الاصحاب وان لا يطهر بالدباغه منه الاهاب لا أصلى نقى ولا وصف تقى ولا نسب طاهر ولا حسب ظاهر ولا وجه زاهر ولا شكل باهر فان كنتم ناعين انتبهوا واعرضوا عما قصدتم اليه وانتهوا فلعن الله زمانا صار فيه التيس وزيرا والكلب سلطانا ولقد أرشد من أنشد

لقد جار صرف الدهر فى كل جانب * من الارض واستولت علينا الاراذل
هل المسخ الا أن ترى العرف منكرا * أو الخسف الا حين تعلو الاسافل

فتصدى الهديل للجواب وقال لا شك ولا ارتياب أن المستحق للسلطنة الامام العادل والشخص الكامل الفاضل ولا يقدح فى هذا الفصل دناءة الاصل فقد قال القيوم الحى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وكل من اتصف بالهمة العليه والاوصاف السنيه ومكارم الاخلاق والشيم وانتشر بها صيته بين الامم يستحق أن يرأس بين العرب والعجم وأما الانساب ففى نص الكتاب قال من بقوله يهتدى المهتدون فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * فسوف يغنيك ذاعن النسب
ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وقال أيضا

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه * على ما تجلى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

وأما الاوصاف فلا شك ولا خلاف فى أن الكلاب فضلت على كثير ممن لبس الثياب وما ذاك الا لاوصاف اختصتها وآثار اقتفتها واقتنصتها وهى مشهوره وعن الكلاب مسطوره ومن جملة محاسنهم مأثوره وأما الاوصاف الذميمه فيمكن صيرورتها مستقيمه وذلك بحسن التأديب والتربية والتهذيب والتمرين والتشذيب حتى يصير ذلك دأبه مديه وهذا ليس فيه ريبه ويجتزى بالفاكهة والبطيخ عن اللحم السليخ وبالخبز الشعير عن أكل لحم الجير وناهيك بأبا وثاب ما قيل فى الكلاب ولابسى الثياب (شعر)

وناضر أهل الكهف ايمان كلبهم * ولكنهم زادوا يقينا على هدى
وماذا أفاد العلم بلعام وهو من * بنى آدم لما الى الارض أخلدا

وهذا السلطان قد عاهد الرحمن ان لا يمزق حيوان ولا يذوق لسان وأن يقنع بالكفاف ويسلك طريق العفاف وما ذاك لعجز ينسب اليه ولا لوهن طرأ عليه بل سمت همته عن ذلك ترفعا وسلك طريق الملوك فى احياء هممها ومعالبها تطبعا * وبضدها تتبين الاشياء فان أجبتم كان لكم الحظ الاوفر وان امتنعتم فقد أعذر من أنذر وبلغ من حذر وما قصر من بصر والعاقل من يتبصر عيوبه ويسلك من الخلق الجميل دروبه وقد قيل لامير النحل ذاك الاسد الفحل كرم الله وجهه وجعل له الى الرضوان أحسن وجهه يا أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين ممن تعلمت الادب قال من قليل الادب يعنى اذا رأيت فى أحد خلقا ذميما أو وصفا فاسد بادرت الى انتقاد نفسى وتأملت فى حدسى وحسى هل أنا متحلى بذلك الوصف أم لا فان لم يكن اجتهدت أن لا يكون وان كان أبعدته عرضى وأصون وحسبك باذا الرتبة العاليه استنكاف اللص العاقل من قول تلك الزانيه فقالت الخرز للحمامه أخبرنى بذلك الاستنكاف ياذات الكرامه * قالت الحمامة ذكر رواة الاخبار عن شاطر من الشطار قد بلغ فى الشطاره واللصوصية غاية المهاره يسرق الوهم من الخاطر والرائحة من الطيب العاطر

قال الجرذ ليس بينى وبينك تواصل وانما العاقل ينبغى له أن يلتمس ما يجد اليه سبيلا ويترك التماس ما ليس اليه سبيل فانا أنت الآكل وانا طعام لك قال الغراب ان أكلى اياك وان كنت لى طعاما مما لا يغنى شيأ وان مودتك آنس لى مما ذكرت ولست بحقيق اذا جئت أطلب مودتك أن تردنى خائبا فانه قد ظهر لى منك من حسن الخلق ما رغبنى فيك وان لم تكن تلتمس اظهار ذلك فان العاقل لا يخفى فضله وان هو اخفاه كالمسك الذى يكتم ثم لا يمنعه ذلك من النشر الطيب والارج الفائح قال الجرذ ان أشد العداوة عداوة الجوهر وهى عداوتان منها ما هو متكافئ كعداوة الفيل والاسد فانه ربما قتل الاسد الفيل أو الفيل الاسد ومنها ما قوته من أحد الجانبين على الآخر كعداوة ما بينى وبين السنور وبينى وبينك فان العداوة التى بيننا ليست تضرك وانما ضررها عائد على فان الماء لو أطيل اسخانه لم يمنعه ذلك من اطفائه النار اذا صب عليها وانما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها فى كمه والعاقل لا يستأنس الى العدو الاريب قال الغراب قد فهمت ما تقول وأنت خليق ان تأخذ بفضل خليقتك وتعرف صدق مقالتى ولا تصعب على الامر بقولك ليس الى التواصل بيننا سبيل فان العقلاء الكرام لا يبتغون على معروف جزاء والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطىء انقطاعها ومثل ذلك مثل الكوز

والنوم من أجفان الوسنان والماطة من أسنان الجيعان ويأتي على كوامن الغيوب فضلا عن خزائن الجيوب ويلف الرخيص والغالي والوضيع والعالي وقد أعجز المقدم والوالي ففي بعض الاوقات قصد جهة من الجهات فبيناهو في المناهضة والمناهزة غشيه الوالي مع العسس والجلاوزة ومعهم امرأة بغي قد خرجت عن الصراط السوي وهم يضربونها وعلى أفظع حالة يسحبونها وهي تستصرخ المسلمين وتستغيث أئمة الدين فلما أحس اللص بهم نكب عن دربهم وولاهم عطفه وانزوى في عطفه وانتظر حتى عبروا فسمع المرأة وهم بها قد أضروا وهي تصيح وتقول بلسان فصيح يا أهل الاسلام وأمة خير الانام أنجدوني وارحموني واسعدوني لا سرقت ولا نقبت ولا اختلست ولا سلبت ولا طمعت في مال أحد ولا نهبت ولا وقفت لأحد في درب وانما استنفق من حاصل دار الضرب وذلك ملكي وحوزي وثمرة لوزي وجوزي باشارة سهم الحاظي الملوزة من قسي حواجب بالجمال متوزة وسفارة نظام الفاظي المعززة المشبه بابطر بقهادر رافي العقيق والرقيق مغرزة فمالي على أحد ثقل ولا طمعت في مال أحد فحصل له مني ملل فلما سمع قاصدا لحرام هذا الكلام أفاق وصفا خاطره وراق وتنبه لقبح صنعته وان الزواني تانف من حرفته وتستنكف مماهو مفتخر بفضيلته فقال لعن الله فعلا تنتقصه الخواطي وتبا وسحقا لتعاطيه من متعاطي ثم عاهد الله التواب ورجع اليه عن صنعة الحرام وتاب (وانما أوردت) هذه المناقب يا شيخ الارانب لتعلم أن العاقل من يتصفح جرائد أعماله ويتأمل صحائف حركاته وأحواله وان هذا الملك صفي شراب صفاته من كدورات الهوى براووق المراقبه ونقى رياض ذاته من شوك الاخلاق الذميمه بمنكاش المعاتبه بقدر طاقته وامكانه وهو مثابر على ذلك في غالب ازمانه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وليس لك أن تعترض بان النفس لا تغير طبعها وليس الاكمه كالارمد ولا السطيح كالمقعد ولا صحبان كباقل ولا العاقل كالمتعاقل * ليس التكحل في العينين كالكحل * وتخرج يا مسكين بواقعة السلطان محمود بن سبكتكين مع وزيره حسن الميمندي بسبب القضية الواقعة لابن الجندي فسأل أبو عكرشة أبا عكرمه عن هذه الواقعه ليتبين من التمثيل مواقعه (فقال) ان السلطان محمود ذا الطالع المسعود الذي فتح بلاد الهنود جرى بينه وبين وزيره مباحثه وقع فيها عن دقيق العلوم منابثه في أن الطباع هل تقبل التغيير أم لا تستحيل عما جبلها عليه الفاطر الخبير فقال الوزير نعم تقبل التغيير بواسطة التأديب وحسن التشذيب والتهذيب وقد شاهدنا الطباع من الوحوش والسباع بواسطة التعليم تركت الخلق الذميم واكتسبت الوصف المستقيم فجريان هذا الامكان أحرى ان يوجد في جنس الانسان فقال السلطان المظفر لا تحول الطباع ولا تتغير ولا يمكن صرفها عما جبلت عليه ولا يتصور قال من ليس في كلامه اشتباه فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وقال القائل * وتابى الطباع على الناقل * واستمر هذا الكلام بينهما مدة أيام الى أن ركب السلطان وقصد السيران والوزير في ركابه بين خدمه وأصحابه فرأيا من بعد شابا من أولاد أحد الجند وهو جالس على فرع شجرة يابس يريد قطعه لما عدم نفعه وقد جعل ظهره الى طرف الفرع وهو يعمل بالمنشار في أصله للقطع فتأمل السلطان والوزير في هيئة ذلك الظبي الغرير ثم قال السلطان للوزير بين الاعيان وطبع هذا أيضا داخل في الامكان وهو يقبل التغيير والتعليم ويمكن استحالته بالتأديب والتفهيم فلم يحر الوزير جوابا لا خطأ ولا صوابا ثم أشار الى بعض خوله ان يذهب بذلك الشاب الى منزله فلما نزل من الركوب أحضر ذلك الشاب المرعوب الغافل المحبوب ثم طلب له مؤدبا حاذقا مهذبا وأمره أن يجتهد في تعليمه ويبالغ في تأديبه وتقويمه ويوقفه من العلوم على دقائقها ويسلك به الى خفايا طرقها وطرائقها فاشتغل بتربيته ليلا ونهارا وبذل مجهوده في ذلك سرا وجهارا الى أن برع في أنواع العلوم وضبطها من طريقي المنطوق والمفهوم ولما فرغ من العلوم أدناها وأنهاها من مبتدئها الى منتهاها شرع به في علم ادريس وهو علم النجوم النفيس واستطرد منه الى علم الرمل المنير وتوسل به

اتصالها ومثل ذلك مثل الكوز الفخار سريع الانكسار ينكسر من أدنى عيب ولا وصل له أبدا والكريم يود الكريم واللئيم لا يود أحدا الا عن رغبة أو رهبة وأنا الى ودك ومعروفك محتاج لانك كريم وأنا ملازم لبابك غير ذائق طعاما حتى تؤاخيني قال الجرذ قد قبلت اخاءك فاني لم أرد أحدا عن حاجة قط وانما بدأتك بما بدأتك به ارادة التوثق لنفسي فان أنت غدرت بي لم تقل اني وجدت الجرذ سريع الانخداع ثم خرج من جحره فوقف عند الباب فقال له الغراب ما يمنعك من الخروج الي والاستئناس بي فهل في نفسك بعد ذلك مني ريبة قال الجرذ ان أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون عليهما وهي ذات النفس وذات اليد فالمتباذلون ذات النفس هم الاصفياء وأما المتباذلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فانما مثله فيما يبذل ويعطي كمثل الصياد والقائه الحب للطير لا يريد بذلك نفع الطير وانما يريد نفع نفسه فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد واني ونقت منك بذات نفسك وسمحت لك من نفسي بمثل ذلك وليس يمنعني من الخروج اليك سوء ظن بك ولكن

الى أن توصل الى اخراج الضمير فأتقن هذه العلوم لاسيما اخراج الضمير الموهوم فلما أتقن ذلك وسلك فيه أدق المسالك أحسن الوزير اليه واستصحبه الى الملك ودخل به عليه فقبل الارض وأدى من شرائط الخدمة النافلة والفرض وقال للسلطان محمود انه هذا هو ذلك الشاب المعهود وقد برع فى العلوم ووصل الى استخراج الضمير المكتوم وقد بدلت بلادته بالذكاء وصار فؤاده كابن ذكاء فان اقتضت الآراء السلطانية سبرته واعتبرت فهمه بعدما اختبرته فادخل السلطان يده فى كمه ونزع خاتمه من بصمه وأطبق يده عليه ليسبر منتهى علمه وينظر ماقاله الوزير فى كيفية هذا التبديل والتغيير ثم أخرج يده من كمه وقال ليظهر نتائج علمه ليخبرنا بما فى كفى وعن حواس العيون يخفى فتقدم الشاب ورفع الاصطرلاب ووضع أوضاع الحساب وخط ذلك النسق اشكال الحيان والنقى وسائر الاوضاع من الطرق والاجتماع ثم نظر وسبر وعبس وبسر وقدر وافتكر وقال دل الشكل والله أعلم ان ماحواه الكف المكرم شئ من المعادن محفوف بسود ذا وسواد بائن وهو فى أفضل الاشكال لانه مستدير وفى أحسن الالوان لانه مستنير وفى دائرته قطر ومركز وفى وسطه ثقب لغرز وهو ثقيل امافى الثمن أوفى التحميل ثم تامل بعد الوقوف فى ان هذا الموصوف ماذا يكون فقال كان والله أعلم فردة طاحون فضحك السلطان الكبير وخجل لذلك الوزير ثم قال السلطان أبى الله وله السبحان أن يكون باقل كسحبان

اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع أدب الاديب

(وانما أوردت) هذه المسائل لئلا يعترض قائل ويستدل بمثل هذا الدليل على ان الطباع لاتقبل التغيير والتحويل بل الطباع تتغير * ومن ذا الذى ياعز لايتغير * فسبحان من لايحول ولا يزول الذى وضع عالم الكون على الانتقال والحلول وكل لجلال عظمته مخبت يمحو ماأراد ويثبت ويمحو مايشاء ويثبت ومذهب أهل الثبات فى المحو والاثبات ان الكافر قبل الاسلام كافر عند الملك العلام وبعد ماانخرط فى سلك المؤمنين صار مؤمنا عند رب العالمين وعلى هذا التقدير والتقرير أيها الفاضل الكبير والعالم النحرير فالملك يسار نظر بعين الاعتبار وتنصل من رذائل الاوصاف وتخلق باخلاق الاشراف من التلبس بالعدل والانصاف ولولا نيته الصالحه ماصارت صفقته فى المبايعة رابحه ولا كانت كفة فضله راجحه ولا زايله النكد ولا أطاعه أحد والاعمال بالنيات وعلى مقدار النيات العطيات وجنس هذا الملك فى الاوصاف المتباينة مشترك فانه قد جمع بين خصائص الحيوان حتى كانه سبع بهيمة انسان كما قيل

جمع الكلب فى حلاه صفات * فهو سبع بهيمة انسان

وكما قيل أيضا

يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا * يكلمه من حبه وهو أعجم

وأنا يا موالى أعرض عليكم هذا الرأى وهو شاهد عدل وحكم فصل وهو ان يقع الاتفاق على واحد منكم من خلص الرفاق من تحققتم حسن آرائه وصدقه فى أنبائه وصحة دينه ورصانة عقله ويقينه فانطلق فى ركابه الى حضرة الملك وجنابه فيكتحل بانوار طلعته ويشمله ميامن رؤيته ويطالع جميل صفاته ليسكن الى فضيل حركاته وينتقل من علم اليقين الى عين اليقين فيزول باليقين الشك ويظهر خلاصة الذهب بالحك ثم ياخذ لكم العهد والميثاق بما يقع عليه الاتفاق وما ترضونه وترونه من الصواب ويرد عليكم بذلك الجواب فان وافق قصدكم توكدون عليه عهدكم وتتوجهون بقلوب مطمئنه وخواطر فى حصول المرام مستكنه والا فترون رأيكم فيما عليكم ومالكم فاستصوبوا هذا الرأى واسترضوه واستعذبوا لطيف معناه واستحسنوه وانتدبوا لهذا الامر الخطير من يصلح أن يكون عند الملوك السفير فوجدوا اطيبا طيب العناصر قد عقدت على غزارة فضله الخناصر من أعقل الجماعة وأذكاها وأحسنها رأيا وأدهاها فقلدوه الزعامه وأرسلوه مع الحمامه على ان يجتمع بالملك يسار ويعاهده على مايقع عليه الاختيار ثم يسمع أقواله ويشاهد أفعاله ويميز أحواله ثم يرد عليهم

قد عرفت ان لك أصحابا جوهرهم كجوهرك وليس رأيهم فى كرأيك قال الغراب ان من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا وليس لى بصاحب ولا صديق من لا يكون لك محبا وانه يهون على قطيعة من كان كذلك من جوهرى ثم ان الجرذ خرج الى الغراب فتصافحا وتصافيا وأنس كل واحد منهما بصاحبه حتى اذا مضت لهم أيام قال الغراب للجرذ ان جحرك قريب من طريق الناس وأخاف ان يرميك بعض الصبيان بحجر ولى مكان فى عزلة ولى فيه صديق من السلاحف وهو مخصب من السمك ونحن واجدون هناك مانا كل فاريد ان أنطلق بك الى هنالك لنعيش آمنين قال الجرذ ان لى أخبارا وقصصا سأقصها عليك اذا انتهينا حيث تريد فافعل ما تشاء فاخذ الغراب بذنب الجرذ وطار به حتى بلغ به حيث أراد فلما دنا من العين التى فيها السلحفاة بصرت السلحفاة بغراب ومعه جرذ فذعرت منه ولم تعلم انه صاحبها فناداها فخرجت اليه وسألته من أين أقبلت فأخبرها بقصته حين تبع الحمام وما كان من أمره وأمر الجرذ حتى انتهى اليها فلما سمعت السلحفاة شان الجرذ عجبت من عقله ووفائه ورحبت به وقالت له ما ساقك الى هذه الارض قال الغراب للجرذ اقصص على الاخبار التى زعمت أنك تحدثنى بها فاخبرنى بجوامع جواب ماسالت السلحفاة فانها عندك

الجواب فميزوا ما فيه من خطا وصواب فيبنوا عليه و يرجعوا اليه فتوجه الظبي والحمامه مستصحبين الامن والسلامه فلما قربت الديار سبقت الحمامة الى خدمة الملك يسار وأخبرته بصورة الاخبار وان الظبي في العقب مقبل بما يحبه الملك ويجب فامر الملك الوزير أن يتلقى الظبي الغرير مع جمع الطير الكثير فتقدم الوزير وقال أسأل مولانا الملك المفضال ان صدر من هذا القاصد خطاب أن يشار الى برد الجواب فان ذلك أعلى للحرمه وأدنى للعشمه وأقوى لناموس الملك والرياسه وأزهى لطاوس النسوق والسياسه فان كان ذلك الجواب متحليا جيده بعقود الصواب كانت سعادة الملك الملهمه وفي خدم الملك من تصدى للامر وأبرمه فان خرج عن طريق الجاده فلا ينسب الى الملك تلك المباده بل يتلقاه الملك بكرمه ويكون الخطأ منسوبا الى خدمه فاجابه الى ما سأل وتقدم الوزير للملاقاة مع سائر الخول فتلقوا الظبي بالترحاب وفتحوا في وجهه للكرامة أوسع باب ومشوا معه حتى وصل الى الحضره وشاهد تلك الحشمة والنضره فقبل الارض ووقف وعرف مقدار الملك واعترف وأدى الرساله وبين للملك ما فيها من رقة وجلاله فقابله الملك بما يليق بحشمته وأجلسه بالقرب من حضرته وخاطبه بما أذهب دهشته وآنسه بملاطفات جلت وحشته وساله عمن خلف وراءه واستقصى في التفحص أحواله وأنباءه فبلغ عبوديتهم وطاعتهم وان الاخلاص والطاعة شملت جماعتهم وفتح فم الدعاء بلسان ذلق وخطاب طلق وكلام غير معقد ولا قلق وأطال في الدعاء وأطنب في الشكر والثناء وسأل شمول المراحم وكف كف المتعدي والمزاحم فانهم انبسطوا وانشرحوا وابتهجوا باستيلاء هذا الملك وفرحوا وشكروا الله هذه النعمه وأنى يفون بشروط العبودية والخدمه ثم سأل أخذ الميثاق وتأكيد العهد بالايثاق بالامان والاطمئنان لمن وراءه من الوحوش والغزلان فأعطاهم الامان وشملهم بالاحسان على أن لا يراق لهم دم ولا يهتك لهم حرم وانهم يرعون حيث شاؤا ويسرحون حيث ذهبوا وجاؤا وان الملك يسار حاكم سلوق وزغار وخليفة براق وكوبال والتتار قد عاهد الملك الجبار أن لا يتعرض لوحش القفار ولا لاحد من أجناس الاطيار حتى ولا لحيتان البحار ولا يريق لهم دما ولا يقصد لهم أذى ولا ألما ويرعى جانبهم ويقضي مآربهم ويحفظ شاهدهم وغائبهم ويمنعهم من مناويهم ولا يسلط عليهم من يؤذيهم ما داموا تحت طاعتي وفي جواري وذمتي فقبلت الغزاله بشفاه العبودية خد الجلاله وقالت هذا كان المأمول وجل القصد من الصدقات والمسؤل والذي يجيء لاجله فقد حصل من صدقات الملك وفضله ولكن العلم العالي محيط بان وحوش البسيط أقوام ضعاف ليس بينهم ائتلاف وهم طوائف كثير والاختلاف أجناس متفرقه وأنواع متمزقه ليسوا كقطائع الغنم مجتمعين ولا كعشار الخيل ممتنعين ولا بعضهم لبعض متبعين ثم لم تزل العداوة بينهم قائمه وعيون الصلح والاتفاق عنهم نائمه لا يضبطهم ديوان ولا يحصرهم حسبان ولا يمنعهم من التعدي سلطان القوي يكسر الضعيف ويمزقه والشاكي يستطيل على الاعزل ويفرقه ولاجل هذا المعنى لا يمكن اجتماعهم في مغنى بل البعض في قلل الجبال متوطن والبعض في سرب التلال متحصن والبعض متشبث بذيل الكهوف والمغارات والبعض في الآجام والآكام خوف الغارات وكل يخاف حلول البلاء قد اتخذ لذلك القاصعاء والنافقاء واستعد بفنون الكيد خوفا من جوارح الصيد واذا كان الامر كذلك فاجتماعنا متعسر وحفظنا في الملك غير متيسر فلا بد من ترتيب قاعده تعم منها جميع الوحوش الفائده ويشمل أمنها غائب الملك وشاهده والا فالحاضر آمن وقلب الغائب غير مطمئن ولا ساكن فليفتكر للرعية في ضابطه تكون الحرمة فيها للقريب والنائي باسطه فالتفت الملك للوزير وقال أجب هذا السفير فقال الزنيم يا أحسن زيم هذه الافكار من قصور الانظار وعدم التأمل والاستبصار والا فان السلطان في كل مكان كلمته عليا ووجوده كالشمس في الدنيا فكما أن الشمس اذا استوت وعلى سرير كبد السماء احتوت عم فيض شعاعها الجبال والآكام والتلال والآجام وانتشر على البحر والبر واشتهر على الفاجر والبر فربت الازهار والاثمار

بمنزلتي فبدأ الجرذ وقال كان منزلي أول أمري بمدينة ماروت في بيت رجل ناسك وكان خاليا من الاهل والعيال وكان يؤتى في كل يوم بسلة من الطعام فيأكل منها حاجته ويعلق الباقي وكنت أرصد الناسك حتى يخرج وأثب الى السلة فلا أدع فيها طعاما الا أكلته وأرمي به الى الجرذان فجهد الناسك مرارا أن يعلق السلة مكانا لا أناله فلم يقدر على ذلك حتى نزل به ذات ليلة ضيف فأكلا جميعا ثم أخذا في الحديث فقال الناسك للضيف من أي أرض أقبلت وأين تريد الآن وكان الرجل قد جاب الآفاق ورأى عجائب فأنشأ يحدث الناسك عما وطئ من البلاد ورأى من العجائب وجعل الناسك خلال ذلك يصفق بيديه لينفرني عن السلة فغضب الضيف وقال أنا أحدثك وأنت تهزأ بحديثي فما حملك على ان سألتني فاعتذر اليه الناسك وقال انما أصفق بيدي لانفر جرذا قد تحيرت في أمره ولست أضع في البيت شيئا الا وأكله فقال الضيف جرذ واحد يفعل ذلك أم جرذان كثيرة فقال الناسك جرذان البيت كثير لكن فيها جرذ واحد هو الذي غلبني فما أستطيع له حيلة قال الضيف لقد ذكرتني قول الذي قال لامر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور فقال الناسك وكيف كان ذلك قال الضيف نزلت مرة على رجل بمكان كذا فتعشينا ثم فرش لي وانقلب الرجل على فراشه مع زوجته وبيني وبينهما

وشيث

وشبت مشاعل الكلاف القفار وطمت الغلال وفواكه الاشجار وصبغت في كوامن المعادن جواهر الاحجار كما قيل

كالشمس في كبد السماء محلها * وشعاعها في سائر الآفاق

كذلك الملك العظيم اذا انتشر صيت عظمته وعدله في سائر الاقاليم شمل فضله الشريف والوضيع وبلغ جود جوده الدني والرفيع وردع عدله الطائع والعاصي ووسع نواله الداني والقاصي وأنه كالغمام الصيب الصبيب على الربيع الخصيب والديمة المطبقه والمزنة المغدقه اذا انتشرت في الآفاق وصارت لام عهد عاهدها الاستغراق فروت الحضيض والبقاع وعمت الوهاد والتلال والبقاع وخاطبها ظمآن الرياض وعطشان الغياض شعر

أمطر على سحاب جودك مرة * وانظر الى برحمة لا أغرق

هذا ومتى انتشر في الاطراف انكم التجأتم الى هذه الاكناف وتطرز بشمول الصدقات السلطانية من ملابس طاعتكم الطراف والاطراف منعت العواطف الملوكيه والخواطر الشريفة السلطانيه عوادي المغادي وكفت أكف المصادم والمصادي فلا يجترئ أحد على التعرض لكم ولا يخطر ببال مخالف أن يقطع سبلكم قال الرسول الامر كما يقول مولانا الامير وما أحسن هذا التقرير ولكن مع المراحم السلطانية وصدقات العواطف الملوكيه وحسن الطويه واحسان النيه فلا بد للسياسه وضبط الرياسه وقواعد الملك في الحراسه من ضابط يبنى عليه الملك لامره أساسه لا يتميز به كبير دون صغير ولا يختص برعايته جليل غير حقير فان من أحسن أوصاف الملوك والاكابر أن لا يغفلوا عن تفقد أحوال الصعاليك والاصاغر ولا يقتصر وافي ذلك على نوع دون جنس كما يفعله لغلبة الهوى بعض حكام الانس مع أنهم مسؤلون عن جليلها وحقيرها ومحاسبون على كبيرها وصغيرها وفي شانهم قد قال من في ضبط حركاتهم وملكاتهم استقصاها ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وقد تنبه لهذا الفعل الرجيح أيها الوزير النصيح والمنطق الفصيح أنوشروان وهو من الكفار واشتهر عنه قضية الحمار فسال الوزير بيان هذا التقرير (فقال) الوزير بلغنا أيها الكريم ان أنوشروان بالغ في نشر العدل والاحسان ومعاملة الرعية كبيرا وصغيرا بالسويه وبذل في ذلك جهده واستنهض لمساعدته وكده واختشى أن يمنع المتظلم الفقير الابواب بسبب حاجب أو كبير لغرض أو عرض أو ارتشاء من في قلبه مرض فيمشي مدلس البراطيل من خوف الاباطيل ويضيع بحث صارخ الحق في أوقات التعطيل فاداه قائد اجتهاده وانتهى به رائد مراده الى أن يعقد في طاق مبيته ومجتمع خاطره عن تشتيته من محاذي السرير حبلا من الحرير ويربط طرفه الادنى في حلقة الباب حيث لا حاجب ولا بواب وهو مكان مجتمع الجمهور ولا يمنع أحد فيه من الوقوف والمرور وأن يشد فيه أجراس من خالص الذهب لا النحاس بحيث انه اذا حرك الحبل صوتت الاجراس صوتا أخرس الطبل ثم أمر مناديا أن يرفع صوتا عاليا بان من كان شاكيا فعليه بتحريك ذلك الحبل ليقع الظالم في الكبل أو ينتصر المظلوم من بعد ومن قبل فاشتهرت هذه العاده ونال بها في الدنيا السعاده وعظم صيته وخمدت عفاريته وانتصفت صفاريته ففي بعض الظهائر عند قائلة الهواجر وأنوشروان في مبيته قد طاب اضطربت الحبل والاجراس أشد اضطراب ففز أنوشروان مذعورا وتصور المحرك مظلوما مقهورا فابتدر بطلبه لينظر في ظلمه وسببه فتبادروا الى احضاره واستكشاف أخباره واذا هو حمار جرب جنب جسمه من الجرب خرب ومتن ظهره من الحكة نقب وقد هد عمارة عمره هادم الهرم وألهب حشيش حشاشته من الجوع ماضي الضرم يحمله صاحبه ما لا يطيقه ويقطع عنه قوته وعليقه يؤذيه ولا يداويه ويدور به ولا يداريه فطلب مالكه وعتبه ثم زجره وضربه ثم أمر بالنداء في الاسواق وامتد ذلك حتى بلغ الآفاق وعم الضواحي والرزداق أن يسلك بما ملكت اليمين الارفاق ولا يقتر عليها في الانفاق وكل من عنده دابة قد استعملها في صباها واستوفى في خدمته قواها يراعي حقوقها اذا كبرت ولا يضيع ما قدمت بما أخرت وسلك وجه

خص من قصب فسمعت الرجل يقول في آخر الليل لامرأته اني أريد ان ادعو غدا رهطا اليا كلوا عندنا فاصنعي لهم طعاما فقالت المرأة كيف تدعو الناس الى طعامك وليس في بيتك فضل عن عيالك وأنت رجل لا تبقي شيأ ولا تدخره قال الرجل لا تندمي على شئ أطعمناه وأنفقناه فان الجمع والادخار ربما كانت عاقبته كعاقبة الذئب قالت المرأة وكيف كان ذلك (قال) الرجل زعموا انه خرج ذات يوم رجل قانص ومعه قوسه ونشابه فلم يجاوز غير بعيد حتى رمى ظبيا فحمله ورجع طالبا منزله فاعترضه خنزير بري فرماه بنشابة نفذت فيه فأدركه الخنزير وضربه بانيابه ضربة أطارت من يده القوس ووقعا ميتين فاتى عليهم ذئب فقال هذا الرجل والظبي والخنزير يكفيني أكلهم مدة ولكن أبدأ بهذا الوتر فآكله فيكون قوت يومي فعالج الوتر حتى قطعه فلما انقطع طارت سية القوس فضربت حلقه فمات وانما ضربت لك هذا المثل لتعلمي ان الجمع والادخار وخيم العاقبة فقالت المرأة نعم ما قلت وعندنا من الارز والسمسم ما يكفي ستة أنفار أو سبعة فانا غادية على اصطناع الطعام فادع من أحببت وأخذت المرأة حين أصبحت سمسما فقشرته وبسطته في الشمس ليجف وقالت لغلام لهما اطرد عنه الطير والكلاب وتفرغت المرأة لصنعها وتغافل الغلام عن السمسم فجاء كلب فعاث فيه فاستقذرته المرأة وكرهت أن تصنع منه طعاما فذهبت به

ذلك الرجل صكا وكتب عليه بفرض جماره صكا (وانما ذكرت) هذا المثال في معرض ما يقال من أن عدل السلطان خير من خصب الزمان وأيضا ان قصد الملك اذا كان صالحا كان أمره في جميع الازمان ناجحا وسخر الله له من يرشده الى قصده ويعينه على أمور شعائره ويحيي ذكره من بعده وتدر على يده سحائب البركات ويجري منها على من قصده أبحر الخيرات وحفظ كل من اليه ينتسب ورزقه كل ذلك من حيث لا يحتسب وحاصل هذه المقدمه ان المسؤل من الصدقات المعظمه انه اذا ترامى على أبواب عدلها شاكي أو تعلق بأسباب معدلتها متظلم باكي تتصدى هي بنفسها لكشف ظلامته ولا تترك الغير في فصلها لاقامته وان الفقير من جماعتنا والضعيف من أهل طاعتنا اذا مست الحاجة به الى بث شكوى أو رفع بلوى يتقدم الى شكواه بلا واسطه ليأمن في أمره المغالطه ويصادف مقسطه لا قاسطه ويتساوى في كل من مشرب العدل والانصاف ومراعي الفضل والالطاف الظباء والاسود والذئب والعتود والعقاب والعصفور والحمام والصقور ولا يتقدم في الدعاوى من حيث التساوي الوجيه على الجاهل ولا النبيه على الخامل ولا الكبير على الصغير ولا الجليل على الحقير فان اقتضت الآراء العاليه تولية عامل في ناحيه فليكن ممن له شفقة تامه ورحمة في أمر الرعية عامة ويعرف ذلك بتجربته العلوم الكريمه وتحققت ان نيته في رعاية الرعية مستقيمه قد صارت له الشفقة ملكه وكل من العدل والانصاف قد ملكه ولا تولي أحد الغرض أو من في قلبه من أذى المساكين مرض وان الطبيعة اذا اعتادت عاده والسجية اذا جعلت لها بعض الاوصاف قلاده سواء كان ذلك مذموما أو محمودا مقبولا عند العقل والشرع أو مردودا فانها تبرزه في غالب الاوقات ولا تتخلف عن ملابسته في أكثر الحالات (شعر)

العين تعرف من عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

وكل قضية لا يساعدها القلب فمنتهاها على العكس والقلب ونظيرها يا رئيس المداره قضية من زوجته أمه وهو كاره فسأل الوزير من السفير تقرير هذا النظير (فقال) كان شاب من العراب قصدت أمه تأهله فزوجته بامرأة أرملة ولم يكن له احتياج ولا رغبة في الزواج واختار التخلي للصلاة على مذهب الامام الشافعي رحمه الله ولكن فر من العقوق وكتب على نفسه الحقوق فلما عقدت الوليمه وصممت العزيمه وجمعت النساء والرجال أرسلت أمه الى جار لهم قوال أستاذ في صنعته ماهر في حرفته فدعته الى الجمع ليبتهج بحسن غنائه السمع فيشغل الوقت ويذهب المقت ويحصل للحضور النشاط والسرور فتخلف وأبى عن الحضور نبا فسئل عن تصلفه وسبب تخلفه فقال بلغني ان الزوج الخاطب غير طالب ولا راغب واذا كان كذلك فلا يغني الغناء الا العناء ولا يؤثر في القلوب والاسماع بل تنفر عند سماعه الطباع فكل شئ لا يصدر عن رغبة القلب فان ايجابه لا يفيد الا السلب فيضحك على القائم والقاعد ويسخر من الصادر والوارد ويروح تغزلي في البارد وانما ذكرت ذلك لاعرض على آراء المالك انه اذا أولج أمر الرعيه الى أحد من الحاكميه ينظر الى شفقته ويسير وفور رحمته ثم توليه عليهم ويتقدم بالطاعة اليهم فيستقيم اذ ذاك فعلهم وفعله ويظهر في حركاته وسكناته عدله وليس العدل في القضايا تساويها ولا اجراؤها على نسق واحد يحتويها بل معرفة مقاديرها وبيان تقريرها في المبادي وتحريرها ثم اجراؤها على مقتضى مدلولها ورد فروع كل مسئلة الى أصولها ووضع الاشياء في محلها وايصال الحقوق الى أهلها ومعرفة منازل أربابها وأوضاع أصحابها ومراتب طلابها فمن لم يحقق هذه الامور أضاع مصالح الجمهور فاعطى غير المحق ما لا يستحق ومنع الحق عن المستحق وقد قيل يا أبا السعود ان حقيقة الجود اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي والا كان كالباذر في السباخ وأشبه في أمره أجير الطباخ الذي لم يعرف معنى العدل فقصده فوقع في الجدل فسأل الغزال الشيخ الاوعال عن هذا المثال (فقال) كان عند بعض الاشياخ من الطباخين أجير طباخ له رغبة منهمه على معرفة طبخ الاطعمه وكيفية ترتيبها وصنعة تركيبها وكان مغرما بذلك يسلك فيه كل المسالك ويرد فيه الموارد ويتبع كل صادر ووارد ففي بعض الآناء وقف على طبيب من الاطباء

الى السوق فاخذت به مقابضة سمسما غير مقشور مثلا بمثل وأنا واقف في السوق فقال رجل لامر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور وكذلك قولي في هذا الجرذ الذي ذكرت أنه على غير علة ما يقدر على ما شكوت منه فالتمس لي فأسا لعلي أحتفر جحره فاطلع على بعض شانه فاستعار الناسك من بعض جيرانه فأسا فاتى به الضيف وأنا حينئذ في جحر غير جحري أسمع كلامهما وفي جحري كيس فيه مائة دينار لا أدري من وضعها فاحتفر الضيف حتى انتهى الى الدنانير فاخذها وقال للناسك ما كان هذا الجرذ يقوى على الوثوب حيث كان يثب الا بهذه الدنانير فان المال جعل له قوة وزيادة في الرأي والتمكن وسترى بعد هذا أنه لا يقدر على الوثوب حيث كان يثب فلما كان من الغد اجتمع الجرذان التي كانت معي فقالت قد أصابنا الجوع وأنت رجاؤنا فانطلقت ومعي الجرذان الى المكان الذي كنت أثب منه الى السلة فحاولت ذلك مرارا فلم أقدر عليه فاستبان للجرذان نقص حالي فسمعتهن يقلن انصرفن عنه ولا تطمعن فيما عنده فانا نرى له حالا لا نحسبه الا وقد احتاج الى من يعوله فتركنني ولحقن باعدائي وجفونني وأخذن في غيبتي عند من يعاديني ويحسدني فقلت في نفسي ما الاخوان ولا الاعوان ولا الاصدقاء الا بالمال ووجدت من لا مال له اذا أراد أمرا قعد به العدم عما يريده كالماء

فسمعه

فسمعه يقول ان أصلا من الاصول العدل والتسويه بين الاطعمة والاغذيه والعقاقير والادويه فمن لم يستعمل الاستوا فى درجات الغذاء والدوا ضل عمله وغوى وأصل هذا المزاج ولا ينكره الاذو لجاج فان العناصر الاربعه منها المضرة والمنفعه وقد تولد منها السوداء والبلغم والصفراء والدم فتى اعتدلت هذه المتولدات صحت الابدان واللذات ومتى عن الاعتدال عدلت أمرضت وقتلت وكذلك النير الاعظم والكوكب المضىء فى العالم اذا حل فى مركز الاعتدال استقام للعالم الحال وطاب الزمان واعتدل وذلك عند نزوله فى برج الحمل فتصور ذلك الولهان أن المقصود التسويه فى الاوزان فانصرف وهو فرحان وقصد طعام الزيرباج وهى من مفرداته ما يحتاج ثم انه ساوى بين أوزانها وقصد العدل فى ميزانها وخلط كعقله اخلاطها ووضعها فى قدر وساطها نخاب عمله فى عدله وبان نقصه فى فضله فلما رعى الملك والوزير ما سلكه السفير فى نظام هذا التقرير شكراله مساعيه وأخصبا فى الاكرام والاعزاز مراعيه وقالا جزاك الله خيرا عن شفقتك وحسن صنيعك لمرسليك ورفقتك فمثلك من يصلح للسفارة بين الملوك وتولى أمور الرعية من الغنى والصعلوك فانك ناصح لمن فوقك شفيق على من دونك ثم قال الوزير ان هذا الملك الكبير مقاصده العظيمه أن تكون الامور مستقيمه وأن يصلح العباد والبلاد ويطمئن المستفيد والمستفاد فاحتفظ أيها السفير المنير الضمير بما سمعت ورأيت وشاهدت ووعيت واجعله من عنوان أنبائك ومقدمات أفعالك وآرائك وأبلغه من يحفك من امامك وورائك ومهما وصلت اليه قدرتك واحاطت به يدك وكلمتك من ابلاغ الخير الى مسامع الوحش والطير عن هذا الملك وأوصافه وتطلعه الى مراقى السير والاحسان واستشرافه وما تسكن به الخواطر وتطمئن به الضمائر وتقر به العيون بالسرور وتستقر به القلوب فى الصدور فلا تأل فيه جهدا وأوسع فيه جدا ولا تنته فى انهائه حدا فان المجال واسع وميدان المقال شاسع وقد أذن لك فيه وان أخفيته فى نفسك فالله مبديه ثم كتب له بذلك مراسيم عن ثغر الامانى مباسيم وأفيض عليه خلع الكرامه وأضيف اليه الحمامه ورجع الى أهله مغمورا بفضله مسرورا بقوله مشكورا بفعله فائزا بالمطلوب ظافرا بكل مرغوب فارغ البال طيب الحال فاتصل بأهله فى دياره وهم فى انتظاره فبادروه بالسلام وقابلوه بالاستلام وقالوا ما وراءك يا عصام فبلغ الجواب بارشق عبارة وأليق خطاب وذكر لهم ما رأى وسمع ووعى فانتشرت هذه الاخبار حتى ملأت الاقطار وتسامع بها وحوش القفار وفاح بطيب نشرها الازهار فكان جميع البر معطار ثم اجتمع رؤساء الوحوش والبهائم رعرفاء الصوادح والبواغم وكل ساكن فى القفار من سائم وحائم وأرسل كل الى أمته رسوله يدعوها الى ما يحصل سولها وسوله فلبت كل أمة دعوة رسولها وأقبلت لاستماع المراسيم وقبولها فاجتمعوا فى رياض مرج أخضر وحلقوا لاستماع المراسيم حول المنبر وأطرقوا وسكتوا واستمعوا وأنصتوا وتناول المرسوم الصادح من البواغم وصعد على الغصن الناعم مطوق الحمائم وابتدأ باسم الكريم الغفور وقرأ على رؤس الاشهاد مضمون المنشور ودعاهم الى الطاعه والدخول فى سنن السنة والجماعه وأنهم لا يتأخرون عن الحضور بعد الاطلاع على مضمون المنشور فانه فرمان أمان لكل من أجناس الحيوان ولم يبق مقال لاختلاف ولا محال لمتأخر ومسوف كما قيل

فمن جاء ناطوعا أقمنا بعده * ومن يأب لا يعتب علينا فعالنا

الى آخر الرساله مع ما تحمله الرسول من مشافهة ومقاله ومن ملاطفات تشرح الصدر وتستنزل البدر وتوضح ما للملك من جلالة وقدر فتلقى الكل هذا الكلام بآذان القبول والاكرام واتفقوا على التأهب والمسير والاحتفال بالكبير والصغير وأخذوا فى تعبية التقادم والخدم وفرضوا ذلك على ما لكل من طوائف وحشم وتصدوا عن هذا المرسوم على أن يجتمعوا فى يوم معلوم ثم أعد كل عتاده وأكمل خدمته وزاده واجتمعوا لذلك اليوم الموعود وتوجهوا الى الخدمة فى الطالع المسعود ولما دخلوا الدرب وضربوا فى الارض أيمن ضرب توجهت الحمامة بالبطاقه بهذه البشارة والطلاقه فانتشر هذا

الذى يبقى فى الاودية من مطار الشتاء لا يجرى الى نهر ولا يجرى الى مكان فتشربه أرضه ووجدت من لا اخوان له لا أهل له ومن لا ولد له لا ذكر له ومن لا مال له لا عقل له ولا دنيا ولا آخرة له لان الرجل اذا افتقر قطعه قرائبه واخوانه فان الشجرة النابتة فى السباخ الماكولة من كل جانب كحال الفقير المحتاج الى ما فى أيدى الناس ووجدت الفقر رأس كل بلاء وجالبا الى صاحبه كل مقت ومعدن النميمة ووجدت الرجل اذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظن فيه حسنا فان أذنب غيره كان هو للتهمة موضعا وليس من خلة هى للغنى مدح الا وهى للفقير ذم فان كان شجاعا قيل أهوج وان كان جوادا سمى مبذرا وان كان حليما سمى ضعيفا وان كان وقورا سمى بليدا فالموت أهون من الحاجة التى تحوج صاحبها الى المسئلة ولاسيما مسئلة الاشحاء واللئام فان الكريم لو كلف أن يدخل يده فى فم الافعى فيخرج منه سما فيبتلعه كان ذلك أهون عليه واحب اليه من مسئلة البخيل اللئيم وقد كنت رأيت الضيف حين أخذ الدنانير فقاسمها الناسك فجعل الناسك نصيبه فى خريطة عند رأسه لما جن الليل فطمعت ان أصيب منها شيأ فارده الى جحرى ورجوت أن يزيد ذلك فى قوتى ويراجعنى بسببه بعض أصدقائى فانطلقت الى الناسك وهو نائم حتى انتهيت عند رأسه ووجدت الضيف يقظانا وبيده قضيب

الخبر وملأ البدو والحضر فلما وصل الطائر دقت البشائر وسرت الاهل والعشائر ثم ان الملك دعا الوزير وقال اعلم أيها الناصح الخبير والحبر النحرير ان الوحوش واصلة الى منزلك وبخفها وحافرها نازلة فى ساحاتك وان راية سلطاننا بعون الله بالنصر نشرت ووحوش الجنود والعساكر بحمد الله تعالى على بساط بسيط الطاعة حشرت وفى هذه الجيوش أصناف الوحوش وطوائف السباع وأنواع الذئاب والضباع وفيهم الفراعل والثعالب والعسابر والارانب ولاشك أن هيبة الملك صادعه وحومة السلطنة باسطة قارعه وحضرة السلطان ذات جلال وان كانت جامعة لصفتى الجلال والكمال وما عند كل أحد مسكة للملاقاه ولاثبات جنان عند المشاهدة للملك اذا رآه فمن لم يكن بيننا وبينه اجتماع فقد وقرت هيبتنا فى قلبه على السماع ومن تصدينا له فى ميادين الصيد وأفلت بعد معاناة الكد والكيد قد رأيته على العيان ولا يحتاج فى معرفة قوة سلطاننا الى ترجمان وعلى كل تقدير فشاهدتنا على غالبهم أمر عسير لانه ربما تذكر منهم متذكر أو يتفكر منهم متفكر واقعة سبقت أو سابقة وقعت انجرح فيها من نصل أنيابنا مفاصل عراقيبه أو تعلق بها من أشعاره وأوباره مشاطة جلابيبه ومن لم ينجه مناضباته ولم يكن سلاحه من كلاليب مخالبنا الا سلاحه فبمجرد ما يقع نظره علينا أو يمثل بالوقوف لدينا يرجف فؤاده وينفض من عيبة كرشه زاده فينكص من الخوف على عقبيه ولا يعرف أمره من حواليه فيتبعونه ويحصل الفشل ويقع الخباط والخلل فيبهم ما أوضحناه ويفسد أضعاف ما أصلحناه وينهدم من أول الامر الى آخره ما بنيناه ويتعوج من مستقيم السلطنة ما سوّيناه فلا يحصل من عزة المملكه الاعلى مثل ما حصل لابى الحصين من شيخ الديكه فقال الوزير ينعم مولانا الاجل بتقرير هذا المثل (قال الملك) سمعت مخبرا أنه كان فى بعض القرى للرئيس ديك حسن الخلق وديك مرت به التجارب وقرأ تواريخ المشارق والمغارب ومضى عليه من العمر سنون واطلع من حوادث الزمان على فنون وقاسى حلوه ومره وعانى حره وقره وقطع للثعالب شباك مصايد وتخلص لابن آوى من ورطات مكايد ورأى من الزمان وبنيه نوائب وشدائد وحفظ وقائع لبنات آوى وثعالب وطالع من كتب حيلها طلائع كتائب وأحكم من طرائقها عجائب وغرائب فاتفق له فى بعض الاحيان أنه وقف على بعض الجدران فنظر فى عطفيه وتأمل فى نقش برديه فرأى خيال تاجه العقيق ونظر الى خده الشقيق ونفض برائله المنقش وسراويله المنقش والثوب الذى رقمه نقاش القدرة من المقطع والمبرقش فأعجبته نفسه وأذن فاطر به حسه وتذكر ما قاله الاسعد المادح فى المعتصم بن صمادح وهو

كأن أنوشروان أعطاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا

سبى حلة الطاوس حسن لباسه * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

فصار يتيه ويتبختر ويتقصف ويتخطر فاستهواه التمشى سويعه حتى أبعد عن الضيعه فصعد الى جدار وكان قد انتصف النهار فرفع صوته بالاذان فانسى صوته الكنانى والدهان فسمعه ثعلب فقال مطلب وسارع من وكره وحل شبكة مكره وتوجه اليه فرآه فسلم عليه فلما أحس به أبو اليقظان طفر الى أعلى الجدران ثم حياه تحية مشتاق وتراءى لديه ترائى العشاق وقال أنعش الله بدنك وروحك وروى من كاسات الحياة غبوقك وصبوحك فانك أحييت الارواح والابدان بطيب النغم والصياح فى الاذان فان لى زمانا لم أسمع بمثل هذا الصوت وقاك الله نوائب الفوت ومصائب الموت وقد جئت لاسلم عليك وأذكرك ما أسدى من النعم اليك وأبشرك ببشاره وهى أربح تجاره وأنجح من الولاية والاماره لم يتفق مثلها فى سالف الدهر ولا يقع نظيرها الى آخر العصر وهى أن السلطان أيد الله بدولته أركان الايمان أمر مناديا فنادى بالامان والاطمئنان واجراء مياه العدل والاحسان من حدائق الصحبة والصداقة فى كل بستان وأن تشمل الصداقة كل حيوان من الطير والوحش والحيتان ولا يقتصر فيها على جنس الانسان فيتشارك فيها الوحوش والسباع والبهائم والضباع والاروى والنعام والصقر والحمام

فضربني على رأسي ضربة موجعة فسعيت الى جحري فلما سكن عنى الالم هيجنى الحرص والشره فخرجت طمعا كطمعي الاول واذا الضيف يرصدنى فضربنى بالقضيب ضربة أسالت منى الدم فتقلبت ظهرا لبطن الى جحرى فخررت مغشيا على فاصابنى من الوجع ما بغض الى المال حتى لا أسمع بذكره الا تداخلنى من ذكر المال رعدة وهيبة ثم تذكرت فوجدت البلاء فى الدنيا انما يسوقه الحرص والشره ولا يزال صاحب الدنيا فى بلية وتعب ونصب ووجدت تجشم الاسفار البعيدة فى طلب الدنيا أهون على من بسط اليد الى السخى بالمال ولم أر كالرضا شيأ فصار أمرى الى أن رضيت وقنعت وانتقلت من بيت الناسك الى البرية وكان لى صديق من الحمام فسبقت الى بصداقته صداقة لغراب ثم ذكر لى الغراب ما بينك وبينه من المودة واخبرنى أنه يريد اتيانك فاحببت أن آتيك معه فكرهت الوحدة فانه لا شئ من سرور الدنيا يعدل صحبة الاخوان ولا غم فيها يعدل البعد عنهم وجربت فعلمت أنه لا ينبغى للعاقل أن يلتمس من الدنيا غير الكفاف الذى يدفع به الاذى عن نفسه وهو اليسير من المطعم والمشرب اذا اشتمل على صحة البدن ورفاهة البال ولو أن رجلا وهبت له الدنيا بما فيها لم يك ينتفع من ذلك الا بالقليل الذى يدفع به عن نفسه الحاجة فاقبلت مع الغراب اليك على هذا الرأى وأنا لك أخ فلتكن

والجمام والضب والنون والذباب وأبوقلمون ويتعاملون بالعدل والانصاف والاسعاف دون الاعساف ولايجرى بينهم الاالمصادقه وحسن المعاشرة والمرافقه فتمحى من لوح صدورهم نقوش العداوة والمنافقه فيطير القطا مع العقاب ويبيت العصفور مع الغراب ويرعى الذئب مع الارنب ويتآخى الديك والثعلب وفى الجملة لايتعدى أحد على أحد فتأمن الفارة من الهرة والخروف من الاسد واذا كان الامر كذا فقد ارتفع الشر والاذى فلابد أن نمتثل هذا المرسوم ونترك مابيننا من العداوة والخلق المذموم ويجرى بيننا بعد اليوم المصادقه وتنفتح أبواب المحبة والمرافقه ولاينفر أحد منا من صاحبه بل يراعى مودته ويبالغ فى حفظ جانبه وجعل الثعلب يقرر هذا المقال والديك يتلفت الى اليمين والشمال ويحتاط غاية الاحتياط ولايلتفت الى هذا الهذيان والخباط فقال الثعلب ياأخى مالك عن سماع كلامى متنحى أناأبشرك ببشائر عظيمه لم تتفق فى الاعصر القديمه وأغامر زت بها مراسيم مولانا السلطان الجسيمه وأراك لاتلتفت الى هذا الكلام ولاتسربهذا اللطف العام ولاتلتفت الى ولاتعول على وتستشرف على بعد الشئ فهلاأخبرتنى بماأضمرت ونويت وتطلعنى فيما تتطاول اليه على مارأيت حتى أعرف فى أى شئ أنت وهل ركنت الى أخبارى وسكنت فقال أرى عجاجا ثائرا ونقعا الى العنان فائرا وحيوانا جاريا كانه البرق ساريا ولاعرفت ماهو ولكنه أجرى من الهوا فقال أبوالحصين وقد نسى المكر والمين بالله ياأبا نبهان حقق لى هذا الحيوان فقال حيوان رشيق له آذان طوال وخصر دقيق لاالخيل تلحقه ولا الريح تسبقه فرجفت قوائم الثعلب وطلب المهرب فقال أبوالمنذر تلبث ياأباالحصين واصبر حتى أحقق رؤيته وأتبين ماهيته فانه ياأباالحصين يسبق طرف العين ويكاد أبا النجم يخاف النجم فى الرجم فقال أخذنى فؤادى وماهذا وقت التمادى ثم أخذ يسلع وولى وهو يصدح بقوله

لابس التاج العقيق * لاتقف لى فى طريق ان يكن ذا الوصف حقا * فهو والله السلوقى

فقال الديك واذا كان وقد قلت ان السلطان رسم بالصلح بين سائر الحيوان فلابأس منه عليك فتلبث حتى يجىء ويقبل يديك وتعقد بيننا عقود الصداقه ويصير رفيقنا ونصير رفاقه فقال مالى برؤيته حاجه فدع عنك المحاجة واللجاجه فقال أوما زعمت ياأباوثاب ان السلطان رسم للاعداء والاصحاب أن يسلكوا طرائق الاصدقاء والاحباب فلو خالف المرسوم هذا الكلب لماقابله الملك الا بالقتل والصلب قال لعل هذا المشوم لم يبلغه المرسوم ثم ولى هاربا وقصد الخلاص جانبا (وانما أوردت) يانفيس هذا المثال لتقيس أحوال من دان للثمن هذا الحيوان ولاتشقها بعصا واحده واحسب حال كل واحد على حده فربما يكون فى هذه البهائم من لاهو باحوال الصلح عالم ولم تبلغه الدعوه وانما انضاف بسبب رجوه أوآمن على سبيل التبعية والتقليد ولم يطلع على موارد الوعد والوعيد ولاوقف على ماوقع من الاتفاق ولايثبت لمصادمة اللقاء وقت التلاق فيصدر منكم حركه تؤدى الى قلة بركة وتستطرد الى نفرة وجفول فيهدم مناهدم ماأسسناه على غفول ويقع من الفساد مالايمكن تلافيه ويضيع نقود جواهر جهدنا وكدنا فيه واذا كانت الدنيا محل العوارض والغالب أنه عند مشارفة المقصود يحصل العارض والعاقل لايغفل عن هذا الخطر فعند صفو الليالى يحدث الكدر وقد كفاك من ناداك بقوله

اذا قربت يداك الى مرام * وقلت تخولت نفسى مناها
فلاتأمن من الدهر اختلاسا * يحول فكره فى ذاتناهى
كجان لم يصبه الشوك الا * وقد وصلت يداه الى جناها

فالرأى السديد ياأباسعيد يقتضى أن تمضى الحمامة المطوقه الى تلك الجموع المفرقه وتنادى فى كل نادى بين الحاضر والبادى والرائح والغادى بحقائق الامور وتطييب خاطر الجمهور وماهم قادمون عليه ومن هو الواصلون اليه ليعلموا أنهم فى صفقتهم رابحون وانهم على هدى من ربهم وانهم مفلحون فتوجهت الحمامة بهذه النقوش وشهرت النداء فى طوائف الوحوش بماهم عليه قادمون وأنهم للملك يسار خادمون ثم تبعها الوزير ومعه كل أمير وكبير من خواص المباشرين والاعيان الملازمين وكبراء

منزلتى عندك كذلك فلما فرغ الجرذ من كلامه أجابته السلحفاة بكلام رقيق عذب وقالت قد سمعت كلامك وما أحسن ماتحدثت به الا أنى رأيتك تذكر بقايا أمور هى فى نفسك واعلم أن حسن الكلام لايتم الا بحسن العمل وان المريض الذى قد علم دواء مرضه ان لم يتداو به لم يغن علمه به شيأ ولم يجد لدائه راحة ولاخفة فاستعمل رأيك ولاتحزن لقلة المال فان الرجل ذا المروأة قد يكرم على غير مال كالاسد الذى يهاب وان كان رابضا والغنى الذى لامروأة له يهان وان كان كثير المال كالكلب لايحفل به وان طوق وخلخل بالذهب فلاتكبرن عليك غربتك فان العاقل لاغربة له كالاسد الذى لاينقلب الامعه قوته فلتحسن تعاهدك له لنفسك فانك اذا فعلت ذلك جاءك الخير يطلبك كما يطلب الماء انحداره وانماجعل الفضل للحازم البصير بالامور وأما الكسلان المتردد فان الفضل لايصحبه كما أن المرأة الشابة لاتطيب لها صحبة الشيخ الهرم وقد قيل فى أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء ظل الغمامة فى الصيف وخلة الاشرار وعشق النساء والبناء على غير أساس والمال الكثير فالعاقل لايحزن لقلته وانما مال العاقل عقله وماقدم من صالح عمله فهو واثق بانه لايسلب ماعمل ولايؤاخذ بشئ لم يعمله وهو خليق أن لايغفل عن أمر آخرته فان الموت لاياتى الابغتة ليس له وقت معين وأنت عن موعظتى غنى بما عندك من العلم

الاطيار ورؤساء الاخيار واستقبلوا املوك الوحوش والهوام ورؤساء السوائم والسوام وقابلوا ملتقاهم بالاعزاز والاكرام ووعدوهم بكل خير واحسان ووصلوا بهم الى ميدان الامان وحين حل عليهم نظر السلطان قبلوا الارض ووقفوا فى مقام العرض وأدوا من واجب العبودية النفل والفرض فانزل كلا فى مقامه بعد ان أحله فى محل اكرامه وأفاض عليه خلع احسانه وانعامه وعلت منزلة الوزير وتقدم كما تقدم وأشير وصفا لهم الزمان وعاش فى ظل عدلهم كل ضعيف من الحيوان وتقلبوا فى رياض الامانى على بساط الامان * وفائدة هذه الحكايات تنبيه أشرف جنس المخلوقات وألطف طائفة المكونات وهو نوع الانسان الذى اختصه الله تعالى بانواع الاحسان وأيده بالعقل وأمده بالنقل على انه اذا كان هذا الفعل الجليل يصدر فى التنظير والتمثيل من أخس الحيوانات ومالا يعقل من الموجودات فلأن يصدر من أولى النهى وأولى الفضل والمكارم والعلى أولى وأحرى لاسيما من رفع الله فى الدنيا مقداره وأعلى على فم الخلائق مناره وحكمه فى عبيده المستضعفين واسترعاه على رعية سامعين مطيعين وسلطه على دمائهم وأموالهم وبسط يده ولسانه فى رفاهيتهم ونكالهم والاصل فى هذا كله قول من عم عبيده بفضله وبقوله اهتدى العالمون وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون * آخر الباب السادس والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين آمين

(الباب السابع فى ذكر القتال بين أبى الابطال الريبال وأبى دغفل سلطان الافيال)

(قال) الشيخ أبو المحاسن من ليس له فى الفضل مساو ولا مواس فلما أنهى الحكيم حسيب كلامه لاحلى من النسيب قبل أخوه بين عينيه وأفاض خلع الانعام عليه ثم استزاده وفتح لجامع فضله باب الزياده وكان قد وقع بين ملك الافيال وبين ملك الاسود المسمى بالريبال المكنى بأبى الاشبال وأبى الابطال مقال أدى الى جدال واتصل بحرب وقتال فسأل الملك أخاه هل سمع من ذلك شيأ ووعاه فاجاب بالايجاب وذكر فى الجواب الامر العجاب (فقال) كان يا ملك الزمان فى بعض أطراف الهنود من عساكر الافيال جنود فى جزيرة عظيمة كبيرة لهم من جنسهم وجلدتهم ونفسهم ملك عظيم ذو جسم جسيم وشكل وسيم منظره بديع وهيكله رفيع طويل الخرطوم واسع الحلقوم مبسوط الاذنين حديد العينين طويل الانياب كانه طود فى جواب كثيف فى المرأى خفيف فى الموطا عدد جيشه غزير ومدد جنده كثير وهو فيهم ملك كبير ذو قدر خطير منفرد بالسرير ورثه كابرا عن كابر وكل جيشه رؤساء أكابر لاوامره طائعون ولما يراه تابعون فبلغه فى بعض الايام أن فى بعض الغياض والآجام مكانا فى غاية النزاهه معدن الفواكه والفكاهه ذا مياه عذبه ومروج رطبه اراضيها أريضه ورياضه طويلة عريضه أطيارها تسكر بالحانها وأشجارها تخجل قدود الملاح باغصانها وأزهارها زاهره وأنوارها نضره ونسيم الصبا والشمال تنشر الى الآفاق طيب أنفاسها العطره وأنه يصلح أن يكون لملك الافيال مقاما مع ان فيه من الجبال والحصون معاصم وعصاما غير أن فيه أسدا هصورا جمع فيه جندا كثيرا ولازال الناقل يصف ويطنب ويعجم فى حسن شمائلها ويعرب حتى قال بعض الندماء الحاضرين من الكبراء لو قصد الملك ذلك المكان وجعله لنفسه من بعض الاسكان وتنقل اليه فى بعض الاوقات وساعات التفرج فى المنتزهات لاراح نفسه الخطيره من وخم هذه الجزيره ووجد لذة الطعام ونشوة الشراب على المدام والاسد الذى فيها وان كان مالك نواحيها وبيد تصرفه زمام نواصيها وجماجم قلاعها وصياصيها لكنه ملك عادل وسلطان فاضل تمنعه شهامته وكرم نفسه وكرامته ورياسته وزعامته ان يضايق الملك فى ذلك أو يضيق سلوكها على سالك وان شرع فى الممانعه وأخذ فى أسباب المدافعة بالمقارعة والمنازعه فالعساكر المنصوره وأعدادهم الموفوره فيهم بحمد الله لذلك قوة وكفايه ولهم فى بداية الحروب هدايه وفقاهة ليس لشرحها غاية

ولكن رأيت أن أقضى مالك من حق قبلنا لانك أخونا وما عندنا من النصح مبذول لك فلما سمع الغراب كلام السلحفاة للجرذ وردها عليه وملاطفتها اياه فرح بذلك وقال لقد سررتنى وأنعمت على وأنت جديرة أن تسرى نفسك بمثل ما سررتنى به وأن أولى أهل الدنيا بشدة السرور من لا يزال ربعه من اخوانه وأصدقائه من الصالحين معمورا ولا يزال عنده منهم جماعة يسرهم ويسرونه ويكون من وراء أمورهم وحاجاتهم بالمرصاد فان الكريم اذا عثر لا يأخذ بيده الا الكرام كالفيل اذا وحل لا تخرجه الا الفيلة فبينما الغراب فى كلامه اذ اقبل نحوهم ظبى يسعى فذعرت منه السلحفاة فغاصت فى الماء وخرج الجرذ الى جحره وطار الغراب فوقع على شجرة ثم ان الغراب تحلق فى السماء لينظر هل للظبى طالب فنظر فلم ير شيأ فنادى الجرذ والسلحفاة وخرجا فقالت السلحفاة للظبى حين رأته ينظر الى الماء اشرب ان كان بك عطش ولا تخف فانه لا خوف عليك فدنا الظبى فرحبت به السلحفاة وحيته وقالت له من أين أقبلت قال كنت أسنح بهذه الصحارى فلم تزل الاساورة تطاردنى من مكان الى مكان حتى رأيت اليوم شبحا فخفت أن يكون قانصا قالت لا تخف فانا لم نر ههنا قانصا قط ونحن نبذل لك ودنا ومكاننا والماء والمرعى كثير عندنا فارغب فى صحبتنا فاقام الظبى معهم وكان لهم عريش يجتمعون فيه ويتذاكرون

ولا

ولالفروع أصولها نهايه يحيون في مباحثها النفوس ويعيدون في مدارس الحرب بتكرار الضرب فاني الشجاعة بعد الدروس فيكفون الملك أمره ويكفون أذاه وشره ولازال يفتل منه في الغارب والذروه ويقوى بتمويهاته دواعي الحرص والشهوه حتى اقتنصته أشراك المطامع وأوقعته في عبودية شهوة تلك المواضع ودعته النفس الابيه وحمية الجاهلية وباعث العصبيه الى الاستيلاء على تلك الاماكن البهيه والولايات السنيه والمساكن الزهيه واسامة سوارح اللحاظ في مراعي نزهة تلك الغياض ومروج أراضي هاتيك الرياض وأزعج في ذلك المقتضى وأسلمه العدل والخلق الرضي وغلب عليه سيء الطباع واستولت عليه فوارغ الاطماع وعشقها على السماع وكان عنده اخوان هما له عضدان هما وزيراه وفي مهامه مشيراه مسعداه في الامور ومنجداه في أحوال السرور والشرور أحدهما واسطة خير قليل الشر عديم الضير قد جرب الزمان وعاناه وقالب قوالب وقائعه بالمقايسة ماقاساه اسمه مقبل وهو كاسمه مفضل والآخر بالعكس في جميع حركاته وكس وهو كاسمه مدبر بكل شيء مخبر قصده غبار فتن يثيره وعسكر بلاء يغيره وطالب أذى وعناء يعيره أو سر يذيعه أو مكر يشيعه أو منسوق شر يبيعه وهما ملازمان الخدمه واقفان في مقام الحشمة والحرمه كالفتق والرتق والباطل والحق والكذب والصدق وفي الافساد والاصلاح كالمرهم والجراح ومصلح الدرهم ومفسد الراح ومرشد العقل ومعتل الاقداح وفي الوفاق والشقاق كالسم والترياق وفي الحكم والقضاء كالداء والدواء وفيما يقع من الحوادث المفرحات والكوارث كالحر والبرد والشوك والورد فاختلى الملك باخويه واستشارهما فيما أنهى اليه فقال أخوه المقبل يامولانا أبا دغفل لولم يكن بهذا المكان أحد من أذى الوحوش فضلا عن الاسد لكان عدم قصده ترفعا وترفها والتوجه الى الاستيلاء عليه موجها فكيف وذلك في ولاية مالك وهو مالك صعب كأبي حفص الصعب ملك كبير عادل وسلطان خطير فاضل مطاع في صاغيته متبوع في حاشيته عادل في رعيته سيرته مشكوره ومحاسنه ماثوره وهيبته وبسالته غير منكوره وهو جار حسن الجوار لم يضبط عليه مايقتضي انتزاع ملكه من يديه ولم يتعرض الى متعلقاتنا ولا آذى أحدا في ولايتنا وان مولانا السلطان لم يصدر منه الا العدل والاحسان الى الاباعد والاجانب فضلا عن الجيران لاسيما الملوك الاكابر ومن ورث الملك كابرا عن كابر ولقد تلقفت من أفواه الحكماء وتشنفت مسامعي من جواهر ألفاظ العلماء بثلاث نصائح هي من أحسن المنائح احداها احذر أيها الموفق أن تقع في دم بغير حق ثانيتها اياك ياذا التوفيق وأموال الناس بغير طريق ثالثتها اياك ياذا الشيم الكريمه وهدم البيوت القديمه واعلم ان الله تعالى عم رزقه وخص كل موجود بما يستحقه وقد أقام الاسد في تلك الاماكن وهو وان كان متحركا فهو فيها ساكن ولولم يستاهل لما اختص بتلك المناهل وماينكر هذا الاجاهل أو من هو عن الحق ذاهل وحاشى أن تنسب يارئيس الاخيار الى حسد أو سوء جوار وعظمتك تانف عن ذميم الاخلاق وكيف وقد انتشر بالفضل صيتها في الآفاق واذا كان للشخص مايكفيه فينبغي أن يقتصر عما يطغيه ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وقد أحسن في المقال من قال

يا أحمد اقنع بالذي أوتيته * ان كنت لاترضى لنفسك ذلها
واعلم بان الله جل جلاله * لم يخلق الدنيا لاجلك كلها

فالتفت الملك الى المدبر وأشار اليه كالمستخبر ماذا تشير أيها الاخ والوزير فقال جميع ماقرره مولانا الوزير حق وجملة ماذكره وحرره صدق نصائح ترشد العقول وتزين عقود المعقول والمنقول ولكن لايخفى على كريم العلوم ان الاسد حيوان ظلوم غالب طالب وخلاص الرعية من شره واجب ويلزم كل أحد أن يخلص الرعايا من ظلم الاسد ومولانا يبلغه ظلمه ولم يحط باحوال الاسد علمه وانه من أظلم البريه لمن تحت يده من الرعيه وانه يجب على مولانا السلطان خلاص الرعية منه على أي وجه كان وأيضا فان

الاحاديث والاخبار فبينما الغراب والجرذ والسلحفاة ذات يوم في العريش غاب الظبي فتوقعوه ساعة فلم يات فلما أبطأ أشفقوا أن يكون قد أصابه عنت فقال الجرذ والسلحفاة للغراب انظر هل ترى ممن يلينا شيأ فحلق الغراب في السماء فنظر فاذا الظبي في الحبائل مقتنصا فانقض مسرعا فاخبرهما بذلك فقالت السلحفاة والغراب للجرذ هذا أمر لا يرجى فيه غيرك فاغث أخاك فسعى الجرذ مسرعا فاتى الظبي فقال له كيف وقعت في هذه الورطة وأنت من الاكياس قال الظبي هل يغني الكيس مع المقادير شيأ فبينما هما في الحديث اذ وافتهما السلحفاة فقال لها الظبي ما أصبت بمجيئك الينا فان القانص لو انتهى الينا وقد قطع الجرذ الحبائل استبقته عدوا وللجرذ أحجار كثيرة والغراب يطير وأنت ثقيلة لاسعي لك ولاحركة وأخاف عليك القانص قالت لا عيش مع فراق الاحبة واذا فارق الاليف أليفه فقد سلب فؤاده وحرم سروره وغشي بصره فلم يتم كلامها حتى وافى القانص ووافق ذلك فراغ الجرذ من قطع الشرك فنجا الظبي بنفسه وطار الغراب محلقا ودخل الجرذ بعض الاحجار ولم يبق غير السلحفاة ودنا الصياد فوجد حبالته مقطعة فنظر يمينا وشمالا فلم يجد غير السلحفاة فدب فأخذها وربطها فلم يلبث الغراب والجرذ والظبي أن اجتمعوا فنظروا القانص قد ربط السلحفاة

انعامات مولانا البارة على كل أحد من الخلق دارة والخرج والكلف والكرم الذى بانامله ائتلف كل يوم فى ازدياد والعساكر المنصورة كل وقت تزداد واذا لم تتسع الولايات وتكثر الجهات والاقطاعات كان الخرج أكثر من الدخل والمصروف من الخزانة كالوابل والدخل كالطل واذا زاد المصروف على الحاصل عجز الواصل وفرغ الحاصل ودل ذلك على ركاكة الهمه وقصور النهمه والملك يجب عليه والمندوب فى شرع همته اليه ان يكون كل وقت جديد فى فتح سعيد وترق مزيد وتوسعة الممالك وتنزيه بساط السلطنة عن المنازع والمشارك والاستكثار من الجند والرعيه واستجلاب خواطرهم الابيه بالجوائز السنيه والانعامات السميه ولا يجوز فى ملة الاسلام ان يتعدد الخليفة الامام ولله در القائل العلى الشمائل

اذا ما لم تكن ملكا مطاعا * فكن عبدا لمالكه مطيعا
فان لم تملك الدنيا جميعا * كما تهواه فاتركها جميعا

وناهيك يا مالك الممالك والماليك فى علو الهمه وصدق العزمه وغوص الافكار فى استخلاص ممالك الاقطار قضية خل الرجال تيمورلنك الاعرج الدجال مع نائبه الله داد أحد القواد ونواب البلاد فسأل أبو مزاحم أخاه عديم المراحم عن تلك القضيه وايضاحها عن جليه (فقال) ان تيمور رأس الفساق الاعرج الذى أقام الفتنة على ساق لما حل بالممالك الروميه فى شهور سنة خمس وثمانيه وأسر مالكها واستخلص ممالكها استمر فى ممالك العرب يصول وفى فكره استخلاص ولايات الشرق يجول وكان أقصى ما انتهت اليه فى الشرق مملكته ونفذت بسهام أحكامه فيه أقصيته بلدا يسمى اشباره قد أعده لشياطين النهب والغاره وبنى فيه قلعه ونقل اليه من ذوى المنعه جندا منتخبا من كل بقعه وهو فى نحر ممالك المغل والتتار والحد الفاصل بين ممالكه وولايات عباد الشمس والنار وأمر على أولئك الاجناد شخصا يدعى الله داد وهو من خواص أمرائه ورؤساء جنده وزعمائه فمن جملة ما أمره به ذلك المشوم وهو مخيم ببلاد الروم انه أبرز اليه مراسله فيها أمور مجملة ومفصله أمره بامتثالها وارسال الجواب ببيان كيفية حالها منها أنه يبين له أوضاع تلك الممالك ويوضح كيفية الطرق بها والمسالك ويذكر له مدنها وقراها ووهدها وذراها وقلاعها وصياصيها وأدانيها وأقاصيها ومفاوزها وأوعارها وصحاراها وقفارها وأعلامها ومنارها ومياهها وأنهارها وقبائلها وشعابها ومضايق دروبها ورحابها ومعالمها ومجاهلها ومراحلها ومنازلها وخالبها وآهلها بحيث يسلك فى ذلك السبيل الاطناب الممل ويجتنب مأخذ الايجاز خصوصا المخل ويذكر مسافة ما بين المنزلتين وكيفية المسير بين كل مرحلتين من حيث تنتهى اليه طاقته ويصل اليه علمه ودرايته من جهة الشرق وممالك الخطا وتلك الثغور والى حيث ينتهى اليه من جهة سمرقند علم تيمور وليعلم ان مقام البلاغة فى معانى هذا الجواب هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو واطناب وتطويل واسهاب وليسلك فى بيانه الطريق الاوضح من الدلاله وليعدل عن الطريق الخفى فى هذه الرساله الى أن يفوق فى وصف الاطلال وتعريف الرسوم وحدود الدمن صفة الشيخ القيصوم فامتثل الله داد ذلك المثال وصور له ذلك على أحسن هيئة وآنق تمثال وهو انه استدعى بعدة أطباق من نقى الاوراق وأحكمها بالالصاق وجعلها مربعة الاشكال ووضع عليها ذلك المثال وصور جميع تلك الاماكن وما فيها من متحرك وساكن فأوضح فيها كل الامور حسبما رسم به تيمور شرقا وغربا بعدا وقربا يمينا وشمالا مهادا وجبالا طولا وعرضا سماء وأرضا مرداء وشجراء غبراء وخضراء منهلا منهلا ومنزلا ومنزلا وذكر اسم كل مكان ورسمه وعين طريقه ووسمه بحيث بين فضله وعيبه وأبرز الى عالم الشهادة غيبه حتى كأنه شاهده ودليله ورائده وجهز ذلك اليه حسبما اقترحه عليه كل ذلك وتيمور فى بلاد الروم يجور وبينهما مسيرة سبعة شهور وكذلك فعل ذلك البطال وهو بالبلاد الشاميه سنة ثلاث وثمانيه مع القاضى ولى الدين عمدة المؤرخين أبى هريرة عبد الرحمن بن خلدون أغرقه الله فى فلك رحمته المشحون

فاشتد حزنهم وقال الجرذ ما أرانا نتجاوز عقبة من البلاء الا صرنا فى أشد منها ولقد صدق الذى قال لا يزال الانسان مستمرا فى اقباله مالم يعثر فاذا عثر لج به العثار وان مشى فى جدد الارض وحذرى على السلحفاة خير الاصدقاء التى خلتها ليست للمجازاة ولا لالتماس مكافاة ولكنها خلة الشرف والكرم خلة هى أفضل من خلة الوالد لولده خلة لا يزيلها الا الموت ويح لهذا الجسد الموكل به البلاء الذى لا يزال فى تصرف وتقلب ولا يدوم له شئ ولا يلبث معه أمر كما لا يدوم للطالع من النجوم طلوع ولا للآفل منها أفول لكن لا يزال الطالع منها آفلا والآفل طالعا وكما تكون آلام الكلوم وانتقاض الجراحات كذلك من قرحت كلومه بفقد اخوانه بعد اجتماعه بهم فقال الظبى والغراب للجرذ ان حذرنا وحذرك وكلامك وان كان بليغا كل منها لا يغنى عن السلحفاة شيأ وانه كما يقال انما يختبر الناس عند البلاء وذو الامانة عند الاخذ والعطاء والاهل والولد عند الفاقة كذلك تختبر الاخوان عند النوائب قال الجرذ أرى من الحيلة أن تذهب أيها الظبى فتقع بمنظر من القانص كأنك جريح ويقع الغراب عليك كأنه يأكل منك وأسعى أنا فأكون قريبا من القانص من اقباله لعله أن يرمى ما يمنعه من الآلة ويضع السلحفاة ويقصدك طامعا فيك راجيا تحصيلك فاذا دنا منك ففر عنه رويدا بحيث لا ينقطع طمعه

وقدسأله عن أحوال بلاد الغرب وماجرى فيهامن صلح وحرب وماوقع فيهامن خير وشر ونفع وضر ثم
انه اقترح عليـــه وتقدم بالامر اليـــه بوضـــع أوضاعها ورسم مدنها وقلاعها وحصونها وضـــياعها
وتخطيط ولاياتها وأشـكالها وهيآتها فامتثـــل ذلك وأبداه وعلى حسب مااختاره واقترحه أنهاه
وبين ذلك مثـــل ماذكر أعلاه فشاهـــد أوضاعها وخبر وهادها وبقاعها كأن الحائل رفع من البين
وعاين عين ذلك الاقليم بالعين فانظر الى هـــذا الاعجمى وهو سطيح نصف آدمى وهمته العاليـــة كالبرق
تضرب تارة فى الغرب وأخرى فى الشرق (وانما أوردت) هذه القضيه ليقف سامعها على مقدار الهمة
العليه فلا يرضى الملك الهمام بالمنزلة الدنيه ولا يقنع بالدرجة الوطيه بل يجتهد فى تكثير الجند والرعيه
وفتح الاقاليم العربية والعجميه ولا يقتصر على الحالة السويه وانما يلازم طلب الارتقاء بكرة وعشـــيه
ويكون سعيه كالشـكر يطلب المزيد وكما يستديم طلب الزيادة من مولاه يستديم زيادة العبيد والافيئسب
الى قصور الهمة وافلاس الذمه ونقصان الحرمه وبطلان الحشمه وأعظم بها من وصمـــه وبالعجز
والتقصـــير يضيع حقوق الملك الخطير وتجد الرغبة للطاعن مقالا وفى ميدان الاعراض عن الملك مجالا
وهذا خلاف موضع الامامه وعكس ماتقتضـــيه الرياسة والزعامه فان موضوع السلطنه أن يتعاطى
الملك مهما أمكنه من أسباب الفتح والفتوح ومايستميل به من الرعية القلب والروح وذلك بالاحسان
والاكرام والبذل والانعام فبـــه تقوى رغبتها وتزداد محبتها فاذا لم يكن ذلك فل المملوك عن المالك
واسمع قول الاديب ذى الرأى المصيب وهو

اذا أهملت أمر العبـــد يوما * وقصرت العليق عن الحمار
توقف فى المســـير أبو زياد * وقام العبـــد يجرى للفرار

وقيل * والدر يقطعه جفاء الحالب * وقال أشرف جنس الانسان علو الهمة من الاعيان فالرأى السديد
عندى والذى بلغ اليه جهدى انفاذ هذه العزيمه وسلوك طريقها القويمه وابرازها من مكان القول
الى ظواهر العمل والحول والاعتمـــاد على ماقيل

فلا تثن عزمك خوف القتال * بسمر دقاق وبيض حـــداد * عسى أن تنال الغنى أو تموت
فيعـــذرك فى ذلك الناس باد * فان لم تنـــل مطلبا رمتـــه * فليس عليك سوى الاجتهاد

فأقبل الملك على المقبل وقال توجه بكليتك على وأقبل شعر

ولا تبق مجهود ارأيك انه * سديد ومن يقف السديد سديد

فان القلب قد مال الى العزم والاخذ فى التوجه بالحزم وترجح جانب الوثوب الى جهة هـــذا المطلوب
فأمعن النظر وأجل قداح الفكر ولا تخف رأيا يسنح فى أى جهة ترجح فقال افعل بشرط ان يقبل اعلم
زادك الله علما وفضلا وكرما وحلما ان الذى رآه العلماء وأشار به ذووا الحنكة من الحكماء ان من طلب
وفور خيره وفائدة نفســـه فى مضرة غيره لايتمتع بتلك الفائدة ولا تثمر معه تلك العائده وهـــذا على
تقدير حصولها والاستيلاء على فروعها وأصولها وان لم يظفر بها فلا تســـتفيد النفس غير كربها مع
زيادة الحسره وسوء الصيت فى الشـــهره ووفور الندم وزلة القدم وكل من أراد تمشـــية هواه ولم
يلتفت الى ماسواه ورأى نفســـه أحق من غيره فلا تطمع أبدا فى خيره ولا يكاد يسلم من الانـــكاد ولا
يصفوله زمان ولا تدوم له أخلاء واخوان ولا تزال ديم الهموم من غمام الغموم تهمى على حـــدائق
آماله وتسقى مزارع أحواله الى أن تحظل نخلات نيته وتيبس حقول طويته ويحصـــد حراث الفنا
ويدرســـه دارس الردى ويذرى حبات وجوده الهوان فى الهوى وينقل عن بيدر الشقاء الى طاحون
البلاء فهنالك يجدح سويق آماله مايزيغه فيحسوه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويصهر به مافى البطون
ويقال له ذوقوا ماكنتم تـكسبون هذا واذا كان الدخل لايفى بالخرج وخيف من ذلك وقوع هرج ومرج
فبحســـن التدبير يتصرف الملك الخبير وبكفاية الوزير وتوفير المشير يجل الحقير ويكثر النزر اليسير

منك ومكنه من أخذك مرة بعد مرة حتى يبعد عنا وانح منه هذا النحو ما استطعت فانى أرجو أن لا ينصرف الا وقـــد قطعت
الحبائل عـــن السلحفاة
وأنجوابها ففعل الغراب
والظبى ماأمرهما به الجرذ
وتبعهما القانص فاستجره
الظبى حتى أبعده عن الجرذ
والسلحفاة والجرذ مقبل
عـــلى قطع الحبائل حـــتى
قطعها ونجا بالسلحفاة
وعاد القانص مجهودا لاغبا
فوجـــد حبالتـــه مقطعة
ففكر فى أمره مع الظبى
المطلع فظن أنه خولط فى
عقله وفكر فى أمر الظبى
والغراب الذى كأنه يأكل
منـــه وتقريض حبالته
فاســـتوحش من الارض
وقال هـــذه أرض جن أو
سحـــرة فـــرجع موليا لا
يلتمس شيأ ولا يلتفت اليه
واجتمع الغراب والظـــبى
والجـــرذ والسلحفاة الى
عريشـــهم سالمين آمنين
كأحسن ما كانوا عليه فاذا
كان هذا الخلق مع صغره
وضعفه قد قدر على التخلص
من مرابط الهلكة مرة بعد
أخرى بمودته وخـــلوصها
وثبات قلبه عليها واستمتاعه
مع أصحابه بعضهم ببعض
فالانسان الذى قد أعطى
العقل والفهم وألهم الخير
والشر ومنح التمييز والمعرفة
أولى وأحرى بالتواصـــل
والتعاضـــد فهـــذا مثل
اخوان الصفاء وائتلافهم
فى الصحبة * انقضى باب
الحمامة المطوقة

(باب البوم والغربان) قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل اخوان الصفا وتعاونهم فاضرب لى مثل العدو الذى لا ينبغى أن

كما قيل قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وبالخلاق الحسن وحسن السياسه تملك رقاب أولي الرياسه فضلا عن العوام وهذا بحسب المقام ولا يتصور ان مجرد المال هو شبكة صيد الرجال فان حفظ الممالك هو وراء ذلك وقد قال رسول خلاقكم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم باخلاقكم وشئ يحتاج في تحصيله والانقطاع الى وصوله الى بذل أموال وأرواح وكد نفوس وأشباح واتعاب خيل ورجال وارتكاب شدائد وأهوال وبعد حصوله يتكلف في محافظته وحراسته وملاحظته الى تحمل هموم وغموم وكلام وكلوم وآخر الامر يخرج من اليد ولا يبقى الا النكد والكدر فتزول في الدنيا اللذات مع معاناة الكدورات وتجرع الغصص والمشقات وتبقى في الآخرة التبعات لجدير بان لا يلتفت اليه ولا يعول عليه ولا يهتم له بشان ويستغنى عنه وان احتيج اليه بقدر الامكان والافشل الذي يعلق به فؤاده ويربط بدوامه وبقائه اعتقاده ويتصور ذلك بفكره الفاسد ونظره الكاسد كمثل كسرى لما مات ولده وتفتتت عليه كبده وحصل له عليه الاضطراب ورده عن خطئه البهلول الى الصواب فسأل أبو الجاج أخاه الحجاج عن بيان هذا الامر وكيفية اطفاء هذا الجمر (فقال) المقبل ذكر محدث معدل ان كسرى كان له ولد قد سكن منه سويداء الخلد يخجل البدر ليلة تمامه ويستميل الغصن حالة قيامه وكان يحبه حبا جاوز النهايه وتعدى الحد والغايه وكان لشدة شغفه استبعد حلول تلفه بل أحال وفاته وأذهله عن درك الحق وفاته فأدركه الاجل المحتوم واستوفى مداه المعلوم فاضطرب كسرى لوته واضطرم واصطدم بصخور فراقه واصطلم ولم يقر له قرار ولا طاوعه اصطبار فوعظه العلماء فما أفاد ونبهه الحكماء بضرب الامثال فأعياهم المراد وكان في بلده رجل بهلول يتردد اليه ويدخل في أكثر أوقاته عليه فيلاطفه في محاورته ويبتهج بكلماته في مخاطبته فدخل عليه البهلول وهو كئيب ملول لا تسر حاله صديقا ولا يهتدي الى السكون طريقا فسأله عن حاله وما أوجب توزع باله وتغير أقواله فقال يا بهلول عدمت ولدي وقرة عيني وراحة روحي وجسدي (شعر)

لا صبر يجدي على فراقه * ولا معين على احتراقه

وقلت آه من فرقة الاحباب أواه * لقد كوى من حشا قلبي سويداه

قال البهلول نعوذ بالله من ساعات الذهول يا ملك الانام ان عيسى عليه الصلاة والسلام شكا اليه بعض حواريه شيأ يشابه ما أنت فيه فقال عليه السلام كن لربك كالف الحمام يذبحون فراخه ولا يفارق مناخه ولا ينفر عنهم ولا يشكو منهم ثم ان البهلول قال وأنا لي اليك سؤال فاجبني بجواب شاف فانك ذو ألطاف فلا يكن فيه جزاف فقال سل فكلامك لا يمل قال أكنت ترجو أن ولدك لا يموت أبدا وأنه يصير في الدنيا مخلدا فقال لا ولكن أردت أن يبقى مده ويتمتع بشبابه وبنعيمها عنده ويلتذ بطيب المآكل والمشارب ويقضي من أوطار الشباب المآرب ويؤنس أنداده وصحبه ثم يقضي بعد ذلك نحبه قال هب أنه عاش مهما رمت وقام وقعد في الدنيا كما عدت وقت وعاش العيش الطيب وهمى عليه من سماء ملاذها الوابل الصيب وحصل له من العيش الهني والعمر السني أمثال الجبال وأعداد الرمال فعند مفارقة العيش وحلول الخفة والطيش هل يدفع عنه ذلك شرا أو يرفع عنه بؤسا وضرا أو يجلب له منفعه أو يذهب من ذلك شئ معه أو يفيده أدنى فائده أو يعود عليه منه عائده قال لا قال فلا ناس على معاش يكون عقبى أمره الى لاش وعمر ذلك مصيره سواء طويله وقصيره وكثير تنعمه ويسيره

(شعر) واذا كان منتهى العمر موتا * فسواء طويله والقصير

(غيره) فعش ما شئت في الدنيا وادرك * بها ما شئته من صيت وصوت

فحبل العمر موصول بقطع * وخيط العيش معقود بموت

فهب أنه عاش ونهب الملاذ وحاش وعلا في أرض التنعم وغلا وجاش كل ذلك في المقدار على حسب

يغتر به وان أظهر تضرعا وملقا قال الفيلسوف من اغتر بالعدو الذي لم يزل عدوا أصابه ما أصاب البوم من الغربان قال الملك وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا أنه كان في جبل من الجبال شجرة من شجر الدوح فيها وكر ألف غراب وعليهن وال من أنفسهن وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بومة وعليهن وال منهن فخرج ملك البوم لبعض غدواته وروحاته وفي نفسه العداوة لملك الغربان وفي نفس الغربان وملكها مثل ذلك للبوم فأغار ملك البوم في أصحابه على الغربان في أوكارها فقتل وسبى منها خلقا كثيرا وكانت الغارة ليلا فلما أصبحت الغربان اجتمعت الى ملكها فقلن له قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم وما منا الا من أصبح قتيلا أو جريحا أو مكسور الجناح أو منتوف الريش أو مقطوف الذنب وأشد مما أصابنا ضراء علينا جراءتهن علينا وعلمهن بمكاننا وهن عائدات الينا غير منقطعات عنا لعلمهن بمكاننا فانما نحن لك ولك الرأي أيها الملك فانظر لنا ولنفسك وكان في الغربان خمس معترف لهن بحسن الرأي يسند اليهن في الامور ويلقى عليهن أزمة الاحوال وكان الملك كثيرا ما يشاورهن في الامور ويأخذ آراءهن في الحوادث والنوازل فقال الملك للاول من الخمس ما رأيك في هذا الامر قال رأيي قد سبقتنا اليه العلماء وذلك أنهم قالوا ليس للعدو الحنق الا الهرب منه قال الملك للثاني ما رأيك أنت في هذا

ماتختار وأنه جاءه القضا وقدقضى وطره ومضى ثم قضى نحبه وقضى فخبر بهذا الكلام كسرا وسرى عنه همه وأسرى وقال الآن سكنت فنعم الناصح أنت (وانما أوردت) هذا التنبيه أيها الملك النبيه لاعرض على الخواطر السعيده والآراء السديدة الرشيده أن الاقتصار عن هذا أولى وأليق بالركوت تحت ارادة المولى قال المدبر المفتن المعبر ثلاثة أشياء ينبغي لطالبها أن لا يفتكر في عواقبها الاول الاسفار في البحار والغوص فيها الى القرار فان طالب الجواهر النفيسه ومن قصد أن يكون في صدر التجارة رئيسه لا يخشى من الغرق ولا عنده من ذلك فرق فهذا يعني بضائع المال وذاك يغطس الى قعر الاوحال وكل منهما لا يتفكر في العاقبة والمآل الثاني المقدم على الحرب والرشق والطعن والضرب ومصارعة الابطال ومباشرة أسباب القتال لا ينزعج لصوت ولا يفتكر في الهزيمة والجراح والموت والثالث طالب الرياسه والملك ذي السياسه لا يفتكر في الاقتحام ولا يتوانى في الاقدام ولا يتأمل في العواقب ولا يلتفت الى المناقب ويلقي نفسه في الاخطار ويضرب الى أعماق الاقطار ويجعل جل همه بلوغ الاوطار وقيل

بقدر الكد تكتسب المعالي * ومن طلب العلى سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلي

وقيل.

اذا هم ألقى بين عينيه عزمة * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

قال المقبل الحكيم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم أولو الالباب المميزون بين الخطا والصواب الناظرون من مبتدأ الامور في أعقابها المستبصرون قبل وقوعها في مآلها ومآبها الآتون بيوت النوائب والنوازل من أبوابها قالوا اذا تحصن أبو الحصين وأغلق عليه من وراء جدار بابين ثم حاصره أشد من خارج ساوت قوة الخارج قوة الوالج ولا شك أن حركة العساكر وقطع الفيافي والدساكر والتوجه الى قتال من هو ساكن في سربه محتاط في اقليمه ودربه متحصن في قلاعه متدرق بحجفة امتناعه يحتاج في الاموال الى اخراج وفي الرجال الى ازعاج وتحمل اخطار وتجشم أسفار وأخذ ضعفاء تحت اقدام وهدم دور وقطع ارحام ومع هذا كله حصول المقصود موهوم والظفر به غير معلوم فان حصل فقد مر ان لا ثبات ولا تمنع وان احتجب فهو وراء ستر التمنع فكم من دماء حينئذ تراق وقد كانت مصونه وأموال تهدر وقد كانت مضمونه واعراض تهتك وقد كانت محترمه وأنفس تذل وقد كانت عزيزة مكرمه والحق في هذا متضح ومن تجارأسه فقد ربح وقد قدمت هذا التقرير وهندست هذا التقدير لان العاقل الماهر في التجاره كما يحسب الربح يحسب الخساره وكل هذا في العاجله فضلا عن المحذورات الآجله من غضب الله وعقابه وتوبيخه وأليم عذابه واذا خرج الامر عن اليد ودخل على القلب الاشتغال بالنكد وذهب المال والمنال ونقصت الاهبة والرجال وتناقص العدد والعدد وتناكص المدد والمدد فأي حرمة تبقى للملك عند الرعايا وقد قلت عنهم منه الارفاد والعطايا وكيف يستقر ملكه أو يدور على فلك الثبات فلكه فلا تخافه الرعية ولا يرجونه ولا يسمعون كلامه ولا يطيعونه ويصير كالسحاب الخلب لا يوثق منه بوعد ولا يحصل منه مطلب ان تكلم عابوا كلامه وان حكم نقضوا أحكامه وان حلم قالوا عاجز وان تقدم في الحرب قالوا مجنون مبارز وأما الغني ذو المال فهو على عكس هذه الاحوال فان رأوا منه فضلا كان لكل مكرمة أهلا فرفعوه الى العيوق وكان المعظم المرموق ان أعطى قليلا استصغر واحتماعنده وأطنبوا بلسان الثناء في شكرهم رفده وان بخل قالوا مدبر لا يضيع ماله وان كذب صدقوا قيله وقاله وفي الجملة حركات الغني مستصوبه وكلماته مترشفة مستعذبه وقد قيل

ان ضرط الموسر في مجلس * قيل له يرحمك الله * أو عطس المعسر في مجمع
سبوا وقالوا فيه ماساء * فضرط الموسر عرنينه * ومعطس المفلس مفساه

وكما قيل

الفقر يزري باقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

الامر قال رأيي ما رأى هذا من الهرب قال الملك لا أرى كذلك رأيا أن نرحل عن أوطاننا ونخليها العدو نا من أول نكبة أصابتنا منه ولا ينبغي لنا ذلك ولكن نجمع أمرنا ونستعد لعدونا ونذكي نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ونحترس من الغرة اذا أقبل الينا فنلقاه مستعدين ونقاتله قتالا غير مراجعين فيه ولا مقصرين عنه وتلقى أطرافنا أطراف العدو ونتحرز بحصوننا وندافع عدونا بالاناة مرة وبالجلاد أخرى حيث نصيب فرصتنا وبغيتنا وقد ثنينا عدونا عنا ثم قال الملك للثالث ما رأيك أنت قال ما أرى ما قالا رأيا ولكن نبث العيون ونبعث الجواسيس ونرسل الطوالع بيننا وبين عدونا فنعلم هل يريد صلحنا أم يريد حربنا أم يريد الفدية فان رأينا أمره أمر طامع في مال لم نكره الصلح على خراج نؤديه اليه في كل سنة ندفع به عن أنفسنا ونطمئن في أوطاننا فان من آراء الملوك اذا اشتدت شوكة عدوهم فخافوه على أنفسهم وبلادهم أن يجعلوا الاموال جنة البلاد والملك والرعية قال الملك للرابع فما رأيك في هذا الصلح قال لا أراه رأيا بل أن نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة وشدة المعيشة خير من أن نضيع احسابنا ونخضع للعدو الذي نحن أشرف منه مع ان البوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضينا منها الا بالشطط ويقال في الامثال قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك ويضعف

ولقد رشفت من أفواه الحكماء ونصائح البلغاء بل شاهدت من النوائب وتلقفت من ذوى التجارب وتحققت فى الدهر أبا العجائب ان الفقر شيب الفتيان وسقم صحيح الابدان ومبعد الاقارب وجاعلهم أجانب وقاطع الارحام ومانع السلام ومبغض الاحباب ومفرق الاتراب ومشتت شمل الاصحاب وبالجملة فالذى يجب على ولى الامر التأمل فى قصارى هذا الامر والتفكر فى عاقبة هذه الحركه ومايحدث فيها من شؤم وبركه وأن يجيل قداح التدبر والتبصر والتصبر ويثبت فى صدر هذا المورد المضيق ومافيه من مجال أضيق ولا يعتمد فيه على القوة والحول وأسباب الطول والطول وكثرة الشوكة والعدد وامداد العدد والمدد مع عدم الاكتراث بالاخصام وقلة المبالاة بكل أسد ضرغام فان الاسد سلطان السباع وملك عظيم كثير الجند والاتباع شجاعته مشهوره وشهامته مأثوره به يضرب المثل ويشبه كل بطل ونحن وان كان لنا عساكر كالجبال تهدم الحصون وتدك القلال لكن ماجربنا مصارعة الاسود ولا مارسنا مقارعة النمور والفهود ولا نعرف طريق بلادهم ولا طريقة جدالهم وجلادهم وأن لهم فى الحروب أساليب وفى افتراس الفرائس أنياب ومخاليب فاخشى أن لا تتم هذه الامور وتقصر حبالنا عن مصادمة مالهم من قصور فيرجع وبال هذه الامور علينا اذ ابتداؤه أولا منسوب الينا ولا تحصل الا على الندامه والتوبيخ والملامه ويخاطبنا الجدالو بيل بما قيل

تبنى بانقاض دور الناس مجتهدا * دارا ستنقض يوما بعد أيام

وقال المدبر ولا شك أن جوهر هذا النظام وعقود هذا الكلام صادر عن فكر بعيد ورأى سديد وأمر رشيد وتأمل فى العواقب مفيد أصله الحكمه وفرعه الشفقه وزهره المعرفه وثمره الفطنه ولكن من حين استولى على الملك كيومرث ومرث على سرير التحكم أصبع الولاية أبلغ مرث وسن قواعد السياسه وأسس بنيان الرياسه وذلك زمان الابتدا وأول ما ملك على الدنيا والى هذا اليوم لم يزل القوم من الملوك فى روم وطلب الزيادة والسوم ولا عتب فى ذلك ولا لوم وقل لى أى ملك مالك تحكم فى الممالك وسلك فيها المسالك ولم يقصد فيها الولايات الشاسعه ولا الاقاليم الواسعه ولم يطلب الترفع على الاقران وعلو المكان بقدر الامكان والملك عقيم والعاجز سقيم وكيف يتصور أيها الملك الاكبر أن تكون همة الملك أدنى من همة تاجر فى البحر ينهمك فان التاجر اذا افتكر فى لذة الفائده ومايعود عليه العائده وغرته كما يقال التسع أواق الزائده يضع جميع ماله وماتصل اليه يده من خدمه ورجاله فى الفلك المشحون ولا يرهب ريب المنون ويركب هو أيضا فيه ولا يلتفت الى عجائب دواهيه ولا يفتكر فى الغرق ولا فى جبر السفينة ولو انخرق ويسلم قياده الى متصرف الهواء ونفسه وماله الى حاكم الماء ودونك ياذا الحشمه والوافر الحرمه ماقاله العاشق العالى الهمه

ان تهو بدرا فليكن * ابن الخليفة ذى السرير أو ابن سلطان الورى * أو ذى الوزارة أو أمير
وتجنب الاوغاد والغوغا وذا القدر الحقير * ان الخطير هو الذى * قد قام بالامر الخطير

وأما قولكم عساكرنا أغمار لا دراية لهم بتلك الديار ولا معرفة لهم بمصادمة الاسود ومقاومة تلك الجنود فاعلم أيها الوزير الفاضل الكبير ان الاسد ملك كاسر وعلى سفك الدماء جاسر وان فى رعيته من آذاه وأنكاه فى ذويه وأبكاه وكسره جبرا واسترعاه قسرا واستولى عليه قهرا فهو منتظر تنفس الزمان مترقب انقلاب الحدثان متوقع أيها الفضيل معنى ماقيل

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ * نصيب ولاحظ تمنى زوالها

فاذا سمع باحد خرج على الاسد ولو كان أقل الاعوان فضلا عن ملك الافيال بل قيل الاقيال الفاضل فى ذاته الكامل فى صفاته العادل فى رعيته البار باهل ولايته المحسن الى أهل مملكته المشفق الحليم الرؤف الرحيم فبالضرورة يبادر الى الملاقاه ويسارع الى ماكان يتمناه ويغتنم عبودية الملك وبعدها غاية مرتجاه فيدل على عورات العدو ومظان عثراته ويرشد الى طرائق نكاياته ونكباته وينادى

جندك وتزل نفسك ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة فى الشمس اذا أملتها قليلا زاد ظلها واذا جاوزت بها الحد فى امالتها نقص الظل وليس عدونا راضيا منا بالدون فى المقاربة فالرأى لنا ولك المحاربة قال الملك الخامس ماتقول أنت وماذا ترى القتال أم الصلح أم الجلاء عن الوطن قال أما القتال فلا سبيل للمرء الى قتال من لا يقوى عليه وقد يقال انه من لا يعرف نفسه وعدوه وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفها مع ان العاقل لا يستصغر عدوا فان من استصغر عدوه اغتر به ومن اغتر بعدوه لم يسلم منه وانا للبوم شديد الهيبة وان أضربن عن قتالنا وقد كنت أهابها قبل ذلك فان الحازم لا يأمن عدوه على كل حال فان كان بعيدا لم يأمن سطوته وان كان مكتثبا لم يأمن وثبته وان كان وحيدا لم يأمن مكره وأحزم الاقوام وأكيسهم من كره القتال لاجل النفقة فيه فان ما دون القتال النفقة فيه من الاموال والقول والعمل والقتال النفقة فيه من الانفس والابدان فلا يكونن القتال من رأيك أيها الملك للبوم فان من قاتل من لا يقوى عليه فقد غرر بنفسه فاذا كان الملك محصنا للاسرار متخيرا للوزراء مهيبا فى أعين الناس بعيدا من أن يقدر عليه كان خليقا أن لا يسلب صحيح ما أوتى من الخير وأنت أيها الملك كذلك وقد استشرتنى فى أمر جوابك منى عنه فى بعضه علانية وفى بعضه سر وللاسرار منازل منها

فى النادى فات مرادى على رغم الاعادى ويعلن بانشادى للحاضر والبادى

اذا كان للانسان فى دولة امرئ * نصيب واحسان تمنى دوامها

وأيضا فى ذلك الاقليم من هو متشبث بأمر جسيم وهو ماله من مال وأولاد واقطاعات وعقار وبلاد وسوائم ومواش وأثقال وخواش فلا يمكنه التحول عن طريقنا ولا التحمل لوعودنا وبروقنا ولا قوة المقاومه ولا طاقة المصادمه فبالضروره يصانع عن تعلقاته بالطاعه ويتشبث بذيل متتابع الجماعه فنستمد بآرائه ورواته ونستفيد فيما نحن بصدده دواء اذاته فقال الملك للمقبل ما الجواب عن هذا الخطاب فقال هذا المقال وان كان لا يخلو عن الاحتمال ووقوعه غير محال لكن الاقرب الى الذهن ان هذا لا يقع لانه أمر مبتدع ولان طباعنا مخالفة لطباعهم وأوضاعنا غير أوضاعهم وناهيك ان كلاب الحاره فى النهب والغاره يمزق بعضهم بعضا ويتناحرون فيما بينهم حرصا وبغضا حتى اذا دخل بينهم ذيب أو حيوان غريب توجهوا اليه واتفقوا عليه فمزقوا أديمه وهتكوا حريمه وجعلوا لحمه لجماعتهم ولميه وعند الاسد من الوحوش أنواع ما بين سباع وضباع ونمور وذئاب وقرود وذباب وفهود وكلاب كلهم على طباعه متفقون على اتباعه وان اختلفت عليهم الثياب لكن الكل كلاب أولاد كلاب وكل من هؤلاء على ما هم عليه متفقو الاهواء له على خصمه فى مجادلته وخصمه دربه فى المساوره ووثبة فى المغاوره وأنواع فى المكر والفرور وغان فى الخير والشر ومداخل ومخارج ومدارك ومعارج وليس فى عساكرنا سوى الصدمات والحطم بقوة النهضات والعزمات فان أفاد هذا الاصطدام والاقتحام الا الانهزام فلما بلغ المقبل فى الكلام الى هذا المقام وكان رسخ فى قلب الملك من كلام المدبر الوسخ فما أثر نصح المقبل وما أفاد لان النفس بطبعها مائلة الى الفساد فشرع الملك واعتمد على التوجه الى بلاد الاسد وأمر رؤساء فيلة الهنود بجمع العساكر والجنود وأشيع ذلك فى أطراف الممالك فاطلع على هذه الاحوال غراب يكنى أبا المرقال كان له وطن وولد وسكن فى ممالك الاسد لكنه قدم جزيرة الافيال للتنزه على سبيل التفرج والتفكه فشرع يتأمل فى هذه الامور ويستنتج من قضاياها ما يتولد من سرور وشرور فانتهى سابق أفكاره فى ميدان مضماره الى أن هذه القضايا تسفر عن بلايا ورزايا واراقة دماء وخراب أماكن وهلاك رعايا سواء تمت للافيال أو رجعت عليهم بالوبال فخاف على سكنه ودمار أهله ووطنه فادى فكره الاسد أن يطلع على ذلك الاسد ليتداركه بحسن آرائه ويعترف للغراب بحسن وفائه فبكر بكوره وقصد دوره فوصل فى أقرب بهرمات ونادى الريبال أبا الزعفران وقال الله الله انى أنا النذير العريان وأطلع الاسد على هذا النكد وقرر معه حقيقة الاحوال وما عزم عليه ملك الافيال فتشوشت لذلك الخواطر وتصدعت لخوفه الاكابر والاصاغر ثم أمر السباع وطوائف الوحوش بالاجتماع مع رؤساء مملكته وأساطين خاصته ورعيته وذكر لهم هذا الامر المهول وما عزم عليه ملك الفيول وأذن لكل واحد منهم فى ذلك بما يقول فوقع الاتفاق من أولئك الرفاق أن يتفق أعيان كل جنس من الحيوان على رئيس من جنسهم يقيمونه مقام نفسهم يرضون بأقواله ويقتفون آثار أفعاله وليكن من أهل الحصافة والكفايه واللطافة والدرايه والشفقة العامة والمعرفة التامه يعقد معهم للمؤامره مجالس رأى ومشاوره فمهما وقع عليه الاتفاق واجتمع عليه الرفاق واستصوبه الاسد وارتضاه اتبعوه وعملوا بمقتضاه فتقدمت طائفة الآساد الى تابع منهم اسمه اد سبع يسود على طوائف الاسود طالما افترس الاقران وانغمس فى دماء الشجعان وأضاف جوارح الصيد فضلات ما افترسه من عمرو وزيد كاسر جاسر باسل باسر حاسر قاسر ظاهره أبى وباطنه بالمكر غنى

أسد يسود على الاسود زئيره * رعد وعيناه بروق تخطف

فقدموه واختاروه واستشار وارأى رأيه وامتاروه واختارت النمور نمرا يعور سريع الوثبه بديع الضربه لطيف الحركات خفيف النهضات قوى الشماس خفى الاختلاس كثيرا ما كسر أسامه

مايدخل فيه الرهط ومنها ما يستعان فيه بالقوم ومنها ما يدخل فيه الرجلان ولست أرى لهذا السر على قدر منزلته أن يشاركه فيه الأربعة آذان ولسانان فنهض الملك من ساعته وخلا به فاستشاره فكان أول ما سأله عنه الملك انه قال هل تعلم ابتداء عداوة ما بيننا وبين البوم قال نعم كلمة تكلم بها غراب قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الغراب زعموا ان جماعة من الكراكى لم يكن لها ملك فاجمعت أمرها على ان يملكن عليهن ملك البوم فبينما هى فى جمعها اذ وقع لها غراب فقالت لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه فى أمرنا فلم يلبثن دون أن جاءهن الغراب فاستشرنه فقال لو ان الطير بادت من الاقاليم وفقد الطاوس والبط والنعام والحمام من العالم لما اضطررتن الى ان تملكن عليكن البوم التى هى أقبح الطير منظرا وأسوؤها خلقا وأقلها عقلا وأشدها غضبا وأبعدها من كل رحمة مع عماها وما بها من العشا بالنهار وأشد من ذلك وأقبح أمورها سفهها وسوء أخلاقها الا أن ترين ان تملكنها وتكن أنتن تدبرن الامور دونها برأيكن وعقولكن كما فعلت الارنب التى زعمت ان القمر ملكها ثم عملت برأيها قال الطير وكيف كان ذلك (قال) الغراب زعموا ان أرضا من أراضى الفيلة تتابعت عليها السنون وأجدبت وقل ماؤها وغارت عيونها وذوى نبتها ويبس شجرها فاصاب الفيلة عطش شديد فشكون ذلك الى مليكهن فارسل الملك

وسامي اسود خفان فاسر ضرغامه كما قيل

نمر تخاف الاسد من وثباته * وتحار في حركاته وثباته

وقدمت الثعالب ثعلبا لطيف الروغان ظريف الزوغان خفي الحيل قوي المسل طالما فر من طبل واهال على الصيادين من أهوال وأحرق السلوقيات سلاحه ونفذ في غالب الاسود بالمكر سلاحه

يضل بني ساوق من دهاء * فيخلص من مخالبها سليما

واعتمدت الذئاب في هذا الباب على ذئب فعله عجيب وأمره غريب سديد الختل والختر شديد المكر والتكسر طالما أفسد ثله ودخل في قطيع ماشية فقطعه كله يعجز الاسود والنمور والفهود شيمته الغدر والخديعه ودأبه المكر وسوء الطبيعه شعر

وقد جمع الضدين نوما ويقظة * يخاف الرزايا فهو يقظان نائم

فاختلى بهم أبو الاشبال وشاورهم فيما دهمه من الاهوال وتوجه بالخطاب الى الاسد وقال ما رأيك في هذا النكد فقال لا تطلب النصر في هذا الحصر الامن مالك العصر ومصرف أحوال الدهر بين الفرج والقسر وهو الله سبحانه وتعالى وعز شأنه وجل جلاله فانا مظلومون وهم ظالمون ونحن ما اعتدينا عليهم ولا تقدمنا بالظلم اليهم فسيرد الله كيدهم في نحرهم وسيحيق بهم عاقبة مكرهم وهذا أمر مقرر وأظنه هو المقدر وأما ما يتعلق بنا وبهم من الفرار والصلح أو حربهم فاذكره على التفصيل وأخبر في ذلك الرأي الجميل أما الفرار فلا سبيل اليه ولا معول أبدا عليه وأنى ذلك وهو عيب ما وصمت به الاسود ولا ألهم به وصف معهود وبنا يضرب المثل في الشجاعة والبساله وتتشبه بنا الابطال في الاقدام لا محاله وكيف نترك بلادنا وأهلنا وأولادنا من أول وهله ونعزم على الرحله ولا صادمناهم ولا واقفناهم ولو فعلنا ذلك فهربنا وتركنا ما لنا وذهبنا لفسدت أمورنا وخربت مما لكنا ودورنا ولانفرط نظامنا وتعوج قوامنا واستمرت هذه الملامه الى يوم القيامه ولدام علينا هذا العار ولا يقر لنا بعد ذلك قرار واعلم أيها الملك نور الله وجهه السنى وبك أن العمر السنى ما مر في العيش الهنى وقد قيل

ما العمر ما طال به الدهور * العمر ما طاب به السرور

والعمر الذي عمر في نكد لا يحتسبه من ذوي الكفاية أحد وحسبك ما ذكره المترجم من حكاية الملك المعزول مع المنجم فسأله أبو الاشبال سرد هذا المثال (فقال) الاسد ذكر القائل أن أهل بابل كانت عادتهم في دينهم وسلوك طريقهم مع سلاطينهم انهم اذا اعتنوا بشخص ملكوه واتبعوا طريق أمره وسلكوه وبذلوا في طاعته ما ملكوه فاذا أرادوا عزله تركوه ونشزوا عنه وفركوه وأهملوا احسانه وفذلكوه وسكنوا غيره في سرير الملك وحركوه فاتفق انهم ولوا واحدا وأعزوه ونصروه ثم خذلوه وأقبلوا عليه أولا ثم قتلوه وكانت مدة ما بين ذلك يسيره وعمر أيامه في ولايته قصيره فحصل له أولا السرور ثم تراكمت عليه بالعزل الشرور فاحتوشته الفكر وبات يصارع القضاء والقدر ثم قال لو راقبت في اول الجلوس ما في الطالع من سعود ونحوس ثم اخترت لساعة ارتقائي وقتا يطول فيه بقائي وذلك يكون نجمي في برج ثبت لما انقلبت كواكب سعدي عن الاستقامة ولا نبت ولكن حيث فات ذلك في الابتداء فاتدراكه في الانتهاء فلعل ذلك يفيد ويردني الى سرير السرور ويعيد ثم طلب منجما حاذقا ماهرا في صنعته فائقا وقال انظر في طالع جدي وتأمل برج نحسي وسعدي واختر لي ساعة يصلح فيها النزول عن السرير ويكون العود الى السرير بواسطة الناظر اليها غير عسير فان الناظر الى الطالع هو الجالب والمانع فامتثل المنجم ما رسم وشرع في وضع الاشكال والقسم ثم قال أحسن ما نظر في الطالع المسعود من حين الميلاد فانه أول الوجود فاذا أخذ الطالع من ساعة الميلاد ترتب عليه ما يصدر على ذلك المولود من السعد والاسعاد ومن الخوف والرجاء في عالم الكون والفساد فهل اطلع الملك في أي ساعة وجد وكم أتى عليه من حين ولد قال نعم أعرف مدة عمري جزما وهي اثنان وعشرون يوما فتعجب المنجم من مقاله ولم يقف على حقيقة حاله فقال ليوضح

كثيرة الماء فتوجه ملك الفيلة بأصحابه الى تلك العين ليشرب منها هو وفيلته وكانت العين في أرض للارانب فوطئن الارانب في أجحارهن فاهلكن منهن كثيرا فاجتمعت الارانب الى ملكها فقلن له قد علمت ما أصابنا من الفيلة فقال احضر منكن كل ذي رأي رأيه فتقدمت أرنب من الارانب يقال لها فيروز وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والادب فقالت ان رأى الملك أن يبعثني الى الفيلة ويرسل معي أمينا ليرى ويسمع ما أقول ويرفعه الى الملك فقال لها الملك أنت أمينة ونرضى بقولك فانطلقي الى الفيلة وبلغي عني ما تريدين واعلمي ان الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل المرسل فعليك باللين والرفق والحلم والتأني فان الرسول هو الذي يلين الصدور اذا رفق ويخشن الصدور اذا خرق ثم ان الارنب انطلقت في ليلة قمراء حتى انتهت الى الفيلة وكرهت أن تدنو منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهن فيقتلنها وان كن غير متعمدات ثم أشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة وقالت له ان القمر أرسلني اليك والرسول غير ملوم فيما يبلغ وان أغلظ في القول قال ملك الفيلة فما الرسالة قالت يقول لك انه من عرف فضل قوته على الضعفاء فاغتر بذلك في شأن الاقوياء

الملك ما أشار لاقف على حقيقة هذه الاسرار فقال مدة استيلائى على السرير هو هذا القدر اليسير وأنا لاأحسب العمر ولاأعتد بوصال ض ولاسمز الا هذه الايام والليالى ولاأحتسب سواها عمرا ولو بيع بالاك لى وقد قلت

وعمر مضى بالهجر لست أعده * ولكننى أقضيه فى زمن الوصل

وانما رضت يابطل على رأيك السعيد هذا المثل لتعلم أن أيام المحنة لاتعد عمرا ولو قضى الانسان فيها زمانا طويلا ودهرا وأما الصلح ياذا الركون فعلى أى وجه يكون ومن أين يقع بيننا وبينهم اتفاق وسكون وليسوا من جلدتنا ولا على ملتنا وفى عصر وأوان ذل الاسد واستكان وخضع للفيل ودان أو أعطى الغضنفر النباج والضرغام الصعب الفاج لغيره الجزية والخراج وهو فى الحقيقة سلطان الوحوش ووهاب التاج فلم يبق الا الاستعداد للمصادمه والتاهب للمفاجئة والمقاومه ولنا من ذلك فى البين احدى الحسنيين اما الظفر بهم وهو المرام واما الشهادة فنموت ونحن كرام وقد قال السيد السديد من قتل دون ماله فهو شهيد وقيل ياحاتم طى حسن الثناء على الميت خير من سوء الثناء على الحى والموت فى مقام العزه مع النشاط والهزه أرفع من الحياة بذلة ووخزه وكسرة ونخزه وقد كنت أنشدت وقديما أرشدت

هو الموت ان لم تلقه ضاحكا فت * عبوسا بوجه أقتر اللون أغبرا

ومن لم يمت فى ملتقى الخيل مقبلا * عز يزا يمت تحت السنابك مدبرا

فاقبل الريبال على أبى مرسال وقال أيها النمر وصاحب الخلق الزمر ماذا تشير فى هذا المهم والمشكل الذى دهم فقال ان الافيال أكبر جسوما وأعظم حلوما وأقوى فى الضرب وأعدى فى الحرب وقد استعدوا وأقبلوا واتقنوا أمورهم وأعملوا وأنا أخشى أن يكونوا أقوى بطشا وأن نعجز عن المقاومه فى المصادمه فان فينا العاجز والضعيف والذميم الجثة والخفيف ومن لا عرف الافيال ولا رأى تلك الاشكال فينفر من مصادمة الجبال فيطؤننا تحت أخفافهم وتنكسر شوكتنا فى أول مصافهم فلم يبق الا الفرار ولا يقر لنا بعد ذلك قرار فيستولون عنوة وقسرا على هذه الديار وينفرط النظام ونرضى عند ذلك بالسلامة والسلام ونقع فى البلاء العريض الطويل وانظر يامولاى الى ماقيل

هل للعرائر من صوت اذا وصلت * أيدى الرعاع الى الخلخال والخدم

فعندى الرأى ذو الاصاله أن ينتخب الملك من يصلح للرساله ويحسن السفاره ويحسن العباره فيسكن من فورة شغبهم وثورة لهبهم وسورة غضبهم ويعدهم ويمنيهم ويحسن التقريب ويقصيهم وفى ضمن هذه الاوقات وأثناء هذه الحالات يراقب أوضاعهم ويخبر جمعهم واجماعهم ويتوصل الى أسرارهم ويواصلنا باخبارهم ويطالعنا بما خامر أفكارهم ويكتب ماقدموا وآثارهم ونستمر على المراسله والمقاولة والمطاوله فان تيسر رجوعهم وانكشف بالهوينا جموعهم والا فنكون قد استعددنا عن الاستبصار فنتعاطى أمور قتالهم بعد التأمل والاختبار وان أمكننا أن نأتيهم بالليل ونحل بهم الدواهى والويل بعد أن يركنوا الى جانبنا ويأمنوا من نوائب مصائبنا فربما نصل الى بعض القصد أو يوافق بعض حركاتنا السعد فالتفت الدوكس الى العامس وقال أى سيد وذا الامر الرشيد ماذا ترى فيما طرا وكيف طريق القوم فيما جرى قال السمسام يامولانا الضرغام الذى سمعته من أولى التجارب وتلقفته من الاصحاب والاجانب انه من التوفيق اذا ابتلى الشخص بعداوة من لا يطيق أن يدافعه بالهدايا والتحف ويحابيه بشئ من الطرائف والتحف فانه قيل فى الامثال ان خير الاموال ما ادخر لدفع البوس ووقيت بنفائسه النفوس فاهب النهاب بأبى وثاب ياأبا الحصين مارأيك فى البين وأى آراء الاصحاب أقرب الى الصواب فتقدم الثعلبان وتكلم فابان وقال أسعد الله الاحد مولانا الاسد وجعل رأيه الاسدّ وفعله على أعدائه الاشد اعلم أيها الداهات أن امورنا لاتخلو عن احدى ثلاث اما المقابلة بالمقابحه واما المهادنة والمصالحه وقد تقرر فيما تقدم وتحرر بيان كل منهما ومايصدر فيهما وعنهما واما الفرار وتوليه الادبار وترك الاوطان والديار فاف لذلك من عار وسبة وشنار فما بقى الا الحالة الثالثه وهى بعسا كرهم

فياسالهم على الضعفاء كانت قوته و بالاعليه وأنت قد عرفت فضل قوتك على الدواب فغرك ذلك فعمدت الى العين التى تسمى باسمى فشربت منها وكدرتها فارسلنى اليك فانذرك أن لاتعود الى مثل ذلك وانك ان فعلت أعشى بصرك واتلف نفسك وان كنت فى شك من رسالتى فهلم الى العين من ساعتك فانى موافيك بها فعجب ملك الفيلة من قول الارنب فانطلق الى العين مع فيروز الرسول فلما نظر اليها رأى ضوء القمر فيها فقالت فيروز الرسول خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر فادخل الفيل خرطومه فى الماء فتحرك فخيل للفيل أن القمر ارتعد فقال ما شأن القمر ارتعد أتراه غضب من ادخالى جحفلتى فى الماء قالت فيروز الارنب نعم فسجد الفيل للقمر مرة أخرى وتاب اليه مما صنع وشرط أن لايعود الى مثل ذلك هو ولا أحد من فيلته قال الغراب ومع ما ذكرت من أمر البوم أن فيها الخب والمكر والخديعة وشر الملوك المخادع ومن ابتلى بسلطان مخادع وخدمه أصابه ما أصاب الارنب والصفرد حين احتكما الى السنور قالت الكراكى وكيف كان ذلك (قال) الغراب كان لى جار من الصفارد فى أصل شجرة قريبة من وكرى وكان يكثر مواصلتى ثم فقدته فلم أعلم أين غاب رطالت غيبته عنى فجاءت أرنب الى مكان الصفرد فسكنته فكرهت ان أخاصم

عابثه ولقلوبهم كارثه وهى طريقة الاحتيال والتوصل الى لقائهم بطرائق المكر فى جب الوبال فان صائب الافكار يعمل ما لا يعمله الصارم البتار فبشباك الحيله تصاد كل فضيله وتهون كل جليله وأنا أفصل ما أجملت وأبين ما فصلت أما المقابله والاخذ فى أسباب المقاتله فلا طاقـة لنا به ولا باب لدخول قبابه لانا عاجزون عن المصادمه قاصرون عن المقاومـه محتاجون الى الطعام والشراب وبعض عساكرنا لا يعيش الا باللحم والكباب وجيشهم الذى قد ملا وسد الوهد والفـلا يقنعون بالحشيش والكلا فلا يتكلفون لحمل زاد ولا يحتاجون الى عدة وعتاد وأيضا أحوال عساكرنا المفرقة المضمومة لاختلاف أجناسها وأنواعها غير معلومه فلا اعتماد عليهم ولا يتحقق الركون اليهم فانهم أجناس مختلفه وطوائف غير مؤتلفه وبينهم معاداه وفى جبلتهم النفرة والمنافاه وبعضهم غذاء بعض وفى قلبه منه عداوة وبغض لو ظفر به كسره وأكله وان استنصر به خذله فهم كالقفل المجمع ولون اتفاقهم ملمع وأما عساكر الافيال فبينهم اتفاق على كل حال لانهم جنس واحد وما بينهم مخالف ولا مناكد ولهم اعتماد على قوتهم وعلى اتفاقهم وشوكتهم والمعتمد على مثل عساكرنا ان لم يضبط بطريقة كلية أمر عشائرنا ينفرط أمره ويخمد فى ايقاده نار الحرب جمره ويعلوه من بحر النوائب غمره ويظفر به من أعدائه زيده وعمره ويصيبه من الحطة ما أصاب الصياد من القطه فسأل أبو الحارث عن بيان هذا الحادث قال الثعلب ذكر أن رجلا ذا كيد كان مغرما بالصيد وكان عنده قط صياد يجترئ على النمس والفياد فكان يوما بين يديه فمر عصفور عليه فطفر كالنمور وحصل من الهواء العصفور فاعجب به صاحبه ثم قصد الصيد وهو مصاحبه وجعله تحت ابطه وبالغ فى حفظه وضبطه وركب جواده وتوجه يروم اصطياده فرقى سفح جبل فخرج من وراء صخرة طائفة من الحجل فتوجه اليه وألقى القط عليه فطار الطير وخاف القط وقصد رجوعه الى تحت الابط فطفر الى جبهة الجواد وأنشب فيها مخاليبه الحداد فجفلت الفرس من لقطه وخبطت بفارسها الارض شر خبطه أزهقت فيها نفسه وأبطلت حسه (وانما أوردت) هذا المثل ليعتبر رأيها البطل فى هذا الامر من وقوع الخلل ويتفكر فى أمر هؤلاء الجماعه وكيف ثباتهم فى دعواهم السمع والطاعه فانهم لا يصلحون للقتال خصوصا مصادمة عساكر الافيال فالملك لا يعتمد على مثل هذا العسكر اللهم الا أن يتقرر أمرهم على صدق اللقاء ويتحرر وأما ما ذكره مولانا أبو سهيل فى تبييت عساكر الافيال بالليل فهو رأى معتبر ولكن فيه نظر لان ذلك انما يكون اذا كان العدو فى سكون وعن توقع النكبات فى ركون فبينما هم فى غفلتهم ذاهلون جاءهم بأسنا بياتا وهم قائلون وأما اذا كانوا مستعدين يقظين مجدين وقد توجهوا للقتال وانتصبوا للمناضلة على هذه الحال فلا شك أنهم اتقنوا أمرهم وأخذوا أسلحتهم وحذرهم فاعدوا لكل نائبة نابا ولكل نائفة بابا ولكل حرب حرابا ولكل ضرب ضرابا ولكل شدة سده ولكل عدة عده ولكل حزة نجزه ولكل وفزة قفزه ولكل نفرة طفره ولكل فرة كره ولكل أزمة حزمه ولكل كسرة جزمه فربما يكونون افتكروا مثل هذه المكيده وأعدوا فى مقابلتها داهية نصبوا لها مصيده فنتوجه اليها غافلين فننشب فى شركها ذاهلين فيصيبنا من النكال ما أصاب الجمل من الجمال فقال الريبال هات يا أبا الترهات أخبرنا يا أبا نوفل أخبار الجمل المغفل (قال) كان جمال فقير ذو عيال له جمل يتعيش عليه ويتقوت هو وعياله بما يصل منه اليـه فرأى صلاحه فى نقل ملح من الملاحه فجد فى تثقيل الاحمال وملازمته باثقال الاثقال الى أن آل حال الجمل الى الهزال وزال نشاطه وحال والجمال لا يرق له بحال ويجد فى كده بالاشتغال ففى بعض الايام أرسله مع السوام فتوجه الى المرعى وهو ساقط القوة عن المسعى وكان له أرنب صديق فتوجه اليه فى ذلك المضيق ودعاه وسلم عليه وبث عظيم اشتياقه اليه فلما رأى الخزز هزاله تألم له وسأله أحواله فاخبره بحاله وما يقاسيه من عذابه ونكاله وأن الملح قد قرحه وجب سنامه وجرحه وأنه قد أعيته الحيله وأضل الى الخلاص سبيله فتألم الارنب وتأمل وتفكر فى كيفية عصر هذا الدمل ثم قال يا أبا أيوب لقد فزت بالمطلوب وقد

الارنب فلبثت فيه زمانا ثم ان الصفرد عاد بعد زمان فاتى منزله فوجد فيه الارنب فقال لها هذا المكان لى فانتقلى عنه قالت الارنب المسكن لى وتحت يدى وأنت مدع له فان كان لك حق فاستعد باثباته على قال الصـفرد القاضى منا قريب فهلمى بنا اليه قالت الارنب ومن القاضى قال الصفردات بساحل البحر سنورا متعبدا يصوم النهار ويقوم الليل كله ولا يؤذى دابة ولا يهريق دما عيشه من الحشيش ومما يقذفه اليـه البحر فان أحببت تحاكمنا اليـه ورضينا به قالت الارنب ما أرضانى به اذا كان كما وصفت فانطلقا اليـه فتبعتهما لانظر الى حكومة الصوام القوام ثم انهما ذهبا اليه فلما ابصر السنور بالارنب والصفرد مقبلين نحوه انتصب قائما يصـلى وأظهر الخشوع والتنسك فعجبا لما رأيا من حاله ودنيا منـه هائبين له وسلما عليـه وسألاه أن يقضى بينهما فامرهما أن يقصا عليـه القصة ففعلا فقال لهما قد بلغنى الكبر وثقلت أذناى فادنوا منى فأسمعانى ما تقولان فدنوا منـه وأعادا عليه القصة وسألاه الحكم فقال قـد فهـمت ما قلتما وأنا مبتـدئكما بالنصيحة قبل الحكومة بينكما فانا آمركما بتقوى الله وأن لا تطلبا الا الحـق فان طالب الحق هو الذى يفلح وان قضى عليـه وطالب الباطـل مخصوم وان قضى له وليس لصاحب الدنيا من دنياه شئ لا مال ولا صديق سوى العمل الصالح يقدمه فذو العقل

ظهر وجه الخلاص من شرك هذا الاقتناص والنجاة من الارتهاص والارتصاص تحت حمل كالرصاص فهل يعترضك ياذا الرياضه في طريق الملاحة مخاضه فقال كثير وكم من نهر وغدير فقال اذا مررت في خوض ولو أنه روض أوحوض فابرك فيه وتمرغ وتنصل من جملك وتفرغ واستمر فيه يا أبا أيوب فان الملح في الماء يذوب وكرر هذه الحركه فانك ترى فيها البركه فاما أنهم يغيرون حملك أو يخففوه أو تستريح بذوبه من الذى أضعفوه فتحمل الجمل للارنب المنه وشغف بدر هذه الفائدة اذنه فلما حمله صاحبه الحمل المعهود ودخل به في طريقه المورود ووصل الى المخاضة برك فضربوه فما قام ولا احترك وتحمل ضربه وعسفه حتى أذاب من الحمل نصفه ثم نهض انتهاضه وخرج من المخاضه ولازم هذه العاده الى أن أفقر صاحبه وأباده فادرك الجمال هذه الحيله فافتكر له في داهية وبيله وعمد الى عهن منفوش وغير في مقامرته شكل النقوش وأوسق للجمل منه حملا بالغ فيه تعبية وثقلا وساط عليه الظما ثم دخل به الى الما فلما توسط الماء برك وتغافل عنه صاحبه وترك فتشرب الصوف من الماء ماء ملؤ البرك ثم أراد النهوض فنأى به الربوض فقاسى من المشاق ما لا يطاق ورجع هذا الفكر الوبيل على الجمل المسكين باضعاف التثقيل فساء مصيره وكان في تدبيره تدميره وما استفاد الا زيادة النصب وأمثال ما كان يجده من التعب والوصب (وانما أوردت) هذا المثل عن الجمل ليعلم الملأ والحضار ان العدو الغدار والحسود المكار يتفكر في أنواع الدواهى ويفرع أنواع البلايا والرزايا كما هى ويبذل في ذلك جده وجهده ولا يقصر فيما تصل اليه من ذلك يده فتارة تدرك مكايده وتعرف مصايده وتارة يغفل عن دواهيها فلا يشعر الخصم الا وقد تورط فيها وعلى كل حال لابد للشخص له وعليه من الاحتيال وأما طلب الصلح وارسال الهدايا فمن أعظم المصائب وأكبر الرزايا فان ذلك يدل على عجزنا والخور وينادى على هواننا في البدو والحضر ويجرئ علينا الغريب ويذهب حرمتنا عند القريب ودونك يا أبا العباس ما أنشدتك في المقياس

وما أنا ممسافر من نار خصيمه * لقال حسودا والى فىء شامت

ولكن الرأى الانور أيها الورد الغضنفر أن ترسل اليهم رسولا عاقلا فصيحا جيلا بصيرا بعواقب الامور قد مارس تقلبات الدهور وقد ربى وتربى وعن الرذائل تابى وبانواع الفضائل تعبى وأحرم الى كعبة محاسن الشيم وابى ولولا أن باب النبوة استدلتنى برسالة تخله تسفر عن بسالة جزله تتضمن سؤالهم عما أوجب ارتحالهم وسبب قصدهم ابقعتنا وتوجههم لدخول رقعتنا وما موجب هذا الاعتداء ولم يصدر منا لهم الا المحبة والولا وحسن الجوار والاحسان الى الكبار والصغار ومعاملة الغريب والقريب بالفضل الجيب والكرم الذى لا يخيب ويذكرهم بسالتنا وشجاعتنا وفي معاملات المضاربة بضاعتنا ويكشف لهم في ملابسة الحرب والضرب صناعتنا ويحقق عندهم ما عندنا من أسود الحرب وفوارس الطعن والضرب وأجناس الوحوش الكواسر والسباع الجواسر وأصناف الفراعل والعسابر ويتكلم بكلام يراه مقتضى المقام ومناسبا للحال ويوسع في ذلك المجال ويميز أوضاعهم وعساكرهم ويسبر بمسبار العقل أمورهم وأوامرهم ويسمع الجواب وما فيه من خطا وصواب ويورده الينا ويعرضه علينا فنعمل بمقتضاه وينظر الرأى السديد فيه ما ارتضاه ونبنى على ذلك الاساس ونفصل على ذلك القياس فاستصوبوا هذا الرأى من الآراء وطلبوا له كفؤا من الاكفاء فوجدوا ذئبا هو من خواص الحضره ومن ذوى النباهة والشهره له في ميدان الفضائل كر وفر وفي مظان النفع والضر خير وشر قد جرب في المصايد ودرب في المكايد وهذب في المصادر والموارد ورتب في المطارف والمطارد أدنى فضائله حسن السفاره واحدى فواضله ترتيب العباره حلال المشكلات كشاف المعضلات فوقع عليه اختيارهم ورضى به كبارهم وصغارهم فحمله الاسد كلامه وجعل البسملة مبدأه والحسبلة ختامه ومن مضمونها بعد ابلاغ التحيه والاثنية السنية الى الحضرة العليه ملك الافيال أبى مزاحم المفضال ألهمه الله هداه وصرف عنه رداه وبصره مواقع الخير وهداه ولا شمت به أعداه وحفظه بالعشى والغداه

حقيق أن يكون سعيه في طلب ما يبقى ويعود نفعه عليه غدا وأن يمقت بسعيه فيما سوى ذلك من أمور الدنيا فان منزلة المال عند العاقل بمنزلة المدر ومنزلة النساء اللاتى عالكهن بمنزلة الافاعى المخوفة ومنزلة الناس عنده فيما يحب لهم من الخير ويكره من الشر بمنزلة نفسه ثم ان السنور لم يزل يقص عليهما من جنس هذا وأشباهه حتى أنسا اليه وأقبلا عليه ودنوا منه ثم وثب عليهما فقتلهما قال الغراب ثم ان البوم تجمع مع ما وصفت لكن من الشؤم وسائر العيوب فلا يكونن تمليك البوم من رأيكن فلما سمع الكراكى ذلك من كلام الغراب أضربن عن تمليك البوم وكان هناك بوم حاضر قد سمع ما قالوا فقال للغراب لقد وترتنى أعظم الترة ولا أعلم انه سلف منى اليك سوء أوجب هذا وبعد فاعلم ان الفاس يقطع به الشجر فيعود ينبت والسيف يقطع اللحم ثم يعود فيندمل واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى مقاطعه والنصل من السهم يغيب في اللحم ثم ينزع فيخرج واشباه النصل من الكلام اذا وصلت الى القلب لم تنزع ولم تستخرج ولكل حريق مطفئ فللنار الماء وللسم الدواء وللحزن الصبر وللعشق الفرقة ونار الحقد لا تخبو أبدا وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء فلما قضى البوم مقالته ولى مغضبا فاخبر ملك البوم بما جرى وبكل ما كان من قول الغراب ثم ان الغراب ندم على ما فرط منه وقال والله لقد خرقت في قولى الذى جلبت به

وجعل عقباه خيرا من مبتداه تحيط علومه الكريمه وآراءه العلية الجسيمه ان قوتنا من قديم الزمان ظاهره وهيبتنا باهره وصولتنا قاهره لم نزل نفترس الفوارس ونكرم أصناف الاضياف من الوحش والطير بالفرائس ويضرب بنا في الشجاعة والكرم الامثال ويفر من بين أيدينا أسود الابطال ولا عار على من فر من بين يدي الريبال وقد اتصل بنا أن ملك الافيال توجه الينا بجنوده وهيأ في ذلك أجناس عساكره وبنوده وما علمنا لذلك موجبا ولا تقدمنا بعداوة تنشئ حربا وحربا بل ولا تعرضنا لاحد في ملكه وملكه وعدلنا بحمد الله تعالى جار في بحار الملك وفلكه والرعايا شاكرة منا ولم ينشر سوى الذكر الجميل عنا فأنعموا بردا الجواب وميزوا الخطأ من الصواب قبل أن يكشر الشر نابه ويفتح جرابه ويحرش للهر بركلابه ويسلخ ليله اهابه ويكسر رائد الفتنة بابه فتتفاقم الامور وتتعاظم الشرور وتتلاطم بحارها وتمور عند التهاب شواظ الغيظ من الاسود والنمور مع أن اعتمادنا على الله العظيم وتوكلنا على العزيز الرحيم فلما بلغ الذئب الرساله وأدى ما فيها من شجاعة وبساله وبين للملك الافيال ما تضمنته من عظمة وجلال استشاط ملك الافيال وتغيرت لاضطرابه الاحوال ونظر من تلك الفيول الى فيل ظلوم جهول وبدر اليه من غير تدبر ولا تأمل في الامور وتفكر وقال اذهب الى هذا المعتمد على كلامه الراقد في غفلة منامه وقل له متى مارست معركة الشجعان أو صارعت رجال الميدان وأنى لك طاقة بصادمة الجبال ومن أين تعرف مقاومة الافيال فاستيقظ لنفسك فعن قريب تحل برمسك واستعد لجنود لا قبل لك بها فستشاهد ما لم تسمعه من ضرب بها في حربها فلقد أتاك عسكر القضاء وبنوده وليعظمنكم سلطان الافيال وجنوده فليريقن الدماء وليستأمرن الحرائر كالاماء وليدوسن الاطفال ولترين منه الانكاد والانكال وليظهرت آثار الدمار والبوار بممالك من ممالك ومساكن وديار وليفعلن بولايتك ما فعله بممالك الاسلام التتار وأنت بين أمرين وبخير النظرين اما أن تطيع لامرنا وتنقاد وتسلم الينا ما بيدك من بلاد واما أن تختار طرق الفراق والفرار وتنجو منا نجا الذباب وتتنحى عن طريقنا بما معك من كلاب وذئاب وقد بالغنا في النصحه بعباراتنا الصحيحه وأقوالنا الفصيحه قبل افشاء الفضيحه فوصل الفيل الرسول وأدى هذا المقول فتشوش الاسد وداخله الغيظ والنكد فاراد الايقاع بالرسول الظلوم الجهول ثم تمالك وعن ذلك تماسك وقال لولا أن عادة الملوك ودرب السياسة المسلوك أن لا تهاج الرسل ولا تضيق عليهم السبل لقابلتك على كلامك الفج بما يجب من العج والثج ثم التفت الى الثعلب وقال يا أبا الحصين ما عندك في جواب هذين النحسين قال الثعلب أنت الاغلب هذا القيل أقوى دليل وأوضح سبيل على عدم عقل الفيل وان فكره وبيل وبصيرته قد عميت وطرق هدايته قد خفيت وانه غوى وأضل قومه وما هدى وكل من اعتمد على قواه وحوله واستعلى غرور فعله وقوله فقد زال وزل وفي عقد البلاء حال وحل وهذا الجاهل السخيف الكثيف الثقيل الجثة الخفيف قد استحقرنا في عينه فسيرى منا حلول حينه وكل من استحقر واستخف بعدوه فسيعدم حلاوة هدوه ويحرم مواصلة مرجوه وقد قالت الحكماء الاخيار والعقلاء ذوو الاعتبار وأولو التجارب والاستبصار لا تستحقر السقم والنوم والدين والعدو والنار فالملك أعز الله نصره وأعلى مناره وقدره وسلط على الاعداء قهره لا يلتفت الى هذا الكلام ولا يتزعزع لهذه الاوهام ولا يخف من جهامة الافيال فكل ما هم فيه باطل ومحال بل يعتمد على الله العزيز الجبار ويصفي نيته بالعدل والخير مع الكبار والصغار ويقوي جنانه على الملاقاه وقد وافاه النصر وأتاه ولاغاه السعد ولاقاه فان هؤلاء اعتدوا على ولايته وأتوها فسينزل الله تعالى عليهم جنودا لم يروها فكم من مستضعف حقير صدر منه بالحيلة أمر خطير وبحسن التدبير ومساعدة التقدير تم له أمر كبير وناهيك قصة الفاره مع رئيس الحاره وما فعلته اذ خاتلته الى أن قتلته فسال حيدره عن تلك المأثره (فقال) بلغني أيها النفيس أنه كان رئيس ضيق العطن خسيس له زوجة ذات صيانه ودين وأمانه لم تزل تجتنب الخيانه وتتعاطى العفة والرزانه وله دجاجة تبيض

أكثر مما رأيت وعلم أضعاف ما علمت فمنعها من الكلام بمثل ما تكلمت اتقاء مالم أثق والنظر فيما لم أنظر فيه من حذار العداوة والبغضاء على نفسي وقومي وليتني لم أخبر الكركي بهذه الحال ولا أعلمتها بهذا الامر ولعل أكثر الطير قد رأى العواقب لاسيما اذا كان الكلام أفظع كلام يلقى منه سامعه وقائله المكروه مما أورث الحقد والضغينة فلا ينبغي لاشباه هذا الكلام ان يسمى كلاما ولكن سهاما والعاقل وان كان واثقا بقوته وفضله لا ينبغي ان يحمله ذلك على ان يجلب العداوة لنفسه اتكالا على ما عنده من الرأي والقوة كما انه وان كان عنده الترياق لا ينبغي له أن يشرب السم اتكالا على ما عنده وصاحب حسن العمل وان قصر به القول في مستقبل الامر كان فضله بينا واضحا في العاقبة والاختبار وصاحب حسن القول وان أعجب الناس منه حسن صفته للامور لم تحمد عاقبة أمره وأنا صاحب القول الذي لا عاقبة له محمودة أليس من سفهي اجترائي على التكلم في الامر الجسيم لا استشير فيه أحدا ولم أعمل فيه رأيا ومن لم يستشر النصحاء الاولياء وعمل برأيه من غير تكرار النظر والروية لم يغتبط بمواقع رأيه فما كان أغناني عما كسبت يومي هذا أو ماوقعت فيه من الهم وعاتب الغراب نفسه بهذا الكلام واشباهه وذهب فهذا ما سألتني عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين

على

على الدوام فيسرق بيضتها أبو راشد وهم نيام فاذا افتقد الرئيس بيضته طالب بها زوجته فتحلف انها مارأتها ولا تعرف يدا أخذتها فيوسعها سبا ويوجعها ضربا ولا يصدق قولها ولا يرحم عولها ففي بعض الاحيان رأت المرأة الجرذان وهو يجر البيضة الى جحره وقد بلغ بها باب وكره فدعت بعلها لتريه الفار وفعلها فعلم براءة ساحتها وعمل على راحتها واعتذر اليها وطلب الفارة وحنق عليها وأعمل المكيده ونصب للفارة دون البيضة مصيده فلما رأت الفارة الشرك علمت ان وراءه الدرك فشعرت بما وضع عليه فلم تقدم اليه الى أن زار الجرذان أحد أقاربه من الفيران فلم يجد شيأ يضيفه فاعتذر الى الضيف بما هو يخيفه وأراه من البيضة سواد وأن دونها خرط القتاد وكان الضيف الغر لا يعرف هرا من بر فحمله السفه والحرص والشره على أن قال أنا أخوض هذه الاهوال وأرد من الموت حوضه وأصل الى هذه البيضه ثم قصد المصيده فقبضت وريده وخنقته وليده ووديده فتنكدت الفارة وتكدرت والتفت أحشاؤها وتسعرت وتألمت لموت ضيفها وبلغ جيرانها حديث ضيفها فخجلت منهم واختفت عنهم وشاعت قضيتها وذاعت بليتها فلم تجد لبرد النار سوى أخذ الثار فاخذت تفتكر في وجه الخلاص فرأت أنها لا تخلص من عتب الجيران الا بالقصاص فشرعت في تعاطي أخذ الثار من صاحب الدار وكان لها صاحبة قديمه عقرب خبيثة لئيمه معدن السموم في زبان ابرتها وطعم المنايا مودع في شوكتها فتوجهت اليها وترامت عليها وقالت انما تدخر الاصحاب للشدائد ولدفع الضرر والمكائد وازال الداء بساحة الاعداء ولاخذ الثار والانتقام من المعتدين اللئام وقصت عليها القصه وطلبت منها ازاحة هذه الغصه وأن تاخذ لها بضربتها القصاص ليحصل لها بين جيرانها من العتب الخلاص فاجابتها الى ما سألت وأقبلت الى وكر الفارة بما اقتبلت وأخذا في اعمال الحيله قادت أفكارهما الوبيله الى أن تخدعا صاحب البيت بالذهب وتلقياه بذلك في اللهب ثم أمهلا الى أن دخل الليل وشرعا في ايصال الويل فاخرجت الفارة دينارا وألقته في صحن الدار ووضعت آخر عند جحر الفار وأظهرت نصف دينار من ذلك الذهب وسترت النصف الآخر عند العقرب واستترت العقرب بجناح السكون تحت ذيل الكمون وقد عبت في زبانها ريب المنون فلما أصبح الصباح ونودي بالفلاح وجد صاحب الدار في وسطها الدينار فتفاءل بسعد نهاره ولم يعلم أنه علامة دماره ففتح عينيه ونظر حواليه فرأى عند جحر الفار أخا الدينار ففرح وطار ونشط واستطار وزاد في الطلب على بقية الذهب فرأى نصف دينار داخل جحر الفار فمد يده اليه وأعمى القضاء عينيه عما قدره الله عليه فضربته العقرب ضربه قضى منها نحبه فبرد مكانه ولاقى هوانه وأخذت الفارة ثارها وقضت من عدوها أوطارها (وانما أوردت) هذه الاخبار ليعلم الملك أن حيلة صائب الافكار تفعل ما لا يفعله العسكر الجرار بالسيف البتار والرمح الخطار وبقليل الحيله تتم الامور الجليله فلا يهتم الملك بحث الافيال ويشرع فيما هو بصدده من دقيق الاحتيال وأنا أرجو من الله تعالى الظفر بعدونا وحصولنا على غاية ماربنا ونهاية مرجونا فاول ما نعاملهم بالوهم واظهار الصوله والتخويف والارهاب بقوة الدوله فان الوهم قتال والعاقل المدبر محتال وطائفة الفيول عديمة العقول وبالوهم يبلغ الشخص مراده كما بلغ الحمار من الاسد ما أراده فسأل ملك الآساد بيان حكاية أبي زياد (فقال) أبو الحصين أخبرني أبو الحسين ذو المفاخر ناصر انه كان في بعض الاعصار والمعاصر حمار في مدار يستعملونه بالليل والنهار الى ان حصل له الكبر ورمي بالعبر وابتلي باطنا بالجوع وظاهرا بالدبر وعجز عن العمل وانقطع منه الامل فتركه أصحابه واعتقوه وفي بعض المراعي أطلقوه فصار يمرح وفي تلك المروج يسرح الى ان خرج الى الصحرا وانفرد في رياض الفلا فوصل الى بعض الآجام وحصل له النشاط التام الى ان صح بدنه وسمن دبر أدبره وأمن وأخذه البطر واستولى عليه الاشر واستخفه الطيش وطيب العيش وصار في تلك المراعي يتردد ذهابا وايابا كالساعي فيسدي ويلحم في شقتها ويفصل مهما اختار من مزهر

البوم وأما القتال فقد علمت رأيي فيه وكراهتي له ولكن عندي من الرأي والحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج ان شاء الله تعالى فانه رب قوم قد احتالوا بآرائهم حتى ظفروا بما أرادوا ومن ذلك حديث الجماعة الذين ظفروا بالناسك وأخذوا عريضه قال الملك وكيف كان ذلك قال الغراب زعموا ان ناسكا اشترى عريضا ضخما ليجعله قربانا فانطلق به يقوده فبصر به قوم من المكرة فائتمروا بينهم ان يأخذوه من الناسك فعرض له أحدهم فقال له أيها الناسك ما هذا الكلب الذي معك ثم عرض له الآخر فقال لصاحبه ما هذا ناسكا لان الناسك لا يقود كلبا فلم يزالوا مع الناسك على هذا ومثله حتى لم يشك ان الذي يقوده كلب وان الذي باعه اياه سحر عينيه فاطلقه من يده فاخذه الجماعة المحتالون ومضوا به * وانما ضربت لك هذا المثل لما أرجو أن نصيب من حاجتنا بالرفق والحيلة واني اريد من الملك أن ينقرني على رؤس الاشهاد وينتف ريشي وذنبي ثم يطرحني في أصل هذه الشجرة ويرتحل الملك هو وجنوده الى مكان كذا فأرجو اني أصبر واطلع على أحوالهم ومواضع تحصينهم وأبوابهم فاخادعهم وآتي اليكم لنهجم عليهم وننال منهم غرضنا ان شاء الله تعالى قال الملك أتطيب نفسك لذلك قال نعم وكيف لا تطيب نفسي لذلك وفيه أعظم الراحات للملك وجنوده ففعل الملك بالغراب ما ذكر

خرقتها و ينهق على عادة الحمير فيملأ تلك الاماكن من الشهيق والزفير وكان فى تلك الآجام أسد متخيس يسمى الشبل بن المتأنس كان أبوه ملك تلك الاماكن قدنشابها وهو فيها ساكن شاب غرير لم يكن يعرف الحمير ولا طرق سمعه شهيق ولا زفير بل ولا خرج من تلك الآجام ولا عرف تصرفات الايام وكان أبوه قتل فى الاصطياد وتفرقت عنه العساكر والاجناد فنشا وحيدا يتيما واستمر فيها مقيما فلما سمع صوت الحمار أخذته الرعدة والاقشعرار واستولى عليه الهلع فقعد عن الاصطياد وانقطع وصار كلما نهق هرب واختفى من الفرق وغلب عليه الدهش الى ان كاد يموت من الجوع والعطش وصار الحمار يتردد الى عين كان الاسد يسكن منها سورة الظما فما اجترأ بعد ذلك على الورود وأضر به الخوف والانقطاع والقعود فلما كاد العطش أن يقتله توجه الى العين محفوفا بالحيرة والوله فوجد الحمار واقفا عندها وأدرك الحمار خوفه منه بالدها فتقدم اليه وصوب نحوه أذنيه وحلق عينيه فبدر من الاسد صرخة اتبعها من بوله شخه وقال للحمار ايش أنت ولاى شئ ههنا سكنت وجعل يرجف وفى قيد الخوف يرسف فعلم الحمار ان الاسد خار فقال بجنان جرى وبيان قوى أنا فى هذا المكان أفرق رزق الحيوان وقد أقت أحوش أرزاق الوحوش ثم أقسمها بينهم وأملأ جوفهم وعينهم فقال الاسد انى جيعان ولى مدة عطشان فاعطنى من الاكل رزقى وافرز لى من الماء حقى فقال بوجه مقطب ادن الى الماء واشرب فدنا وشرب وهو خائف مضطرب ثم قال أنا جائع فاطعمنى وعجل ولا تحرمنى فلى مدة من الجوع لا قرار لى ولا هجوع فقال الحمار تعال معى الى موضعى لتعرف مكانى وتقرر جرايتك فى ديوانى فذهبا فى طريق حتى وصلا الى نهر ماء عميق فاراد العبور فقال الاسد الهصور هذا الماء عميق وكم فيه من غريق فاحملنى فى الذهاب وأنا أحملك فى الاياب فاجابه الحمار وحمله وخاض به ونقله فانشب الاسد الاظفار فى كاهل الحمار وثقل عليه فلم يتأثر له ولم يلتفت اليه فزاد وهمه من الحمار وقال هذا رأس الدعار ثم سارا ساعة أخرى فرأيا فى طريقهما نهرا فطلب الحمار الوثوب وقال هذه نوبتى فى الركوب ثم طفر على الاسد وثقل عليه الجسد وتمكن عليه وأرخى يديه ورجليه فتضرر من ثقله وابتلى بشر عمله ثم تورك عليه وانشب فى كاهله مسامير نعليه فماج الاسد ومار وقد أثرت فيه حوافر الحمار فقال له أثبت وآلك فما حولك تحتى وأحالك فقال يا أخى حرت فى أمرى لقد أوجعتنى وقصمت ظهرى وكان يكفينى جوعى وقلتى وخضوعى وما أدرى هذا الضر والبلا من أين أقبلا فقل لى ما الذى انشبته فى كاهلى ونزلت به من حافرك فى ساحلى فقال هذه مسامك لطلاب الجرايات والجوامك وهى أربعون مسمارا لابدان تثبت كلها فى قفالك حتى يترصع لك اسم فى الديوان والا فالرزق لا يحصل بالهوينا بل بالهوان فقال يا أخاه اتركنى لوجه الله وارفق بى رفقا وما أريد منك رزقا ودعنى بالامانه ووفر الجراية على الخزانه ولا رأيتك ولا رأيتنى ولا عرفتك ولا عرفتنى فانى أتقوت من حشيش الارض وخشاشها واستعد لعادنفسى بالرفق فى معاشها فنزل عنه الحمار وتركه وسار فهرب منه بعدما ودعه وولى يلتفت يمينا وشمالا لئلا يتبعه وانما صورت هذا النقش لتعلم يا ملك الوحش ان الوهم يصدر كالسهم وهو عند براهمة الهند وحكماء السند أحد طرق العلم رقاك الله الى سلم السلم والوهم غالب على الافيال بل سهم الوهم يقتل كثيرا من الرجال فنرجو من الله أن يبلغنا مقصودنا وننال من طالع الجد والحظ مسعودنا وان يرجع أعداؤنا بالخيبه وفراغ العيبه وهذا المثل الذى ضربته والتقريب الذى قربته انما هو مثل العاجز الضعيف مع القوى العسوف لا العسيف وأما نحن بقوة الله وحوله ومساعدة نصره وطوله فقوتنا قاهرة قائمه وصدمتنا بعون الله دعائمها داعمه لم يحصل منا خوف ولا خور ولا فزع ولا جزع ولا جور ففينا بحمد الله قوة لمصادمتهم وقدرة لمقاومتهم فامض لامرك فكانى بك وقد رجعت فائزا بنصرك مجبورا بكسر عدوك محبورا بيسرك ثم انه اقتضى رأى أبى الضراغم اعادة الذئب الى أبى مزاحم برسالة مضمونها بصرك الله بعيوب نفسك وأراك عاقبة

ثم ارتحل عنه فجعل الغراب يئن ويتهمس حتى سمعه البوم ورأينه يئن فاخبرن ملكهن بذلك فقصد نحوه ليسأله عن الغربان فلما دنا منه أمر بوما ان يسأله فقال له من أنت وأين الغربان فقال أما اسمى ففلان وأما ما سألتنى عنه فانى أحسبك ترى ان حالى حال من لا يعلم الاسرار فقيل لملك البوم هذا وزير ملك الغربان وصاحب رأيه فنسأله باى ذنب صنع به ما صنع فسئل الغراب عن أمره فقال ان ملكنا استشار جماعتنا فيكن وكنت يومئذ بمحضر من الامر فقال أيها الغربان ما ترون فى ذلك فقلت أيها الملك لا طاقة لنا بقتال البوم لانهن أشد بطشا وأحد قلبا منا ولكن أرى ان نلتمس الصلح ثم نبذل الفدية فى ذلك فان قبلت البوم ذلك منا والا هربنا فى البلاد واذا كان القتال بيننا وبين البوم كان خيرا لهن وشرا لنا فالصلح أفضل من الخصومة وأمرتهن بالرجوع عن الحرب وضربت لهن الامثال فى ذلك وقلت لهن ان العدو الشديد لا يرد باسه وغضبه مثل الخضوع له ألا ترين الى الحشيش كيف يسلم من عاصف الريح للينه وميله معها حيث مالت فعصيننى فى ذلك وزعمن أنهن يردن القتال واتهمننى فيما قلت وقلن انك قد مالأت البوم علينا ورددن قولى ونصيحتى وعذبننى بهذا العذاب وتركنى الملك وجنوده وارتحل ولا علم لى بهن بعد ذلك فلما سمع ملك البوم مقالة الغراب قال لبعض وزرائه ما تقول فى الغراب وما ترى فيه قال ما أرى غدك

غدك في صبح أمسك وجعلك ممن اتبع الهدى وامتنع عن موارد الردى اعلم ان علماء الهند وحكماء البراهمة والسند امتازوا عن حكماء الاقاليم ووضعوا رقعة الشطرنج للتعليم وان واضع ذلك صور الرقعة بصورة الممالك وقسمها بالسويه وجعل لكل قسم جنسا من الرعيه ووضع له نوعا من السير لا يتعداه وبين لكل منهم مكانا لا يتخطاه وأنا أخاف ان تتعدى مكانا هو مقامك وتقصد بيت الشاه ويفوت مرامك ويناديك فرزين العقل وأنت راجل في النقل يا ذا الهوس ماذا بيت الفرس فتقع وأنت تصرخ في لعبك بالنفس مع الرخ فلا يفيدك الندم وقد زلت بك القدم وخرجت في لعبة من رقعة الوجود الى العدم وترى تلاف المواقفات ويقول خصمك وقد رأى كلاحة وجهك شاه مات فلا تعتمد على جهامة جسدك وكف عن حقدك وحسدك ولا تقصد حوم كعبة غيرك بالفكر الوبيل فيصيبك مثل ما أصاب أصحاب الفيل حين أرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل وتصير بعد وقوع الملاحم وصدوع المقاحم أبا حرمان بعد ان كنت أبا مزاحم فلما قرأ الفيل هذه المطالعه غطت نخية الجاهلية منه الباصرة والسامعه فاراد ان يأمر بايطاء الرسول تحت أخفاف الفيول لكن راجع عقله وأحضروه له ورد الذيب بجواب مخيب وسهم غير مصيب وقال استعدوا للقتال ومصادمة الابطال ومقارعة الافيال ثم أمر بالعساكر فتجهزت وبامور الحرب فتنجزت وثار بغضب احمى من جمر الغضا وسار بالعساكر الجرارة فملأ الفضا فبلغ الملك المظفر أبا الحرث الغضنفر ما فعله الاكاب فاستشار الثعلب فقال اعلم أيها الملك وقاك الله شر المنهمك ان الافيال لا يعرفون الا المصادمه والاندفاع مرة واحدة في المخاصمه وليس لهم في الحرب حراب الا الخراطيم والانياب لا يعرفون الكر والفر ولا يفرقون بين النصب والجر ولكن بعض العساكر له في ذلك معارف ومناكز منها المواجهة والمشافهه والمصارعة والمقارعه والمدافعة والممانعه والمخاتلة والمخادعه والمناوشة والمهاوشه والمعانشة والمهارشه والمكالحة والملاطحه والمطارحة والمراجحه والمرافسة والمراوسه والممارسة والمعاكسه والوثوب والمساوره والروغان والمصادره والاحتيال والكيد والاغتيال للصيد والربوض في الكمين والنهوض من ذات الشمال وذات اليمين وكل أرباب هذه الملاعب وأصحاب هذه المخارق والمذاهب في عساكرنا موجودون مجدون ومن أبطالنا معدودون معدون فلا بد من ترتيب كل في مكانه وايقافه بين اضرابه واقرانه وتعبيتهم ثم تخبيتهم وكان بالقرب من ميدان النطاح وموضع جولان الكفاح وهو بريه قفراء وأرض غبراء انهر مياه جاريه وعليها جسور وقناطر عاليه فاقتضى رأى الاسد والفكر الاسد أن يطلقوا ثغور المياه على البريه ويتركوا فيها العساكرهم طرقا ودروبا مخفيه ثم انهم عبروا تلك المياه وصفوا العساكر للملاقاه فقدموا امامهم الثعالب والكلاب وكل سريع المجيء خفيف الذهاب وصفوا وراءهم الذئاب والنمور والفهود والببور ووقف الاسد بين الاسود في قلب الجنود بعد ان عبى الاطلاب وعرف مقام كل من القرانيص والاجلاب ثم ان الثعالب ونظراءها دخلت من الافيال وراءها وصارت تروغ بينها وتلاعب على عينها حينها وتتعلق باذنابها وتتشبث بعراقيبها وكعابها افزاد حنقهم وثار قلقهم وتقدموا واصطدموا وحطموا واضطرموا وبنار الحرب اصطلموا فناوشهم الببور البواسر وهاوشهم النمور الجواسر وهارشهم الاسود الكواسر ثم ولوا امامهم مدبرين وقصدوا الطرق المخفية عابرين فتصور الافيال ان جيش الاسد فر وجنده انحطم وانكسر وأن عسكرهم غلب وانتصر فحطموا يدا واحده بهمة متعاضده ونهمة متعاقده وصدمة متأكده ففي الحال ارتدموا وفي الاوحال ارتطموا وقطع دابر القوم الذين ظلموا ثم كرت عليهم الاسود والنمور والفهود وسائر السباع والذئاب والضباع فوقعوا في تلك الفرائس وقوع الجياع على الهرائس وعانقوهم معانقة الاحباب للعرائس وأكلوا وادخروا وحمدوا الله تعالى وشكروا ومن بعد ما ظلموا انتصروا واظهر العدل للحق مناره وظهر سر قوله عليه الصلاة والسلام من آذى جاره ورثه الله داره والله لا يهدي القوم

الا المعاجلة له بالقتل فان هذا أفضل عدد الغربان وفي قتله لنا راحة من مكره وفقده على الغربان شديد ويقال من ظفر بالساعة التي فيها ينجح العمل ثم لا يعاجله بالذي ينبغي له فليس بحكيم ومن طلب الامر الجسيم فامكنه ذلك فاغفله فاته الامر وهو خليق أن لا تعود الفرصة ثانية ومن وجد عدوه ضعيفا ولم ينجز قتله ندم اذا استقوى ولم يقدر عليه قال الملك لوزير آخر ما ترى أنت في هذا الغراب قال أرى ان لا تقتله فان العدو الذليل الذي لا ناصر له أهل لان يستبقى ويرحم ويصفح عنه لاسيما المستجير الخائف فانه أهل لان يؤمن كالتاجر الذي عطف على سارق لمكانة امرأته عنده قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الوزير زعموا انه كان تاجر كثير المال والمتاع وكانت له امرأة ذات جمال وان سارقا تسور بيت التاجر فدخل فوجده نائما ووجد امرأته مستيقظة فذعرت من السارق ووثبت الى التاجر فالتزمته واعتنقته وقد كان يود لو دنت منه يوما فاستيقظ التاجر بالتزامها اياه فقال من أين لي هذه النعمة ثم بصر بالسارق فقال أيها السارق أنت في حل مما أخذت من مالي ومتاعي ولك الفضل بما عطفت قلب زوجتي على معانقتي قال ملك البوم لوزير آخر من وزرائه ما تقول في الغراب قال أرى ان تستبقيه وتحسن اليه فانه خليق أن ينصحك والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضا ظفرا حسنا ويرى اشتغال بعض الاعداء ببعض لينالغ نجاء لا صبا

الظالمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه أجمعين

﴿الباب الثامن فى حكم الاسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد﴾

(قال) الشيخ أبو المحاسن من هو لجرعة الفضل أحسن حاسن فلما وعى الملك الجليل والقيل الفضيل ما جرى بين الاسد والقيل من القال والقيل وانجرار ذلك الى الضرب الوبيل وعلم ان عاقبة الظلم وخيمه وخاتمة التعدى والطمع مشومه أمر رؤساء المملكه وزعماء السلطنه بالكف عن الطمع وتجنب الجبن والهلع ومعاملة الاهل والجار بحسن الخلق والجوار وانتشار ذلك بالاشهار فى الولايات والاقطار فالعاقل من اعتبر بغيره وكف كفه عن أذاه وضيره ونشر مهما استطاع من موائد احسانه وخيره وعدى عن التعدى والعدوان لاسيما اذا كان ذا قدرة وامكان وتحكم فى الفقراء والضعفاء وسلطان فنهض الحكيم حسيب وقبل أرض العبودية بشفاه التأديب وقال وبلغنى أيها الملك المفضال مما يطابق هذه الاحوال انه كان فى بعض الازمان وانزه الاسكان سلطان الحيوان أسد عظيم الخلقه جسيم الشفقه جليل المكارم سايل الاكارم قد بلغ فى الزهد الغايه وفى الورع والعفة النهايه مع حسن الاوصاف والشمائل وكرم الاعطاف والفضائل قد جمع بين الهيبة والشفقه والصدق والصدقه وسورة الملك وسيرة العدل وسمة الفضل وشيمة الفضل هيبته ممزوجة بالرأفه وعاطفته مدموجة فى الصوله قد عاهد الرحمن بالكف عن أذى الحيوان وأن لا يريق دما ولا يتناول دسما ولا يرتكب محرما يتقوت بنبات القفار ويقوم الليل ويصوم النهار يرعى فى دولته الذئب مع الغنم وينام فى كنف ضمانه وكفالة مأمنه الثعلب والارنب بعد حوالجرب والحرب فى ظل الضال والسلم كما قيل

ولى البرية عدله فتمازجت * أضدادها من كثرة الايناس
تحنو على ابن الماء أم الصقر بل * يحمى أخو القمباء أذت كناس

وفى جواره دوحة كثيرة الثمار غزيرة الانهار نضيرة الازهار رائقة الماء والكلا فائقة النشو والنما شائقة النشر والهوى رياحينها طريه ومروجها بهيه ومقاصفها شهيه فكان الاسد ذو الزهاده اذا أطال اجتهاده وأراد أن يريح نفسه من مشاق العباده يتوجه الى ذلك الروض الاريض والمرج البهى الغريض والرعى الطويل العريض فيتنزه فى نواحيه ويسرح سوائم طرفه فيه ويشغل صادح لسانه بتسبيح خالقه ومنشيه فبينما هو فى بعض الاوقات يتمشى فى تلك الاخضراوات صادف دبا عظيم الجسم مليح الوسم فقبل الارض بين يديه وذكر أنه أقبل لينتمى اليه وانه قد سمع باوصاف عدله ومكارم شيمه وفضله فقصده ليتشبث باذياله وينتظم فى سلك خيله ورجاله ويزجى فى خدمته باقى عمره ممتثلا بارز مرسومه ونافذ أمره فتلقاه بالقبول والاقبال وشمله بالفضل والافضال وقال له طب نفسا وقر عينا القيت زينا ووقيت شينا فانتظم فى سلك خدمه وانغمر فى بحر كرمه واشترط عليه أن يحتمى عن لحوم الحيوان ولا يتعرض لايذاء طائر ولا انسان فامتثل ذلك بالسمع والطاعه وسار على سنن السنة والجماعه ثم بعد مدة يسيره قصد الاسد مسيره وخرج يسير على باكر وحوله طائفة من العساكر فالتقى جملا ضل الطريق وتاه عن الصاحب والصديق ونسيه الجمال وترك الرفيق فبادر اليه جماعة الاسد وهموا بتبضيعه بالناب واليد فانهم كانوا لشدة القرم ألهبت أحشاؤهم بالضرم فناداهم الاسد ويلكم كفوا وعن التعرض الى ايذائه عفوا لئلا يصيبه من الكيد ما أصاب صاحب كسرى ذى الايد من كسرى لما خرج صباحا الى الصيد فقبل الجماعة الرغام وسألوا الامام عن بيان ذلك الكلام (فقال) ذكر ان كسرى أراد يوما الاصطياد فركب فى جماعته وأهل طاعته وسار على الصباح وهو فى نشاط ومراح وانبساط وانشراح فصادف رجلا كريه المنظر مشوه الخلقة أعور فتشاءم بطلعته وتعوذ من رؤيته وتطير من صباحه وتكدر صفو انشراحه ثم أمر به فضرب ولولا تداركته الشفاعة لصلب ثم تركه وسار نحو صيد القفار فحاش الصيد واقتنصه من عسكره عمرو وزيد ورجع مسرورا فرحا محبورا وأدركه المساء فصادف

لنفسه منهم ونجاة كنجاة الناسك من اللص والشيطان حين اختلفا عليه قال الملك وكيف كان ذلك قال الوزير زعموا ان ناسكا أصاب من رجل بقرة حلوبة فانطلق بها يقودها الى منزله فعرض له لص أراد سرقتها وتبعه شيطان يريد اختطافه فقال الشيطان للص من أنت قال أنا اللص أريد أن أسرق هذه البقرة من الناسك اذا نام فمن أنت قال أنا الشيطان أريد اختطافه اذا نام واذهب به فانتهيا على هذا الى المنزل فدخل الناسك منزله ودخلا خلفه وأدخل البقرة فربطها فى زاوية المنزل وتعشى ونام فاقبل اللص والشيطان يأتمران فيه واختلفا على من يبدأ بشغله أولا فقال الشيطان للص ان أنت بدأت باخذ البقرة ربما استيقظ وصاح واجتمع الناس فلا أقدر على أخذه فانظرنى ريثما آخذه وشأنك وما تريد فاشفق اللص ان بدأ الشيطان باختطافه ربما استيقظ فلا يقدر على أخذ البقرة فقال لا بل انظرنى أنت حتى آخذ البقرة وشأنك وما تريد فلم يزالا فى المجادلة هكذا حتى نادى اللص أيها الناسك انتبه فهذا الشيطان يريد اختطافك ونادى الشيطان أيها الناسك انتبه فهذا اللص يريد ان يسرق بقرتك فانتبه الناسك وجيرانه باصواتهما وهرب الخبيثان قال الوزير الاول الذى أشار بقتل الغراب أظن أن الغراب قد خدعكن ووقع كلامه فى نفس الغبى منكن موقعه فتردن ان تضعن

ذلك الرجل ملتفا بكساء وكان ذا لب صحيح وعقل رجيح ولسان فصيح فابدى كسرا ونادى كسرى واستوقفه بعدما استلطفه وقال أيها الملك العادل والمالك الفاضل أسألك بالله الذى ملكك رقاب الامم وحكمك فى طوائف العرب والعجم أنعم على برد الجواب وبين لى الخطأ من الصواب فانك عادل حكيم فاضل كريم فوقف بعسكره واستنصت لخبره وقال هات مقالك وقل ما بدا لك فقال يا ملك ذا الايد كيف كانت أحوالك اليوم فى الصيد فقال على أتم ما نريد لقد حصله السادات والعبيد فقال هل حصل فى أمور السلطنة وهن أو خلل أو فى الخزائن المعمورة نقص وقلل قال لا بل أحوال السلطنة مستقيمه وديم الخزائن دارة مقيمه قال فهل ورد اليوم من الاطراف خبر يؤذن بتشويش واختلاف قال لا بل الجوانب مطمئنه والثغور من الاعداء والمخالف مستكنه قال فهل أصاب أحدا من الخدم والاصحاب والخول والحشم مصاب قال بل كلهم بخير آمنون من الضرر والضير قال فلم ضربتني وأهنتني وعلام كسرتني وطردتني قال لان التصبح بك مشوم وهذا أمر مشهور معلوم قال سألتك بالله الذى تتقلب فى مواهبه أينا كان أشأم على صاحبه أنا تصبحت بك وأنت تصبحت بى فانت أصبت الذى ذكرت وقد علمت ما حل بى ومع هذا فانا عاتبت وعتبت على الصانع وذهلت عما أودعه فى من أسرار وبدائع فانه لا اختيار لى فيما فطرنى عليه ولا مدافع ولا حيلة فيما قدره على ولا ممانع واسمع ما قلت بعد ما وصلت فى اهانتى وجلت

لقد كان قصدى أن أسود على الورى * بقد وطرف كامل الخلق بارع

و وجه يفوق البدر والشمس بهجة * فعاكسنى تقدير ربى وصانعى

ثم خطر بالبال هذا المقال قلت

وددت لو انى أحسن الخلق صورة * وأكمل من بدر السما وهو طالع

فابدعنى نقش المصور هكذا * ولا صنع لى فيما بى الله صانع

فتنبه كسرى لكلامه وأمر باعزازه واكرامه وتدارك ما فرط منه باحسانه وانعامه (وانما أوردت) هذا المثل لئلا يكون هذا الجمل مثل ذلك الرجل لانه قد تصبح بى فلا يرى أبدا مكروها بسببى بل يرى الخير ويكفى أذى الغير وكذلك كل من هو عندى ومنسوب الى من خولى وجندى ثم عاد ذلك البعير وسأله عن جليل أمره والحقير فأخبره أنه تاه عن أصحابه وأنه من بعد يتعلق بغرز ركابه ويلازم خدمة بابه كاصحابه فاكرم مثواه وأحسن متبوأه ومأواه الى أن صار من أكبر الخدم وذا خول وحشم ورأس الندماء ورئيس الجلساء وأمن النكد والبوس وسمن حتى صار كالعروس فحسده الدب لعدم اللب وعزم بمكره على القائه فى الجب واشتد بذلك البرم الى أكل لحم الجمل القرم فأخذ يضرب فى ذلك أخماسا لاسداس واحتوشه فى قضيته لسوء طويته القلق والوسواس فلم ير أوفق من افساد صورته واظهار سوء سريرته فيهلكه ويكيده ويفتنه ويبيده فيصل منه الى ما يريده ويثمر بمكره الحسد ويصلح من شره ما فسد ويروج منه ما كسد فأدى فكره الى أن يغرى به الاسد فاختلى بالجمل وابتدأ بالعمل وقال له لى معك كلام على كتمه منك ألام ولكنك لست موضع السر لانك لا تعرف هرا من بر وأنت ساذج ساكن سليم الفكر والباطن وقد قيل الحماقة فى الطويل ولولا فرط شفقتى وحنوى عليك ومودتى ما فهت لك بكلمه ولتركتك من التيه فى ظلمه وقالت الحكماء ذوو المعارف لا تفش سرك الى طوائف منها سليم الفطره ومنها عديم الخبره ومنها الكثير الكلام ومنها المرأة والغلام فانهم ليسوا محل الاسرار وانهم يفشونها بلا اختيار وقد قيل كم انسان أهلكه اللسان وكم حرف أدى الى حتف قال الجمل وقد أثر فيه مكره ودخل يا أخى أنا تحققت شفقتك وصدقك وصداقتك وأعرف محبتك ونصحك ومودتك وأنت لا تحتاج فى تجربتى الى دليل فلى فى صحبتك زمان كقدى طويل وأنا أوكد قولى بالايمان واعقد على ما تلقيه الى الجنان ولا اتفوه به لجماد ولا حيوان والشخص اذا لم يعرف منه ما يراد فلا فرق بينه وبين الجماد واذكر ما قلت لك فى درب ابن تلك

الرأى فى غير موضعه فهلا مهلا أيها الملك عن هذا الرأى ولا تكونن كالنجار الذى كذب بما رأى وصدق بما سمع وانخدع بالمحال قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الوزير زعموا أنه كان رجل نجار وكان له امرأة يحبها وكانت قد علقت رجلا وعلم النجار بذلك حين أخبره من صدوق أمين لكنه أحب أن يرى ذلك عيانا ليقابل امرأته بحق فقال لها أريد الذهاب الى قرية كذا وهى منا على فراسخ لبعض عمل السلطان فاعدى لى زادا ففرحت المرأة حيث يذهب ويخلو وجهها لخليلها ثم لما أراد الخروج قال لامرأته استوثقى من الباب والمرفق وأراها انه يخرج وعطف الى مكان خفى خلف الباب فاختفى فيه فانسل فدخل البيت الذى فيه مرقده واختفى تحت السرير ثم ان المرأة أرسلت الى خليلها ان ائتنا فاتاها وخلا بها على فراش زوجها طول ليله ثم ان النجار غلبه النعاس فنام فدرجله فخرجت من تحت السرير فلما رأتها زوجته عرفتها فايقنت بالشر فقالت لخليلها اسلنى وارفع صوتك وقل أيما أحب اليك زوجك أو أنا فسألها فقالت ما يضطرك الى هذه المسئلة ألم تعلم انا معاشر النساء انما نريد الاخلاء لقضاء الشهوة فقط ولا نلتفت الى احسابهم ولا انسابهم ولا الى ما يتغير من أمورهم وأما الزوج فهو بمنزلة الوالد والاخ فقبح الله امرأة لا يكون زوجها عديل نفسها ولا متعتك بعد هذا بلذة فلما

ومن كان ذا عين ولا يبصر الذى * أمامه فهذا والضرير سواء
وذو الجهل خير من عقول علومه * سراج ولكن ليس فيه ضياء

ثم أنشأ اعمانا غلاظا أنه يبالغ فيما يسمع منه احتفاظا ولا يبدى منه لاما ولا فاء ولا ظا فلما وقف الدب على جوابه وربطه بزمام تدبيره اختلى به وقال تعلم أيها الصديق المبين ان ملكنا فى غاية العفة والدين وأعلى درجات العباد والزاهدين قد فطم نفسه عن الطعوم خصوصا عن الدماء واللحوم ولكنه فى ذلك كله غير معصوم فانه قد تربى بلحم الحيوان وتغذى بافتراس الاقران وتعود رضع الدماء وقطعت سرته على هذا الغذاء وتزهده انما هو تكلف وتعسف وتصلف وتعففه مكابره وتورعه مصابره ولابد للنفس أن تفعل خاصيتها وتجذب شهواتها اليها ناصيتها وتطمح الى مأرزها وتجمع الى مركزها وقال الله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله واذا كان ذلك كذلك فاحتفظ لنفسك واحفظ نصيحتى وأمسك وتفكر أحوال غدك فى أمسك فانك فى صحبة الاسد على خطر عظيم وخطب جسيم فلا تغفل عما قلت لك ولا تظنن انه لن يقتلك فداخل الجمل من هذا الكلام الخور ولم يبق له طاقة ولا مصطبر ثم ثبته التوفيق وتخلل فى هذا الامر الجليل فكرة الدقيق واستحضر رأيه فى أمره وأجال قداح فكره وقال للدب المشؤم يا أخى فأى ضرورة دعت الاسد الغشوم حتى تعفف عن أكل اللحوم قال أنا لا أشك فى دينه ولا ارتاب فى حسن يقينه ولكن ربما تعود المياه الى مجاريها وتعطى القوس باريها وتحرك النفس الابيه والشهوة التى طالما ألقت صاحبها فى بلية لان الانسان بل سائر الحيوان على ما يقتضيه الكون والمكان دائر مع اختلاف أخلاق الزمان فان الزمان كالوعاء والشخص فيه كالماء فيعطيه من أخلاقه بما يقتضيه من كدره وصفائه ولهذا قيل لون الماء لون انائه وقد قيل الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم وناهيك يا ذا الكرامات ما قيل فى المقامات

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى * عن الرشد فى انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل انى أخو عمى * ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

والاسد فى هذا الاوان ماش على ما يقتضيه الزمان وان الزمان يتحوّل وسيرجع الاسد الى خلقه الاول أما بلغك يا ذا الفطنة الحيه قصة الحائك مع الحيه قال لا ورب البريه فأخبرنى عن كيفية تلك القضيه قال الدب الافاك ذكر ان حائكا من الحياك كانت له زوجة تخجل شمس الافلاك صورتها مليحه وسيرتها قبيحه فشم زوجها روائح ماهى عليه من القبائح وخاف أن تؤدى الى الفضيحه فطلب تحقيق ذلك ليوصلها الى المهالك فقال لها أريد ضيعه لاجل بيعه فأغيب أياما يسيره لفائدة كثيره فارصدى بابك وأسدلى حجابك واحفظى من الشر جنابك فقالت بيت أنت رئيسه ومثلى قعيدته وعروسه أنى يحوم حوله فساد فأدرك سوقك قبل الكساد وجهزته أسرع جهاز كالمتوجه الى الحجاز فسافر من غير مريه ثم رجع الى البيت فى خفيه واختبأ تحت السرير لينظر ما يجرى من الامور فبادرت الى النار ونفخت وأسرعت الى الطعام وطبخت وخرجت تدعو مرامها وقد هيأت طعامها فخرج زوجها من المخبا وأتى على الطعام المهيا ورجع الى مكانه ونام بعد أكله الطعام فجاءت المرأة بحريفها وقصدت الطعام لضيفها فصادفت يدها الحصير فعرفت ان البلاء تحت السرير فاخذت تطلب الخلاص من ذلك المقنص واتفق أن الملك رأى مناما هاله ولكن نسى هيئته وحاله فقصد من يخبره برؤياه ويعبرها له فنادى فى الورى يطلب لمنامه مخبرا ومعبرا وبينما تلك الفاجره على حيلة الخلاص دائره وفى بحر الافكار حائره سمعت المنادى ينادى فى كل نادى من يدل الملك الهمام على معبر المنام فله مزيد الاكرام والانعام العام فسارعت المرأة الى باب الامير وقالت قد سقطت على الخبير ان لى زوجا حاكما بتعبير المنامات عليما لكنه يتعزز وعن تعبيرها يتحرز فلا يفوه بالتعبير الا بعد ضرب كثير وانه ليس له فى ذلك نظير فارسل وراءه وأكرم لقاءه ثم قال له بعد اكرام أوصله ووعده بانعام وصله رأيت مناما راعنى وفى الحيرة

والفكر

فسمع زوجها كلامها رق لها وأخذته الرحمة وغلبته العبرة ووثق منها بالمودة ولم يبرح مكانه حتى أصبح وأيقن ان الرجل قد ذهب ثم خرج من تحت السرير فوجد امرأته نائمة فقعد عند رأسها يروحها فلما انتبهت قال لها يا حبيبة قلبى نامى فقد بت ساهرة ولولا كراهة ما يسوءك لكان بينى وبين ذلك الرجل صخب وأمر شديد * وانما ضربت لك هذا المثل ارادة ان لا تكون كذلك النجار الذى كذب بما رأى وصدق بما سمع فلم يلتفت الملك الى قوله وأمر بالغراب ان يحمل الى منازل البوم ويكرم ويستوصى به خيرا ثم ان الغراب قال للملك يوما وعنده جماعة من البوم وفيهن الوزير الذى أشار بقتله أيها الملك قد علمت ما جرى على من الغربان وانه لا يستريح قلبى دون أخذى بثارى منهن وانى قد نظرت فى ذلك فاذا بى لا أقدر على ما رمت لانى غراب وقد روى عن العلماء أنهم قالوا من طابت نفسه بان يحرقها فقد قرب لله أعظم القربان لا يدعو عند ذلك بدعوة الا استجيب له فان رأى الملك أن يأمرنى فاحرق نفسى وأدعو ربى أن يحوّلنى بوما فاكون أشد عداوة وأقوى باسا على الغربان لعلى أنتقم منهن قال الوزير الذى أشار بقتله ما أشبهك فى خير ما تظهر وشر ما تخفى الا بالخمرة الطيبة الطعم والريح المنقع فيها السم أرأيت لو أحرقنا جسمك بالنار كان جوهرك وطباعك متغيرة أليست أخلاقك تدور معك حيثما

والفكر أضاءنى فدع عنك الاحتشام وأخبرنى عن ذلك المنام ثم عبره لى فقد أخبرت انك حبيب لله ولى فقال يامولانا الملك أنا فى الجول منهمك حائك فقير ليس لى من العلم نقير ولقد كذب على من نسب العلم الى والعين تعرف العين انا من أين وتعبير الرؤيا من أين فصدقه ولا فى كلام استوثقه وصدق قول المرأة فيه وأمر بايصاله ما ينكيه ثم طلب المقارع وشد وامنه الا كارع وضربوه ضربا أعسفه الى أن كاد أن يتلفه فنادى الامان الامان أمهلنى ثلاثة أيام من الزمان فتركوه وأمهلوه وقيده أطلقوه فصار يدور فى الخرائب ويتضرع تضرع النائب ففى ثالث الايام وقد أيقن بحلول الحمام دخل الى مكان خراب وأخذ فى البكاء والانتحاب فنادته حية من الشقوق مالك تنتحب ياذا العقوق فاخبرها بحاله وما جرى عليه من نكاله فقالت ماذا تجعل لى من الانعام اذا أخبرتك بما رآه الملك فى المنام ثم فضضت عن تعبيره مسك الختام قال أكون لك عبدا وصيفا وأعطيك مما أعطى نصيفا قالت ان الملك رأى فى منامه ان الجو عطر من غمامه أسود اغور وفهود اوببور وأن السماء فى ذلك تمور وتعبير هذا المنام والله العلام أنه يظهر فى هذا العام للملك أعداء كواسر وحساد جواسر يقصدون هلكه ويريدون ملكه وسيطفئ نار كيدهم بمياه سيوفه ويسقيهم من رحيق فتوحه كاسات حتوفه فكشفت غمته ثم أصلح لباسه وعمته وقصد باب الملك ونادى غير مرتبك وذكر المنام وعبره ووعد السلطان بالنصر وبشره فتذكر المنام وحققه واعتمد عليه وصدقه وأمر له بألف دينار وصار له عند الملك بذلك اعتبار فاخذ الذهب مجبورا وانقلب الى أهله مسرورا ثم افتكر ما اشترطه مع الحية فابت عن الوفاء نفسه الشقية وخاف أن تطالبه بحصتها أو تفضحه بقصتها فلم ير أوفق من قتلها وسد ذريعة سبلها فاخذ عصا ورام بذلك تخلصا وقصد ماواها ووقف فناداها فخرجت مسرعة اليه وأقبلت بالوداد عليه فرأت العصا بيمينه فعلمت انه ناكث بيمينه فولت هاربه فضربها ضربة خائبه لكنه جرحها وعمد الى نفسه ففضحها وتركها وذهب فائزا بالذهب فاتفق أن فى العام الثانى رأى السلطان مناما أقلقه وعن نومه أرقه ومن شدة أهواله محاه الوهم عن لوح خياله فدعا المعبر المعهود اليه وقص حاله عليه وطلب منه صورة المنام وما يترتب عليه من كلام فاستمهله الايام المعدودات وقصد رئيسة الحيات وناداها عجلا ووقف فى مقام الاعتذار خجلا فقالت أى غدر كيف استحليت ما مضى من فعلك ومن باى وجه تقابلنى وتخاطب وقد قصدت على بعد ما خلصتك من المعاطب وقابلت احسانى بالسوء ولكن غدرك بك يبوء فقال عفا الله عما سلف والصداقة بيننا من اليوم تؤتنف ثم انشا أعمانا انه يبدل الاساءة احسانا وأنه لا يخون ولا يمين فيما يقع عليه العهد واليمين بل يعود الى العهود ومهما وقع عليه الاتفاق لا يمازجه خلف ولا نفاق فقالت أريد جميع الجائزه لا تكون بها فائزة ولها حائزه فاجابها الى ما سالت وعاهدها على ذلك فقبلت وقالت رأى الامام فى هذا المنام ان السماء تمطر قردة وفيرانا وثعالب وجرذانا وتعبير هذه الرؤيا وكلمة الله هى العليا انه فى هذا العام والشهور والايام يكثر اللصوص والعيارون والمكرة والطرارون ويظهر فى العساكر كل حسود ماكر وشيطان داعر ولكن صولة الملك تعقهم وصواعق سيوفه تمحقهم فاسرع الى السلطان وخبره بما رآه فى منامه وعبره فقال بالحق أتيت هذا الذى كنت رأيت ثم أمر له بجائزة سنيه وخلعة بهيه فصار فى عيشة مرضيه وحياة هنيه وسلك طريقته الدنيه فلم يلتفت الى عهوده القويه ونبذ عهد الحية الحبيه وقال يكفيها منى كفى عنها فلا تطالب منى ولا أطلب منها ثم ان السلطان رأى فى المنام فى ثالث الاعوام مناما آخر ونسيه فارسل الى المعبر فغشيه من يم الهم ما غشيه وساله عما رآه وطلب منه تعبير رؤياه فطلب المهلة كما كان وأحاط به موج الهم من كل مكان ولم ير بدا من معاودة الحيه فاتاها وبه من الحياء كيه وناداها بصوت خاشع ووقف فى مقام الذليل الخاضع فخرجت فرأته فزجرته وزأرته وقالت ياخائن ياكذاب ياناقض العهد يامرتاب ياقليل الحياء ياكثير البذاء ياصفيق الوجه ياحقيق النجه ترى باى لسان تخاطبنى

درث ونصير بعد ذلك الى أصلك وطويتك كالفارة التى خيرت فى الازواج بين الشمس والريح والسحاب والجبل فلم يقع اختيارها الا على الجرذ قيل له وكيف كان ذلك قال زعموا أنه كان ناسك مستجاب الدعوة فبينما هو ذات يوم جالس على ساحل البحر اذ مرت به حدأة فى رجلها درص فارة فوقعت منها عند الناسك وأدركته لها رحمة فاخذها ولفها فى ورقة وذهب بها الى منزله ثم خاف أن تشق على أهله تربيتها فدعا ربه أن يحولها جارية فتحولت جارية حسناء فانطلق بها الى امرأته فقال لها هذه ابنتى فاصنعى معها صنيعك بولدى فلما بلغت مبلغ النساء قال لها الناسك يابنية انك قد أدركت ولابد لك من زوج فاختارى من أحببت حتى أزوجك به فقالت أما اذا خيرتنى فانى أختار زوجا يكون أقوى الاشياء فقال الناسك لعلك تريدين الشمس ثم انطلق الى الشمس فقال أيها الخلق العظيم لى جارية وقد طلبت زوجا يكون أقوى الاشياء فهل أنت متزوجها فقالت الشمس أنا أدلك على من هو أقوى منى السحاب الذى يغطينى ويرد حر شعاعى ويكسف أشعة أنوارى فذهب الناسك الى السحاب فقال له ما قال للشمس فقال السحاب وأنا أدلك على من هو أقوى منى فاذهب الى الريح التى تقبل بى وتدبر وتذهب بى شرقا وغربا فجاء الناسك الى الريح فقال لها كقوله للسحاب فقالت وأنا أدلك على من هو أقوى منى وهو الجبل الذى لا أقدر على تحريكه فمضى الى

وبأي وجه تقابلني وقد خنت وقتلت وفعلت فعلتك التي فعلت فقال لم يبق للاعتذار مجال ولا للاستقالة مقال وما ثم طريق الا معاملتك بالافضال فان أفضلت أتممت الاحسان وان رددت فعذرك واضح البيان وهذه المرة الثالثه لا تكون عينها ثانيه ولا أعهودها ثانيه وأشهد الله وكفى به شهيدا انى بعد لا أنقض لك عهودا ولا أحل مما بيننا عقودا فقالت لا أخبرك بشئ الا أن تعهد الى أن تعطيني جميع ما تعطي وتكف عما وقع منك من الخطا فسمع مقالها وأجاب سؤالها فقالت رأى الملك في منامه كأن الجو أمطر من غمامه ماملأ الفضاء من خرافه وأغنامه وتعبير هذا المنام أنه يكون في هذا العام من الخيرات والانعام ما يشمل الخاص والعام فتطيب الاوداء وتصالح الاعداء وتطيع العصاه وتذعن البغاه ويوافق المخالف ويكثر المحب والموالف فاحفظ ما قلت لك فقد حلت مشكلك فتوجه بصدر منشرح وخاطر مطمئن فرح وقص المنام وعبر ما فيه من الاحلام فطار الملك بالفرح وتم سروره وانشرح وأمر بالجوائز فصبت عليه وبالاموال فانهالت اليه فغنم تلك العطيه والخلع السنيه وقصد وكر الحيه ثم وقف وناداها وقدم اليها كل ذلك وأعطاها وشكر لها احسانها وتحمل جميلها وامتنانها فقالت له الحية اعلم يا أبلم انه لا عتب عليك ولا ملام فيما جنيته أولا من الآثام ولا ما ارتكبته من العداوة والمين في العامين الاولين ولا فضل لك في هذه السنه على ما فعلته من الحسنه فان ذينك العامين كانا مشتملين على قران النحسين فكان مقتضى حالهما فساد الزمان والعداوة بين الاصدقاء والاخوان ووقوع البغضاء والشرور والحنث والخلف وقول الزور فجريت على مقتضاهما حسب مرتضاهما والناس في طباعهم وأيامهم أشبه بزمانهم منهم بآبائهم وهذا الاوان قد انصلح الزمان واستقام الطالع وزال الحسد والتقاطع واقتضى الزمان الصلح والصلاح والموافقة والفلاح فمشيت على موجبه وتشبثت بذيل مذهبه فخذ مالك وانصرف بارك الله لك فيه فلا حاجة لي به ولا يدلي لتقلبه (وانما) أوردت هذا المثل أيها الجمل لتعلم أن الزمان لتقلبه في الدوران يوقع بين الاصحاب والاخوان ويباين بين الاصدقاء والخلان والاسد المجتهد وان كان قد زهد وترك من اخلاقه ما عهد فيمكن عوده الى حاله الاولى فالاحتراز منه في كل حال أولى وها أنا قد أخبرتك ومن سوء العاقبة حذرتك وعلى ما وصل اليه فكري أطلعتك وفرط محبتي وشفقتي عليك اقتضى افشاء هذا السر اليك ومن أنذر فقد أعذر ومن بصر فما قصر قال الجمل يا أخي فنترك هذا المقام ونروح ونخدم من في خدمته نستريح قال الدب الجاحد اذا كان هذا العابد الزاهد الراكع الساجد الذي قد تعفف عن أكل اللحوم وليس له دأب الا اغاثة المظلوم قد عف عن الدماء وقنع بأكل الحشيش وشرب الماء لا تؤمن غائلته ولا تعهد خاتلته فالى أين نتحول وعلى من يكون المعول والى أين نذهب وفيمن نرغب قال الجمل فكيف يكون العمل فلقد ضاقت بنا الحيل وتقطعت بنا السبل لا طريق للمفر ولا قرار للمستقر فافكر الدب طويلا ثم رأى رأيا وبيلا وقال أرى الرأي السديد والفكر المفيد أن نبادر الاسد قبل وقوع النكد فنقصده بما يقصده ولا نوصله الى ما يعتمده فالعاقل يفتكر في عواقب الامور ويقيس بفكره السرور والشرور ويستعمل الحزم واذا قصد أمرا يصمم العزم وناهيك قضية الثعبان مع ذلك الانسان قال الجمل أخبرني عن تلك القضيه ومن ذلك الانسان وما تلك الحيه (قال) أبو حميد الخبيث بلغني من رواة الحديث أن شخصا من الصيادين كان مغرما بصيد الثعابين يتسبب بصيدها ولا يبالي بكيدها فبينما هو يسعى اذ صادف أفعى شرها ناجز كما قال الراجز

أرقش ظمآن متى عض لفظ * أمر من صبر ومقر وحظظ

وقد أثر فيه الحر بالحرق وهو نائم في مكان منطبق فاستبشر الحواء برؤيته وقبضه من عقصته فلم يفق الثعبان من رقدته الا وهو من الحاوي في قبضته فتماوت وامتد وارتخى فاسبل بعد ما كان اشتد فظن الصياد أنه مات وان مراده منه فات فتحرق لذلك وتألم وتأسف عليه وتضرم وحرق عليه الارم ورماه

الجبل فقال له القول المذكور فاجابه الجبل وقال له أنا أدلك على من هو أقوى مني الجرذ الذي لا أستطيع الامتناع منه اذا خرقني واتخذني مسكنا فانطلق الناسك الى الجرذ فقال له هل أنت متزوج هذه الجارية فقال وكيف أتزوجها وجحري ضيق وانما يتزوج الجرذ الفارة فدعا الناسك ربه أن يحولها فارة كما كانت وذلك برضا الجارية فاعادها الله الى عنصرها الاول فانطلقت مع الجرذ فهذا مثلك أيها المخادع فلم يلتفت ملك البوم الى ذلك القول ورفق بالغراب ولم يزدد له الا اكراما حتى اذا طاب عيشه ونبت ريشه واطلع على ما أراد أن يطلع عليه راغ روغة فاتى أصحابه بما رأى وسمع فقال للملك اني قد فرغت مما كنت أريد ولم يبق الا أن تسمع وتطيع قال له أنا والجند تحت أمرك فاحتكم كيف شئت قال الغراب ان البوم بمكان كذا في جبل كثير الحطب وفي ذلك الموضع قطيع من الغنم مع رجل راع ونحن مصيبون هناك نارا ونلقيها في أثقاب البوم ونقذف عليها من يابس الحطب ونتراوح عليها ضربا بأجنحتنا حتى تضطرم النار في الحطب فمن خرج منهن احترق ومن لم يخرج مات بالدخان موضعه ففعل الغربان ذلك فاهلكن البوم قاطبة ورجعن الى منازلهن سالمات آمنات ثم ان ملك الغربان قال لذلك الغراب كيف صبرت على صحبة البوم ولا صبر للاخيار على صحبة الاشرار فقال الغراب ان ما قلته

من

من يده ثم دار في خلده ان في بطانه خرزة بهيه مشرقة مضيه فاخرج الشفرة وقصده ومد لتبضيعه يده فلما تحقق الارقم ما عزم عليه وصمم خدعه وختله وضربه فقتله (وانما ذكرت) يا أبا أيوب هذا المثل المضروب لتتحقق أن المبادرة الى اهلاك العدو أقر للعين وأجلب للهدو ومن فوت الفرصه وقع في غصة وأي غصه وهذا الاسد ان غفلنا عن أنفسنا أبادها وقصد دمارها وفسادها ولا يفيدنا اذ ذاك الندم بعد ما زلت القدم وتحكم في وجودنا من مخالبه العدم فقال الجمل اعلم أيها الرفيق الصديق الشفيق ان هذا الملك آوانا وأكرم مثوانا ولم نشاهد منه سوأ ولا من ظلمة باطنه آنسنا ضوأ ولو قصد أذانا ما وجد دافعا ولا مانعا وقد علمنا انه ترك الاذى وكف عن الشر والبذا تعففا لا تخوّنا وتكرما لا تكلفا واختيارا لا اضطرارا وجبرا لكسرنا لا اجبارا وأما أنا على الخصوص فلم أر منه الا الجميل والفضل الجزيل والاحسان العريض الطويل فلاي شيء أشرع في أذى نفسي وأكدر صافي حدسي ولم يظهر لي منه أماره لا بمقتض ولا بدلالة ولا باشاره فضلا عن سباق أو سياق بعباره وأنا لو مت كمدا ما قصدته باذى ولا ارديته برداء ردى والصوفي ابن الوقت لا يتقيد بنكد ولا مقت فان قصدني بعد ذلك بشر أو تعرض لي بهلاك وضر لا يسعني معه الا التفويض والتسليم والتوكل على العزيز العليم مع اني لا أقدر على مقاومته ولا قوة لي في دفع مصادمته ولا طاقة لكسر أنيابه ومخالبه ولا خلاص من أشراك أساليبه غير أني وان كنت منسوبا الى التغفل لا أدع من يدي ذيل التوكل فبالتفويض يحصل النجاح وبالتوكل يظفر بالفلاح كما جرى لذلك الفلاح مع الذئب والشجاع حال التوكل على الله تعالى والانقطاع فسأل أبو سلمه ايضاح هذه الكلمه (قال) أبو صابر بلغني من أحد الاكابر أن شخصا فلاحا توجه الى ضرورة مصباحا من غير رفيق ولا حامل سلاحا فبينما هو في البيداء سائر صادفه ذئب داعر خاتل خاتر فقصده ليكسره ففر وصعد الى شجره فترصد نزوله وانتظره تحتها ليغوله فانحصر وعن ضرورته انحصر وبينما هو في تلك البليه وقعت عينه على حية رديه ذات قرون صاعده وهي على بعض الفروع راقده فازداد همه وأحاط به لوهمه غمه فاستمر بين بليتين وانحصر في ديوان داهيتين دهيتين فلم ير أوفق من التوكل على الله والاعراض عما سواه فاعتمد متوكلا عليه وفوض أموره اليه وبينما هو في تلك الشده وقد بلغ ضرره حده واذا برجل مقبل من الفلا وعلى عاتقه عصا فقصده الذئب من قريب فلما رأى السلاح فر وله كالاح فنزل الفلاح من الشجره وأزال الله تعالى همه وضرره (وانما أوردت) هذا المثل لتعلم أن الله نعم المتكل فاخرج هذا الوسواس من القلب والراس ولا تبك سلفا ولا تعجل تلفا ولا تخلع الحذاء اذا الرياضه قبل أن تصل الى المخاضه ولا تهتم لامر ما وقع فان ذلك من شر البدع فان قصدنا بسوء فالله يكافيه ويكفينا بحوله وقوته فيه قال الذئب ذو الضرر هذا رأي القاصر في النظر العاجز في الفكر فاما ذو الفكر الثاقب فلا يغفل عن العواقب فكل من قصر عن العواقب نظره ولم يسدد في الامور فكره فهو كمن تعلقت النار باهدابه والتهبت لاحراق ثيابه وهو مشغول عن اطفائها متساهل في كشف أنبائها فلم يفق الا وقد نشبت وأعضاؤه بالنار التهبت فما تفيده الافاقة وقد صار حراقه قال الجمل يا أخي أفق من محالك وعالج فساد تصورك وخيالك وانظر قوة جلدك وكيفية حالك أنا الحي من صدقات الاسد نبت وحبه في دمي وعظامي ثبت كيف أجحد نعمه أو أريق دمه وأنا غرس صدقاته وبنيان نفقاته ورفيق حضرته وعتيق منته مع اني لو نبذت عهده فقطعت ما قطعت وعزمت على مناوشته ما استطعت أما وعيت في معاني ما رويت

هي العنقاء تكبر أن تصادا * فعاند من تطيق له عنادا

تريد صيد العقاب بفرخ الغراب أم تقتنص الذئاب بجرو الكلاب وتبغي بالقرود كسر الفهود أم بالسنانير تصيد الاسود ولا والله لا أقصده باذى ولا يطاوعني قلبي على ذلك أبدا ولو فعلت ذلك لسعيت في دماري وخراب دياري وجدعت أنفي بكفي وبحثت عن حتفي بظلفي وجززت بيدي رأسي وقطعت

أيها الملك لكذلك ولكن العاقل اذا أتاه الامر الفظيع العظيم الذي يخاف من عدم تحمله (١٤١) الجائحة على نفسه وقومه لم يجزع من شدة الصبر عليه لما يرجو من ان يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير فلم يجد لذلك ألما ولم تكره نفسه الخنوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة أمره وعاقبة صبره فقال الملك أخبرني عن عقول البوم قال الغراب لم أجد فيهن عاقلا الا الذي كان يحثهن على قتلي وكان حرضهن على ذلك مرارا فكن أضعف شيء رأيا فلم ينظرن في أمري ويذكرن اني قد كنت ذا منزلة في الغربان واني أعد من ذوي الرأي ولم يتخوفن مكري وحيلتي ولا قبلن من الناصح الشفيق ولا أخفين دوني أسرارهن وقد قالت العلماء ينبغي للملك ان يحصن أموره من أهل النميمة ولا يطلع أحدا منهم على مواضع سره فقال الملك ما أهلك البوم في نفسي الا البغي وضعف رأي الملك وموافقته وزراء السوء فقال الغراب صدقت أيها الملك انه قلما ظفر أحد بغنى ولم يطغ وقلما حرص الرجل على النساء ولم يفتضح وقل من أكثر من الطعام الا مرض وقل من وثق بوزراء السوء وسلم من أن يقع في المهالك وكان يقال لا يطمعن ذو الكبر في حسن الثناء ولا الخب في كثرة الصديق ولا السيء الادب في الشرف ولا الشحيح في البر ولا الحريص في قلة الذنوب ولا الملك المختال المتهاون بالامور الضعيف الوزراء في ثبات ملكه وصلاح رعيته قال الملك لقد احتملت مشقة

قدمي بفاسي وقلعت باصبعي مقلتي واستحفظت ملك الموت مهجتي ولصرت من أكبر المعتدين وأفسدت
ديني ودنياي والله لا يحب المفسدين فاطوعني هذا الكلام وارجع عن مفاوضتي بسلام ولا تشكك به
جنانك ولا تحرك به لسانك وكان بالقرب منهما وكرفاره وقد سمعت ماجرى بينهما من عبارة ووعت
كلامهما ومادار بينهما من كل منهما فلما رأى الدب المريد أن كلامه للجمل لا يفيد أمسك واحتشم
وأخذه في ذلك الندم ولكن حال من الجمل الحل وأثر فيه هذا المقال واستولى عليه من الاوجال ما أداه
الى الهزال وصيره من الانحال كالخلال وذهب ما كان عليه من النشاط وداخله الهم والاختباط وصار
كل يوم في انحطاط ولم يزل بين نضو ورازح ورازم ونازح فتعجب الاسد من حاله ولم يقف على سبب
هزاله وكان عند الاسد غراب مقدم على الاصحاب هو وزيره ومعتمده وصاحب أخباره وعضده فعرض
عليه حال الجمل وما شاهده منه من وجل وقال أنا عففت عن أكل اللحوم ورضيت من العيش بادنى الطعوم
وهذا أمر قد عرف واستقر فما بال هذا الجمل لا يأخذه مقر فاريد أن تعرف له وتخبرني صدقه ومحاله فتوجه
الغراب الى منزل الجمل وقد أخلص في القول والعمل وساله عن حاله وموجب هزاله وانحاله وما سبب
هذا الرزوح والرزوم المؤدي الى النزوح فما أحار جوابا ولا ذكر خطأ ولا صوابا فصار الغراب يرتقبه
وحيثما توجه يعتقبه ففي بعض الايام كان الغراب على بعض الآكام رأى الجمل قد أقبل الى الماء ليطفئ
بشربه سورة الظما فتخفى الغراب واقتفى ظهره الى أن قاربه وكمن خلف صخره فسمعه يقول بعد
ماشرب وقد رأى السميكات في اللعب لك الحمد يارب ما أرحمك وطوبى لكن يا سمك لامن رئيس تخفن
ولامن هيبته ترجفن لا ملك يهولكن ولا سلطان يغولكن ولكن البكاء على الجمل الذي ضاقت به الحيل
قد وقع في دردور البلاء ولا يهتدي الى طريق النجاء بل ولا يدري عاقبة أمره المهول الى ماذا تؤول أالى الغرق
والندامه أم الى النجاة والسلامه ثم أخذ في الانتحاب الى ان أبكى الغراب فلما رأى أبو القعقاع هذه
الاوضاع قضى من الامر العجاب ما يتشيب منه الغراب ثم توجه الى أسد الشرى وعرض عليه ماجرى
بتخبير المشترى فتشوش فكره وتشور أمره وضاق بالهم صدره وقال أنا كففت عن الشرو الشره وعففت
عن ذلك كان لم يرني ولم أره وتركت القرم والاذى وفطمت نفسي عن لذيذ الغذا ليأمنني أصحابي
ويانس بي أحبابي فاذا لم يستقر خاطرهم ولم تطمئن على محبتي سرائرهم أي فائدة لي في الحياه وكيف
أخلص في حرم المودة من كدر العيش الى صفاه وكل ملك لا تصفو له رعيته ولا ترسخ في قلوب جنده محبته
كيف يثبت سلطانه أو يساعده عند الشدائد أعوانه أنا بذلت جهدي وطاقتي وتشبثت باذيال الصلاح على
قدر استطاعتي ولم يبق الا التضرع والاستكانة والتخشع الى مقلب القلوب وعلام الغيوب ليكشف هذه
الغمه ويصلح لي هذه الامه ويجلو عن جبين الحق بهيم هذه الظلمة ثم تضرع الى عالم الاسرار ليطلعه على
حقيقة هذه الاخبار ثم أمر باجتماع جماعته المقيمين على محبته وطاعته وعرض عليهم هذه الاحوال
وطلب منهم استكشاف ما فيها من الاهوال وقال اعلموا اني أمنتكم من مخافتي وبذلت لكم بدل عنفي لطافتي
وقد حققت لكم مرامي وصدقتم كلامي وعرفتم أخلاقي وشدي أعلاقي كل ذلك لتطيب خواطركم وتصفو لي
سرائركم ولم أفعل ذلك عجزا ولا خورا ولا تهاونا ولا ضجرا وأنا الآن آمركم بواحده هي أجلى فائده أن
لا تكتموا عني شيأ تكرهونه مني بل أوقفوني عليه وأرشدوني اليه ثم اجهدوا اني أمنعه عني فان فيكم
أجل محبوبي من أهدى الي عيوبي وقد قال سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام اللهم أبلغه أفضل
التحيات عنا من غشنا فليس منا وانما أوردت هذا الكلام في هذا المقام بحضور الخواص والعوام على
سبيل التحذير والاعلام والتنذير وأقسم بالله العلي الكبير اللطيف الخبير الذي منه المبدأ واليه المصير لم
يكن في خاطري من أحد حقد ولا حسد ولا هجس بخاطري له ايذاء ولا نكد وها انا قد أخبرتكم وباطلاعي
أمرتكم فلم يبق لي ذنب يستغفر منه ولا لكم في الاخفاء ما يعتذر عنه وان الله تعالى لا يعذب بضلال الاسافل
بل يهب للاعالي الاراذل فاذا فسد الراس تغيرت الناس حل الباس ولقد قال خالق البرية وباريها

شديدة في تضعفك للبوم وتضرعك اليه قال الغراب انه من احتمل مشقة يرجو نفعها ونحى عن نفسه الانفة والحمية ووطنها على الصبر
حمد غب رأيه كما صبر الاسود
على حمل ملك الضفادع
على ظهره وشبع بذلك
وعاش قال الملك وكيف كان
ذلك (قال الغراب) زعموا
ان أسود من الحيات كبر
وضعف بصره وذهبت
قوته فلم يستطع صيدا ولم
يقدر على طعام وانه انساب
يلتمس شيأ يعيش به حتى
انتهى الى عين كثيرة
الضفادع قد كان يأتيها قبل
ذلك فيصيب من ضفادعها
رزقه فرمى نفسه قريبا
منهن مظهرا للكآبة
والحزن فقال له ضفدع مالي
أراك أيها الاسود كئيبا
حزينا قال ومن أحرى بطول
الحزن مني وانما كان أكثر
معيشتي مما كنت أصيب
من الضفادع فابتليت ببلاء
وحرمت على الضفادع من
أجله حتى اني اذا التقيت
ببعضها لا أقدر على امساكه
فانطلق الضفدع الى ملك
الضفادع فبشره بما سمع
من الاسود فأتى ملك
الضفادع الى الاسود فقال له
كيف كان أمرك قال سعيت
منذ أيام في طلب ضفدع
وذلك عند المساء فاضطررته
الى بيت ناسك ودخلت في
أثره في الظلمة وفي البيت ابن
للناسك فاصبت أصبعه
فظننت انها الضفدع
فلدغته فمات فخرجت
هاربا فتبعني الناسك في
أثري ودعا علي ولعنني
وقال كما قتلت ابني البريء ظلما وتعديا كذلك أدعو عليك ان تذل وتصير مركبا لملك الضفادع فلا تستطيع أخذها

واذا

واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فقام الحاضرون فى مقام العبودية والولاء وبسطوا ألسنتهم بانواع الثناء والدعاء ونادوا بكلمة واحده متفقة متأكده حاشا الله ما علمنا عليك من سو ولم تزل تطيب على تقصيرنا وتاسو وتستر بذيل عفوك كل عار منا وتكسو وكان هذا الكلام للاكابر وقد اجتمع البادى والحاضر وأبو جيد المفتن فيما بينهم حاضر فادرك بهذا العمل أن الاسد شعر بشئ من جهة الجمل فاستدرك فارطه وسلك سبيل المغالطه ثم اختلى بالاسد ولم يكن معهما أحد وقال كان مولانا الملك وقاه الله شر المنهمك أحس بشئ أوجب تقرير كلامه لطائفة جنده وخدامه وأنا عندى كلام لم يطلع عليه أحد من الانام ولم أبده للملك بحضرة الجماعه لانه ربما لا يقصد الملك به الاذاعه ولا يمكننى اخفاؤه وقد كان ابداؤه فاعلم أيها الملك الهمام كفاك الله شر اللئام أنه كما يستحقر العالم الجاهل كذلك يزدرى الجاهل العاقل وذلك لقصور فهمه وعدم علمه ومهما أحاط الخادم برتبة مخدومه وزاد علو قدره فى معلومه ازداد فى قلبه وجوارحه مقدار تعظيمه واستقرت هيبته فى قلبه وروحه وصارت كؤس خشيته تنادمه فى غبوقه وصبوحه وقد قال رب الارض والسماء انما يخشى الله من عباده العلماء وقول النبى عليه الصلاة والسلام أنا أعرفكم بالله وأخشاكم لله اشارة الى هذا المقام وكلما ضعفت معرفة الخادم بالمخدوم قلت قيمته عنده وهذا أمر معلوم ثم اعلم يا ملكا أعظم ان الجمل الطويل الامل قد اغتر بالملك حين كان فى ذرى أمنه سلك وأحسن اليه غاية الاحسان وصار فى عدم الوفاء كالانسان وحصل له من سورة غضبه الامان فجهل قدره وتعدى طوره وقد قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندى فى موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وقال الله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وكل نفس لا تحتمل الجميل وحوصلة العصفور لا تسع لقمة الفيل وناهيك ما قد قيل فى الاقاويل عن حماقة كل طويل فلا جرم فسد دماغه حين حصل فراغه وتطاولت نفسه فى مسراها الى أشياء لا يمكن افشاها ولا يتفوه بها مسلم ولا يرضاها لان ذكرها قبيح والكناية أبلغ من التصريح فلما سمع الاسد هذا المقال علم ببديهة العقل أنه زور ومحال ثم أرسل الى الغراب وذكر له هذا الخطاب ليميز خطأه من الصواب ويبين القشر من اللباب فلما أتى الغراب الى حضرته وجلا صورة هذا القول على مرآة فكرته قال له ضميرك المبارك فى حل هذا المشكل لا يشارك فانه حلال المشكلات موضح المعضلات وأما أنا فلا أسمع هذا الكلام ولا أقبل فى الجمل الملام فانى أعرف تواضعه ومسكنته وصبره وطاعته واخلاصه وقناعته وانه صادق فى محبته مخلص فى عبوديته وأعرف ان خوفه من الملك غالب على رجائه وأنه مع ذلك مقيم على سنن وفائه وعقود عهوده وصفائه ولو أراد الذهاب لذهب بسلام ولا فى وظيفته قيد ولا فى وتيرته خطام ثم قال الغراب والغالب على ظن ذوى اللب ان هذه الفتن أصلها وأصلاها الدب لانه قد تقرر وتحقق واتفق كل حكيم موفق انه اذا نقل ناقل محقق عن عاقل ابتدأ بالاحسان اساءة فلا يصدق فالملك لا يبادر فى هذه القضيه حتى يتبصر الامر عن جليه وحاشاه أن يفرط فى خدمة المخلصين من غير ان يتدبر أمورهم بيقين ويختلى بعبده الجمل ويتحقق منه أصل هذا العمل بعد استجلاب خاطره وتطييب سرائره وضمائره فاستصوب الاسد هذا الفصل واختلى بالجمل ليقف منه على هذا الاصل وسكن جاشه وأزال بلطيف الكلام استيحاشه وشكر فى خدمته مساعيه وطلب بملاطفته مراضيه ثم طلب من الجمل تفصيل ما بلغه من جمل وأكد قوله بالايمان أنه لو صدر منه تقصير ونقصان ولو كان مهما كان فانه قد عفا عما هفا ولا يكدر من عيشه ما صفا ولا يمزق رقيق حاشية وفائه بالجفا ولا يتقيد بهفواته ولا يطالبه أبدا بزلاته فليطلعه على جلية الحال وليذكر ما وقع منه من أقوال وأفعال فافتكر الجمل فى معاهدته مع الدب وانه لا يفشى سر ذلك العديم اللب وكيف ينقذه من غضى جرشب وقضاء غمرة صب فقال ان قلت أضعت صاحبي وان

ولا أكل شئ منها الا ما يتصدق به عليك ملككما فاتيت اليك لتركبنى مقرا بذلك راضيا به فرغب ملك الضفادع فى ركوب الاسود وظن ان ذلك فخر له وشرف ورفعة فركبه واستطاب له ذلك فقال له الاسود قد علمت أيها الملك انى محروم فاجعل لى رزقا أعيش به قال ملك الضفادع لعمرى لا بد لك من رزق يقوم بك اذ كنت مركبى فامر له بضفدعين يؤخذان فى كل يوم ويدفعان اليه فعاش بذلك ولم يضره خضوعه للعدو الذليل بل انتفع بذلك وصار له رزقا ومعيشة وكذلك كان صبرى على ما صبرت عليه التماسا لهذا النفع العظيم الذى اجتمع لنا فيه الامن والظفر وهلاك العدو والراحة منه ووجدت صرعة اللين والرفق أسرع وأشد استئصالا للعدو من صرعة المكابرة فان النار لا تزيد بحدتها وحرها اذا أصابت الشجرة على ان تحرق ما فوق الارض منها والماء ببرده ولينه يستأصل ما تحت الارض منها ويقال أربعة أشياء لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والدين قال الغراب وكل ذلك كان من رأى الملك وأدبه وسعادة جده وانه كان يقال اذا طلب اثنان أمرا ظفر به منهما أفضلهما مروءة فان اعتدلا فى المروءة فاشدهما عزما فان استويا فى العزم فاسعدهما جدا وكان يقال من حارب الملك الحازم الاريب المتضرع الذى لا تبطره السراء ولا تدهشه الضراء كان هو داعى الحتف الى نفسه ثم لاسيما اذا كان مثلك أيها الملك العالم بفرض الاعمال

سكت قصرت في جانبي ثم اختار كتم الاسرار وسلك طريق الاحرار والوفاء بالعقود وعدم نكث العهود وقال أسعد الله مولانا الذي بوجوده أحيانا اني أتفكر في عواقب الامور وأنظر في تقلبات الدهور وأخشى سطوات السلطان وأخاف من حوادث الزمان فلا أزال من هذا الخيال في انفعال وهزال الى ان صرت الى هذا الحال فان كان هذا ذنبا يوجب العقوبه فان ازالته عن خاطري فيها صعوبه وهذه أوهام لا يمكن دفعها ولا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الاسد فهل اطلعت على ما يوجب ذلك أو يدل على الالقاء في المهالك وتضييق المسالك من حركات أفعالي أو من فلتات أقوالي أو تقلبات أحوالي أو نقل اليك ناقل من جاهل أو عاقل فافحم الجمل عن الجواب وأطرق فلم ينطق بخطا أو صواب فقال الغراب لا ينجيك الا الصدق وكشف أستار الريب عن جبين الحق وكان حاضر هذه الفحوى خلد أعمى وهم عنه غافلون وعن استماعه ذاهلون ففي الحال توجه الى الدب وقال صورة ما جرى بتخيير المشترى فعلم الدب انه افتضح وأمره اتضح فنهض وما قعد ودخل على الاسد فرأى الجمل مطرقا لا يلوك منطقا فدصولجان اللسان وخطف كرة البيان وسابق بالكلام خوفا من الملام وقال بلسان طلق كلام فاجر مختلق اعلم أيها الطويل الابلم أنك لو أمسكت عن كلامك القبيح في وقتك الفسيح لكان أصوب وأحسن وأعجب لكن لما فهت بالعبر وأتيت باحدى الكبر وصادمت القضاء والقدر وخنت ولي نعمتك وقصدت اهلاك الملك بقبح شيمتك أزال الله سترك وأبدى أمرك وفضحك وقبحك وبلجام الخزي كبحك لا جرم جرمك حبسك واثمك العظيم أخرسك فابهت الضرغام من هذا الكلام وشاب الغراب من هذا الامر المشاب ووقعوا في الاضطراب والشك والارتياب واشتبه الخطأ بالصواب وقالوا ان هذا الشئ عجاب فقال الجمل للدب يا فقيد اللب يا قليل النصفه وعديم المعرفه وأنحس أفاك وأنجس سفاك وأبخس بتاك أتظنني خائفا من كلامك وخطابك عاجزا من ملامك وجوابك اما كفى أني قصدت ستر عوارك واطفاء نارك ومفتكر في تلافي قضيتك واخماد لهيب فتنتك واهماد شرار مصيبتك وعلى تقدير التسليم واني فهت بالكبر والامر العظيم أ كنت معك منفردا أم رأيت بيننا أحدا فان كان بيننا أحد فاحضره الى حضرة الاسد فاني أرضى به وبما بين ولا دافع لي فيما يشهد به ولا مطعن وان كنت أنت وحدك فما منعك عن نصح الملك وصدك فأنت اذا الخائن والمائن وهذا أمر محقق بائن ولولا ايماني التي ربطت بها لساني لكنت أظهرت البرئ والجاني ولكن تحليفي الى الكتم والسكوت ألجأني وسيظهر الله الحق ويفصل وللباطل صولة ثم يضمحل ووالله ما لك مثل مع المسكين الجمل الا المرأة النجار لما أغلقت باب الدار قال أبو الحرث الغضوب أخبرنا يا أبا أيوب كيف كان هذا الحديث لنطلع على هذا الفعل الخبيث (قال) ذكر رواة الاخبار انه كان رجل نجار له زوجة تخجل الاقمار وتكسف شمس النهار كانها الدنيا تخدع بلامع صورتها وتصرع بروائح سيرتها فكانت كلما رقد زوجها وهو تعبان انسابت الى الاخدان انسياب الثعبان فتقضي الليل بانشراح في عناق وشرب راح الى ان ينفجر الصباح ثم تنثني عائده فلا يستيقظ الزوج الا وهي عنده راقده ففطن في بعض الاوقات لفعلها وراقب ليلة خيال ختلها فتراقد في الفراش وذهبت لطلب المعاش فنهض وراءها النجار وأوصد لما خرجت باب الدار واستمرت هي وصاحبها وزوجها مستيقظ يراقبها فلما عادت راجعه وجدت الابواب مانعه فطارقت الباب من غير اكتراث واكتئاب فناداها يا خائنه اذهبي حيث كنت كامنه فقالت استر هذه الذنوب فاني من بعد أتوب فقال لها لا والله الرحمن حتى نفضحي بين الجيران فقالت الموت أهون من الفضيحه فاغفر لي هذه القبيحه وانا أحلف يا ودود بالله الرب المعبود اني أتوب ولا أعود ثم ألحت عليه وتضرعت لديه فلم يفتح لها بابا ولا رد عليها جوابا فقالت والله اللطيف الخبير لئن لم تفتح الباب لالقين نفسي في هذا البير ولارمينك بقتيل بين الحقير والجليل ثم عمدت الى حجر كبير وطرحته في تلك البير ثم

ومواضع الشدة واللين والغضب والرضا والمعاجلة والاناة الناظر في أمر يومه وغده وعواقب أعماله قال الملك للغراب بل برأيك وعقلك ونصحتك وعن طالعك كان ذلك فان رأى الرجل الواحد العاقل الحازم أبلغ في هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوي البأس والنجدة والعدد والعدة وان من عجيب أمرك عندي طول لبثك بين ظهراني البوم تسمع الكلام الغليظ ثم لم تسقط بينهن بكلمة قال الغراب لم أزل متمسكا بادبك أيها الملك اصحب البعيد والقريب بالرفق واللين والمبالغة والاناة قال الملك أصبحت وقد وجدتك صاحب العمل ووجدت غيرك من الوزراء أصحاب أقاويل ليس لها عاقبة حميدة فقد من الله علينا بك منة عظيمة لم نكن قبلها نجد لذة الطعام ولا الشراب ولا النوم ولا القرار وكان يقال لا يجد المريض لذة الطعام والنوم حتى يبرأ ولا الرجل الشره الذي قد أطمعه سلطانه في مال وعمل في يده حتى ينجزه ولا الرجل الذي قد ألح عليه عدوه وهو يخافه صباحا ومساء حتى يستريح منه قلبه ومن وضع الحمل الثقيل عن يده أراح نفسه ومن آمن عدوه ثلج صدره قال الغراب أسأل الله الذي أهلك عدوك ان يمتعك بسلطانك وان يجعل في ذلك صلاح رعيتك ويشركهم في قرة العين بما يكاثف الملك اذا لم يكن في ملكه قرة عيون رعيته فمثله مثل زنمة العنز التي يمصها

اختفت

اختفت عند الباب لتنظر ما يبرزه القضاء من الحجاب فلما سمع زوجها خبطة الحجر تصور أنها تلك البغي فابتدر وفتح الباب والى نحو البئر طفر ولم يشك ان تلك البغي ألقت نفسها في الطوى فما وصل الى البير ذلك الرجل الغرير الا وقد دخلت وفي وسط الدار حصلت ثم أوصدت الباب واستغاثت بالجيران والاصحاب وأحكمت الرتاج وأوقدت السراج وملأت الدنيا بالعياط وأخذت في الهياط والمياط فاجتمع الجيران لينظروا ماهذا الشان فقالت هذا الرجل الظلام يتركني كل ليلة حتى أنام ثم يتوجه الى الزواني ويدعني أقاسي القلق واعاني وأتقلب في أرقي وأشجاني فأخذ الرجل يحلف بالله ذي الجلال ويذكر للحاضرين حقيقة الحال فتارة يصدق وأخرى يكذب وهو بين مصدق منهم ومذبذب فلم يزالا في ويل وصياح الى ان ظهر تباشير الصباح فحضرا الى القاضي واختصما وشهد بعفة الرجل الصلحاء والعلما وأظهر الله الحق وثبت على المرأة الخيانة والفسق ولولا ذلك لذهب البرىء غلطا وانقلب صواب الحق الصادق خطا (وانما أوردت) هذا المثل لتعلم أيها الملك البطل خيانة الدب وبراءة الجمل والرجل اذا عجز عن فعل الشجعان يتشبث بحبائل الشيطان ويستعمل مكر النسوان ونظير هذا الكياد ما وقع بين صادق دمشق وفاسق بغداد وهي قضايا جليلة الابواب طويلة الذيول والاذناب قد دونت في مجلدة لا يسعها هذا الكتاب فتكرار ذكرها يبال في هذه الاحوال ثم أمر بهما الى الاعتقال وكان الملك سعدان ذكي كنيته أبو الحصين واسمه ذكي فتسلمهما واحتفظ بهما فلما استقرا في قبضة الحبس واستمر أمرهما تحت أذيال اللبس توجهت الفارة التي كانت سمعت سر مناجاتهما واطلعت من أول الامر على حكاياتهما الى السعدان وهما في أضيق مكان وسألته عما ذا آل اليه أمرهما من شان فأخبرها بحالهما وجهل عاقبة مآلهما وأنه ليس بعالم من المظلوم منهما والظالم فقالت الفاره أسألك ياذا الشطاره والذكاء والمهاره اذا ترجح لاحدهما الجانب وتبين الصادق والكاذب وتعين المرضي عنه والمغضوب عليه تطلعني على ذلك لانظر اليه قال السعدان للفاره لقد فهمت عنك بالاشاره وأدركت من فحوى العباره ان لك اطلاعا على هذا الامر وفرقا جليا بين تمره والجمر فان كنت شممت من ذلك روائح فبادري باداء تلك النصائح فان قولك مقبول ولك الفضل لا الفضول ولا تقصدي بهذا الارشاد الا مصلحة العباد وكشف الغمه وبراءة الذمه وردع الظالم وخلاص ذمة الحاكم قالت الفارة وأنا الا أقصد الاصلاح ذات البين وشمولهما بعاطفة الملك بحيث يصيران كالمحبين ويرتفع النكد ويحصل رضا الاسد ويحسم الضرر والضير وتختم عاقبتها بالخير وأيضا فاني سمعت من العلماء وضبطت من نصائح الحكماء ومقالات ذوي الآراء انهم قالوا اياك والتكلم في أمور الملك ببيضاء أو سوداء وأين بنت الجرد من ملك الوحوش الاسد قال السعدان لا تقولي ذلك ولا تستحقري جدواك وما ترين في فتواك ودونك القول الصادر من نظم الشاعر الماهر وهو

لا تحقرن الرأي وهو موافق * حكم الصواب اذا أتى من ناقص

فالدر وهو أجل شيء يقتنى * ما حط قيمته هوان الغائص

وان النصيحة كالعسل والحق يصدع كالاسل فالعسل يعطي حلاوة ذوقه سواء كان في صحاف الذهب أو في زنه وقاصد الصواب والنصيحه ومن اغراضه لدفع الفساد صحيحه يخاطر بنفسه وماله ويراقب ما فيه حسن مآله وأفضل المعروف اغاثة الملهوف سمعت في المثل السائر أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وهذا الطور عند ملوك الجور فكيف وملكنا أعدل الحكام وناصر دين الاسلام متصف بمكارم الاخلاق والشيم ومعاملة الكبير والصغير بالمراحم والكرم فان كنت تدرين بجهة الانتفاع أولك على قضايا الدب والجمل اطلاع فقومي وانصحي وقولي تفلحي كما فعل الوزير المنتخب مع كسرى في حالة الغضب فسألت الفاره هذا المثل واخباره (قال) أبو الحصين السعدان ذكر انه كان لانوشروان زوجة فاقت النسوان بخجل قدها الاغصان وخدها البدر حيث لا نقصان كان أبوها من

الجدي وهو يحسبها حلمة الضرع فلا يصادف فيها خيرا قال الملك أيها الوزير الصالح كيف كانت سيرة البوم وملكها في حروبها وفيما كانت فيه من أمورها قال الغراب كانت سيرته سيرة بطر واشر وخيلاء وعجز ونفر مع ما فيه من الصفات الذميمة وكل أصحابه ووزرائه شبيه به الا الوزير الذي كان يشير عليه بقتلي فانه كان حكيما أديبا فيلسوفا حازما عالما قلما يرى مثله في علو الهمة وكمال العقل وجودة الرأي قال الملك وأي خصلة رأيت منه كانت أدل على عقله قال خلتان احداهما رأيه في قتلي والاخرى انه لم يكن يكتم صاحبه نصيحته وان استثقلها ولم يكن كلامه كلام عنف ولكنه كلام رفق ولين حتى انه ربما أخبره ببعض عيوبه ولا يصرح بحقيقة الحال بل يضرب له الامثال ويحدثه بعيب غيره فيعرف عيبه فلا يجد ملكه الى الغضب عليه سبيلا وكان مما سمعته يقول لملكه انه قال لا ينبغي للملك أن يغفل عن أمره فانه أمر جسيم لا يظفر به من الناس الا قليل ولا يدرك الا بالحزم فان الملك عزيز فمن ظفر به فليحسن حفظه وتحصينه فانه قد قيل انه في قلة بقائه بمنزلة قلة بقاء الظل عن ورق النيلوفر وهو في خفة زواله وسرعة اقباله وادباره كالريح وفي قلة ثباته كاللبيب مع اللئام وفي سرعة اضمحلاله كحباب الماء من وقع المطر فهذا مثل أهل العداوة الذين لا ينبغي أن يتربهم وان

السلاطين وملوك الاساطين وكان أنوشروان قتل أباها وأخاها واتخذها لنفسه واصطفاها وكان مشغوفا بحبها مخوفا من قربها لانها تتذكر قتيلها فيستولي طلب الثار عليها فلم يزل متحرزا من أفعالها مراقبا تقلب أحوالها فاتفق أنه كان جالسا معها على السرير وحولهما من الجواري الحسان كل بدر منير وظبي غرير فتاقت نفسه اليها فديده ووضعها عليها فنظرت الى الجواري فرأت أعينهن اليها ناظره فصارت بين طرفي الانقياد والامتناع حائره وكانت قد سمعت من أبيها ما رأته من أقاربها وذويها معنى ما قيل

وانى لاستحيى من النرجس الذى * يراقبنا انى أقبل من أهوى

فخطر ببالها أنه اذا استحيا من عيون النرجس وهى جامده فكيف لا أستحيى من عيون انسان فى مراقبتنا غير راقده فغلبت عليها الحيره وان جدع الحلال أنف الغيره فانكمشت من كسرى وزادها الحياء والهيبة انقباضا وكسرا فجذبها بقوته اليه فانفلتت منه لما استعصت عليه فوقع عن سريره العالى وعلا حلقه النمر الغالى وتبسم بعض تلك الجوارى من غير اختيار فاضطرب لما اضطرم فيه النار وتذكر ما كان توهمه من أخذ الثار وفار دم قلبه لما غار فدعا وزيره الكبير ودفع اليه ربة السرير وأمره بازهاق نفسها واسكانها في رمسها من غير مراجعه ولا شفاعة ولا مدافعه فحملها الى منزله ووقع فى صعب الامر ومشكله ولم يرد بدا من امضاء مرسومه وامتثال أوامر مخدومه ثم تدبر فى المآل ونادته ربة الجمال مهلا أيها الوزير الناصح المشير ذو الرأى والتدبير هبنى انى أخطأت وعن مرضاة الملك أبطأت فما ذنب الذى فى بطنى المودع من الملك ولم يجنى فلا بأس انك تستشيره فانك ناصحه ومشيره وان كان لابد من قتلى واستقر الرأى على نبلى وبتلى فاستمهله الى أن أضع ثم تهلك الام ويبقى التبع فانه كان يعطى النذور والاموال ويطلب الولد فى ظلمات الليال ويدعو بذلك ربه ذا الجلال فعرض الوزير على الملك ذلك فابى واستعمل فى ضرو بضربه أحد عباره وترفق فنبا فعرف ان أخلاقه ثائره وأنه لابد أن تطفأ تلك النائره فاذا برد قلبه وهمد كربه يطالبه بالفرع ان لم يطالب الاصل وبعد القطع لا يمكن الوصل كما قيل

طوى الموت ما بينى وبين أحبتى * وليس لما تطوى المنية ناشر

فرأى الوزير الرأى فى التأخير فاودعها عند الحريم وسلك فى الحزم الرأى القويم وجعل نفسه لها وقاية الى أن أخذت مدتها النهايه فوضعت ولدا ذكرا غصن بان مثمرا قمرا فقام الوزير بتربيته واصلاح رضاعه وأغذيته الى أن بلغ سبع سنين وهو كبدر الافق المبين مربى بالدلال مغذى بالكمال فكأنه فيه قيل

تجبين تحار الشمس من لمعاته * وقد يغار الغصن من حركاته
وخد تعالى الله لست مشبها * ولا مشركا أضداده فى صفاته
رمى مهجة المضنى باسهم لحظه * فنام عليلا وهو فى سكراته

فركب كسرى فى بعض الاوقات وخرج يصطاد فى بعض الجهات فتبدد العسكر وصار كالحجيج اذا انفر ووقع كسرى فى ناحية من العسكر منفردا فصادف غزالا يسوقان ولدا ويذكران فى ذلك القاع ما قاله عدى ابن الرقاع

تزجى أغن كان ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

فهجم عليهما ودنا اليهما فلما قصدهما تركا ولدهما ففوق السهم الخفيف نحو الخشف الضعيف فلما رأت أمه السهم داخلها الوله والوهم فقصدت السهم دون ولدها واستقبلت نصل كبد القوس بكبدها فاراد اطلاق السهم من الكبد ليصيب به نحر أم الولد فاعترضه الفحل بصدره وتلقاه دون نحرها بنحره وجعل نفسه وقاية لام ولده وفداهما بروحه وجسده فتذكر كسرى ولده وأمه وضاعف حزنه عليهما اهمه وغمه وتذكر ما سلف منه فى حق زوجته وما عاملها به حين وقع به من الغضب فى سورته وتامل ما قالته فى حق قرة مهجته وما أجاب فى ذلك الى أن وردت الى المهالك وقال اذا كان هذا الحيوان الباغم المائق حمى حقيقته بروحه كحماة الحقائق فلم لم يفعل ذلك الحيوان الناطق ثم فاضت

هم ظهروا وتوددا وتضرعا * انقضى باب البوم والغربان (باب القرد والغيلم) * (قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل الرجل الذى يطلب الحاجة فاذا ظفر بها أضاعها قال الفيلسوف ان طلب الحاجة أهون من الاحتفاظ بها ومن ظفر بحاجة ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغيلم قال الملك وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا ان قردا كان ملك القردة يقال له ماهر وكان قد كبر وهرم فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلب عليه وأخذ مكانه فخرج هاربا على وجهه حتى انتهى الى الساحل فوجد شجرة من شجر التين فارتقى اليها وجعلها مقامه فبينما هو ذات يوم يأكل من ذلك التين اذ سقطت من يده تينة فى الماء فسمع لها صوتا وايقاعا فجعل يأكل ويرمى فى الماء فاطربه ذلك فاكثر من طرح التين فى الماء وثم غيلم كلما وقعت تينة أكلها فلما كثر ذلك ظن ان القرد انما يفعل ذلك لاجله فرغب فى مصادقته وأنس اليه وكلمه وألف كل واحد منهما صاحبه وطالت غيبة الغيلم عن زوجته فجزعت عليه وشكت ذلك الى جارة لها وقالت قد خفت أن يكون قد عرض له عارض سوء فاغتاله فقالت لها ان زوجك بالساحل قد ألف قردا وألفه القرد فهو مؤاكله ومشاربه وهو الذى قطعه عنك ولا يقدر ان يقيم عندك حتى تحتالى لهلاك القرد قالت وكيف أصنع

دموع

دموع عينيه فرمى القوس والسهم من يديه ورجع متفكرا وعلى مافرط منه متحسرا ودعا الوزير الناصح الخبير والمستخير وذكر له ذلك النكد ومارآه من الغزالين والولد وتحرق على فقد حظيته وتألم لمصاب فلذة كبدته فدعا له الوزير وقال الصبر نعم النصير كان قد سبق مني اشاره ولكن المفرط أولى بالخساره الصديق الصادق والرفيق الموافق يقول ما أصنع نصحت فلم يسمع والخبيث المنافق والحسود المماذق يقول أردت أن أقول ولكن تركت الفضول ولاحيلة للملك والوزير فيما جرى به قلم التقدير ثم دعا له وانصرف وعبى جملا من الهدايا والتحف وألبس ابن الملك أفخر ملبوس وجهز أمه كما تجهز العروس وأضاف الى ذلك من المراكب الملوكيه والخدمات السلطانيه وأقبل بهما اليه وعرض كل ذلك عليه وقال ياملك الزمان أنا رأيت هذا اليوم في ذلك الاوان وعلمت أن الندم سيعم من الرأس الى القدم وها قد قدمت اليك من التحف الدرمع الصدف والورد والزهر والغصن والثمر والفرع والشجر والشمس والقمر متعك الله بهما ومتعهما بك وحرس من الاسواء منيع حومك وجنابك فانجبر بذلك كسري ونال بشري ويسري وطاب سيرا ومسري وسر صدره وانشرح وأغمي عليه من شدة الفرح وأنشد

طفح السرور علي حتى أنه * من عظم ماقد سرني أبكاني
ياعين قد صار البكا لك عادة * تبكين من فرح ومن أحزان

ثم أمر ببساط السرور وجلس في النشاط والحبور وأنشد

أهلا وسهلا بالتي * جادت على بمهجتي * أهلا بها وبوصلها
من بعد طول الهجرة * أدر المدام وغنني * أهلا وسهلا بالتي

ثم أفاض خلع الانعام والرضا والاكرام على الوزير وشكر له حسن التدبير وارتفعت عنده منزلته وتضاعفت في الارتقاء مرتبته (وانما أوردت) هذه الامثال لتحذي على هذا المثال فان كان عندك ما تزيل الشك والاغاليط ويحق الحق ويميز الاخاليط فان في ابدائها منة عظيمه ونعمة على الملك جسيمه ستبلغني بذلك العيش الهني وترقيني به الى المقام السمي السني وان أخرت النصيحه فقد شاركت الخائن في الافعال القبيحه قالت الفارة ما أدق ما نظرت وأحق ما أشرت لا تردد العقل في صحة هذا النقل ولكن من أنا في الرقعه ومن يقبل للفارة حتى تطلب الرفعه فلا أنا في العير ولا في النفير واني من مبدأ أمري وطول عمري في زوايا الخمول أحقر من فضلات الفضول لا اصحبة الملوك لي صورة جميله ولا في طريقة السلوك سيرة نبيله لا أمينة ولا ثقه وأصدق أسمائي الفويسقه فكيف أصير مصدقه وقد أباح سيد العرب والعجم معدن اللطف والكرم والمبعوث بمكارم الاخلاق والشيم صلى الله عليه وسلم قتلي في الحل والحرم فلو طلبت مصاحبة من فوقي لخرجت عن دائرة طوقي وصيرت نفسي ضحكة للناظرين وهزأة للساخرين خصوصا ملك الاسود وسلطان الوحوش من النمور والفهود ورحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره ومن أعجب العجب أن يجني من الشوك العنب ولو فعلت ذلك لكنت كقرد مالك ذميم هالك ادعى رياسة الممالك ومن أحسن الامثال ما يقال ان السلطان للانام بمنزلة الحمام البعيد عنه يطلب قربه والداخل فيه يشكو كربه فالاليق بحالي أن لا أشغل بالي الخالي بما لا يليق بي ولا بامثالي وحيث أشرت علي باداء النصيحه وبيان الحالة الفاسدة من الصحيحه طلبا لمرضاة الملك وصونا لخاطره عن الامر المشتبه المشتبك والفكر المريب المرتبك فانا أمتثل مرسومك واودع ذلك معلومك بشرط أن لا تذكرني بشفه ولا تشير الى اسمي بنكرة ولا معرفه فعاهدها على ما اشترطت فمدت لسان القول وبسطت ثم ذكرت ماجرى بين الدب والجمل من فصول وقررت براءة ساحة الجمل بالمعقول والمنقول فلما اتضح لابي الحصين السنجاب نزاهة عرض الجمل وان الدب هو الذي أغراه على قصد الاسد وحمل وتحقق ذلك بالبرهان القاطع والدليل الساطع توجه الى حضرة الاسد وأخبره بما صلح من الامر وما فسد وانه انما تأخر عن خدمة مخدومه ليصل الى ما في جيب الغيب من مكتومه فلما تحقق الليث ما في هذا الامر من صلاح وعيث

قالت جارتها اذا وصل اليك تمارضي فاذا سألك عن حالك فقولي ان الحكماء وصفوا لي قلب قرد ثم ان الغيلم انطلق بعد مدة الى منزله فوجد زوجته سيئة الحال مهمومة فقال لها الغيلم مالي أراك هكذا فاجابته جارتها وقالت ان زوجتك مريضة مسكينة وقد وصف لها الاطباء قلب قرد وليس لها دواء سواه قال الغيلم هذا أمر عسير من أين لنا قلب قرد ونحن في الماء ولكن سأحتال لصديقي ثم انطلق الى ساحل البحر فقال له القرد يا أخي ما حبسك عني قال له الغيلم ما حبسني عنك الا حيائي فلم أعرف كيف أجازيك على احسانك الي وأريد أن تتم احسانك الي بزيارتك لي في منزلي فاني ساكن في جزيرة طيبة الفاكهة فاركب ظهري لاسبح بك فرغب القرد في ذلك ونزل فركب ظهر الغيلم فسبح به حتى اذا سبح به عرض له قبح ما أضمر في نفسه من الغدر فنكس رأسه فقال له القرد مالي أراك مهتما قال الغيلم انما همي لاني ذكرت ان زوجتي شديدة المرض وذلك يمنعني من كثير مما أريد أن أبلغه من كرامتك وملاطفتك قال القرد ان الذي أعرف من حرصك على كرامتي يكفيك مؤنة التكلف قال الغيلم أجل ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية فساء ظن القرد وقال في نفسه ما احتباس الغيلم وابطاؤه الا لامر ولست آمنا ان يكون قلبه قد تغير لي وحال عن مودتي فاراد بي سوأ فانه لاشئ أخف وأسرع تقليبا من القلب وقد يقال ينبغي للعاقل ان

ومن هو الصالح من الدب والجمل والطالح أرسل الى الغراب وعرض عليه هذا الامر العجاب وطلب منه الارشاد الى هدم مابناه الدب من الايقاع وشاد فقال الرأى عندى أن تجمع العساكر وتنادى للبادى والحاضر ويحضر الدب والجمل ويعرض على الجميع هذا العمل فاذا ظهر الحق وانكشف سحاب الباطل عن جبين الصدق وتبين الظالم من المظلوم وتعين الصحيح من المشلوم يرى رأيك السعيد مايقتضيه ويسلك مايأمر به ويرتضيه ويجرى على كل منهما مايحكم بتنفيذه ويمضيه بحيث لاينتطح فى ذلك عنزان ولايختلف عليك فيه اثنان فلما كان ثانى يوم أمر الاسد بجمع القوم واحضار الجمل البرى والدب المفترى فحضر الكبير والصغير واجتمع الامير والوزير ثم علا الملك على السرير واثنى على الله العلى الكبير وصلى على البشير النذير الشاهد السراج المنير ثم ذكر ما أهمه من هذه القضية المغمه وذكر فضل هذه الامه ومالها من رفعة وجلاله وأنها لاتجتمع على ضلاله ثم قال ماتقولون فى رفيقين شفيقين صديقين لم يكن بينهما سبب مكالحه ولاموجب منازعة ولامجالحه سوى المحبة المليحة والممالحه والمودة الصافية الصالحه يبيتان فى فراش ويستعينان على حسن المعاش حسد أحدهما رفيقه وخان من غير سبب صديقه وسعى فى اراقة دمه وعلم وجوده بوجود عدمه فماذا يجب على هذا الحاسد المنافق فى عمله الفاسد الطالب ترويج باطله الكاسد وقصده ذلك البرى الصالح الغافل السرى والسعى به الى الحكام والقائهم بسببه فى الآثام وارتكاب هذه الجرائم وتحمل مثل هذه العظائم فاجاب الجمهور ان من أكبر الكبائر قول الزور وقد قال رب الكائنات ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم وان مرتكبه الاثيم استوجب العذاب الاليم ومن هو هذا الجرى الكذاب المفترى الذى يرتكب مثل هذه الامور الهائله والكبائر الوخيمة القاتله والعظائم المؤذية الغائله خصوصا فى مثل هذه الدولة العادلة ولاى شئ يؤخر جزاؤه ولايحسم داؤه ولايضرب ولا يشهر ولايؤمر بالمعروف فى هذا المنكر قال الاسد فاكتبوا ماقلتم محاضر وليعلم الغائب الحاضر حتى اذا وقع الاتفاق بين الاصحاب والرفاق وارتفع فى ذلك النزاع والشقاق وأجمع على ذلك العقل والسمع فعلنا فيه مايقتضى السياسة والشرع فاتبعوا اشروطهم وكتبوا بذلك خطوطهم فعند ذلك طلب الاسد أم راشد وأقامها فى ذلك المحفل الحاشد واستنطقها بما تعلم واستشهدها على الدب بما أجرم فشهدت فى وجهه بما سمعت ورقمت بذلك خطها ووضعت وزكاها الحاضرون وشهد بعفتها وزهدها الناظرون واتفقت الكلمة من الكملة على صدقها وحقيقة نطقها فتهلل وجه الجمل بهذا القول والعمل وظهرت على صفحات وجه الدب العديم الدين والاب علامة الانكسار والفضيحه والخسار ولم يسعه الا أنه أذعن واعترف أن لادافع له فى الشاهد ولامطعن وأنه قد اجترم وطلب العفو والكرم فعند ذلك غضب الريبال ولم يبق للعفو مجال فزأر وزفر وغضب الغضنفر وهمر وزمجر وتطاير من أشداقه الزبد ومن عينيه الشرر ومن شمائل حركاته ممضيات القضاء والقدر ونعوذ بالله من غضب الملوك خصوصا على الفقير الصعلوك ومن أحاطت به أوزاره وقلت أعوانه وفنيت أنصاره ثم أمر الاسد بالدب أن يلقى من البلاء فى جب وأن السباع تحتوشه والضباع تنوشه فى الحال من غير اهمال ولاتوان ولاامهال نهشته الذئاب وافترسته الكلاب وتخاطفته النمور وتناتفته البيور والتقمته السباع والتهمته الضباع فقطعوه وبضعوه ووزعوه ومزعوه وخزقوه وحزقوه وخرقوه ومزقوه ولم يكتفوا بعظمه واهابه حتى لحسوا من دمه يابس ترابه وكان قد اشتد بهم القرم فاطفؤا بلحمه ودمه بعض الضرم وزال عن أبى أيوب الضر وارتفعت منزلة ذلك الحر وضاعف الله تعالى عن براءة ساحته أنواع الحمد والشكر * وفائدة هذا المثل الجارى بين الدب والجمل معرفة فضيلة الامانه ووخامة المكر والخيانه فان الله تعالى غير مضيع أهله ولايحيق المكر السيئ الا باهله كما قيل

لابناء هذا الدهر فى الغدر أسهم * وضرب بخيانات وطعن مكيسدة

لايغفل عن التماس مافى نفس أهله وولده واخوانه وصديقه عند كل أمر وفى كل لحظة وكلمة وعند القيام والقعود وعلى كل حال فان ذلك كله يشهد على مافى القلوب وقد قالت العلماء اذا دخل قلب الصديق من صديقه ريبة فليأخذ بالحزم فى التحفظ منه وليتفقد ذلك فى لحظاته وحالاته فان كان ماظن حقا ظفر بالسلامة وان كان باطلا ظفر بالحزم ولم يضره ذلك ثم قال للغيلم ما الذى يحبسك ومالى أراك مهتما كانك تحدث نفسك مرة أخرى قال يهمنى انك تأتى منزلى فلاتجد أمرى كما أحب لان زوجتى مريضة قال القرد لاتهتم فان الهم لايغنى عنك شيأ ولكن التمس مايصلح زوجتك من الادوية والاغذية فانه يقال ليبذل ذو المال ماله فى ثلاثة مواضع فى الصدقة وفى وقت الحاجة وعلى النساء قال الغيلم صدقت وقد قالت الاطباء انه لادواء لها الا قلب قرد فقال القرد فى نفسه واسوأتاه لقد أدركنى الحرص والشره على كبر سنى حتى وقعت فى شر ورطة ولقد صدق الذى قال يعيش القانع الراضى مستريحا مطمئنا وذو الحرص والشره يعيش ماعاش فى تعب ونصب وانى قد احتجت الى عقلى فى التماس المخرج مما وقعت فيه ثم قال للغيلم وما منعك أن تعلمنى عند منزلى حتى كنت أحمل قلبى معى وهذه سنة فينا معاشر القردة اذا خرج أحدنا لزيارة صديق خلف قلبه عند أهله أو فى موضعه لننظر اذا نظرنا

وما للفتى منها طريق سلامة * سوى ترس تفويض لرب البرية

وكل امرئ رهن بنيته وفى * كفالة ما ينوى وما فى العقيدة

(وليكن) هذا آخر باب الاسد الصالح والجمل الامين الناصح والعاقبة للمتقين والله الموفق والمعين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خير الخلائق أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(الباب التاسع فى ذكر ملك الطير العقاب والجلتين الناجيتين من العقاب)

(قال) الشيخ أبو المحاسن من هو لشرب الفضل كاس ولكاس الظرف حاس وفى حدائق الادب أزكى آس ولاحداق الادباء أذكى آس وفى عيون الاعداء أنكى آس فلما أنهى الحكيم حسيب كلامه الذى استعبد در النسيب وذكر من النصائح والحكم عن ملوك العرب والترك والعجم ومن مباحث الجن والانس ما حصل للسامعين به النشاط والانس ثم استطرد الى فوائد البهائم والوحوش ورقم فى دار ضرب البلاغة من حسن الصياغة والرقوش ما فعدله من زواهر كلامه على سكة دينار الفصاحة أحسن النقوش وعقد بجواهر نظامه لمفرق العدل فى دار الملك اكليل العروس افتخر أخوه الفيل بوجوده وقدمه على جميع خواصه وجنوده وأفاض على حدائق آماله زلال احسانه وجوده وقال له يا نديم الدر وعديم الضير وقديم المير ومديم الخير قد أفدت حكم سائر الحيوان فكرر علينا من حكم منطق الطير فابتهج الحكيم فى الساعه وانتهض ملبيا بالسمع والطاعه ثم انه قال أدام الله ذو الجلال أيام مولانا امام الانام وشمل بذيل رأفته الخاص والعام بلغنى انه كان فى ممالك اذربيجان جبل يسامى السماك فى السمو ويعانى الافلاك فى العلو غزير المياه والاشجار كثير النبات والثمار وفى ذيله شجرة قديمه منابتها كريمه أغصانها مهدله وثمارها مسبله كما قيل

وفى أصلها أوكار زوج من الحجل * كأن ربا رضوان ألبسها الحلل

هو وطنهما المألوف ومقرهما المعروف ورثاه من أسلافهما وهو فى الشتاء والصيف مرجع ايلافهما يدعى الذكر منهما النجدى والانثى غرغرة بنت السعدى وفى ذلك الجبل جبل مقارن من جهة الشرق يسمى القارن لو قصد البدر دوره أو رفع رأسه لينظر سوره أو يحل فيه شعاعه ونوره لوقع عن قمة رأسه طرطوره فى قلته سرير عقاب منيع الجناب هو ملك الطيور والجوارح وسلطان السوانح والبوارح وصافات تلك القلال وكواسرها تيسك الجبال كلها تحت أمره العادل العال متوج فوق رأسه باكليل ما بيرزه من مثال فكانت الجلتان كلما فرختا وقاربت افراخهما الطيران عزم أبو الهيثم الكاسر بما معه من عقابين كواسر وجوارح الطيور ومن تحت أمره من الجمهور على التنزه والاصطياد فيحيط عساكره بتلك النواحى والبلاد فكانوا كلما وطئوا أوكارهما ومهودها وسلكوا ما بين كنافها وبطونها ونهودها تصل طراشة العساكر الى الجبل الذى فيه وكر الحجل فتذهب أفراخهما تحت السنابك وتضمحل تحت أقدام أولئك فتقع الجلتان فى النكد والاحزان وبالجهد والمشقة البالغه يخلصان هما من تلك الداهية الثالغه والنائبة الدامغه فلم يزالا فى نكد على فقد الولد فافتكرتا فى بعض الايام وقد أثر فيهما هذا الايلام فيما هم فيه من النكد لفقد الولد المتجدد على طول الامد فقال النجدى لبنت السعدى قد كبرنا وضاع العمر وحزنا وقاربت شمس عمرنا للافول وأقدام بقائنا أن تزل وتزول (شعر)

وليس لنا من يذكر الله بعدنا * اذا ما انتشبنا فى مخالب فقدنا

ولا من يحيى نشر آثارنا اذا طوى الموت بساط أعمارنا وقد قضينا العمر فى الانكاد بفراق الاولاد ثم بعد الحياة ينمحى اسمنا وينذرس بالكلية رسمنا فلا حياة هنيه ولا أخرى رضيه وأى هناء مع فراق قرة العين خصوصا على وجه المذلة والشين ومالنا نظير فى هذا الدهر المبير الا من جمع المال من حله

الى حرم المزور وليس قلوبنا معنا قال الغيلم وأين قلبك الآن قال خلفته فى الشجرة فان شئت فارجع بى الى الشجرة حتى آتيك به ففرح الغيلم بذلك ثم رجع بالقرد الى مكانه فلما قارب الساحل وثب عن ظهره فارتقى الشجرة فلما أبطأ على الغيلم ناداه يا خليلى احمل قلبك وانزل فقد حبستنى فقال القرد هيهات أتظن أنى كالحمار الذى زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب ولا أذنان قال الغيلم وكيف كان ذلك (قال) القرد زعموا أنه كان أسد فى أجمة وكان معه ابن آوى يأكل من فواضل طعامه فاصاب الاسد جرب وضعف شديد وجهد فلم يستطع الصيد فقال له ابن آوى ما بالك يا سيد السباع قد تغيرت أحوالك قال هذا الجرب الذى قد أجهدنى وليس له دواء الا قلب حمار وأذناه قال ابن آوى ما أيسر هذا وقد عرفت بمكان كذا حمارا مع قصار يحمل عليه ثيابه وأنا آتيك به ثم دلف الى الحمار فأتاه وسلم عليه فقال له مالى أراك مهزولا قال ما يطعمنى صاحبى شيأ فقال له وكيف ترضى المقام معه على هذا قال فمالى حيلة فى الهرب منه فلست أتوجه الى جهة الا أضربى انسان فكدنى وأجاعنى قال ابن آوى فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمر به انسان خصب المرعى فيه أتان لم ترعين مثلها حسنا وسمنا وهى محتاجة الى الفعل قال الحمار وما يحبسنا عنها فانطلق به ابن آوى نحو الاسد وتقدم ابن آوى ودخل الغابة على الاسد فأخبره بمكان الحمار فخرج اليه فاراد

وغير حله وتركه بعد الكد البليغ والحرص الى غير أهله فيصير كما قيل

تؤديه مذموما الى غير حامد * فيأكله عفوا وأنت دفين

ولا طاقة لنا في دفع جيش العقاب ولا حيلة الى الخلاص من عقاب هذا العقاب فذهب أكثر العمر في هذا الويل وأشبهنا النائم على طريق السيل وان غفلنا عن أنفسنا ارتعنا بما اجتاحونا وطرحونا الى مهلكة تدير علينا من العدم طاحونا فالرأي عندي ان نترك هذا الوطن ونرحل الى مكان لا نرى فيه هذه المحن فانه لم يبق لنا طاقة على فراق الولد ولا قلب يحتمل هذا الحزن والنكد

ذاب قلبي بين دمع وضرم * فارحموني أنا من لحم ودم

وذلك لان المرء يحيا بلا رجل ويد ولا تلقاه يحيا بلا كبد قالت لقد أعربت عما في فكري وشرحت ما كان يجول في صدري وهذه محنة قد أعيانا في دائها الدواء وبلاء عمنا فكلنا فيه سواء

المرء يحيا بلا ساق ولا عضد * ولا يعيش بلا قلب ولا كبد * بي مثل ما بك يا حمامة فاندبي

وقد قلت ولم يعرف حرارة ما أعاني * سوى قلب كواه ما كواني

وأنا لم أخل قط في وقت من هذا الفكر الذي أوجبه الهم والمقت واعلم ان سهام آراء العقلاء ونبال أفكار ذوي النظر من الحكماء انما تصدر من قوس واحده وتتوجه الى غرض طريقته غير متعدده وقال العقلاء وأولو التجارب من الحكماء بل أطبق أرباب العقول وأئمة الدين وأصحاب الاصول ان قضايا العقل كلها صادقه وألسنتها فيما تحكمه بالصواب والاصالة ناطقه غير ان كثيرا ما تشتبه القضايا العقليه لسوء التصور بالقضايا الوهميه فيقع الخطأ بواسطة الوهم في الفهم وينسب الى العقل ذلك السهم والا فاتفق العقلاء جميعا ان القضايا العقلية لا يقع فيها الخطأ قطعا وان قضايا الحس لوقوع الاشتباه واللبس يتصور انها حق ويقضى لها وعليها بالصدق واذا وقع الخطأ لحصول الاشتباه وعدم التأمل والانتباه في القضايا الحسيه والقضايا التي هي بحاسة البصر مرئيه كما وقع ذلك في حادثة الطريقة البغداديه فوقوع الخطأ بالوهم أولى في القضايا العقليه لان طرقها أخفى وأحكامها معنويه فسأل الذكر عن تلك البغداديه وما هذا الخبر (قالت) كان في مدينة السلام بغداد امرأة من المتخذات اخدان اسمها زوجها زيد وهي أم عمرو وذات كيد لها عدة اخدان تتمولهم بالاخوان وكل ينشد في السر والاعلان قوله

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان

فاتفق ان زوجها زيد دعاه أمير البلد الى الصيد فركب معه وسار وخلت منه الديار فتسامع بذلك بعض اخدانها فتوجه منهم طائفة الى مكانها فاول من سبق تاجر ذو شبق فدخل بثياب بيض وشاش رحيص وهيئة نظيفه وصورة ظريفه فأسرع في الدخول ومعه ما يليق من المأكول فتلقته بالترحاب وأخذا في لذيذ الخطاب فما استقر به القرار حتى قرع قارع باب الدار فظنته زوجها وحققته بوجهها فنهض خائفا وتحير راجفا وطلب مكانا يخفيه وكنا يأويه فلم يكن في دارها مخباة زوارها سوى طقيسي لطيفه يصعد اليها من سقيفه فارشدته اليها فرقي عليها وبادرت الى الاتحاف فاذا هو حريف صراف ففتحت الاغلاق وتعانقا تعانق المشتاق فدخل بهيئة زهراء بلباس أخضر وعمامة خضراء ومعه من الحلاوى بجمع ومن الزجاج أربع فلما ابتدا كران الحوادث اذ طرق الباب ثالث فقالت هبط أوجي وجاء زوجي فوثب في رجفه كأنه ورقة سعفه فسأل عن مخباه وستر يغشاه فارشدته ربة الكرسي الى طريق الطقيسي فصعد اللاحق ولحق السابق وبادرت الرتاج ربة التاج وأم الازواج فاذا هو أحد الظرفاء وثالث الحرفاء رجل زيات ومعه مجمع سكر نبات فتلقته بالتكريم وأجابته بالتسليم فدخل بثوب أصفر وشاش معصفر فشرعا في الملاعبه والملاطفة والمداعبه فدق الباب رابع الاصحاب فبادر الزيات الفرار وطلب مختفى للقرار فدلته

أن يثب اليه فلم يستطع لضعفه وتخلص الحمار منه فافلت هلعا على وجهه فلما رأى ابن آوى ان الاسد لم يقدر على الحمار قال له أعجزت يا سيد السباع الى هذه الغاية فقال له ان جئتني به مرة أخرى فلن ينجو مني أبدا فمضى ابن آوى الى الحمار فقال له ما الذي جرى عليك ان الاتان لشدة غلمتها وهيجانها وثبت عليك ولو ثبت لها لانت لك فلما سمع الحمار بذكر الاتان هاجت غلمته ونهق وأخذ طريقه الى الاسد فسبقه ابن آوى الى الاسد وأعلمه بمكانه وقال له استعد له فقد خدعته لك فلا يدركنك الضعف في هذه النوبة فانه ان أفلت فلن يعود معي أبدا فجاش جاش الاسد لتحريض ابن آوى له وخرج الى موضع الحمار فلما بصر به عاجله بوثبة افترسه فيها ثم قال قد ذكرت الاطباء انه لا يؤكل الا بعد الغسل والطهور فاحتفظ به حتى أعود فآكل قلبه وأذنيه وأترك ماسوى ذلك قوتا لك فلما ذهب الاسد ليغتسل عمد ابن آوى الى الحمار فأكل قلبه وأذنيه رجاء ان يتطير الاسد منه فلا يأكل منه شيأ ثم ان الاسد رجع الى مكانه فقال لابن آوى أين قلب الحمار وأذناه قال ابن آوى ألم تعلم انه لو كان له قلب وأذنان لم يرجع اليك بعد ما أفلت ونجا من الهلكة (وانما ضربت لك) هذا المثل لتعلم أني لست كذلك الحمار الذي زعم ابن آوى انه لم يكن له قلب وأذنان ولكنك احتلت علي وخدعتني فخدعتك بمثل خديعتك واستدركت فارط أمري

فى المفر الى المعهود المقر فصعد اليه ولحق بصاحبيه وتوجهت الى الباب فاذا هو أحد الاحباب وهو
رجل قصاب وعليه ثياب سود وخفه المعهود وعلى رأسه مئزر ثمين و بيده خروف سمين فقالت أهلا
وسهلا وارفع محلا بالحبيب النجيب والبعيد القريب فدخلا واشتغلا بالخطاب والتهيا عن رتاج
الباب وكان فى تلك الحاله شخص أحدب ابله يدخل البيوت ويتمسخر فلا يمنع من ذلك ولا يزجر
و بلاطفه الا كابر والاعيان ولا يحتجب منه النسوان فمر على باب زيد فرآه بلا اغلاق ولا قيد فدخل
على غفله ولم يستاذن أهله فلم يشعرا به الا بعد حلول ركابه فوجم لرؤيته القصاب وخاف من حلول
مصاب وتشور وانحرف فقالت له المرأة لا تخف انما هو ابله مسخرة فى الجله فاخذوا يتلاطفون
ويتمازحون ويتظارفون الى ان قرب الليل وفات النيل فطرق الباب و وصل الزوج بلا ارتياب فلم
يشعروا الا والبلاء قد أقبل ومصابهم الاعظم فى أكنافهم قد نزل فاختبطوا والتبطوا وانحلت قواهم
وارتبطوا وطلب القصاب مخبا فارته للطاقيسى دربا وطلب الاحدب من شر زيد المهرب فكان فى
أرض البيت تنور فنزل فيه وهو مضرور وغطته بغطائه وسترته ببعض وطائه وأراب زيد الفتح فى ابطائه
ثم توجهت الى الباب وهى فى اضطراب فدخل زيد وهو سكران ومن تاخير فتح الباب غضبان وكان
قد تناول مع مخدومه ولعبت بشيخ عقله بنت كرومه فلما نزل عن السرج رأى الزوجة فى هرج ومرج
فانكر حالها وسأل اهمالها فقالت كرهت فقدك وخاطرى عندك فلا ذقت بعدك ولا عشت بعدك فقال
تكذبين أى دفار بل تسخرين بى أى فجار انما أنت فى حركه فلا طرح الله فيك بركه فقالت أنت مجنون
وأى حركة عندى تكون فشرع فى حربها واستطرد من سبها الى ضربها وعزم على تفتيش البيت والاطلاع
على ما فيه من كيت وكيت فخشيت أن يخرج أمرها عن دائرة الستر الى لو كان وليت فتداركت التفريط
قبل وقوعه و بادرت الى تلافى التلاف بالهيت فتشكت من الاذى وقد تناولها بالضرب والبذا ورفعت
يدها الى الدعاء بالندا وقالت الهى وسيدى وسندى ومعتمدى ان كنت تعلم أنى مظلومه و براءة ساحتى
عندك معلومه فانزل الى أمتك ملكا من ملائكة رحمتك يخلصها من هذا الظلوم ويكشف ستر هذا
السر الموهوم فبادر التاجر بالانتهاض ونزل بثيابه البياض ودخل عليه وقبض على أذنيه وصفعه
على خديه وقال اتركها يا ظالم فانك معتد آثم وهى بريه وشمائلها زكيه وضربه ضربتين ولكمه
لكمتين ثم أم الباب وترك الاصحاب وشرع فى الذهاب فلما رأى هذا زيد عرف أنه خديعة وكيد وقال
يا أخش الفواحش وأنهش النواهش تريدين خدعى وسخرى وتخذلى وختري وتبغين بما تبغين ختلى
ومكرى أولست بعريف أنه لك حريف ثم زاد فى سبها ومد الى كبها وضربها فقالت يا الهى وسيدى
وجاهى ان كنت تعلم ان هذا الاظلم أنكر الحق ورآه وما صدق فانزل عليه ملكا آخر ذا جناح أخضر
يأخذ بحقى منه ويكشف سترك عنه فقال الحرفاء وكانوا ظرفاء للصيرفى قم غير مختفى وشد عليه
وأوصل الالم اليه فنهض فى ذلك المعلم و بادر الى السلم ونزل اليه ودخل عليه وقال اكفف يا ذا العار
عن عفيفة الاستار فانما بريه وعما تظنه عريه ومد يده بكمه و بالغ فى سبه وشتمه ثم خرج من الدار وبالغ
فى الفرار فقال يا للدريه من ذى القعبه الناس بواحد وأنت باثنين وقد جعلت زوجك ذا القرنين
ثم أخذ العصا وضربها ضرب من عصى فقالت يا اله العالمين تعلم أن هذا من الظالمين أمدنى بالملك الاصفر
صاحب الدرع والمغفر والثوب المعصفر يبرئ ساحتى ويهدى راحتى فانى مظلومه وقصتى معلومه
فقال الحرفاء للزيات قم أرنا الكرامات وقدم صنعتك وهات فنهض الزيات ونزل الى ذلك المقتات وقال
أيها اللئيم كف عن الحريم وارجع عن لوم البرى واقصر أيها الجبرى المفترى ثم تناوله بعصاه الى أن
آلم قفاه ثم تركه فى الحركة وخرج هاربا وقصد جانبا فقال زيد يا أوسخ القصاب وأوسخ ذوات
السباب تعدين حرفاءك واحدا واحدا وتعرضينهم على صادرا ووارد ثم نهض بالعصا وتناولها مغليا
ومرخصا فنادت وآدت و بادت ونادت الهى هذا لم يعتبر بملائكتك الكرام ولم ينزجر بهذا الضرم

وقد قيل ان الذى يفسده الحلم لا يصلحه الا العلم قال الغيلم صدقت الا أن الرجل الصالح (١٥١) يعترف بزلته واذا أذنب ذنبا لم يستح أن يؤدب
اصدقه فى قوله وفعله وان
وقع فى ورطة أمكنه التخلص
منها بحيلته وعقله كالرجل
الذى يعثر على الارض ثم
ينهض عليها معتمدا فهذا
مثل الرجل الذى يطلب
الحاجة فاذا ظفر بها
أضاعها * انقضى باب القرد
والغيلم

(باب الناسك وابن عرس)

(قال) دبشليم الملك لبيدبا
الفيلسوف قد سمعت هذا
المثل فاضرب لى مثل الرجل
العجلان فى أمره من غير
روية ولا نظر فى العواقب
قال الفيلسوف انه من لم
يكن فى أمره متثبتا لم يزل
نادما ويصير أمره الى ما صار
اليه الناسك من قتل ابن
عرس وقد كان له ودودا قال
الملك وكيف كان ذلك
(قال) الفيلسوف زعموا
ان ناسكا من النساك كان
بارض جرجان وكانت له
امرأة جميلة لها معه صحبة
فمكثا زمانا لم يرزقا ولدا ثم
حملت منه بعد الاياس فسرت
المرأة وسر الناسك بذلك
فحمد الله تعالى وسأله أن
يكون الحمل ذكرا وقال
لزوجته ابشرى فانى أرجو
ان يكون غلاما لنا فيه منافع
وقرة عين أختار له أحسن
الاسماء وأحضر له سائر
الادباء فقالت المرأة ما
يحملك أيها الرجل على أن
تتكلم بما لا تدرى هل
يكون أم لا ومن فعل ذلك أصابه ما أصاب الناسك الذى اهرق على رأسه السمن والعسل قال لها وكيف كان ذلك (قالت) زعموا ان ناسكا كان

والايلام فامد فى علك النيران الزبنى الاسود الغضبان يخبره بصدق ويأخذ منه حقى ويفعل معه ما يجب فان راجيك لم يخب فاغتم القصاب ان زجر كرعد السحاب وأخذ فى الاضطراب والاصطخاب وأسرع فى السلم الانصباب فلما سمع زيد العياط والخباط وزماجر الهياط والمياط بهت وأخذه الضراط فدخل عليه فى بغترة وغدمره وتزيا بصورة بشعة منكره وخطف من يده العصا وضربه بها حتى شصا وقال أى أنحس ذميم والعسر زنيم أما زجرك ونهالك وكفلك وكفالك من تقدم من الاملاك ايم الله لئن لم تتركها وفى مالك ومنالك تشركها لتدمرن ديارك ولتمحون آثارك ثم تركه وذهب وأودعه جمر اللهب فلما رأى الحال نسجت على هذا المنوال استكان وطلب الامان ومعك عينيه وضم يديه ورجليه وجعل يتأوه من ألم الضراب وقال كان الدعاء فى هذه الساعة مستجاب ثم قال من شدة كربه وحرقة قلبه الهى ومولاى كما استجبت دعاءها استجب دعاى وكما أنزلت من السماء لنصرها ملوكها فاخرج لها من الارض عفريتا ينيكها وليكن ذلك بمرأى من عينى وامامى حتى يسكن قلبى ويبرد أوامى فما صدق صاحب التنور حين سمع الدعاء المذكور والنداء المقبول المشكور حتى طفر من مجثمه كالشواظ المسعور وأقام أمام لهوه المصاب واستعمل من قواعد النحو الرفع والجر والانتصاب ورفع العمودين وأولجه المحراب ولا زال ذلك الامام يتردد فى البيت الحرام وقد نال فى الحرم أمنا حتى رمى الجمرات وأمنى ثم قبل فاها وخرج مسرعا من ذراها وخلى الدار تنعى من بناها ففتح زيد عينيه وحلق حواليه ثم قال يا أقذر القحاب هكذا يكون الدعاء المستجاب (وانما أوردت) هذا الكلام والتمثيل لك يا امام ليتبين لكل عالم همام وليتبصر أولو العقل والافهام الفرق ما بين قضايا الحس والعقل والاوهام وقد شبه العقل بجبل عال عزيز المنال وكل من قصد الصعود اليه والارتقاء عليه لا يصعده الا من طريق واحده منها يوصل منه الى الفائده وسلوك طريق المعاشرة مع العقلاء وذوى الآراء والاذكياء فى العداوة والصداقة والكدرة والزياقة واللطافة والكثافة والخوف والرجاء والابتداء والانتهاء انما هو من باب متحد لا من طريق متعدد ولاجل هذا يا متبصر سلوك مثل هذه الطريق معهم متيسر لا متعوج ولا متعسر ورأس خيط هذه السموط بالاستقامة والسلامة مضبوط بخلاف الجهال والخلعاء والحمقى والسفهاء فان أمورهم منفرطه وأفكارهم وآراءهم غير منضبطه فتتكدر خواطر العقلاء فى تعليمهم ويعيا طبيب الفكر فى تهذيب أحمقهم وتاديب سفيههم وقيل

انى لآمن من عدو عاقل * وأخاف خلا يعتريه جنون
والعقل فن واحد وطريقه * أدرى وأرصد والجنون فنون

ولهذا قيل معاداة العاقل خير من مصافاة الجاهل ثم قالت غرغره فى أثناء هذه القرقره وأما ما ذكرت من البيان من مفارقة الاوطان وترك هذا المكان أما سمعت حديث أشرف جنس الانسان ان حب الوطن من الايمان وقد ألفنا وطننا وحبه وقلع أصول محبته من قلوبنا صاحبه وهو فى معزل عن طرق الجوارح ومكمن عن السوانح والبوارح وانما تعرض لاولادنا تلك الآفه من تراكم العساكر المصافه وما يحصل من أقدامها من كثافه وأنا أخاف ان انتقلنا من هذا الوطن يخرج من أيدينا هذا السكن ولا نحصل على مأوى يليق أولا توافقنا الغربة أو يمنع مانع فى الطريق فنقصد الربح فيذهب رأس المال فنخسر ما فى أيدينا فى الحال ولا يحصل المأمول فى الاستقبال وكيف وهو مسقط رأسنا ومحل أنسنا وأناسنا فالاولى بنا الرضا والانقياد لاوامر القضا وملازمة الوطن القديم والسكون تحت تقدير العزيز العليم وقد قيل انما يشفى العليل اذا ترك مشتهيات نفسه وقيد متمنياته فى قيد حبسه ولابد للمريد من ترك المراد وللقانع من قطع النظر عن الازدياد والحرية فى رفض الشهوات وكل ما هو آت آت وأما وقائع الاولاد وحصول الانكاد وما يقع منهم بسببهم فى كل أوان فحسبها احدى ما يحدث لنا من نوائب الزمن ونحن بل كل المخلوقات عرضة للنوائب والآفات وطعمة لسنابك المقدور ونهبة لحوادث الدهور ولو انتقلنا عن وطننا وتحولنا عن سكننا وبعدنا عن هذا الجانب ونزعنا عن الاهل والاقارب

وجاورنا

يجرى عليه من بيت رجل تاجر فى كل يوم رزق من السمن والعسل وكان يأكل منه قوته وحاجته ويرفع الباقى ويجعله فى جرة فيغلقها فى وتد فى ناحية البيت حتى امتلأت فبينما الناسك ذات يوم مستلق على ظهره والعكازة فى يده والجرة معلقة على رأسه تفكر فى غلاء السمن والعسل فقال سأبيع ما فى هذه الجرة بدينار وأشترى به عشرة أعنز فيحبلن ويلدن فى كل خمسة أشهر بطنا ولا تلبث الا قليلا حتى تصير غنما كثيرة اذا ولدت أولادها ثم حرر على هذا النحو بسنين فوجد ذلك أكثر من أربعمائة عنز فقال أنا أشترى بها مائة من البقر بكل أربعة أعنز ثورا أو بقرة واشترى أرضا وبذرا واستأجر أكرة وأزرع على الثيران وانتفع بألبان الاناث ونتاجها فلا يأتى على خمس سنين الا وقد أصبت من الزرع مالا كثيرا فابنى بيتا فاخرا وأشترى اماء وعبيدا وأتزوج امرأة جميلة ذات حسن وأدخل بها فتحبل ثم تأتى بغلام سرى نجيب فاختار له أحسن الاسماء فاذا ترعرع أدبته وأحسنت تأديبه وأشدد عليه فى ذلك فان يقبل منى والا ضربته بهذه العكازة وأشار بيده الى الجرة فكسرها فسال ما كان فيها على وجهه (وانما) ضربت لك هذا المثل لكيلا تعجل بذكر ما لا ينبغى ذكره وما لا تدرى هل يصح أم لا يصح فاتعظ الناسك بما حكت زوجته ثم ان المرأة ولدت غلاما جميلا ففرح به أبوه وبعد أيام حان لها ان تتطهر فقالت

وجاورنا الاباعد والاجانب لايطيب لنا مقام وتتكدر أوقاتنا على مر الايام فلا نزال بين تذكر الوطن المألوف وتحنن الى الصاحب المعروف فيسهل عند هذه الانكال مفارقة الاطفال ثم اعلم أيها الصاحب الاعظم انه لو تيسر لنا مع الانتقال انتظام الامور واستقامة الاحوال وحفظت الاولاد وزالت الانكاد وصفا الوقت وزال المقت فان الخاطر يشتغل ونار القلب بسببهم تشتعل فانه من حين وجود الولد يتقيد بتعهده القلب والجسد وتصرف الهمة الى القيام بصالح معاشه الى حين ترعرعه وارتياشه ويزداد القلب تعلقا بمحبته ويتقيد الخاطر بالالتفات الى عمل مصلحته ويتضاعف ذلك يوما فيوما وشهرا فشهرا وعاما فعاما فان نابه والعياذ بالله نحو ألم أو أصابه ضر أو سقم التهبت عليه الجوارح وانقلبت الهموم على القلب والجوانح فان آل ذلك الى موت واستحال وجوده الى عدم وفوت فهو المصيبة العظمى والطامة الكبرى وان سلم من هذه العاهات وبلغ سن الادراك سالما من الآفات ونجا الى بر الشباب من بحر المخافات ازدادت كلفته وتضاعفت مؤنته وركب والداه في ذلك كل صعب وذلول وذهبا من مسالك الكد والكدح في كل عرض وطول وتحملا أنواع المشاق والآثام وارتكبا فيما اكتسبا أصنافا من الحلال والحرام وهذا اذا كان مطيعا ولاوامرهما منقادا سميعا وأما اذا ركب جموح العقوق ونسي ما لهما عليه من حقوق فهي مصيبة أخرى وداهية كبرى ويصير كما قيل

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدواله مامن صداقته بد

وعلى كل تقدير وأنت بهذا خبير وبدقائقه عليم ان الاولاد بين الاولين وبين الآخرة سد عظيم ما بخلاص مع الالتفات اليهم لله طاعة ولا على الانقطاع منهم الى طريق الآخرة استطاعة وناهيك يا ذا الذكاء والفطانة اخبارا من أنقذك من هذه المحنة انما أموالكم وأولادكم فتنة فاسمع هذا الكلام باذن التحقيق واسلك في سبر معانيه أوضح طريق وتحقق يا ذا الارشاد ان وجود الاولاد عند ذوي البصيرة من النقاد نقد مزيف ومتاع مزخرف وسم تحت حلوى وسرور فوق بلوى وعارية مردوده بعد أوقات معدوده وأيام محدوده بل لعبة من خشب مموهة بالذهب وطلاء من نضار على كوب من فخار وقد نبه على هذا رب العباد بقوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وكأن الاطفال الصغار الغافلين عن دقائق الاسرار اذا نظروا الى اللعبة المزينه والخشبيات المصبغة المستحسنه التهوا بها عن اكتساب الآداب وملازمة العلماء والمشايخ والكتاب فيبلغون وهم جاهلون وعن طرق اكتساب الكمال ذاهلون ويشيبون وهم احداث ويتصورون انهم طاهرون وهم أخباث كذلك كل من التفت الى غير الله خاطره والتهت بامور الدنيا من المال والولد سرائره وضمائره وحرم من الاطلاع على دقائق الملك والملكوت وفاته لذات الوقوف على دقائق الرغبوت والرهبوت فهو عن الله تعالى محجوب وفي عساكر الاموات وان كان حيا محسوب كما قيل

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله * وأجسادهم دون القبور قبور

وان امرأ لم يحي بالعلم قلبه * فليس له حتى النشور نشور

قال الله تعالى وكلمته العليا المال والبنون زينة الحياة الدنيا وهذا صريح بالشهادة على مانقلته وجلوت صدأ قلبك بتقريره وصقلته فلا تسكنن لاه ولا تعلقن قلبك بغير الله قولا واعتقادا وعملا فالباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا واجهد يا حبيب في اصلاح قلبك الكليم واصغ لما قاله الحكيم الحليم متحرزا من نكاية العذاب الاليم عاملا بما يرضي السميع العليم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم واذا علمت هذا وحققته وحررته وصدقته فاعلم ان الاولى بحالنا والاحسن للنظر في مآلنا أن نعد ما نحن فيه من جملة النعم وان هذا الذي قسم لنا من القسم في القدم ولا ننقل عن دائرة الرضا والتسليم قدما عن قدم وننظر ما يتولد من حوادث الزمان ولا نرخي في ميدان الطمع العنان ونعرض على جامح الخاطر ما قال الشاعر

ان جاءه رسول الملك يستدعيه ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس داجن عنده كان قد رباه صغيرا فهو عنده عديل ولده فتركه الناسك عند الصبي وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول فخرج من بعض احجار البيت حية سوداء فدنت من الغلام فضربها ابن عرس ثم وثب عليها فقتلها ثم قطعها وامتلأ فمه من دمها ثم جاء الناسك وفتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمبشر له بما صنع من قتل الحية فلما رآه ملوثا بالدم وهو مذعور طار عقله وظن انه قد خنق ولده ولم يتثبت في أمره ولم يتروفيه حتى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما ظن من ذلك ولكن عجل على ابن عرس وضربه بعكاز كان في يده على أم رأسه فمات ودخل الناسك فرأى الغلام سليما حيا وعنده اسود مقطع فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجلة لطم على رأسه وقال ليتني لم أرزق هذا الولد ولم أغدر هذا الغدر ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال فقالت له ما شأنك فاخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافاته له فقالت هذه ثمرة العجلة فهذا مثل من لا يتثبت في أمره بل يفعل اغراضه بالسرعة

والعجلة * انقضى باب الناسك وابن عرس (باب الجرذ والسنور) (قال) دبشليم الملك

كم نار بادية شبت لغير قرى * على بقاع وكم نور بلا ثمر

هون عليك أمورا أنت تنكرها * فالدهر يأتي بأنواع من العبر

قال النجدي جميع هذا القول صادر من موارد المعقول موافق لما ورد به المنقول لقد غصت في بحر الفطنة على جواهر الحكمة فما تركت في ميدان المسائل مقالا لقائل ولا مجالا لجائل ولكن لا ينبغي للعاقل أن يغفل عن حوادث الدهر ولا يسند ظهره لكواذب العصر فان طوارق الآفات وخوارق العادات ومحن الزمان وفتن الدوران محتجبة وراء استار ومستورة في أنواع أطوار والفلك الدوار له في علم الادوار لعبيات أبكار يبرزها للنظار فتلعب بالافكار ويذهب في سنا برق مخاوفها بالأبصار ويخطئ في حركاتها الرأى المصيب ويدهش في دجى حنادسها الفطن الاريب وقد بادت الفكر وعجزت القوى والقدر وحارت عقول البشر دون ادراك ما يبرزه كل وقت من الصور من وراء ستر الغيب مستعدا للقضاء والقدر ولم يعهد من الدهر الخؤن والزمان الحرون اذا استقام أو قزل أو جد أو هزل أو أمر بنازل فنزل أو ولى أو عزل أو أقبل أو اعتزل أو نقض أو غزل أن يرسل قبل ذلك منذرا أو مبصرا أو محذرا يستيقظ النائم أو ينهض الجاثم أو يتحرك القائم وانما يحطم بغتة ويهجم في سكتة ويأخذ على بهتة فلا يفلت منه فلتة ولا يمهل الى لحظة ولا لفتة وقد قيل

يا راقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

لا تركنن لليل طاب أوله * فرب آخر ليل أوقد النارا

وعلى هذا لو وقع منا غفلة أو ذهول عند قدوم هذا الجيش المهول فاخترم والعياذ بالله واحد منا ونحن أحسن ما نكون سكونا وأمنا فكيف ترى من يبقى حال الآخر وهل يصير الا كما قال الشاعر

ما حال من كان له واحد * يؤخذ منه ذلك الواحد

واذا بقي أحدنا منفردا وانعزل متوحدا ماذا يفيده الوطن والجيران والسكن وهل تفي لذة وصال ألفي سنه بألم فراق تلك الساعة الخشنة كما قيل

ان كان فراقنا على التحقيق * فذي كبدي أحق بالتمزيق

لو دام لنا الوصال ألفي سنة * ما كان يفي بساعة التفريق

وقال أيضا لا كان في الدهر يوم لا أراك به * ولا بدت فيه لا شمس ولا قمر

وكل من لم يفتكر في العواقب قبل حلولها ويتأمل في تداركها بقدر الطاقة قبل نزولها ويطمئن الى سكون الزمان ويسند ظهره الى مسند الحدثان ويحيل الكوائن على القضاء والقدر ويرفع يد التدبير عن تعاطي أسباب الحذر كان كمن ترك احدى زاملتيه فارغة وحشا الاخرى من الاحجار الثقيلة الدامغة فانى يستقيم حمله أو يبلغ منزله فلا يزال حمله مائلا وخطبه هائلا فالعاقل يسعى فيما يظن نفعه ويبذل في ذلك غاية جهده ووسعه ولا يترك الطلب ولا يغفل عن السبب ويعمل بموجب ما قيل

فلا وأبيك لا أدع احتياطي * وما لي في قضاء الله حيله

وعلى كل حال يا ربة الجمال تعاطي الاسباب لا يقدح في الاتكال وناهيك بالمحة العمل حكاية الحمار مع الجمل فسألت غرغره أن يبين ذلك ويذكره (قال) بلغني أنه ترافق في المسير عير مع بعير فكان الحمار كثير العثار مع ان عينيه تراقب مواطئ رجليه وكان الجمل على عظم هامته وعلو قامته وبعد عينيه عن مواطئ يديه ورجليه لا تزل له قدم ولا يصل اليه ألم فقال الحمار للبعير أيها الرفيق الكبير ما بالي في المسير كثير التعثير دائم الوقوع والزلل والعثار والخطل لا أخلو من جرح يدمي مني الحافر أو عثرة ترميني في حفرة حافر مع أن عيني تراقب يدي ولا تنظر سواهما الى شيء وأنت لا تنظر مواطئ اخفافك ولا تعرف على ماذا تقع رؤس أطرافك لا حجر يصيب خفك ولا شوكة تخرق كفك ولا جورة تقع فيها ولا تختل عن طريق تمشيها ولا أدري هذا مما ذا قال أبو صابر يا أخي نظرك قاصر وفكرك غير باصر لا تراقب ما بين

لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل رجل كثر عداؤه وحدقوا به من كل جانب فاشرف معهم على الهلاك فالتمس النجاة والمخرج بموالاة بعض أعدائه ومصالحته فسلم من الخوف وأمن ثم وفى لمن صالحه منهم (قال) الفيلسوف ان المودة والعداوة لا تثبتان على حالة واحدة أبدا وربما حالت المودة الى العداوة وصارت العداوة ولاية وصداقة ولهذا حوادث وعلل وتجارب وذو الرأى يحدث لكل ما يحدث من ذلك رأيا جديدا اما من قبل العدو فبالبأس واما من قبل الصديق فبالاستئناس ولا تمنع ذا العقل عداوة كانت في نفسه لعدو من مقاربته والاستنجاد به على دفع مخوف أو جر مرغوب ومن عمل في ذلك بالحزم ظفر بحاجته ومثل ذلك مثل الجرذ والسنور حين وقعا في الورطة فنجيا باصطلاحهما جميعا من الورطة والشدة قال الملك وكيف كان ذلك (قال) بيدبا زعموا ان شجرة عظيمة كان في أصلها جحر سنور يقال له رومي وكان قريبا منه جحر جرذ يقال له فريدون وكان الصيادون كثيرا يتداولون ذلك المكان يصيدون فيه الوحش والطير فنزل ذات يوم صياد فنصب حبالته قريبا من موضع رومي فلم يلبث ان وقع فيها فخرج الجرذ يدب ويطلب ما يأكل وهو حذر من رومي فبينما هو يسعى اذ بصر به في الشرك فسر واستبشر ثم التفت فرأى خلفه ابن عرس يريد

يديك ولا تنظر ما أمامك ألك أم عليك فاذا أدهمك مادهاك عجزعنه نهاك فلا تشعر الا وقد وقعت وانخرق
مارقعت فلا يمكنك التدارك والتلاف الا وأنت رهين التلاف وأما أنا فاراقب ما يصير من العواقب
وأنظر أمامى الطريق على بعد فاميز المسلوك من قبل ومن بعد فلا أصل الى صعب الا وقد أذللته ولا الى
وعر الا وقد سهلته ولا الى وهدة الا وقد عرفت طريقها ولا الى عقبة الا وقد كشفت واسعها ومضيقها
فاستعد للامر قبل نزوله وأتأهب للخطب قبل حلوله واحتال القطعه قبل وصوله وأحله قبل أن يعقد
وأقيمه دون أن يقعد وهذه قاعدة للفقهاء وأصل كبير للحكماء من العلماء انهم قالوا ان الدفع أهون من
الرفع ومن كلام الالباء واصول حذاق الاطباء قوله

الداب حفظ صحة برء مرض * من سبب فى بدن اذا عرض

(وانما أوردت) هذا المثل عن الجار والجل لتعلمى يا ست الحجل أنه لابد لنا من أخذ الاهبه قبل النكبه
فى كل مره تسلم الجره وقد قرب وقت وضع البيض و بعده يدهمنا من سيل العسكر الفيض فلابد من
اعمال الفكر المصيب فى وجه الخلاص من هذا الامر العصيب كما قيل * مهد لنفسك قبل النوم مضطجعا *
قالت غرغره الحكيمة المدبره جميع هذه الاخبار لا تخلو عن دقيق الانظار وتحقيق مصيب الافكار
وغامض معانى الاسرار وكل عاقل يقبله و يقبل يديه و يمتثله و يقبل عليه وكل فكر مصيب يجثو
للاقتباس بين يديه ولكن طلاب الاغراض الدنيويه والمسارعون الى نيل المرادات والامنيه على فرق
شتى وأنا أفصلها حتما منهم من يبلغ الآمال بقوة الجند و بذل الاموال ومنهم من يساعده الدهر
و يعاضده معاون العصر وينهض له مسعد التقدير فيقوم معه كل كبير وصغير كما قيل

واذا أراد الله نصرة عبده * كانت له أعداؤه أنصارا

فيقيض له المساعد و يعضده المقارب والمباعد فلا يحتاج الى كبير سعى ولا فى استماع النصيحة ونفعها
الى وعى بل يصل الى قصده بدون كده و بغير جهده وجده فمهما فعل أنجح ومهما قصد أفلح وحيثما
توجه أربح وأينما مال أرجح ومنهم من يحتاج الى جهد جهيد وسعى مديد وكد طويل عريض وجد
عريض غير غريض مع مساعد ناصح ومعاون صالح وتعاطى أسباب وقرع أبواب وفكر دقيق
ومسعد رفيق حتى يبلغ مراده و يصل الى ما أراده ومنهم من تغلب عليه العجلة والطمع وشدة الحرص
والهلع فيسارع الى نيل ما يرومه فيلتبس فى هوة الحرمان حرصه وشومه فيقع من التعب والنصب فى
هوه و يحرم لكونه اعتمد على ماله من حول وقوه فيصير كما قيل

الحرص فوتنى دهرى فوائده * فكلما زدت حرصا زاد تفويتا

ومنهم من يتمنى ثم يتكاسل و يرجو و يترقب و يتساهل فيحرم مقصده و يرد عجزه عن مراده يده وقد
قيل فى المثل تزوج التوانى بنت الكسل فاولد الزوجان الفقر والحرمان فانظر ياذا الركون والوقار
والسكون نحن من أى هذه الفرق نكون وأنت تعلم أنا لا نقدر على مقاومة العقاب ولا أن ندفع عن
أنفسنا ما ينزل بنا من عقاب فانه اذا طار العقاب يبلغ الثريا والسحاب ونحن اذا تحركنا فى الهوا فلا نقدر
أن نرتفع عن وجه الثرى وقد قيل فى المثل كما ترى أين الثريا من الثرى وقيل من تعلق بخصم هو أقوى
منه فقد سعى فى هلاك نفسه برجله ووضع تراب الدمار على رأسه بيده وكنت يا بدرى أنشدتك من شعرى

ومن يتشبث فى العداوة كفه * باكبر منه فهو لاشك هالك

وكان مثله مثل النملة الخفيفه التى نبتت لها أجنحة ضعيفه فحركها دواعى الطيران فتتصور أنها صارت
كالنسور والعقبان فبمجرد ما ترتفع عن الثرى الى الهواء التقمها عصفور أو خطفها أصغر الطيور
ولهذا قيل اذا ما أراد الله اهلاك نملة * أطال جناحيها فسيقت الى العطب
ونحن ما لنا اطلاع على مكامن الغيب ننزه نفسك عن هواجس الريب وليس لنا مساعد من الاقارب
والاباعد ولا لنا سامل ولا خيل ولا رجال ونحن أقل من أن يساعدنا زمان أو يعيننا على العقاب أعوان

أخذه وفى الشجرة يوما يريد اختطافه فتحير فى أمره وخاف ان رجع وراءه أخذه ابن عرس وان ذهب يمينا أو شمالا اختطفه البوم
وان تقدم امامه افترسه
السنور فقال فى نفسه هذا
بلاء قد اكتنفنى وشرور
تظاهرت على ومحن قد
أحاطت بى و بعد ذلك فمعى
عقلى فلا يفزعنى أمرى ولا
يهولنى شانى ولا يلحقنى
الدهش ولا يذهب قلبى
شعاعا فالعاقل لا يفرق عند
سداد رأيه ولا يعزب عنه
ذهنه على حال وانما العقل
شبيه بالبحر الذى لا يدرك
غوره ولا يبلغ البلاء من
ذى الرأى مجهوده فيهلكه
وتحقق الرجاء لا ينبغى ان
يبلغ منه مبلغا يبطره
ويسكره فيعمى عليه أمره
ولست أرى لى من هذا
البلاء مخلصا الا مصالحة
السنور فانه قد نزل به من
البلاء مثل ما قد نزل بى أو
بعضه ولعله ان سمع كلامى
الذى أكلمه به ووعى عنى
فصيح خطابى ومحض صدقى
الذى لا خلاف فيه ولا خداع
معه ففهمه وطمع فى
معونتى اياه فنتخلص جميعا
ثم ان الجرذ دنا من السنور
فقال له كيف حالك قال له
السنور كما تحب فى ضنك
وضيق قال وأنا اليوم
شريكك فى البلاء ولست
أرجو لنفسى خلاصا الا
بالذى أرجو لك فيه
الخلاص وكلامى هذا ليس
فيه كذب ولا خديعة وابن
عرس ها هو كامن لى
والبوم يرصدنى وكلاهما
لى ولك عدو فان أنت جعلت لى الامان قطعت حبائلك وخلصتك من هذه الورطة فاذا كان ذلك تخلص كل واحد منا بسبب صاحبه كالسفينة

فلم يبق الا الركون والاتكال على حركات السكون فاندرى غداماذا يكون واعلم ان حركا تنا مع العقاب والجامع لنا معه من الاسباب متحدة فى الحقيقه وطريقتنا معه من جنس ماله من طريقه وهى الطيريه وكلنا فيها سويه وهو منها كاعجاز القرآن من الفصاحة فى الطرف الاعلى ونحن منها كاصوات الحيوان فى الاطرف الادنى فالاولى بحالنا الاصطبار الى أن يصل لكسرنا من عالم الغيب انجبار كما قيل

مهلاأبا الصقر فكم طائر * خوصر بعا بعد تحليق زوجت نعمى لم تكن كفأها * آذنها الله بتطليق

(وقيل) الامر يحدث بعده الامر * والعسر مقترن به اليسر * وحلاوة الضيبان من عسل

تلهى وان حلاوتى الصبر * والصبر يعقب بعده شكر * من نعمة تأتيك أو أجر

فقال الذكر هذه الفكر من الصواب قريب وسهمها عند أولى البصائر والتجارب مصيب ولكن من يتكفل بوفاء العمر الغدار والايصال الى الاوطار ويقوم بالامن من حوادث الليل والنهار وأنسيت انشادى فى الوادى يازين النادى وجمال الحاضر والبادى

لئن بادرت فى تسليم روحى * أتانى من وراثى من يعوق

وان أسرعت نحو الوصل عذرا * فعمرى من وراظهرى يسوق

ثم قال النجدى والرأى السديد عندى والذى أعيده فيه وأبدى ان نتوجه الى حضرة العقاب ونكشف عن وجه مرادنا لديه النقاب ونطلب منه الامان من عوادى الدهر ونكبات الزمان ونستظل بجناح عاطفته وننتظم فى سلك جماعته وخدمته فانه ملك الطيور وبيده أزمة الجهور وهو وان كان سلطان الجوارح والكواسر وشيمته سفك الدماء والتمزيق بمخاليبه النواسر لكنه ملك عالى الهمة ومن شيم الملوك الشفقة والرحمه ولا تقتضى همته العاليه الا الشفقة الوافيه خصوصا على من يرتمى لديه وينتمى اليه ولاتدعه شيمته الابيه وهمته العاليه الحميه وشمائله الشهمة الملوكيه أن يتعرض الينا بضرر أوان وطيرالينا منه شرر قالت غرغره بعد الاستغراب فى الكركره العجب كل العجب من رأيك المنتخب انك تخلط منه الغث بالسمين وتسوق فيه الهجان مع الهجين فتارة تصيب حدقة الغرض وأخرى تصرف السهم حيث عرض فتصير كما قيل

تلونت حتى لست أدرى من الهوى * أريح جنوب أنت أم ريح شمأل

هذه المصائب التى نشكوها والنوائب التى نقرأ سورها ونتلوها اهل هى غير ما نقاسيه من العذاب ونعانيه من أليم العقاب فى لحظة من ملاقاة عسكر العقاب ثم انك أنت تحركت فى آرائك وسكنت وشرقت فى أفكارك وغربت وتباعدت وتقربت وارتفعت بالسلطان وامتنعت وسقطت وجلت وجت وقعدت وقمت ثم أسفر رأيك السديد وفكرك الرشيد وأمرك السعيد عن أن تجرنا بسلاسل الحديد الى العذاب الشديد وتخلدنا فيه الدهر المديد ولا والله بل تريد أن نمشى بأرجلنا الى الشبكه ونلقى بايدينا أنفسنا الى التهلكه وقد أشبهت فى هذه الحركه مالك الحزين والسمكه فقال النجدى لابنة السعدى اريحى وغنى * شكوى الجريح الى العقبان والرخم * فقالت له أزل الغصه بقص هذه القصه (فقال) كان فى بعض المروج من قرى سروج نهر كثير الحيتان شديد الجريان وفى مكان منه مصون مأوى لمالك الحزين البلشون فكان يتصرف فى السمك تصرف المالك فيما ملك قضى فى ذلك عمره وزجى أوقاته فى طيب عيش ومسره الى أن أدركه المشيب ورحل عنه العمر القشيب وكساه خياط الدهر دلق ومن نعمره ننكسه فى الخلق ورأى من الكبر أصناف العبر الى ان ضعفت قوته عن الاصطياد وجرى عليه من الآلام والانكاد ومن نوائب الدهر ما الزمان به معتاد فصار يمر عليه برهة من الاوقات وهو عاجز عن تحصيل الاقوات فتوجه فى بعض الاحيان وقد علته كآبة الاحزان ووقف على النهر متفكرا فى تصرفات الدهر فمرت به سمكه لطيفة الحركه فرأته فى ذل الانكسار سابحا فى بحر الافتكار لاقدرة له ولا حركه ولا نهضة لاختطاف السمكه فلم يلتفت اليها ولا عول عليها وقد أوطأته الحوادث أقدام الهموم

والركاب فى البحر فبالسفينة ينجون (١٥٦) وبهم تنجو السفينة فلما سمع السنور كلام الجرذ وعرف انه صادق قال له ان قولك هذا الشبيه بالحق وأنا أيضا راغب فيما أرجو لك ولنفسى به الخلاص ثم انك ان فعلت ذلك سأشكرك مابقيت قال الجرذ فانى سأدنو منك فاقطع الحبائل كلها الا حبلا واحدا أبقيه لاستوثق لنفسى منك ثم أخذ فى تقريض حبائله ثم ان البوم وابن عرس لما رأيا دنو الجرذ من السنور أيسا منه وانصرفا ثم ان الجرذ أبطأ على رومى فى قطع الحبائل فقال له مالى لا أراك مجدا فى قطع حبائلى فان كنت قد ظفرت بحاجتك فتغيرت عما كنت عليه وتوانيت فى حاجتى فما ذلك من فعل الصالحين فان الكريم لا يتوانى فى حق صاحبه وقد كان لك فى سابق مودتى من الفائدة والنفع ماقد رأيت وأنت حقيق ان تكافئنى بذلك ولا تذكر العداوة التى بينى وبينك فالذى حدث بينى وبينك من الصلح حقيق ان ينسيك ذلك مع مافى الوفاء من الفضل والاجر ومافى الغدر من سوء العاقبة فان الكريم لا يكون الا شكورا غير حقود تنسيه الخلة الواحدة من الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة وقد يقال ان أعجل العقوبة عقوبة الغدر ومن اذا تضرع اليه وسئل العفو لم يرحم ولم يعف فقد غدر قال الجرذ ان الصديق صديقان طامع ومضطر وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المضرة فاما الطامع فيسترسل

السكوارث وبدل ربيع شبابه بخريف الهرم وحرارة حربه ببرودة السلم فوقفت لديه وسلمت عليه وسألته عن موجب تفكره وسبب تحزنه وتحيره فقال تفكرت ما مضى من الزمان الناضر وما انقضى فيه من طيب العيش وانشراح الخاطر وقد تبدل وجوده بالعدم ولم يحصل من ذلك سوى الذنوب والندم وقد وهنت العظام واستولى على الجسد السقام وتزلزلت أركان الاعضاء وتراكمت فنون الادواء واشتعل الشيب وانقدح الآلام وقد

عزمت على اخلاء جسمي روحه * من خوف شيب كل عنه الراقع

قالت اسكنيه يا عمارة عمره * قالت فكيف وبيت جسمك واقع

ثم قال ولم أفق من هذه السكره ولا وقعت فى هذه الفكره الا وسفينة العمر بالساحل قد أرست وأصيل شمس العيش على قلة الفناء أمست فما أمكنني الا التلافى بالتوبة والندم قبل حلول نوائب الاجل وزلة القدم والتطهر من جنابة المظالم بمياه الاستعبار والالتجاء الى جانب الحق بالالظاظ فى الاستغفار وغسل أوساخ الذنوب والمظالم بدموع الانابة والاعتذار

وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب للرأس شامل

فاعلمى أن جامح هواى قلع ضرس الآمال والطمع وجارح متمناى نزع خوافى الشره والهلع وقد قدمت الى هذا المكان لاتحال من الاسماك والحيتان فانى طالما أغرت على عشائرهم وأولادهم وخضت فى دماء قلوبهم وأكبادهم وشتت شملهم وخوفت جالهم وقالهم وأرعبتهم وأرهبتهم وأقلقتهم وفرقتهم وغربتهم وبالدماء شرقتهم فرأيت براءة الذمة فى الاولى أولى والمبادرة بالتوبة قبل المصير الى الاخرى أحرى فلعل أحمال الذنوب تخف وسحائب الغفران تكف فلما سمعت السمكة هذه الخديعة ووعت ما فيها من حركة بديعه تشربتها أضلاعها ودعاها انخداعها الى أن قالت فما ترى أيها العبد الصالح ان أتعاطاه من المصالح فقال ابلغى السمك هذا الكلام بعد ابلاغ التحية والسلام وأن يكون القوم من بعد اليوم آمنين من سطواتى سالمين من حملاتى ساكنين الى حركاتى بحيث تنجلى الظلماء ويعود بيننا الحرب سلما وينام السمك فى الماء قالت لابد من أخذ العهود على الوفاء بهذه العقود وأقلها المصافحة على المصالحة ثم تأكيد الايمان بخالق الانس والجان ولكن كيف أصافيك وأنا طعمتك وانى أتخلص من فيك اذا وضعت فيه لقمتك قال لها ابرمى هذا العلف واربطى به حنكى لتأمنى التلف فاخذت قبضة من الحشيش وفتلت والى ربط فكه أقبلت فعندما مد منقاره الى الماء وقربت منه السمكة العمياء لم يفتر أن اقتلعها ثم ابتلعها (وانما أوردت) هذه اللطيفه ياذا الحركات الظريفه لتعلم أن قربنا من العقاب ألقى بنا أنفسنا الى أليم العقاب وأين عزب عنك نهاك حتى تسعى بنا الى عين الهلاك ونحن قوت العقاب وغذاؤه ولداء جوعه شفاؤه ودواؤه وهل يركن الى العقاب ويؤمن منه ضرب الرقاب وقد قيل

أنفاسه كذب وحشو ضميره * دغل وقربته سقام الروح

وقد قيل أنهاك أنهاك لا آلوك معذرة * عن نومة بين ناب الليث والظفر

قال النجدى اسلمى يا قرينة الخير واعلمى أن الريح وقت الربيع تكسو أكناف الاشجار من أنواع الازهار ووجه الصحارى والقفار من أنوار الانوار ما يدهش البصائر ويروق الابصار وينعش الاجسام ويشفى الاسقام ويبرد الغليل ويبرئ العليل لاسيما وقت السحر ونسيم الصبا فى ضوء القمر يربى القلب والروح ويحيى الصب المجروح وكذلك المعرفات النشر والاواقح والمعطرات بطيب الروائح ودونك قول الحق فى كلمته ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته وفى المصيف الحرور والعسيف والسموم العصيف المذيب المدنف وفى الشتاء وأيام الخريف الصرصر الخيف يصفر اللون ويغير السكون ويعرى الاشجار ويسقط الثمار ويثير الغبار وربما كانت اعصارا فيه نار وتسقم الصحيح وتطير الهشيم فى الريح ومنها الاعجاز المدهشات والايام النحسات والقواصف والعواصف والحواصب

اليه ويؤمن فى جميع الاحوال وأما المضطر ففى بعض الاحوال يسترسل اليه وفى بعضها يحذر منه ولا يزال العاقل ترتهن منه بعض حاجاته لبعض ما يتقى ويخاف وليس عاقبة التواصل من المتواصل الا لطلب عاجل النفع وبلوغ مأموله وأنا واف لك بما جعلت لك ومحترس منك مع ذلك من حيث أخافك تخوفا ان يصيبنى منك ما ألجأنى خوفه الى مصالحتك وألجأك الى قبول ذلك منى فان لكل عمل حينا فما لم يكن منه فى حينه فلا حسن لعاقبته وأنا قاطع حبائلك كلها غير انى تارك عقدة واحدة أرتهنك بها ولا أقطعها الا فى الساعة التى أعلم أنك فيها عنى مشغول وذلك عند معاينتى الصياد ثم ان الجرذ أخذ فى قطع حبائل السنور فبينما هو كذلك اذ وافى الصياد فقال له السنور الآن جاء الجد فى قطع حبائلى فاجهد الجرذ نفسه فى القرض حتى اذا فرغ وثب السنور الى الشجرة على دهش من الصياد ودخل الجرذ بعض الاجحار وجاء الصياد فاخذ حبائله مقطعة ثم انصرف خائبا ثم ان الجرذ خرج بعد ذلك وكره ان يدنو من السنور فناداه السنور أيها الصديق الناصح ذو البلاء الحسن عندى ما منعك من الدنو الى لاجازيك باحسن ما أسديت الى هلم الى ولا تقطع اخائى فانه من اتخذ صديقا وقطع اخاءه وأضاع صداقته حرم ثمرة اخائه وأيس من نفعه الاخوان والاصدقاء وان يدك عندى لا تنسى وأنت حقيق ان

والحراجف والصرصر والنكباء والزعزع والرخاء وقد قال فيها العزيز العليم فارسلنا عليهم الريح العقيم
ماتذر من شئ أتت عليه الاجعلته كالرميم ثم اعلمي يا ربة الجمال وفتنة الرجال ان النار تحرق من يقربها
وتذهب ما يصحبها وتنشف الطراوة وتشوه الطلاوه وتلتقم ماتجده وتلتهمه وتزدرده وتسود بدخانها
وتؤلم الاجساد بقربانها وتمحو الآثار وتهدم الديار مع انها تنضج الاطعمه وتصلح الاغذيه وتهدى
النور وتدفى المقرور وترشد الضال فى القفار ورؤس الجبال قال من يقول للشئ كن فيكون
أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن نحن جعلناها تذكرة ومتاعا
للمقوين وكذلك الماء ياذات الثغر الالمى يذهب الظما ويجلب الغنا ويبرد الصدور ويطفئ الحرور
وينبت الزروع ويدر الضروع ويحمل المراكب ومافيها من مركوب وراكب قال القادر على
كل شئ وجعلنا فى الماء كل شئ حى واذا طغت المياه والعياذ بالله أغرقت المراكب وخطفت الراجل
والراكب واقتلعت الاشجار واقتطعت الاحجار واتلفت الزروع والثمار وان تراكمت الامطار
قطعت سبل الاقطار وهدمت الديار وردت الآبار وسل عن ذلك ملابس الاسفار ومجالس الركب من
أهل الامصار واذا تكاثف الرش غرقت مصر وآذى أهلها العطش ونعوذ بالله من هجوم السيل فى
ظلام الليل وكذلك التراب يا زين الاحباب ينبت الحصرم والعنب والتمر والحطب والشوك
والرطب ويشرع سنان الشوك المحدد وغصون السهم المسدد ويربى الورد والازهار والرياحين
والانوار والاقوات والثمار والرياض النضره والغياض الخضره ثم اذا ثار وهاج الغبار خرج من
تحت الحوافر فاعمى النواظر ففيه الحلو والمر والزوان والبر والناعم والخشن والقبيح والحسن والارض
مهاد وفراش وفيها أسباب المعاش وهذه المضرة والمنفعه مركبة فى هذه العناصر الاربعه التى هى
أصل الكائنات وسنخ ما نشاهده من المخلوقات واذا كان ذلك كذلك وقاك الله شر المهالك وأوضح لك
أوضح المسالك فاعلمى بالتحقيق يا صاحبة الثغر العقيق ان هذا الملك الاعظم بل كل أولاد بنى آدم
مركبون من الرضا والغضب والحلم والعضب والرفع والحط والقبض والبسط والقهر واللطف والظرافة
والعنف والخشونة واللين والتحريك والتسكين والبخل والسخاء والشدة والرخاء والوفاء والجفاء
والكدورة والصفاء واعلمى يا نعم العون وقرينة الصون ان هذا الكون سروره فى شروره مندمج
ووروده فى صدوره مندرج وصفاؤه مع كدره مزدوج وجفاؤه بوفائه ممتزج فيمكن أن العقاب
لكونه ملكا مالك الرقاب مع وجودهيبته القاهره وسطوته الباهره وخلقه الشرس الصعب
الشكس اذا رأى ضعفنا وذلنا وانكسارنا وقلنا وترامينا اليه وتعولنا عليه يضمنا الى جناح عاطفته
ويسبل علينا خوافى مرحمته ويعاملنا بالالطاف ويسمح لنا بالاسعاف دون الاعساف ويعمل
بموجب ما قيل لكل كريم عادة يستعدها * وأنت لكل المكرمات امام
والقادر على الكسر والجبر لاسيما اذا كان من ذوى النباهة والقدر لا يعامل ذوى الكسر بالكسر
لانا فى مقام الابناء وهو فى مقام الابوه والتقوى على الضعيف ضعف فى القوه وقالوا المصغر لا يصغر
وسجدة السهو لا تكرر قالت غرغره ذات التبصره هذا وان كان داخلا فى حيز الامكان لكن أخاف
ياذا الالطاف أنا بمجرد الوقوف بين يديه فى الصفوف لا نمهل باداء الكلام ولا للثبات فى المقام بل
نعامل بالتمزيق والتفريق ونحر بعدق الطريق وتهوى بنا خواطف الطير فى مكان سحيق فيفوتنا
هذا المطلب اذ قيل الطبع أغلب وهذا اذا وصلنا اليه وتمثلنا بين يديه وأما اذا اعترضنا دونه عارض
وجرحنا من جوارح الطير معارض ولا حول يحمينا ولا قوة تنجينا فينتف ريشنا كل باغ ويتجاذب
لحمنا كل طاغ فيصير مثلنا مثل الغمس والزاغ فسأل اليعقوب تلك الرقوب كيف هذا المثل أخبريني
ياست الجمل (قالت) كان فى بعض البساتين العاطره والرياض الناضره مأوى زاغ ظريف حسن الشكل
لطيف فى رأس شجرة عاليه أغصانها ساميه وقطوفها دانية فاتفق لغمس من الغموس فى وكره ضرروبوس

ثم التمس مكافأة ذلك مني ومن اخواني وأصدقائي ولا تخافن مني شيأ واعلم ان ماقبلي لك مبذول ثم حلف واجتهد على صدقه فيما قال
فناداه الجرذ رب صداقة
ظاهرة باطنها عداوة كامنة
وهي أشد من العداوة
الظاهرة ومن لم يحترس
منها وقع موقع الرجل الذى
ركب ناب الفيل المغتلم
ثم يغلبه النعاس فيستيقظ
تحت فراسن الفيل فيدوسه
ويقتله وانما سمي الصديق
صديقا لما يرجى من نفعه
وسمي العدو عدوا لما
يخاف من ضرره والعاقل
اذا رجا نفع العدو أظهر له
الصداقة واذا خاف ضر
الصديق أظهر له العداوة
ألا ترى تتبع البهائم
أمهاتها رجاء ألبانها فاذا
انقطع ذلك انصرفت عنها
وربما قطع الصديق عن
صديقه بعض ما كان يصله
فلم يخف شره لان أصل
أمره لم يكن عداوة فاما من
كان أصل أمره عداوة
جوهرية ثم أحدث صداقة
لحاجة حملته على ذلك فانه
اذا زالت الحاجة التى حملته
على ذلك زالت صداقته
فتحولت عداوة وصار الى
أصل أمره كالماء الذى
يسخن بالنار فاذا رفع عنها
عاد باردا وليس من أعدائي
عدو أضر لي منك وقد
اضطرني واياك حاجة الى
ما أحدثنا من المصالحة وقد
ذهب الامر الذى احتجت
الي واحتجت اليك فيه
وأخاف أن يكون مع ذهابه
عود العداوة ولا خير
للضعيف فى قرب العدو القوى ولا للذليل فى قرب العدو العزيز ولا أعلم لك قبلي حاجة الا أن تكون تريد أكلي

فانزعج

فانزعج عن وطنه واحتاج الى مفارقة سكنه فقاده الزمان الى هذا المكان فراقه منظره وشاقه نوره وزهره وأعجبه ظله وثمره وأطربه بخرير نهره فعزم على السكنى فيه وتوطن الى أن يتوطن في نواحيه ذرآه أحسن منزل واذا أعشيت فانزل ووقع اختيار ذلك الطائر على وكر في أصل شجرة الزاغ فسوى له وكرا وحفره في أصل تلك الشجره وألقى عصا التسيار واستقرت به هنالك الدار فلما رأى الزاغ هذه الحال داخله الهم والاوجال وخشي أن يتدرج من أدناها ويتدحرج الى أعلاها وينشد الاصحاب في هذا الباب

ولما مضى الشوق * الى نحو أبي طوق

تدحرجت ولكني * من تحت الى فوق

فيصل الى وطنه القديم ويذيقه العذاب الاليم فليس له خلاص من هذا الاقتناص الا مفارقة الوطن والانزعاج بالتحول عن السكن وكيف يفارق ذلك النعيم ويسمح بالبعد عن الوطن القديم وهو كما قيل

بلاد بها انيطت على تمائمي * وأول أرض مس جلدي ترابها

فغلبت محبة وطنه على قلبه ولم يطاوعه على فراقه لشدة حبه ثم اعتراه في ذلك الوسواس وأخذ يضرب أخماسا لأسداس في وجه الخلاص من هذا الباس فرأى المدافعة أولى والممانعة عن جوارحه لناظره أجلى ثم افتكر في كيفية المدافعه وسلوك طريق الممانعه فلم ير أوفق من المصانعه وتعاطي أسباب المخادعه ليقف بذلك أولا على حقيقة أمره ويعرف معيار خيره وشره ويصل الى مقدار قوته وضعفه ورصانة عقله وفهمه وسخفه ويسبر حالتي غضبه ورضاه ويدرك غور أحواله ومنتهاه ثم يبني على ذلك أساس دفعه وهدم ما يبنيه من قلعته لقلعه فهبط الى النمس من الهواء وخفط شيأ وغابت عنه أشياء وسلم عليه سلام المحب على الحبيب وجلس منه بمكان قريب وخاطبه خطاب ناصح لا مريب وابتهج بجواره واستأنس بقرب داره وذكر له انه كان وحيدا وعن الجليس الصالح والانيس الناصح فريدا وقد حصل له الانس بمجاورة النمس وانه صدق من قال في هذا المقال

انفراد المرء خير * من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير * من جلوس المرء وحده

فاستمع النمس حديث الزاغ وما طغى بصر بصيرته عن مكايده وما زاغ ثم افتكر في نفسه ونظر في مرآة حدسه فرأى ان هذا الطير بخبث السيرة مشهور وبسوء السريرة مذكور لا أصل زكي ولا فرعه على ولا غائلته مأمونه ولا صحبته ميمونه ولا خير عنده ولا مير بل يخشى منه الضرر والضير وكأنه فيه قيل

وهو غراب البين في شؤمه * لكن اذا جئنا الى الحق زاغ

ولم يكن بيننا وبينه قط علاقه ولا واسطة محبة ولا صداقه وأما العداوة فانها مستحكمه وكل منا للآخر ما كلة ومطعمه ولا أشك انه انما قصد طريقة سوء ومكيدة نكد فان أضعت فيه الفرصه أطلت الغصه ووقعت من الندامة في قصة وحصه ولا يفيدني اذ ذاك الندم أني وقد فات المطلوب وزلت القدم * وأحزم الحزم سوء الظن بالناس * فالذي يقتضيه الحزم والرأي السديد والعزم القبض عليه الى أن يظهر ما لديه ثم وثب من مربضه وأنشب في الزاغ مخاليب مقبضه وقبضه قبضة أعمى لا كالقابض على الما فلما رأى الزاغ هذا النكد وانه قد صار كالفريسة في مخاليب الاسد ناداه يا كريم الخير ويا أيها الجار الحليم عن الضير أنا رغبت في مصادقتك وجئتك محبا في موافقتك ومرافقتك وأردت ازالة وحشتك ومؤانستك بابعاد دهشتك وحاشاك أن تخيب ظني فيك وتعامل بالجفاء من يوافيك وأنشده

وحاشاك ان تمشي بوجهك معرضا * وما يحسن الاعراض عن وجهك الحسن

والكرام لا يعاملون الجلساء الا بالمؤانسة وحسن الوفاء والابقاء على خير والبعد من الضير وأنا قد صرت جليسك وجارك وأنيسك وقد قيل

ولا أعلم لي قبلك حاجة وليس عندي بك ثقة فاني قد علمت ان الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب الى السلامة من القوي اذا اغتر بالضعيف واسترسل اليه والعاقل يصالح عدوه اذا اضطر اليه ويصانعه ويظهر له وده ويريه من نفسه الاسترسال اليه اذا لم يجد من ذلك بدا ثم يعجل الانصراف عنه حين يجد الى ذلك سبيلا واعلم ان سريع الاسترسال لا تقال عثرته والعاقل يفي لمن صالحه من أعدائه بما جعل له من نفسه ولا يثق به كل الثقة ولا يأمنه على نفسه مع القرب منه وينبغي أن يبعد عنه ما استطاع وأنا أودك من بعيد وأحب لك البقاء والسلامة ما لم أكن أحبه لك من قبل ولا عليك ان تجازيني على صنيعي الا بمثل ذلك اذ لا سبيل الى اجتماعنا والسلام انقضى باب الجرذ والسنور

((باب ابن الملك والطائر فنزة))

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل أهل الترات الذين لا بد لبعضهم من اتقاء بعض قال بيدبا زعموا ان ملكا من ملوك الهند كان يقال له بريدون وكان له طائر يقال له فنزة وكان له فرخ وكان هذا الطائر وفرخه ينطقان بأحسن منطق وكان الملك بهما معجبا فأمر بهما أن يجعلا عند امرأته وأمرها بالمحافظة عليهما واتفق ان امرأة الملك ولدت غلاما فألف الفرخ الغلام وكلاهما طفلان يلعبان جميعا وكان فنزة يذهب الى الجبل كل يوم فيأتي بفاكهة لا تعرف فيطعم ابن

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى لقعقاع جليس

مع أنه لم يسبق مني سبب عداوه ولا ما وجب هذه الفظاظة والقساوه وهذه أول نظره فما موجب هذه البدره وما سبب هـذه النفره قال النمس أيها الزاغ الكثير الرواغ والنحس باغ والنجس طاغ اسمك ناطق انك منافق وهو خبر صادق اذهو في الخارج للواقع مطابق ورؤيتك شاهـده انك تنقض المعاهدة وعين منظرك دل على مخبرك وقد قيل

والعين تعرف من عيني محدثها * ان كان من حزبها أم من أعاديها

من أين بيننا صداقه ومتى كان بين النموس والزاغ علاقه وكيف تنعقد بيننا صحابه وأنى يتصل لنا مودة أو قرابه بين لي كيفية هذا السبب ومن أين هـذا الاخاء والنسب أما أنت فلي طعمه وأما أنا فلحمي لسدي غذائك لحم يسوءني ما يسرك وينفعني ما يضرك

الله يعلم أنا لا نحبكم * ولا نلومكم ان لا تحبونا

أنا واقف على ما في ضميرك وعالم بسوء فكرك وتدبيرك قد اطلعت منك على الهواجس كما اطلع ذلك الماشي على ما في خاطر ذلك الفارس قال الزاغ بين لي بلا جدل كيف هو هـذا المثل (قال) النمس ذكر رواة الاخبار ونقلة الآثار أنه ترافق في بعض السباسب راجل وراكب وكان مع الراجل من البضائع رزمه وقد جعلها كارة وحزمها أوثق حزمـه وقد أعياه حملها حتى أعجزه نقلها فقال للراكب أيها الرفيق الصاحب لو ساعدتني ساعه بحمل هذه البضاعه لكنت أرحتني ونفست عني وشرحتني

كذى الجد يحمل أثقاله * قوى العظام حول الكاف

قال الفارس لا أكل فرسي ولا أتعب نفسي ونفسي فان مركوبي لم يقطع البارحة عليقه وأنا خائف ان لا يقطع بي طريقه واذا خفت تخاني في سيري فاني أتكلف حمل اثقال غيري فبينما هما في هذا الكلام اذلاح أرنب في بعض الآكام فاطلق العنان وراء الارنب وذهب وراءها كرأي الزنادقة كل مـذهب فوجد فرسه قوية النهضه سريعة الركضه فرأى أنه أضاع حزمه في عدم أخذه الرزمه وماضره لو أخذها وساق وذهب الى بعض الآفاق وأقام بها أوده وانتفع بها وولده وترك الماشي بلاشي ثم رجع بهذه النية الضاره ليحمل عن الماشي الكارة وقال له اعطني هذا الحمل المتعب لا يحلك من حمله في هذا المذهب وابلع ريقك واقطع طريقك فقال له قد علمت بتلك النيـه وما أضمرت من بليه فاتركني بحالي فلي حاجة بمالي ثم ان النمس كسر الزاغ وحصل له باكله الفراغ (وانما أوردت) هذا المثال لتعلم بالحال الرجال ان العقاب لا يؤمن ولا يقطع فيه بالظن الحسـن ولا يركن الى خاطفة بوارقه بمخاليب صواعقه وصواعقه ولا الى غوائله وبوائقه وهذا ان سلمت شقة حياتنا من تشقيق غواشيه وتخلص بردوجودنا من تمزيق حواشيه وان بينك وبين هذا المراد خرط القتاد والموانع التي هي دون سعاد فالوصول الى ملك الطير قريب التناول في السير ولا سهل المأخذ ولا سريع المنفذ وأين الحجل من العقاب ذلك في نعائم النعيم وهذا في عقاب العقاب فتدبر عاقبة هذا الامر وتأمل في الفرق بين التمر والجمر والظاهر عنـدي ربما أدى اليه فكري وجهدي ان عاقبة هذه الامور ليس الا القطوع والقصور دون الوصول الى الملك في القصور قال الذكر لقد كررت عليك مرارا وأسندت الى سمعك انشاء واخبارا ان علو همة هذا الملك وفضله الخالي عن شرك وكرم نجاره وأمن خادمه وجاره وفيض احسانه وبسط كرمه وامتنانه وانتشار صيت حشمته واشتهار رأفته ورحمته لا يقتضي حرمان من قصده وام جنابه واعتمده ولجأ الى جناح عاطفته وتشبث بذيل ملاطفته وحاشاه أن يصم مصون همته بابتذال دناءه ويشوه جمال وفائه لمن ترفق له بشكتة جفاء تخيب رجاءه خصوصا اذا رأى مني خضوع العبوديه والقيام بمراسيم الخدمات الادبيه والقيام بمراكز مرضيه والوقوف عند كل ما يحبه ويرضيه فاني بحمد الله تعالى أعرف مداخل الامور ومخارجها وعندي الاستعداد الكامل لصعود معارجها واعلم طرق المجاز الى حقائقها وسلوك دروبها وطرائقها

الملك شطرها و يطعم فرخه شطرها فأسرع ذلك في نشأتهما وزاد في شبابهما وبان عليهما أثره عند الملك فازداد لفنزة اكراما وتعظيما ومحبة حتى اذا كان يوم من الايام وفنزة غائب في احتناء الثمرة وفرخه في حجر الغلام فذرق في حجره فغضب الغلام وأخذ الفرخ فضرب به الارض فمات ثم ان فنزة أقبل فوجد فرخه مقتولا فصاح وحزن وقال قبحا للملوك الذين لا عهـد لهم ولا وفاء ويل لمن ابتلى بصحبة الملوك الذين لا حمية لهم ولا حرمة ولا يحبون أحدا ولا يكرم عليهم الا اذا طمعوا فيما عنده من غناء واحتاجوا الى ما عنده من علم فيكرمونه لذلك فاذا ظفروا بحاجتهم منـه فلا ود ولا اخاء ولا احسان ولا غفران ذنب ولا معرفة حق هم الذين أمرهم مبني على الرياء والفجـور وهـم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم الذنوب ويستعظمون اليسير اذا خولفت فيـه أهواؤهم ومنهم هذا الكفور الذي لا رحمة له الغادر بأليفـه وأخيه ثم وثب في شدة حنقه على وجه الغلام ففقأ عينيه ثم طار فوقع على شرفة المنزل ثم انه بلغ الملك ذلك فجزع أشـد الجزع ثم طمع أن يحتاله فوقف قريبا منـه وناداه وقال له انك آمن فانزل يا فنزة فقال له أيها الملك ان الغادر ماخـوذ بغدره وانه ان أخطأه عاجل العقوبة لم يخطئه الآجل حتى انه يدرك الاعقاب واعقاب الاعقاب وان ابنك غدر بابني فعجلت له العقوبة قال الملك لعمري قد غدرنا

وطرائقها فالاولى ان نقتصر عن المحاوره ونكتفى بهذه المساورة فى المشاوره ونتوكل على مقلب القلوب ونتوجه نحو هذا المطلوب بعزم شديد وحزم سديد فان تيسر لى ملاقاة حضرته والتمثل فى مراكز خدمته وحصلت لى مشاهدته واتفقت مخاطبته ومعاهدته أنشات خطبة تدفع الخطوب وتجمع القلوب وتؤلف بين المحب والمحبوب وأرجو ان تكون نافعه لمصالح الدين والدنيا جامعه فان كلامى فى مقامى كما قيل فى المثل

فاو حزلكنه لايخل * وأطنب لكنه لايمل

وآخر الامر سلمت غرغرة زمام انقيادها اليه وعولت فى عمل المصالح عليه ثم قالت له عش واسلم وتيقن واعلم انك اذا قصدت خدمة الملوك وأردت فى طريق مصاحبتهم السلوك فانك محتاج فى ذلك المنهاج الى نور وسراج يهديك الى صفات جميله وتلبس بخصائل نبيله تحلى بجمالها وتتعلى بكمالها وتجلى فى شمائل جلالها الاولى ان تقدم فى جميع مصادرك ومواردك مراد الملك على جميع مقاصدك الثانية ان تتلقى أموره بالتعظيم وتقيم أوامره بالاحترام والتفخيم الثالثة تحسن أقواله وتزين أفعاله بوجه لايتطرق اليه تشويه ولايحتاج فيه الى تنبيه الرابعة تجتهد فى صيانة عرضك عن الخنا واياك ان تقول فى حضرته أنا فتقع فى العنا الخامسة ان تعد على الدوام ومرور الايام خدماتك الوافره وحقوقك المتكاثره عن حقوق نعمه قاصره السادسة اذا وقعت منك زله فلا تتعدها جمع القله بل اطلب لتلك الهفوه فى الحال محوه واقصد مراحمه وعفوه فان الذنوب اذا تراكمت وتجمعت وتزاحمت أشبهت المزبلة المدمنه وفاحت رائحتها المنتنه والانسان غير معصوم والآدمى بالخطا موسوم السابعة احفظ وجهك فى حضرته عن التقطيب وكلامك ان يفوح منه غير الطيب الثامنة اياك ومصادقة أعدائه ومعاداة أوليائه التاسعة كلما زادك رفعة وتقريبا مل الى التواضع واعظامه تصويبا العاشرة لاتدخر عنه نصحه وانصحه فى الخلوة لئلا يؤدى الى الفضيحه واذا أقامك فى أمر ولو أنه المشى على الجمر لاتطلب منه أجرا ولاتبد لذلك ذكرا فان الطمع يورث العقوق والمن يسود وجه الحقوق واعلم ان حضرة الملوك عظيمه ومجالسهم جسيمه تنزه عن الكذب والغيبة والنميمه والاقوال الوخيمه والافعال الذميمه واياك ان تتعدى القواعد الكسرويه وتتخطى القوانين السلطانيه فان أعظمها كان أن يعرف كل انسان تقصير نفسه فى خدمة مخدومه ويعترف له من احسانه بعمومه ويقيم واجب همة ملكه ومقام مرسومه قال النجدى أخبرينى ياعدى وحظى وسعدى وابنة السغدى ومزينة القواعد بشئ من تلك القواعد (قالت) من القواعد الكسرويه الدائرة بين البريه ما وضعها بعض الملوك وجل رعيته فيها على السلوك وكان مشهورا بالعدل والاحسان مذكورا باقامة البرهان متصفا بالصفات الجيده مكتنفا بالشمائل السعيده من الدين والعفه وعدم الطيش والخفه بعقل راجح الكفه والعلم الوافر والحلم العاطر وذلك انه فى بعض الايام أمر أن يجتمع الخواص والعوام مابين أمير ووزير وكبير وصغير وغنى وفقير وجليل وحقير وعالم وجاهل ومعضول وفاضل ومذكور وخامل وناظر وعامل وحال وعاطل وحاكم وقاض وساخط وراض وجندى وتبع وأخرق وصنع ووضيع وشريف ولطيف وكثيف وثقيل وخفيف وقريب وبعيد ومقبول وطريد وشقى وسعيد وسوقة وتاجر وسفيه وفاجر ودان وقاص وطائع وعاص وصالح وطالح وضاحك وكالح ومصيب ومخطى ومسرع ومبطى وصياد وملاح وسياح وسباح وبلدى وفلاح ومسالك وسالك ومملوك ومالك بحيث لايتخلف عن الحضور أحد ولايجزى فى التقاعد والدعن ولد ثم مهد لهم فى روض أريض ومرج طويل عريض تصفق مياه أنهاره طربا وتناغى بأطيب الالحان فصحاء أطياره الخطباء وتتراقص بزهر الوقت أغصان أشجاره ويلتذ بفواكه الجنان جانى ثماره فهو كما قيل

بابنك فانتقمت منا فليس لك قبلنا ولا لنا قبلك وتر مطلوب فارجع الينا آمنا قال فنزة لست براجع اليك أبدا فان ذوى الرأى قدنهوا عن قرب الموتور فانه لايزيدك لطف الحقود ولينه وتكرمته اياك الا وحشة منه وسوء ظن به فانك لاتجد الحقود الموتور أمانا هو أوثق لك من الذعر منه ولا أجود من البعد عنه والاحتراس منه أولى وقد كان يقال ان العاقل يعد أبويه أصدقاء والاخوة رفقاء والازواج ألفاء والبنين ذكرا والبنات خصماء والاقارب غرماء ويعد نفسه فريدا وأنا الفريد الوحيد الغريب الطريد قد تزودت من عندكم من الحزن عبأ ثقيلا لايحمله معى أحد وأنا ذاهب فعليك منى السلام قال له الملك انك لولم تكن اجتزيت منا فيما صنعناه بك بل كان صنيعك بنا من غير ابتداء منا بالغدر كان الامر كما ذكرت وأما اذ كنا نحن بدأناك فما ذنبك وما الذى يمنعك من الثقة بنا هلم فارجع فانك آمن قال فنزة اعلم ان الاحقاد لها فى القلوب مواقع ممكنة موجعة فالالسن لاتصدق فى خبرها عن القلوب والقلب أعدل شهادة من اللسان على القلب وقد علمت أن قلبى لايشهد للسانك ولاقلبك للسانى قال الملك ألم تعلم أن الضغائن والاحقاد تكون بين كثير من الناس فمن كان ذا عقل كان على اماتة الحقد أحرص منه على تربيته قال فنزة ان ذلك لكما ذكرت ولكن ليس

بلتذ جانيه بانعم مقطف * منه وساكنه بأكرم معطف
والورق بين محلق في جوه * طرباً ومحط عليه مرفرف

وأمر بفرش ذلك المكان بالفرش الحسان من الديباج والحرير وأطلق مجامر الند والعبير وبين لكل مقاماً معلوماً ومجلساً مقسوماً وأحل كلاً منهم محله وأسبغ عليهم ذيل احسانه وظله ثم أمر بأنواع الاطعمة المفتخره وأصناف الملاذ الطيبة العطره فاحضرت في أواني الفضة والنضار ووضعت بين يدي أولئك الحضار بحيث عمت الجميع ووسعت الشريف والوضيع وجلس الملك في مجلس السلطنه واكتنفه من العساكر الميسرة والميمنه وأخذ كل مكانه ورتب أصحابه وأعوانه ثم أقام عليهم أرباب الدواوين وأدخل جميعهم في دفاتر الحسبان وأمر منادياً سيداً برفع بصوته النداء في ذلك الجمع بحيث شمله من الجميع النظر والسمع بأهل هذا المكان برز مرسوم السلطان ان كل من هو في مرتبه من مرضاة أو معتبه لا يلاحظ من فوقه ولو انه من أمير أو سوقه بل يلاحظ حال من هو دونه فائزة كانت منزلته أو مغبونه فان ذلك أجمع للقلوب وأدعى للشكر المطلوب وأجلب للرضا بحوادث القضا فان من رأى نفسه في مقام ونظر غيره في أدنى من ذلك المقام استقام وكانت عنده منزلته عليه وعد لنفسه على غيره مزيه فتوطنت نفسه على الرضا واستقبلت بالشكر وارد القضا مثال ذلك الرئيس النازل في الصدر اذا رأى من هو دونه في القدر لم يشك في ان محله محل البدر وباقي الرؤساء كالنجوم فلا يأخذه لذلك وجوم وقد قال الحي القيوم في دركلامه المنظوم وما منا الا له مقام معلوم وكذلك النائب بالنسبة الى الحاجب والدوادار بالنسبة الى البزدار والخزندار بالنسبة الى جابي الدراهم والدينار والمهتار بالنظر الى السائس والبرقدار وكذلك السائس بالنسبة الى الحارس وكاتب السر المرتفع بالنسبة الى المدبر والموقع والزمام بالنظر الى سائر الخدام وأيضاً القاضي مع الفقيه والفقيه مع التاجر النبيه والتاجر مع السوقي السفيه والغني والامير بالنسبة الى المأمور والفقير وعلى هذا القياس أوضاع جميع الناس من أرباب الصنائع وجلاب البضائع وأهل المدن والقرى وذوي البيع والشرا والوهد والذرا وأولي الوضاعة والشرف من أنواع المكتسبات والحرف الى أن ينزلوا في المراتب ويتدرجوا من اليفاع الى الحضيض في المناصب ويتعاونوا في المناصب والمناقب ويصل قدرهم ونظارهم في ذلك الى كل ذي فعل سيئ حالك كأرباب العظائم وأصحاب الذنوب والجرائم فينظر المعتوب حاله بالنسبة الى المضروب والمشتوم حاله بالقياس الى حال المكلوم والصحيح بالنسبة الى حال الجريح ويلاحظ مضروب العصا حال المسلوخ بالمقارع ومضروب المقارع أحوال المقطوع الاكارع وكذلك المقطوع بالنسبة الى مصلوب الجذوع والمصاب بالمال بالنسبة الى مصاب البدن والاعرج بالنسبة الى المقعد الزمن وكذلك العوران بالنظر الى مصاب العميان وليتأمل الناظر ما قاله في ذلك الشاعر

سمعت أعمى مرة قائلاً * ياقوم ما أصعب فقد البصر
أجابه أعور من خلفه * عندي من ذلك نصف الخبر

ولكن هذه القواعد مستمرة العوائد بين الصادر والوارد ليعلم ان مصائب قوم عند قوم فوائد فاستمرت هذه القوانين مستعملة غير منسية ولا مهمله من زمان ذلك السلطان الى هذا الزمان وانظر أيها الفضيل الى معنى ماقيل في هذا القبيل وهو

على كل حال ينبغي الشكر للفتى * فكم من شرور وعن سرور ونجات
وكم نقمة عند القياس بغيرها * ترى نعمة فاشكر لدى كل نقمة

(وانما) أوردت هذه الامثال وأطلت النفس في بيان هذه الاحوال لتأخذ منها حظك وتكررها فانها أودعته حفظك وتجري بها بالليل والنهار الفظك حتى تصلح لمنادمة الملك ولا يعلق بذيل مكانتك من الحساد مرتبك وترضى بأي مقام أقامك فيه وتعلم أنه أعلى مقام ترتضيه حيث هو لك يرتضيه وتجعل

ينبغى لذى الرأى مع ذلك أن يظن أن الموتور الحقود ناس ماوتر به ولا مصروف عنه فكره فيه وذو الرأى يتخوف المكر والخديعة والحيل ويعلم ان كثيراً من العدو لا يستطاع بالشدة والمكابرة حتى يصاد بالرفق والملاينة كما يصاد الفيل الوحشي بالفيل الداجن قال الملك ان العاقل الكريم لا يترك الفه ولا يقطع اخوانه ولا يضيع الحفاظ وان هو خاف على نفسه حتى ان هذا الخلق يكون في أوضع الدواب منزلة فقد علمت ان اللاعبين يلعبون بالكلاب ثم يذبحونها ويأكلونها ويرى الكلب الذي قد ألفهم ذلك فلا يدعوه الى مفارقتهم ولا يمنعه من ألفته اياهم قال فنزة ان الاحقاد مخوفة حيثما كانت فأخوفها وأشدها ما كان في أنفس الملوك فان الملوك يدينون بالانتقام ويرون الدرك والطلب بالوتر مكرمة وفخراً وان العاقل لا يغتر بسكون الحقد اذا سكن فانما مثل الحقد في القلب اذا لم يجد محركاً كمثل الجمر المكنون ما لم يجد حطباً فليس ينفك الحقد متطلعاً الى العلل كما يبتغي النار الحطب فاذا وجد علة استعر استعار النار فلا يطفئه حسن كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرع ولا مصانعة ولا شيء دون تلف الانفس مع انه رب واتر يطمع في مراجعة الموتور بما يرجو ان يقدر عليه من النفع له والدفع عنه ولكني أنا أضعف عن ان أقدر على شيء يذهب به ما في نفسك ولو كانت نفسك منطوية لي على ما تقول

موردإحسانك ومقعد جنانك فى طلبك رضاه ما كنت أنشدتك اياه من قديم الزمان وأنا عليه الآن وهو

وأعلى مقاماتى وأسنى وظائفى * وأحسن أسمائى الذى أنت ترضاه

فقال الذكر ما أحسن عقد هذه الدرر لقد أفصحت اذ نصحت وزينت بما بينت فجزاك الله خيرا وكفاك ضيرا فحقيق على أن أقتدى بآثارك وأهتدى بأنوارك فما أرجح ميزانك وأغزر حسنك واحسانك لقد جمعت بين فصاحة النقل ورجاحة العقل ومزجت روح الحصافة ببدن الظرافه وجلوت صورة النصيحة فى خلعة اللطافه ثم انهما توكلا على العزيز الوهاب وقصدا حضرة ملك الطير العقاب فواصلا السير بالسرى واستبدلا السهر بالكرى ولم يزالا فى سير مجد وطلب مكد بين الادلاج والدلجة مقارنين حتى وصلا الى جبل قارن وكان عند العقاب أحد المقربين من الحجاب يؤيؤ بقى الجوجو نقى البؤبؤ أحسن منظرا من اللؤلؤ صورته مسعوده وسيرته محموده وهو بين أولئك الطير مشكور الاحوال مشهور الخير وفيه من المعرفة والدين والعقل الرصين والرأى المتين ما يصلح أن يكون به مقتدى السلاطين وعنده من الوقوف على دقاق الامور ما فاق به الجمهور وساد به على سائر الطيور وكان صيته قد اشتهر حتى ملأ البدو والحضر فترك النجدى بنت السعدى فى مكان وقصد اليؤيؤ ليعرض عليه ماله من شان فوصل الى جنابه وأتى بيت مقصده من بابه حتى دخل عليه وقبل يديه وتمثل لديه فتوجه اليؤيؤ اليه وأشار بتقريبه منه وأزال دواعى الوحشة عنه وأقبل عليه بكليته وزاد فى اكرامه وتحيته وسأله عن محتده وجرثومه وما سبب تجشمه فى قدومه ومن أين حل ركابه وما قصده وطلابه فانشده بديها ولم يقل ايها مفصحا معلنا مستعينا مضمنا

لقد قص ريشى الدهر عن كل مطلب * وألهمنى سعدى بانك رائش

ففى سمرى مد كهجرك مفرط * وفى قصتى طول كصدك فاحش

ثم قال اعلم أيها الرئيس المحتشم النفيس ان مولدى فى جبل من جبال أذربيجان فى مكان يضاهى الجنان ويباهى روضة رضوان أنزه من عنصر الشباب وأفكه من معاقرة الاتراب وأرفه من منادمة الاحباب على رقيق الشراب نشأت فيه مع قرينه جميلة أمينه فقضيت فيه غض العمر وزجيت فيه بعض الدهر قانعا بما تيسر من الرزق فارغا عما فى أيدى الخلق متمسكا بذيل العزله أعد الانفراد نعمة جزله مكررا درس ثلاثة تجم النفس القرينة الصالحة والجار المؤنس والكفاف من القوت ومما كنت أنشدت وفى مبدا أمرى أرشدت

وحسب الفتى قوت ونحل وزوجة * ليرتاح فى الدنيا ويكتسب الاخرى

وكنت من الدهر على هذا اقتصرت ومن لذيد العيش على القناعة اختصرت ولكن كان مأوانا ومصيفنا ومشتانا محل الحوادث وممر العوائث والعوابث ومعبر المصائب الصيد ومورد المواطئ عمرو وزيد فكنا كلما ولد لنا مولود وتجدد لنا بالبهجة والابتهاج عهود تحصل للعين قره وللروح مسره نقول هذا يبقى ذكرنا بعدنا ويحيى آثارنا عند حلول انا لحدنا فلم يكن أسرع من هجوم خاطف أو هبوب ريح نكبة عاصف يخطفه من بيننا ويجتذبه من قبلنا وبيننا فان سلم من تلك المكايد وتخلص من سهم المصائب والمصايد حطمته عساكر الملك المنصوره وملأت الاقطار الجنود الموفوره فلا يخلو منها مكان قدم الا وقد غص بمواطئ تلك الامم فتذهب منافرة العين وتدهك غلطا تحت الرجلين وهذا هو البلاء الطام والمصاب العام ولا بد منه فى كل عام فكأنه أيها النبيه النبيل فى شأننا قد قيل

أيا ابن آدم لا يغررك عافية * عليك شاملة فالعمر ممدود ما أنت الا كزرع عند خضرته

بكل شئ من الآفات مقصود * فان سلمت من الآفات أجمعها * فانت عند كمال الامر محصود

فضاق منا لهذا العطن فلم أر أوفق من مفارقة السكن والمهاجرة من الوطن فعرضت على القرينة هذه الحال وأشرت عليها بالارتحال وقلت انها المرء من حيث يوجد لا من حيث يولد فابت وكبت وشاقت فى

ماكان ذلك عنى مغنيا ولا أزال فى خوف ووحشة وسوء ظن ما اصطحبنا فليس الرأى بينى وبينك الا الفراق وأنا أقرأ عليك السلام قال الملك لقد علمت انه لا يستطيع أحد لاحد ضرا ولا نفعا وانه لا شئ من الاشياء صغير ولا كبير يصيب أحدا الا بقضاء وقدر معلوم وكما ان خلق ما يخلق وولادة ما ولد وبقاء ما يبقى ليس الى الخلائق منه شئ كذلك فناء ما يفنى وهلاك ما يهلك وليس لك فى الذى صنعت بابنى ذنب ولا لابنى فيما صنع بابنك ذنب انما كان ذلك كله قدرا مقدورا وكلانا له علة فلا نؤاخذ بما أتانا به القدر قال فنزة ان القدر لكما ذكرت لكن لا يمنع ذلك الحازم من توقى المخاوف والاحتراس من المكاره ولكنه يجمع تصديقا بالقدر وأخذا بالحزم والقوة وأنا أعلم انك تكلمنى بغير ما فى نفسك والامر بينى وبينك غير صغير لان ابنك قتل ابنى وأنا فقأت عين ابنك وأنت تريد أن تشتفى بقتلى وتختلنى عن نفسى والنفس تابى الموت وقد كان يقال الفاقة بلاء والحزن بلاء وقرب العدو بلاء وفراق الاحبة بلاء والسقم بلاء والهرم بلاء ورأس البلايا كلها الموت وليس أحد باعلم بما فى نفس الموجع الحزين ممن ذاق مثل مابه فانا بما فى نفسى عالم بما فى نفسك للمثل الذى عندى من ذلك ولا خير لى فى صحبتك فانك لن تتذكر صنيعى بابنك ولن أتذكر صنيع ابنك بابنى الا أحدث ذلك لقلوبنا تغييرا قال الملك لا خير فيمن لا يستطيع الاعراض عما فى نفسه

ذلك ونيف فلازلنا نتحاور ونتشاور ويرمى كل منا سهم رأيه اذ يساور حتى لانت أخلاقها الصعبه بعد أن ثلث مافى الجعبه ثم أعطت القوس باريها وسلمت الدار بانيها وأدركت من ملامح مقاصدى معانيها وسمحت بالانتقال من تلك البلاد وسلمت الى يد تدبيرى زمام الانقياد فرحلنا من شقة بعيده وقاسينا شدة شديده وقصدنا هذا الحرم اذ رأيناه مشتملا على اللطف والكرم وقطعنا شباك مصايد وخلصنا من اشراك كل صائد وفطمنا أنفسنا عن حبات الطمع وتجرعنا من كاسات الجزع وأقداح الفزع جرعا بعد جرع فوصلنا بحمد الله الى جنابك الامين وبشرنا مبشر الاقبال أنك لكل خير ضمين فحمدنا عند صباح الفلاح السرى وأنشدنا لسان السعد مبشرا

وجدت من الدنيا كريما نؤمه * لدفع ملم أو لنيل جزيل

وان لم يكن بيننا سابقة خدمه لكن تعارف أرواحنا قدمه مع ان كرم ذاتك الجليله وما جبلت عليه من صفات نبيله يغنى قاصد صدقاتك عن واسطة ووسيله ووالله انى لواثق بان ظنى بوفاء مكارمك صادق فاسأل احسانك ياذا الخير ايصالى الى خدمة ملك الطير وان كانت رفعة مكانه فى العيوق ودون الوصول اليه بيض الانوق لكن بواسطة الوسيله يحصل هذا الشرف والفضيلة ولازالت الرؤساء والاكابر يأخذون بيد الضعفاء والاصاغر ولرأيك العلو والشرف والسمو والعف والحنو فاهتز اليؤيؤ لهذا الكلام وارتاح وظهر فى وجهه تباشير المسرة والارتياح وأنشد

قدمت بانواع المسرة والهنا * على خير منزول وأيمن طائر

فاهلا وسهلا ثم أهلا ومرحبا * وبشرى ويسرى بالعلى والبشائر

اعلم أن قدومك قدوم صدق ومرافقتك سبب الرفق ورؤيتك فتح باب الفتوح ورؤيتك غذاء القلب وراحة الروح أبشر بكل ماتؤمل وتختار فقد ذهب العثار وجاء الامن واليسار أصبت مرامك وزينت مقامك وآنست منزلك وأوتيت مأملك فطيب خاطرك وبشر أهلك وعشائرك وأخبر غائبك وحاضرك ولقد قادك الرأى السديد والامر الرشيد والفال السعيد حتى أويت الى ركن شديد وملك كريم خلقه عظيم وفضله جسيم وجوده عميم ونظيره عديم رؤف برعيته رحيم لايخيب آمله ولا يريب سائله ولايقطع واصله ولايمنع حاصله لقد أنبتت مساعيك أزهار الامن والامان وتفتحت لورودك فى رياض سعد الزمان نواظر نرجس النعمة وشقائق فضل النعمان فاعلم أن هذا الملك ذو جناب منيع وقدر رفيع وبيان معانيه بديع عزيز المنال جامع لصفتى الجمال والجلال قد اختار العزلة فى رؤس الجبال فلذلك طبعه لايخلو من جساوه وقلبه من قساوه وان غذاءه من اللحوم ومن الحيوانات مشروبه والمطعوم مخاليبه كالاسل ويلجأ الى الله تعالى اذا انسر منقاره ونسل وحقيقة أمره ان كنت عنه تسل

ممقر مر على أعدائه * وعلى الادنين حلو كالعسل

فاذا التجأ اليه فقير أو آوى اليه ضعيف أو كسير أو قصده محتاج أو سلك الى باب مرضاته منهاج فلا يمكن ألطف منه ولا أشفق ولا أقرب من عطفه على مؤمليه ولا أرفق فهو كما قيل * بيض قطا يحضنه أجدل * وسبب ذلك أن ضميره المنير خال من المكر طاهر من التزوير لايعرف ختلا ولاخديعه ولاخيانة ولاوضيعه ولا كذبا ولاقطيعه ولافى خاطره فساد ولاعنده سوء اعتقاد ولايعرف غير الحق ولايقول الا الصدق وذلك لبعده عن مخالطة الناس وعزلته عن كل ذى وسواس وخناس فلقد اتفق العالم أن صحبة بنى آدم سم قاتل وهم باقل فان دأبهم المكر والتلبيس والخداع والتدليس وحسبك قول شاعرهم فى كشف ضمائرهم وشرح حقيقة سرائرهم

صن من الناس جانبا * كى يظنوك راهبا قلب الناس كيف شئـ * ـت تجدهم عقاربا

ولقد أرشد من أنشد

بنو آدم ان رمت من خيرهم جنى * فاحلى الذى تجنيه من وصلهم صبر
مكارمهم مكرور ؤيتهم ريا * وودهمو موذو جبرهم كسر

ويشاه ويهمله حتى لايذكر منه شيأ ولايكون له فى نفسه موقع قال فنزة ان الرجل الذى فى باطن قدمه قرحة ان هو حرص على المشى لابد انه لايزال يشتكى قرحته والرجل الارمد العين اذا استقبل بها الريح تعرض لان تزداد رمدا وكذلك الواتر اذا دنا من الموتور فقد عرض نفسه للهلاك ولاينبغى لصاحب الدنيا الا توقى المهالك والمتالف وتقدير الامور وقلة الاتكال على الحول والقوة وقلة الاغترار عن لايامن فانه من اتكل على قوته فحمله ذلك على ان يسلك الطريق المخوف فقد سعى فى حتف نفسه ومن لايقدر لطاقته طعامه وشرابه وحمل نفسه مالا تطيق ولاتحمل فقد قتل نفسه ومن لم يقدر لقمته وعظمها فوق مايسع فوه فربما غص بها فمات ومن اغتر بكلام عدوه وانخدع له وضيع الحزم فهو أعدى لنفسه من عدوه وليس لاحد النظر فى القدر الذى لايدرى ماياتيه منه ولاما يصرفه عنه ولكن عليه العمل بالحزم والاخذ بالقوة ومحاسبة نفسه فى ذلك والعاقل لايثق باحد مااستطاع ولايقيم على خوف وهو يجد عنه مذهبا وأنا كثير المذاهب وأرجو أن لا أذهب وجها الا أصبت فيه مايغنينى فان خلالا خمسا من تزودهن كفينه فى كل وجه وآنسنه فى كل غربة وقربن له البعيد وأكسبنه المعاش والاخوان أولهن كف الاذى والثانية حسن الادب والثالثة مجانبة الريب والرابعة كرم الخلق فان

فان كان فيهم صالح أفسدوه والى سبل الضلال أرشدوه والكلام فى هذا المقام لايبلغ التمام فيكتفى بالقليل عن الجليل وشمس النهار لايحتاج فى وجودها الى دليل فانهض الآن فقد آن التوجه الى خدمة السلطان فما كل زمان يحصل هذا الامكان فان الاجتماع به كل وقت مشكل فتوكل على الله باحسن متوكل فاذا دخلت عليه وتمثلت بين يديه فاعرف كيف تقف وانظر ياذا الكمال ماذا يناسب الحال ويقتضيه المقام من فعل وكلام فاسلك طريقته وراع مخارجه وحقيقته وادخل معه من ذلك الباب ومثلك لايدل على صواب فما أسرع اللطف وأقرب العنف من حركات الملوك والكبراء وأبعد الرفق وأشد الخرق من ملكات السلاطين والخلفاء وأقصى مدانيهم اذا غضبوا وأوحش مؤانسهم اذا غضبوا وأقرب مباعدهم اذا عطفوا وأعجب منادهم اذا لطفوا ويكفيك ياذا العقل المتين ماقيل فى شان الملوك والسلاطين

ان الملوك بلاء أينما حلوا * فلا يكن لك فى أكنافهم ظل
ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
وان مدحتهم ظنوك تخدعهم * واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على أبوابهم ذل

وقال سيد الانام طرا لاتجاور ملكا أو بحرا فان رضوا رفعوك فوق الافلاك وان غضبوا والعياذ بالله فهو الهلاك وناهيك من تقلبات الملوك ياذا الارشاد فى السلوك أطفأ الله غضبهم عنك قضية صدرت من تيمورلنك فسأل فحل الجمل الوزير الاجل بيان ذلك المثل الصادر من الاعرج الاشل (فقال) الدستور مما حكى عن تيمور من وقائع الامور وشدة عزمه وحزمه وثباته على مايقصده وجزمه وحلول نقمته بمن يعارضه ويعاكسه فيما يرسم به ويناقضه انه لما توجه بالجنود الى بلاد الهنود وذلك فى سنة ثمانمائة وصل بجيوشه الطاغيه الى قلعة شاهقه اقراط الدرارى بآذان مرامها عالقه والرجوم المارقه من النجوم الخارقه تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقه كان بهرام فى مهواه أحد سواطيرها وكيوان فى مسراه خادم نواطيرها والشمس فى استوائها غرة جبينها وقطرات السحاب فى الانسكاب تترشح من قعر معينها وشقة الشفق الحمراء على آذان مرامها وأنوف أبدانها سرادق وكريات النجوم فى القبة الخضراء العيون مكاحلها وأفواه مدافعها طابات وبنادق وكان الثريا فى انتصابها قنديل معلق على بابها لايحوم طائر الوهم عليها فانى يصل طائش السهم اليها ولا يتعلق بخدم خدمتها خلخال خيال وافتكار فضلا عن أن يحاق على معصم عصمتها من عساكر الاساورة سوار وفيها من الهنود طائفه ثابتة الجنان غير خائفه جهزت أهلها وماتخاف عليه الى الاماكن المحرزه وتبتت هى فى القلعة حافظة لها مع أنها شرذمة قليله وطائفة ذليله لاخير عندهم ولامير ولافائدة سوى الضرر والضير ولا للقتال عليها سبيل ولانحوها تبييت ولامقيل بل هى مطلة على المقاتله مستمكنة على المقاتله فأبى تيمور أن يجاوزها دون أن يجاورها بالحصار ويناجزها واللبيب العاقل لايترك وراءه لخصمه معاقل فجعلت المقاتلة تناوشها من بعيد ويصب كل من أهلها عليهم من أسباب المنايا مايريد كما يريد وكان كل يوم يقتل من عسكره مالايحصى والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصا وهو يأبى الرحيل عنها الا أن يصل الى غرضه منها ففى بعض أيام المحاصرة مطروا وبواسطة المطر انحصروا وصار يحثهم على القتال ثم ركب لينظر ماذا يصنعون فى تلك الحال فلم يرتض أفعالهم لما عكست أوحالهم أحوالهم فدعا رؤس الامراء وزعماء العساكر والكبراء وأخذ عرق أديم عصمتهم بشفار شتمه وبشق ستر حرمتهم بمخاليب لعنه وذمه ونفخ الشيطان فى خيشومه وألهب فيه نار غضبه وشومه وقال يالئام وأكلة الحرام تتقلبون فى نعمائى وتتوانون عن أعدائى جعل الله نعمتى عليكم وبالا وألبسكم بكفرانها خيبة ونكالا يا نابذى الذمم وكافرى النعم وساقطى الهمم ومستوجبى النقم ألم تطؤا أعناق الملوك بأقدام اقدامى ألم تطيروا

والخامسة النيل فى العمل واذا خاف الانسان على نفسه شيأ طابت نفسه عن المال والاهل والولد والوطن فانه يرجو الخلف من ذلك كله ولا يرجو عن النفس خلفا وشر المال مالا انفاق منه وشر الازواج التى لاتوانى بعلها وشر الولد العاصى العاق لوالديه وشر الاخوان الخاذل لاخيه عند النكبات والشدائد وشر الملوك الذى يخافه البرىء ولا يواظب على حفظ أهل مملكته وشر البلاد بلاد لاخصب فيها ولا أمن وانه لاأمن لى عندك أيها الملك ولا طمأنينة لى فى جوارك ثم ودع الملك وطار فهذا مثل ذوى الاوتار الذين لاينبغى لبعضهم أن يثق ببعض انقضى باب ابن الملك والطائر

(باب الاسد والشعهر الناسك وهو ابن آوى)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل الملك الذى يراجع من أصابته منه عقوبة من غير جرم أو جفوة من غير ذنب قال الفيلسوف ان الملك لو لم يراجع من أصابته منه جفوة عن ذنب أو عن غير ذنب ظلم أو لم يظلم لاضر ذلك بالامور ولكن الملك حقيق أن ينظر فى حال من ابتلى بذلك ويخبر ماعنده من المنافع فان كان ممن يوثق به فى رأيه وأمانته فان الملك حقيق بالحرص على مراجعته فان الملك لايستطاع ضبطه الا مع ذوى الرأى وهم الوزراء والاعوان ولا ينتفع بالوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة ولا مودة ولا نصيحة الا لذوى الرأى والعفاف وأعمال

الى الآفاق بأجنحة احسانى واكرامى ألم تفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صولتى أما سرحتم فى منتزهات الاقاليم سوائم تحكمكم بترعية دولتى بى ملكتم مشارق الارض ومغاربها وأذبتم جامدها وأجدتم ذائبها

أم ألك نارا يصطليها عدوكم * وحرزا لما ألجئتم من ورائيا
و باسط خيرى فيكم بيمينيا * وقابض شرعنكم بشماليا

ولازال يهجهم و يغمغم و يهذرم و يبرطم وهم معارقون لايحيرون جوابا ولايملكون منه خطابا ثم ازداد حنقا وكادان يموت خنقا فاخترط السيف بيده اليسرى وهمز به على قمم أولئك الاسرى وهم أن يجعل رقابهم قرابه و يسقى من دمائهم غل فرنده وذبابه وهم على تلك الحال فى الخزى والاذلال باذلو أنفسهم نا كسو رؤسهم ثم تراجع وتماسك وملك نفسه قليلا أوتمالك فاغمد عن تشريقهم حسامه ولم يلق لامره دبرة ولاقبلة أمامه فغلف غربه وشامه ثم نزل عن مركبه واستدعى على الشطرنج الكبير ليلعب به وكان عنده ممن فاق جنده شخص يدعى محمد قاوجين ذومكان مكين ومقام أمين مقدم على كل الوزراء مبجل دون سائر الامراء وافر الطول مقبول القول مسعود الرأى ميمون الفصل مرغوب الفضل محبوب الشكل فيشفع الوزراء اليه وترامو افى حل هذا الاشكال عليه وقالوا ساعدنا ولو بلفظه وراقبنا ولو بلحظه واعمل معنا بهذا المعنى وهو

ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

فأجابهم والتزم أن يرده عما تازم به وازم وراقب مجال المقال وراعى فرص المجال وشرعت أفكار تيمور تغور فى أمر القلعة وتفور وجعل يستضوى اضواءهم و يستورى آراءهم ولايسمع كلا منهم الاالقبول لما يستصو به رأيه ويقول ففى بعض الاحايين اتفق ان قال محمد قاوجين وقد زل به القضاء وأحاطت به نوازل البلاء أطال الله بقاء مولانا الامير وفتح بمفاتيح آرائه ورايانه حصن كل أمر عسير هب انا فتحنا هذه القلعه بعد ان أصيب منا جانب من أهل النجدة والمنعه هل يفى هذا بذا أم هل يوازن هذا النفع بهذا الاذى فما احتفل بخطابه ولااشتغل بجوابه بل استدعى شخصا من البرقدار به قبيح المنظر الا أنه فى هيئة ذريه يدعى هراملك اذا عرف سهك ووجه فى السواد حلك أوسخ من فى المطبخ واسنخ من فى المسلخ لعاب الكلب طهور عند عرقه وعصارة القير حليب بالنسبة الى مرقه فعقد ما حضر لديه ووقع نظره عليه أمر بثياب محمد قاوجين فنزعت وبخلقان هراملك فخلعت ثم ألبس كلا ثياب صاحبه وشد وسطه بحياصته وكعادوا بن محمد ومباشريه وضابطى ناطقه وصامته وكاتبيه ثم نظر ماله من ناطق وصامت ونام وجامد وملك وعقار وأهل وديار وحشم وخدم من عرب وعجم وأوقاف وأقطاع وبساتين وضياع وخول واتباع وخيل وجمال واحمال واثقال حتى زوجاته وسراريه وعبيده وجواريه فانعم بذلك كله على ذلك الوسخ وأمسى نهار وجود محمد قاوجين الزنج وهو من ليل تلك النعمة منسلخ ثم قال تيمور وهو كالغمور يمور اقسم بالله وآياته وذاته وصفاته ووحيه وكلماته وأرضه وسمواته وكل نبى ومعجزاته وولى وكراماته وبرأس نفسه وحياته لئن آكل محمد قاوجين أحدا أوشاربه أوماشاه أوصاحبه أوكلمه أوصافاه أوأوى اليه أوآواه أوراجعنى فى أمره أوشفع عندى فيه أوفاه بعذره لاجعلنه مثله ولاصيرنه مثله ثم طرده وأخرجه وقد سلبه نعمته وأحرجه فسار مسلوب النعم قد حلت به فى لحظة نوائب النقم فصبوه بالولق ورأى نعمته على أقل الخلق واتصل غيره بالخلق وقطع منه الخلق فغلقت حبة قلبه أشد فلق ولم يزل على ذلك فى عيش مر وعمر حالك وحاشا أن تشبه قضيته قصة كعب بن مالك فكان يستحلى مرارة الموت ويستبطى اشارة الفوت وكل لحظة من هذا الحيف أشد عليه من ألف ضربة بالسيف فلما هلك تيمور أحياه ورد عليه خليل سلطان ما كان سلبه جده اياه (وانما أوردت) هذه السيره يا زكى السريره لتقيس على هذا المثل نظيره وتعرف اخلاق الملوك ومعاملاتهم الغنى والصعلوك وان نظرهم نضار واعراضهم بوار ودمار ومن أراد أن يطلع

السلطان كثيرة والذين يحتاج اليهم من العمال والاعوان كثيرون ومن يجمع منهم ماذكرت من النصيحة والعفاف قليل والمثل

فى ذلك مثل الاسد وابن آوى قال الملك وكيف كان ذلك قال الفيلسوف زعموا ان ابن آوى كان يسكن فى بعض الدحال وكان متزهدا متعففا مع بنات آوى وذئاب وثعالب ولم يكن يصنع ما يصنعن ولايغير كما يغرن ولايهريق دما ولا يأكل لحما فخاصمته تلك السباع وقلن لانرضى بسيرتك ولارأيك الذى أنت عليه من تزهدك مع ان تزهدك لايغنى عنك شيأ وأنت لاتستطيع ان تكون الا كاحدنا تسعى معنا وتفعل فعلنا فما الذى كفك عن الدماء وعن أكل اللحم قال ابن آوى ان صحبتى اياكن لاتؤثمنى اذا لم أوثم نفسى لان الآثام ليست من قبل الاماكن والاصحاب ولكنها من قبل القلوب والاعمال ولو كان صاحب المكان الصالح يكون عمله فيه صالحا وصاحب المكان السيء يكون عمله فيه سيأ كان حينئذ من قتل الناسك فى محرابه لم يأثم ومن استحياه فى معركة القتال اثم وانى انما صحبتكن بنفسى ولم أصحبكن بقلبى وأعمالى لانى أعرف ثمرة الاعمال فلزمت حالى وثبت ابن آوى على حاله تلك واشتهر بالنسك والتزهد حتى بلغ ذلك أسدا كان بتلك الناحية فرغب فيه لما بلغه عنه من العفاف والنزاهة والزهد والامانة فارسل اليه يستدعيه فلما حضر كلمه وآنسه ثم دعاه بعد أيام الى صحبته

على

على سر القضاء والقدر فليراقب شفتي الملك اذا نهى وأمر وقال من أحسن المقال

قرب الملوك يا أخا القدر السمى * حظ جزيل بين شدقى ضيغم

واعلم يا أبا الفضائل ان هذا الملك له شمائل وصفات وفضائل يستدل بظاهرها على باطنها ويتوصل بظهور باديها على حركات كامنها فاياك أن تغفل عن مراقبتها وتهمل حال عاقبتها بل اجعل شواهدها نصب عينك لتقرب من حياتك وتبعد عن حينك منها اذا رأيته رجع من الاصطياد ظافرا منه بالمراد وقد اقتنصه وحصله وملأ منه الحوصله وسكنت منه بواعث الشره التى هى منبع لواعج الطيش والسفه ومنها اذا رأيته جلس فى مجالس السرور وبسط لجهة الكرم جناح النشاط والحبور وضم عن مطامع الحرص القوادم والخوافى وطلب من رؤساء المملكة الانيس المصافى ومن ندماء الحضرة الجليس الصافى ومن مطربى الاطيار البلبل والهزار ومن رقص بدفوف الازهار وصفق من ذى عود وطار فاستمع لهذا وباسط ذاك وطفق جلساؤه ما بين منصت وحاك فان هذه الاوقات لما فيها من علامات هى الانبساط وأيام الفرح والنشاط فاعمل فيها ما بدا لك وأطنب مقالك وكرر جوابك وسؤالك فانك فى كعبة الامن فاستلمها وقد هبت رياحك فاغتنمها والعب بابطيك وصفق بجناحيك واهدر فى نقنقتك واصدح فى بقبقتك فان الوقت لك لا عليك والسعد الطالع ناظر اليك ومنها اذا رأيته جالسا صامتا أو الى الارض باهتا أو محمرة عيونه أو مضطربا سكونه أو أفعاله على غير استواء أو أقواله دائرة مع الهواء فاياك والدخول عليه والمثول بين يديه فانه اذ ذاك يجعل ديار جسدك بلاقع ولو انك النسر الطائر فتصير فى مخاليبه النعش واقع وعلى كل حال فليكن عندك لكل مقام من هذه المقامات مقال وان كان السكوت أصلح فاغلق باب الكلام قطعا ولا تفتح فكثيرا ما تخلص الساكت من البلاء وأفلح وناهيك النصيح بقوله الفصيح وهو

وراقب مقام القول فى كل مجلس * خصوصا مقامات الملوك الاكابر

فكم من بليغ فوق ذروة منبر * رمته أفاعى النطق تحت المقابر

قال المفلح النجدى للمرشد المجدى جزى الله مولانا عن صدقاته أوفر صلاته وواصله بعوائد اكرامه فى عشيته وغداته فما أشمل احسانه وحسناته وأسعد حركاته وسكناته وأوفر شفقته على قاصدى عتباته طالب أنت دليله كيف لا يفتح الى الخير سبيله ويرجع الى حصول المقام مبيته ومقيله ثم ان البوبؤ الشفوق تركهم وطار الى العيوق ثم رجع على الفور ووجهه يرف كالنور فدعا اليعقوب وتوجه وهو معه مصحوب وأخذا فى السير الى خدمة ملك الطير وفرعا فى جبل يسامى فى المثل قبة الفلك أو مركز الملك يستمد السحاب من ماء واديه وتسبح سماك السماء فى بحر ناديه يعرق جبين الوهم من صعود عقباته ويقصر ساعد الفكر فى سلم الهواء عن الترقى الى أدنى درجاته ويسترنج راقى الخيال فى عدة مواضع عند قصده فروع هضباته فهو كما قيل

وطود تلوح الشمس من تحت ذيله * اذا هى فى كبد السماء استقرت

فلا زالا يسيران وفى الجو يطيران البوبؤ امام قائد الزمام والحجل وراءه ينشد هذا الكلام

لكل امام اسوة يقتدى به * وأنت لاهل المكرمات امام

فوصلا من تلك المدارج الى أعلى المعارج وانتقلا فى تلك المسالك عن دركات المهالك وانتهيا الى أوج رأيا ملكة النيران جارية فى حضيضه ودرر الدرارى راكدة فى قعر مغيضه يشتمل على مروج ورياض ومراع وغياض وبحار وحياض تنادى خيراتها سكان الربع المسكون انصبابها عليهم وفى السماء رزقكم وما توعدون رياض تلونت ومروج بازاهيرها تحسنت وأرض قال لها صانع القدرة اذا تمكنت تكونى كأخلاق الكرام فتكونت وأخذت زخرفها من رضوان خازن الجنان وازينت فوجدا دار سلطنة العقاب بعد مقاساة عقاب العقاب كما قيل

وقال له تعلم ان أعمالى كثير وأعوانى جم غفير وأنا مع ذلك الى الاعوان محتاج وقد بلغنى عنك عفاف فازددت فيك رغبة وأنا موليك من عملى جسيما ورافعك الى منزلة شريفة وجاعلك من خاصتى قال ابن آوى ان الملوك احقاء باختيار الاعوان فيما يهتمون به من أعمالهم وأمورهم وهم أحرى ان لا يكرهوا على ذلك أحدا فان المكره لا يستطيع المبالغة فى العمل وانى لعمل السلطان كاره وليس لى به تجربة ولا بالسلطان رفق وأنت ملك السباع وعندك من أجناس الوحوش عدد كثير فيهم أهل نبل وقوة ولهم على العمل حرص وعندهم به وبالسلطان رفق فان استعملتهم أغنوا عنك واغتبطوا لانفسهم بما أصابهم من ذلك قال الاسد دع عنك هذا فانى غير معفيك عن العمل قال ابن آوى انما يستطيع خدمة السلطان رجلان لست بواحد منهما اما فاجر مصانع ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته واما مغفل لا يحسده أحد فمن أراد أن يخدم السلطان بالصدق والعفاف فلا يخلط ذلك بمصانعته وحينئذ قل أن يسلم على ذلك لانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد اما الصديق فينافسه فى منزلته ويبغى عليه فيها ويعاديه لاجلها واما عدو السلطان فيضطغن عليه لنصحته لسلطانه واغنائه عنه فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان فقد تعرض للهلاك قال الاسد لا يكونن بغى أصحابى عليك وحسدهم اياك مما

مكانا فيه سلطان الطيور * تصدر بالسرور على السرير * أطاف به صنوف الطير طرا
عكوفا بالحضور وبالحبور * لكل في مباشرة مقام * يقوم به جليل أو حقير

قد اكتنفته الميمنة والميسره وأحدقت به المقدمة والمؤخره كل واقف في مقامه شاهينه مع كركيه وبازيه مع حمامه فالانيس صاحب الظرف والكيس حامل القبر كالاوزان يترنم في مقابلة الايوان ويمدح ملك الاطيار والامراء والحضار والكبراء والنظار وينشدهم جليل الاوصاف ورقيق الاشعار فمما أنشده الاوزان من مناقب السلطان ووجه الخطاب الى العقاب قوله

مقامك أعلى أن يقوم بوصفه * بيان بليغ أو لسان فصيح
أجلتك عنقا مغرب فاختفت فما * تلوح لطرف في البلاد طموح

والنسر الطائر المقدم على العساكر قد أظله بالجناح وليس عليه في طلبة سيادة الطير جناح رافع اللواء صاف في جو السماء رئيس الدير حامل القبة والطير كما قيل

ونسر تفر الطير من قرب ظله * وفي ظله للسعد مأوى ومنزل

والسنقر في ثوبه القهري وخلقه النمري أمير سلاح الجوارح ورأس عساكر السوانح والبوارح كما قيل

هو السنقر العالي بهمته التي * تعالت على أيدي الملوك بهايده

والشاهين الدوادار عليه لمصالح المملكة المدار قد تصدى لقضاء الحوائج لكل داخل وخارج ينظر في الولاية والعزل ويتعاطى الامور بالجد لا بالهزل فيقضي المآرب ويوصل المطالب الى الطالب كما قيل

طويل العنق رحب الصدر ضخم * له في آل قسطنطين ضبط
تغشى من سواد العين ثوبا * عليه من دم الاحشاء نقط

والكركي الراطن بالتركي يتجلى في ثوبه المسكي كاتب الاسرار وصاحب الاخبار لسان المملكه ومحور الفلكه مستخدم السيف والقلم وفي الفضائل والفواضل نار على علم كما قيل

وكركي يحيد الصقر عنه * لهيبة بطشه وشديد بأسه

والتم المشهور ناظر الجيش المنصور صدر الديوان وقاضي الجند والاعوان كما قيل

وتم تم دست الطير منه * كقاض زان أرباب الكتاب
عليه من المهابة ثوب مجد * كوجه الطائعين لدى الحساب

والطاوس كازهى عروس في أنفر ملبوس مقدم على الخواص كالناظر الخاص ناشر مروحة الارتياح يتجلى بجمال هيئته الفائق على الوجوه الملاح كما قيل

ثوبه قد سار فيه * كل صباغ عليم واسان الحسن نادى * صبغة الله الحكيم
فيروق العين منه * فوق أوصاف الكليم

والبازي الامير الكبير صاحب الرأي والتدبير أمير الميمنه قد رتب صفه وزينه كما قيل

وباز أشهب عيناه جمر * يفيء وفي جناحيه النجاح

والصقر الشهم السابق في الطيران الوهم أمير الميسره قد فاق بشهامته عسكره كما قيل

وصقران يلج في القفر ظبي * أتيح له من الجو انصبابا أقام يغاب عن شهم سهم * ونسر عن قوى الناب نابا

والباشق الجاووش ورأس نوبة العساكر والجيوش كما قيل

نظر الى الباشق في صيده * ينقض كالسهم من الراشق
يقفو حماما مثل معشوقة * اتبعها الحب حشا العاشق

والببغاء تتجلى في الحلة الخضراء وتنثر من الخاتم الياقوت درر الثناء وتخبر بعجائب الهند وتسرد غرائب رغائب السند كما قيل

تسمت درة لكن كساها * حكيم الصنع ثوبا من زبرجد

يعرض في نفسك فانت مني وأنا أكفيك ذلك وأبلغ بك من درجات الكرامة والاحسان على قدر همتك قال ابن آوى ان كان الملك يريد الاحسان الى فليدعني في هذه البرية أعيش آمنا قليل الهم راضيا بعيشي من الماء والحشيش فاني قد علمت ان صاحب السلطان يصل اليه من الاذى والخوف في ساعة واحدة ما لا يصل الى غيره في طول عمره وان قليلا من العيش في أمن وطمأنينة خير من كثير من العيش في خوف ونصب قال الاسد قد سمعت مقالتك فلا تخف شيأ مما أراك تخاف منه ولست أجد بدا من الاستعانة بك في أمري قال ابن آوى اما اذ أبى الملك الا ذلك فليجعل لي عهدا ان بغى على أحد من أصحابه عنده ممن هو فوقي مخافة على منزلته أو ممن هو دوني لينازعني في منزلتي فذكر عند الملك منهم ذكر بلسانه أو على لسان غيره ما يريد به تحميل الملك على ان لا يعجل في أمري وان يتثبت فيما رفع اليه ويذكر عنده من ذلك ويفحص ثم ليصنع ما بدا له فاذا وثقت منه بذلك أعنته بنفسي فيما يحب وعملت له فيما أولاني بنصيحة واجتهاد وحرصت على ان لا أجعل له على نفسي سبيلا قال الاسد ذلك على وزيادة ثم ولاه خزائنه واختص به دون أصحابه وزاد في كرامته فلما رأى أصحاب الاسد ذلك غاظهم وساءهم فاجمعوا كيدهم واتفقوا كلهم على ان يحملوا عليه الاسد وكان الاسد قد استطاب

ومن

لحما فغزل منه مقداراً وأمره بالاحتفاظ به وان يرفعه فى أحسن موضع طعامه وأحرزه ليعاد عليه فأخذوه من موضعه وحملوه

ومن لها بعنقار عقيق * وخاط شعارها من عين عسجد

والهدهد لابس التاج ينهى الى موقع الدراج أخبار المساره والاحوال السارة كما قيل

وهدهد ألبس ثوب البها * فعم اذ خص بصدق النبا

أغرب اذ شرق فى حسنه * ففاق أهل التاج حتى سبا

والحمام مقدم البريديه يتردد فى مواقف العبوديه والعصافير كالمماليك الاجلاب فى الكتاب يدرسون العلم والآداب والبلبل والهزار ومطوقات الاطيار وساجعات الاشجار مسبحات الواحد القهار يتناشدون الاشعار ويرددون نغمات الاوتار ومطربات رنات الاوطار وضروب ضروب الموسيقاه من حنك المنقار والشحرور والزرزور وذوات الهديل من الطيور حتى جناح الزنبور تغرد فتخجل العود والطنبور وزواجر الطير تبشر بالفرح والخير وأنواع الجوارح فى الحافات والطير فى الجو صافات كل يفدى الملك ويقدم جسده وروحه ويسبح من آتاه الملك كل قد علم صلاته وتسبيحه فتقدم اليؤيؤ الى الحضره والملك فى أبهى نضره وقبل مواطئ سلطانه ووقف من مقام خدمته فى مكانه وقال شخص عارف بطرائق السلوك يليق لخدمة الملوك واقف بالباب يروم تقبيل الاعتاب يطلب اذن الملك المستور والانعام بأذن الحضور ليشمله النظر الشريف ويحظى بحظ ورتق وريف هل يرجع كالمصروف عن خدمته أو يدخل كالدولة والاقبال فعطف بالقبول وأذن له بالدخول وسمح بالمثول فتوجه اليؤيؤ على عجل الى الجل فدخل وهو من الحياء متأثر وفى ذيل الدهشة والهيبة متعثر وعليه غلالة سابوريه وخلعة نيسابوريه مشتملا بشملة كافوريه كانه شيخ الصوفيه فلما وقع نظره على العقاب قوى جاشه ورفع الحجاب وحل عقدة لسانه من لكنة الخطاب ثم قبل الارض ووقف وأنشد بديهاً وما وقف

ولو أن دقفوراً وكسرى وتبعا * رأوك لخروا بين أيديك سجدا

وما أن وفوا حقا عليهم وانما * على قدر ما فى الوسع مد الفتى يدا

فابتدر اليؤيؤ بلفظ يخجل اللؤلؤ للجعل يريد ازالة الدهشة والخجل وطيب المقام ببسط الكلام أيها الغريب الاديب النجيب رأيناك روحاً لخصا وعقلا مشخصا صحبتك مرغوبه ومنادمتك مطلوبه لقد حللت محل الامن والامانى وعقدة لسعد والتهانى فدع دهشتك وذر وحشتك وأفصح بكلامك عن كالك وعن مقامك بمقالك فعباراتك عقيلة العقل وواسطة عقود النقل فان كان عندك نصيحة تصلح للملوك أو وصية ترشد أهل السلوك يبين العدل بنورها طرائقه ويزين العقل بمجازها حقائقه وتستقيم بها الامور ويستفيد منها الجمهور أو نوع رفع مظلمة أو حط مأثمة أو كشف بلوى أو بث شكوى أو حاجة فى نفسك وما قاسيته فى يومك وأمسك أو لطيفة تنشرح بها الصدور وتبسط بايرادها الحضور فهذا وقت تشنيف المسامع بجواهرها ونثر درره على بادى الحاضرين وحاضرها فان المحل قابل وعنق الاصغاء الى أطواق لطائفك مائل ومجال الحلم الذالك واسع ومجال الكرم داسع وفاعل الصنيعة صانع وكف اللطف معط لا مانع فقال الجل بعد أن زال الخجل وحال الوجل وحال الزجل من غير ريث ولا عجل الحمد لله الذى آسى جراحنا وأحيا بعد التلف أرواحنا قد كان بيداء الحيرة والهلاك وظلماء الضر والخوف فى انهماك ومرت علينا سنون ونحن فى الخسار والغبون ونار الاشتياق تضطرم وبواعث تقبيل الاعتاب الشريفة السلطانية فى الفؤاد تزدحم اذ قد انتشر جناح عدلها ونجاح ظلها وسماح وابلها وطلها وكرر كل لسان بحامد فضلها واشتهر لكل حيوان ما آثر نبالها فهى أمان كل مخوف وملجأ كل ملهوف لكن كانت العوادى تقرع تلك الدواعى وغواشى الحوادث تعترض دون المساعى تارة باكتناف المخاوف وطوراً باحتفاف الخواطف وحينا بضعف المبانى وآونة بعدم المعاون والمعانى والآن بالملك الزمان بحمد الله المنان أزحنا المهالك والمهاوى واسترحنا من ضرب المسالك والمساوى اذ قد طرنا بجناح النجاح من جنح الجناح وصرنا الى محل السماح

الى بيت ابن آوى ونفسوه فيه ولا علم له به ثم حضروا يكذبونه ان جرت فى ذلك حال فلما كان من الغد دعا الاسد بغذائه فقد ذلك اللحم فالتمسه ولم يجده وابن آوى لم يشعر بما صنع فى حقه من المكيدة فحضر الذين عملوا المكيدة وقعدوا فى المجلس ثم ان الملك سأل عن اللحم وشدد فيه وفى المسئلة عنه فنظر بعضهم الى بعض فقال أحدهم قول الخبير الناصح انه لابد لنا من ان نخبر الملك بما يضره وينفعه وان شق ذلك على من يشق عليه وانه بلغنى ان ابن آوى هو الذى ذهب باللحم الى منزله قال الآخر لا أراه يفعل هذا ولكن انظروا وافحصوا فان معرفة الخلائق شديدة فقال الآخر لعمرى ما تكاد السرائر أن تعرف وأظنكم ان فحصتم عن هذا وجدتم اللحم ببيت ابن آوى وكل شئ يذكر من عيوبه وخيانته نحن أحق ان نصدقه قال الآخر لئن وجدنا هذا حقا فليست بالخيانة فقط ولكن مع الخيانة كفر النعمة والجراءة على الملك قال الآخر أنتم أهل العدل والفضل لا أستطيع ان أكذبكم ولكن سيبين هذا لو أرسل الملك الى بيته من يفتشه قال آخر ان كان الملك مفتشا منزله فليعجل فان عيونه وجواسيسه مبثوثة بكل مكان ولم يزالوا فى هذا الكلام

والرباح فزالت العلل وانسد الخلل وحللنا في عقوة منيفه وسدة شريفه فامنا شرك المكايد وشرر
المصايد وتوسدنا مهاد الدعه واستظللنا جناح الامن والسعه وانه قد قيل عدل السلطان خير من خصب
الزمان وقيل الملك العادل والامام الفاضل كالاب الشفيق والوالد الرفيق يعامل بالسويه ويحفظ
الرعيه ويحرسها من برد الماء وحر النار كما يحرس الوالد الولد من هبوب الهواء وشم الغبار وقلت

نزلنا في ذرى ملك كريم * برانا مثل أولاد الكرام * أضل نوائب الايام عنا

فلم ترنا ولا في الاحتلام * ولا مطر السماء يصيب منا * كأن مقامنا فوق الغمام

فقال الملك أهلا وسهلا وناقة ورحلا طب قلبا وانفسا واهنأ عيني وحسا لقد حللت بساحة الاستراحة
وباحة للامن مباحه وقاحة ليس لصائدبها وقاحه ولا لجارحة جارح بها جراحه وقد حصلت من جواسر
الكواسر ومناسر النواسر ونزلت بوادي الخير ونادي ملك الطير فاكرمت صدر منزلك ونلت غاية
أملك فاذهب بسلام وأت بعيالك من خادم وغلام وأهل وثقل وفرس وجمل واثاث وقماش ومعاش
ورياش وتخير مكانا تختار وجارا حسن الجوار فقال أيها الملك السعيد أنا شخص فريد فقير غريب
فقير لا ابريق لي ولا حصير وقلت

أنا لولا الحيا وخوف العار * لم أكن في الانام الاعارى

من رآني فقد رآني وبيتي * ودثاري ومركبي وشعاري

غير أن لي قرينه مثلي فقيرة مسكينه صابرة على السراء والضراء قضينا معا ماضي الصباح والمساء لم
يترك عقيل الحوادث لنا دارا ولا يد العوابث عقالا ولا عقارا ولا مخالب العوائث جارا ولا جوارا ولا ناب
الكوارث ولدا ولا قرارا والويل كل الويل لمن كان مستقره في طوارق الليل ومن حوادث الدهر على
طريق السيل وقد طال الكلام في كيت وكيت وقضايا ذيت وذيت الى أن لم يبق في البيت سوى البيت
ولما بلغ سيل العرم الزبى وحزام الهم الطبي وما حال من يرى أفلاذ كبده تتقطع ويشاهد كل وقت قرة
عينه بمخاليب الجوارح تتبضع ولا يد للمدافعة تمتد ولا نهضة للممانعة تشتد فينشد

كفى حزنا أني أرى من أحبه * رهين الردى يرنو الى بطرفه

أود بمالي لو يفدى ومهجتي * ولكن يد التقدير غالت بحتفه

ولما تكرر ضر أيوب وتضاعف حزن يعقوب تركنا تلك الديار بالاضطرار وعلى أبوابك الشريفة وقع
الاختيار فرصدنا للتحويل أيمن الساعات واخترنا للرحيل أحسن الاوقات ثم صممنا العزمة ونادانا
هاتف السعد أسرع اندي جذيه فقطعنا المهامه والقفار وسرينا الليل والنهار فكم رغنا من أبي
الحصين ولقينا ما لاقى الحسين بكربلاء من الكرب والبلاء وكم لجأنا من بني زغار الى كهف وأجم وغار
واحترزنا من قنافذ وأفعوان ذي سم نافذ ونفرنا من حبات أشراك وحدنا عن أوهاك شباك واخترنا
الجوع وعدم الهجوع على الحب المبذور لاصطياد الطيور كل ذلك في المسالك والسعد قائدنا والفلاح
رائدنا واليمن دليلنا وظلال أمنك ظليلنا وفي تهاني سعدك مبيتنا وكنف فضلك مقيلنا حتى حللنا بدار
الامان ونزلنا بحرم مولانا السلطان فنادانا فضل خالق الورى لا تخافا انني معكما أسمع وأرى ألقيا عصا
التسيار وانزلا عند خير جار فتركت القرينه في منزلة حصينه وكل بلادك أمينه وأممت مقامك
الشريف وجنابك المنيف مقاما عظيما وجنابا كريما ومجلسا عاليا وبابا ساميا فتوخيت ثم
نوديت

هذا هو الملك الذي من بابه * يعطى المخوف أمانه لزمانه

عم الورى احسانه فكأنما * أرزاقهم كتبت على احسانه

ثم نهض اليعقوب من مكانه وقبل الارض بين يدي سلطانه وتوجه فائزا بامنيته حتى وصل الى حليلته
فاخبرها بما جرى بتخيير المشترى وكيف رأى اليؤيؤ والملك وصورة ما فعل به وسلك وكيف تلقى
مقدمه وأكرمه الملك بما أكرمه وقرر كيف كان خطابه وعلى أي صورة حسناء رد جوابه فسر

وأشباهه حتى وقع في نفس الاسد ذلك فامر بابن آوى ليحضر فقال له أين اللحم الذي أمرتك بالاحتفاظ به قال دفعته الى صاحب الطعام ليقربه الى الملك فدعا الاسد بصاحب الطعام وكان ممن شايع وبايع مع القوم على ابن آوى فقال ما دفع الي شيأ فارسل الاسد أمينا الى بيت ابن آوى ليفتشه فوجد فيه ذلك اللحم فاتى به الاسد فدنا من الاسد ذئب لم يكن تكلم في شيء من ذلك وكان يظهر انه من العدول الذين لا يتكلمون فيما لا يعلمون حتى يتبين لهم الحق فقال بعد ان اطلع الملك على خيانة ابن آوى فلا يعفون عنه فانه ان عفا عنه لم يطلع الملك بعدها على خيانة خائن ولا ذنب مذنب فامر الاسد بابن آوى ان يخرج ويحتفظ به فقال بعض جلساء الملك اني لاعجب من رأي الملك ومعرفته بالامور كيف يخفى عليه أمر هذا ولم يعرف خبه ومخادعته وأعجب من هذا اني أراه سيصفح عنه بعد الذي ظهر منه فارسل الاسد بعضهم رسولا الى ابن آوى يلتمس منه العذر فرجع اليه الرسول برسالة كاذبة اخترعها فغضب الاسد من ذلك وأمر بابن آوى ان يقتل فعلمت أم الاسد انه قد عجل في أمره فارسلت الى الذين أمروا بقتله ان يؤخروه ودخلت على ابنها فقالت يا بني باي ذنب أمرت بقتل ابن آوى فاخبرها بالامر فقالت يا بني عجلت وانما يسلم العاقل من الندامة بترك العجلة وبالتثبت والعجلة لا يزال صاحبها يجتني ثمرة الندامة بسبب ضعف الرأي

صدرها وانشرح وطارت بهذا الامر من الفرح ثم توجها الى حضرة السلطان وحصل لهما من الانعام والاحسان ما نسيا به الاوطان وسلكا بنفس مطمئنه فى خدمة الملك مع الجماعة وأهل السنه وخوطب اليعقوب من الملك اسكن أنت وزوجك الجنه فلما استقرت بهما الدار وتبدل انكسارهما بالانجبار أفيض عليهما من الصدقات والادرارات والنفقات ما لم يخطر ببالهما ولا دار على خيالهما وحصل لهما الامن والامان والسلامة والاطمئنان وانشرحت خواطرهما وابتهجت بالسكون سرائرهما واستمر النجدى ملازم الخدمه وتوفرت عند الملك واتباعه له الحرمه وسمعت كلمته وتزايدت حشمته ولم يزل صبيح الطالعه نجيح السعى والنجعه وضىء المنظر مقضى الوطر يرتع على بساط النشاط ويطير فى رياض الامن والانبساط مؤديا شرائط الخدمة على الوجه الاحسن قائما بواجب العبودية مهما أمكن الى أن تميز على سائر الخدم وتقدم على السابقين فى الخدمة وثبات القدم ناشر ألوية النصيحه ناثرا الاثنية الصريحه منادما باللطائف الصحيحه والنوادر المليحه بالعبارات الفصيحه والاشارات الرجيحه حافظا زمام الاحتشام مراعيا مقامات الكلام على مر الايام وكر الشهور والاعوام * ثم ختم الكلام فى هذا المقام بأعظم ختام وهو حمد الله الملك العلام وشكره المستدعى لمزيد الانعام والصلاة والسلام على سيد الانام وآله وأصحابه السادة الكرام عليه وعليهم أفضل التحية والسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

* (الباب العاشر فى معاملة الاحباب والخادم والاعداء والاصحاب وبه تمت أبواب الكتاب) *

قال الشيخ أبو المحاسن الراوى عن الادب الاحاسن فلما أبان الحكيم عن هذا الفضل الجسيم وكشف نقاب البيان عن مخدرات هذا التبيان فتلألأ من وراء سجف ألفاظه وجوه معانيه الحسان عظم فى أعين الاعاظم وكبر لدى الاعراب والاعاجم ورفعه أخوه وعظمه ذووه فاضاء مناره وعلا مقداره وملأ الآفاق أنواره ووقع من الملك على الاعتماد عليه اختياره ثم استزاده من فيض هذا العيوب واستسقاه من خوض هذا الشؤبوب واستدعاه من أخبار العقاب واليعقوب ان كان ثم بقيه تجلو القلوب الصديه فامتثل الاشاره وحسن العباره وقال ثم ان أبا الخجاج دعا القبيح أبا الدجاج واختلى به دون أصحابه وقال له اعلم يا جليس الخير وأنيس الطير ورئيس الدير أنى تحملت من اليوبو المنة العظيمه والجيلة الجسيمه حيث أرشدك الى بابى ونظمك فى سلك أصحابى ولا جرم انه قام بما يجب عليه وعرف مقدار احسانى وميلى اليه وانه لاوثق أعوانى وأصدق خلانى وصاحب قديم ومخلص عديم النظير نديم وصديق كاف وناصح مصافى وانى لاتيمن بطلعته وأتبرك بمشاهدته واستنجح بآرائه واستصبح فى المهمات المظلمة بلامع ضيائه ولقد حصل منك على عضد معاضد وساعد مساعد وكهف وذخر وسند وظهر فاياك ان تترك ذيل مودته أو ترغب عن صحبته ومحبته وان تقتصر بإذا الوقوف فى صداقته على الوقوف فافضل المحبة وأكمل الموده ما تزايد على مر الدهور وترادف على كر العصور وثبت أصله وغزرت فروعه وفاض من سويداء القلب على مجارى الجوارح ينبوعه بحيث يقع الاتحاد ويمتزج بالصفاء الوداد فقد قيل لا تصح المحبة بين اثنين حتى يصيرا كالعينين حيثما نظرت احداهما نظرت الاخرى معها تابعة الاخرى بل يصيرا كالنفس الواحده لا كل واحدة على حده ولا كما تقول الملاحده بل يكمل لكل واحد بالآخر الهنا ويحصل له بوجوده السنا واذا خاطبه قال يا أنا ولا تعمل يا أكمل كما قيل

ملأت حشاشتى شوقا وحبا * فان ترم الزيادة هات قلبا

فان الفتاح عنده الفتوح وباب الفضل والزيادة مفتوح وكرم الله لا يضاهى وفضله كعلمه لا يتناهى وانظر يا فضيل وذا العلم العريض الطويل الى ما قيل وهو

أيها السائل عن قصتنا * أنا من أهوى ومن أهوى أنا

وليس أحد أحوج الى التؤدة والتثبت من الملوك فان المرأة بزوجها والولد بوالديه والمتعلم بالمعلم والجند بالقائد والناسك بالدين والعامة بالملوك والملوك بالتقوى والتقوى بالعقل والعقل بالتثبت والاناة ورأس الكل الحزم ورأس الحزم للملك معرفة أصحابه وانزالهم منازلهم على طبقاتهم واتهامه بعضهم على بعض فانه لو وجد بعضهم الى هلاك بعض سبيلا لفعل وقد جربت ابن آوى وبلوت رأيه وأمانته ومروأته ثم لم تزل مادحا له راضيا عنه وليس ينبغى للملك ان يستخونه بعد ارتضائه اياه وائتمانه له ومنذ تجيئه الى الآن لم يطلع له على خيانة الا على العفة والنصيحة وما كان من رأى الملك ان يعجل عليه لاجل طابق لحم وأنت أيها الملك حقيق ان تنظر فى حال ابن آوى وتعلم انه لم يكن يتعرض للحم استودعته اياه ولعل الملك ان فحص عن ذلك ظهر له أن ابن آوى له خصماء هم الذين ائتمروا بهذا الامر وهم الذين ذهبوا باللحم الى بيته فوضعوه فيه فان الحدأة اذا كان فى رجلها قطعة لحم اجتمع عليها سائر الطيور والكلب اذا كان معه عظم اجتمعت عليه الكلاب وابن آوى منذ كان الى اليوم نافعا وكان محتملا لكل ضرر فى جنب منفعة تصل اليك ولكل عناء يكون لك فيه راحة ولم يكن يطوى دونك سرا فبينما أم الاسد تقص عليه هذه المقالة اذ دخل على الاسد بعض ثقاته فاخبره ببراءة ابن آوى فقالت أم الاسد بعد ان

نحن روحان حللنا بدنا * من رآنا لم يفرق بيننا
نحن مذ كنا على عهد الهوى * تضرب الامثال للناس بنا
فاذا أبصرته أبصرتني * واذا أبصرتني أبصرتنا

وألطف من هذا وأرصن ماقاله القائل وأحسن وهو

أنا والمحبوب كنا في القدم * نقطة واحدة من غير مين * فبرانا الله اذ أظهرنا
مهجة واحدة في بدنين * فاذا ما الجسم أمسى فانيا * تلتقينا واحدا من غير بين

ولقد ذكرك عندي بانواع الفضل وبوفور التجارب والعقل وهذا يدل على نصحه وقوة دينه وصدقه في المحبة وحسن يقينه ولم يذكر غير الواقع ولا جازف فيما أنهاه الى المسامع بل قال قليلا من كثير وقطرة من غدير ولم يخبر بذلك غير خبير فاني أعرفك كما عرف ووقفت على فضائلك كما وقف ثم أنت عندي فوق ماوصف فاريد منك نصائح بالخير لوائح تتضمن فوائد وعوائد وفرائد تكون لنهم الحكمة موائد ولشهم الحكام قوائد ولنحور ألباب المعقول وأرباب المنقول قلائد ولضبط أساس الملك والدين قواعد وعقائد فتلقى مثاله بالامتثال وقبل الارض في مقام العبودية وقام وقال لتحط العلوم الشريفه والآراء العالية المنيفه أن صانع العالم تعالى وتعاظم بنى أمور المبدا والمعاد ومابينهما من معاش مستفاد على دليلين عظيمين جليلين أحدهما العقل الذي هو مناط التكليف وثانيهما قواعد الشرع الشريف فان أردت أن تكون سعيد الدارين فاستمسك باذيال هذين الدليلين أما العقل فهو الدليل القاطع على وجود الصانع وهو مستقل بالقطع غير محتاج الى السمع وكما هو مستقل بالدلالة على وجود ذاته كذلك هو مستقل بالدلالة على تحقيق صفاته ثم ورد بذلك الشرع فتأكدت في وجود الصانع دلالة العقل بالسمع وأما وحدانية الصانع فكل من العقل والنقل دليل عليها قاطع وقد تظافرا بالاستباق اليه وتظاهرا في الدلالة عليه بقول الكافر يوم المصير لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وبالعقل والسمع يستقيم أمر المبدا والمعاش وبالسمع فقط ميت المعاد عاش لان أمور المعاد من الشرع تستفاد والعقل في ذلك تابع سامع لاوامر الشرع طائع والمسموع في ذلك دليل قاطع وعلى كل تقدير أيها الملك الكبير فاجعل العقل وزيرا تجده لك في ظلمات المشكلات سراجا منيرا واتخذ النقل هاديا ونصيرا يكن بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وعامل الرعية بالعدل بعاملك الله بالفضل واعلم أن الدنيا في معرض الزوال وانه لابد عنها من الانتقال وان الله سبحانه وتعالى وجل سلطانه جلالا اقتضت حكمته وجرت بين عباده سنته أن يكون الانسان على خلاف مافطره الرحمن فانه خلقه للعباده وركب فيه عناده وأقامه للعمل وجبله على الكسل فامره بالصلاة وهو كسلان وبالصوم وهو شهوان وبالزكاة وحبب اليه المال وبالحج وكره اليه الانتقال وبالرضا وركز فيه الغضب وبالتسليم والصبر وخمره بالضجر والصخب وبالتواضع ووضع فيه التيه وبالتخلق باخلاق خالقه وفيه مافيه وحكم عليه بالموت وقد تحقق انه ليس له منه فوت وهو يكره عن الدنيا التحويل وأقل أقسامه انه يحب العمر الطويل وعلى هذا قد تعود أن يفعل في المكان المتزود أفعال المقيم المؤبد والدائم المخلد وبنى بناء من لا ينتقل وعن قليل يتركه ويرتحل لاسيما من تعلق بالدنيا اقابه وتشبث بالمال والولد والجاه والتحكم حبه وقد أخبر العزيز الوهاب في أصدق كتاب وأوثق خطاب فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب فالنفس مائلة الى الاقامه راغبة في دوام السلامه تحب طول العمر في الزمان وان أحوجت الثمانون السمع الى ترجمان وقد قيل

وأحسن ما كان الفتى في زمانه * مع السعد والجاه العظيم معمرا

لا يعودوا الى مثله فانه لا ينبغي للعاقل ان يراجع في أمر الكفور المحسن الجرىء على الغدر الزاهد في الخير الذي لا يوقن بالآخرة ولا ينبغي ان يجزي بعمله وقد عرفت سرعة الغضب وفرط الهفوة ومن سخط باليسير لم يبلغ رضاه بالكثير والاولى للملك ان تراجع ابن آوى وتعطف عليه ولا يؤيسنك من مناصحته ما فرط منك اليه من الاساءة فان من الناس من لا ينبغي تركه على حال من الاحوال وهو من عرف بالصلاح والكرم وحسن العهد والشكر والوفاء والمحبة للناس والسلامة من الحسد والبعد من الاذى والاحتمال للاخوان والاصحاب وان ثقلت عليه منهم المؤنة واما من ينبغي تركه فهو من عرف بالشراسة ولؤم العهد وقلة الشكر والوفاء والبعد من الرحمة والورع واتصف بالجحود لثواب الآخرة وعقابها وقد عرفت ابن آوى وجربته وأنت حقيق بمواصلته فدعا الاسد بابن آوى واعتذر اليه مما كان منه ووعده خيرا وقال اني معتذر اليك وراداك الى منزلتك فقال ابن آوى ان شر الاخلاء من التمس منفعة نفسه بضر أخيه ومن كان غير ناظر له كنظره لنفسه أو كان يريد ان يرضيه بغير الحق لاجل اتباع هواه وكثيرا ما يقع ذلك بين الاخلاء وقد كان من الملك الى

واشهى

وأشهى ماسمع الحاكم وألذما تلقاه من قول الناظم قوله

فلازالت بين الورى حاكما * بجاه عريض وعمر طويل

ولقد بلغنى ياملك الزمان ان الملك العادل أنوشروان كان بنى أساس ملكه على العدل وعامل رعيته بالاحسان والفضل ويكفيه من الفضائل وحسن الشمائل قول سيد الاواخر والاوائل ولدت فى زمن الملك العادل وقال الرحمن فى محكم القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقد قيل فى الاقاويل لاملك الا بالرجال ولارجال الا بالمال ولامال الا بالعمارة ولاعمارة الا بالعدل فلاملك الا بالعدل ومن أقوى الصفات العدليه عمارة بلاد الرعيه وبذل الجهد فى العماره ليكثر الربح وتقل الخساره فاذا عمرت البلاد وترمم الطريف والتلاد حصلت الاموال وكثرت الرجال وانتظمت الاحوال فقد بلغنى ياملك الزمان ان الملك أنوشروان كان مارافى سيرانه بين جنده وأعوانه فرأى شيخا كانه قوس قطان نثر على رأسه قزع أقطان وهو فى بعض البساتين يغرس نصب تين فتعجب من انحناء قامته و بياض هامته مع شدة حرصه وتعبه على نصب غرسه ونصبه فقال له ياذا التجارب ومن هو من شرك الفناء هارب الام ترتع فى ميادين الامل وقد تطوّقت باوهاق الاجل تبنى وأركان جسدك واهيه وتغرس وقوائم بدنك كاعجاز نخل خاويه ورد بيع شبابك قد استولى عليه خريف الهرم وصيف وجودك قد أدركه شتاء العدم ومحت نسيم طراوتك عواصف الذبول ومسحت قوى عبالتك بقواصف النحول وقد آن ان تغرس للآخره فانك قد صرت عنما ناخره فقال ياملك الزمان وعادل الاوان قد تسلمناها عامره فلا نسلمها غامره قد غرسوا أكلنا ونغرس ويأكلون وفى الحقيقة كلنا زارعون وغارسون

لقد غرسوا حتى أكلنا واننا * لنغرس حتى يأكل الناس بعدنا

وابعد فلاح عن الرشد والفلاح من يتسلم المعمور ويتركه وهو بور فاعجب أنوشروان وفور عقل الشيخ الفان وحسن خطابه وسرعة جوابه فقال زه يعنى أحسنت وهى كلمة تحسين ولفظة اعجاب وتزيين وكانت علامة للاحسان اذا تلفظ بها السلطان يعطى المقول فى حقه أربعة آلاف درهم لرفقه فاعطوا الشيخ الهم أربعة آلاف درهم فقال أيها السلطان ان الغراس يثمر بعد زمان وان غراسى لحسن طاعته أثمر من ساعته فقال زه فاعطوه أربعة آلاف أخرى ورفعوا منزلته قدرا فقال وأعجب من هاتين القضيتين ان الغراس يثمر مرة وأنا غراسى يثمر مرتين فقال زه فاعطوه القدر المعلوم وزادوه فى التكريم والتعظيم والتفخيم وقال له أنوشروان ان أمهلك الزمان حتى تأتينى بباكورة هذا البستان فانا أقطعك خراجه وأقضى مالك من حاجه فامهله الدهر وطال به العمر وأدرك ما نصبه ولم يخيب الله تعبه فحمل الى الملك الباكوره ووفى له الملك نذوره (وانما أوردت) هذا المثل ليعلم مولانا الملك الاجل ان الدنيا وان كانت ظلا زائلا وحائطا مائلا فهى مزرعة للآخره وان الآخرة هى الدار الفاخره وان الله تعالى وجل جلاله ولاك هذه المزرعه وعلق بالاوامر العلية مابها من مضرة ومنفعة وحكمك فى البلاد وملكك رقاب العباد فاياك أن تغفل عن عمارتها بالزراعه أوتسلم زمام تدبيرها الى يد الاضاعه فانك منقول منها ومسؤل عنها وان مصالح عساكرك بها منوطه وأحوال ملكك بالعساكر مربوطه فكلما تعمرت الضياع والقرى ترفهت الاجناد والامرا واستراحت الرعية واستمرت مناظم الملك مرعيه وتوفرت الخزائن واطمان الظاعن والساكن وقات المظالم وكفت أكف الظالم وملاك هذا كله العدل والاستوا ومجانبة الاغراض الفاسدة والهوى وهذا الذى يقتضيه مقامك ويتم به مرامك فان الملك انما هو ملك بالاجناد فلابد له من عمارة البلاد والنظر فى مصالح العباد لينتظم بنظره مصالح العالمين ويستقيم أمر العالم الى الحين الذى قدره أحكم الحاكمين فان سنة الله جرت على هذا السنن ومارآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن ولهذا قال سيد حكام الحيف أنانبى السيف والجهاد فرض عين على الملوك لا على الفقير والصعلوك فالملوك فى نوع من السياده تقتضى من المال ازدياده ليميموا من الاسلام عماده ويقتفوا من الشرع مراده

ماعلم فلا يغالطن على نفسه ما أخبره به انى به غير واثق وانه لا ينبغى لى ان أصحبه فان الملوك لا ينبغى لهم ان يصحبوا من عاقبوه أشد العقاب ولا ينبغى لهم ان يرفضوه أصلا فان ذا السلطان اذا عزل كان مستحقا للكرامة فى حالة ابعاده والاقصاء له فلم يلتفت الاسد الى كلامه ثم قال له انى قد بلوت طباعك وأخلاقك وجربت أمانتك ووفاءك وصدقك وعرفت كذب من تمحل الحيل لتحميلى عليك وانى منزلك من نفسى منزلة الاخيار الكرماء والكريم تنسيه الخلة الواحدة من الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة وقد عدنا الى الثقة بك فعد الى الثقة بنا فانه كائن لنا ولك بذلك غبطة وسرور فعاد ابن اوى الى ولاية ما كان يلى وضاعف له الملك الكرامة ولم تزده الايام الا تقربا من السلطان انقضى باب الاسد وابن آوى

(باب ايلاذ وبلاذ وايراخت)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى الاشياء التى يجب على الملك ان يلزم بها نفسه ويحفظ ملكه ويثبت سلطانه ويكون ذلك رأس أمره وملاكه أبالحلم أم بالمروأة أم بالشجاعة أم بالجود قال بيدبا ان أحق ما يحفظ به الملك ملكه الحلم وبه تثبت السلطنة والحلم رأس الامور وملاكها وأجود ما كان فى الملوك كالذى زعموا من انه كان ملك يدعى بلاذ وكان له وزير يدعى ايلاذ وكان متعبدا ناسكا فنام الملك ذات ليلة فرأى فى منامه ثمانية أحلام أفزعته فاستيقظ مرعوبا

فدعا بالبراهمة وهم النساك ليعبروا رؤياه فلما حضروا بين يديه قص عليهم ما رأى فقالوا بأجمعهم لقد رأى الملك عجبا فان أمهلتنا

ويقصموا الكفر وعناده ويبيدوا أهله وأولاده وينهبوا طرافه وتلاده ويوطئوا سنابك الايمان بلاده وواجب على كل حاكم أن يبذل في ذلك اجتهاده ويجعل الجهاد الى الآخرة زاده وعتاده ويصون عن الكفر بلاد الاسلام وعباده الى يوم يأتي معاده فيجازيه الله الحسنى وزياده هذه طريقة الملوك ومن تبعهم في الاقتداء والسلوك وإياك أيها الملك العظيم وصاحب الملك الجسيم وأخذ المال من غير حله ووضعه في غير محله ولو كان موضع الخير وقصد به نفع الغير فانه لا يفي ذا بذا ولا يقوم نفعه بما فيه من أذى فذلك كانشاء المغارس وبنيان المدارس وتنوير المساجد وتعمير المعابد وسد الثغور وعمارة القبور واقامة القناطر والجسور وعمل مصالح الجمهور واطعام الطعام وكفالة الايتام والحج الى بيت الله الحرام واعطاء السائل واغناء الارامل وصرف النفقات واخراج الزكوات والصدقات ومثله والوبيل كما قيل

بنى مسجدا لله من غير حله * فصار بحمد الله غير موفق
كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

قال من لم يخف عليه اخفاؤها لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ثم أخبر بخبر ما يصدر عنكم فقال ولكن يناله التقوى منكم فان طلب من هذا أجر فهو خسران وكفر لانه في صورة الاستهزاء وهل يطلب بقبيح الحرام حسن الجزاء بل الواجب في هذا على كل من آذى رد المظالم وخلاص ذمة الظالم ورجع الحقوق الى أهلها وايصالها الى محلها أما رضى ظالم غوى وتحمل الحرام هوى أن يخلص سواء بسوا وشر الناس بإذا الباس من اتبع قضية اياس فسأل العقاب عن بيان هذا الخطاب (فقال) كان في الشام شخص من اللئام تصدى لفصل الاحكام ومشى من الظلم في ظلام وشرع في أخذ الاموال على سبيل التعدي والوبال فكان اذا أخذ من أحد ألفا ادخر لنفسه من ذلك نصفا وتصدق بالخمسمائة الاخرى على أولى الضرر والضرا كل واحد درهما وعد ذلك مغنما وقال هذه فائدة علينا بالربح عائده الحسنات خمسمائه والسيئة واحده وواحد يدعو علينا وخمسمائة يتوجهون بالثناء والدعاء الينا ثم قال ذلك الجاحد ولا تجزا الخمسمائة عن الواحد * هذا وان كان والعياذ بالله صرف ذلك الحرام في الفسق والملاه ونيل الاغراض الفاسدة واقامة الجاه فهو أشد في النكال وأعظم في الوزر والوبال وهذا المقام يطول فيه الكلام وأقل ما في الباب ان الحلال حساب والحرام عقاب وقد سمعت يا جليل القدر ما نطق به السيد الصدر الذي أخجل نور طلعته الشمس والبدر سيد الانام ومصباح الظلام وحبيب الملك العلام عليه أفضل الصلاة والسلام يوما لاصحابه السادة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم وجعلنا في مستقر رحمته وإياهم أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وهذا اذا كانت هذه الطاعات من الصلاه والصوم والزكاه واقعة في محلها ومصارفها في حلها فانها لا تفيد الظالم الا في وفاء المظالم وأما اذا كانت من الحرام ومنشأ غراسها من مياه الآثام فهي وبال على وبال وثبور فوق نكال ووهن على كسر ونقصان فوق خسر (وقال أيضا) أفاض الله عليه سحائب صلواته فيضا لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء فاستعذ بالله يامولى الطير ومولى الخير من نار هذا الشرر أن تتفرق طاعتك شذر مذر وأعيذك ياسلطان الصافات وما اكتسبته من الطاعات والخيرات أن ينقل الى ديوان غيرك أو يفوز بخيرك سوى طيرك اللهم الا أن يكون ياذا الوقار والسكون على وجه ما قيل من أحسن المقال

ويكتسب الطاعات ذخرا لعلها * يجود بها يوم القيامة على العاصي

أو على وجه ما قيل وأحسن به من وجه جميل

يجود بما يرضى الجواد بمثله * من الوفر بل لو أمكنته شمائله

سبعة أيام جئناه بتأويله قال الملك قد أمهلتكم فخرجوا من عنده ثم اجتمعوا في منزل أحدهم وائتمروا بينهم وقالوا قد وجدتم علما واسعا تدركون به ثأركم وتنتقمون به من عدوكم وقد علمتم انه قتل منا بالامس اثني عشر ألفا وها هو قد أطلعنا على سره وسألنا تفسير رؤياه فهلموا نغلظ له القول ونخوفه حتى يحمله الفرق والجزع على ان يفعل الذي نريد ونأمره فنقول ادفع الينا أحباءك ومن يكرم عليك حتى نقتلهم فانا قد نظرنا في كتبنا فلم نر أن يدفع عنك ما رأيت لنفسك وما وقعت فيه من هذا الشر الا بقتل من نسمي لك فان قال الملك ومن تريدون ان نقتلوا سموهم لي قلنا نريد الملكة ايراخت ام جوير المحمودة أكرم نسائك عليك ونريد جوير أحب بنيك اليك وأفضلهم عندك ونريد ابن أخيك الكريم وايلاذ خليلك وصاحب أمرك ونريد كالا الكاتب صاحب سرك وسيفك الذي لا يوجد مثله والفيل الابيض الذي لا تلحقه الخيل والفرس الذي هو مركبك في القتال ونريد الفيلين الآخرين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذكر ونريد البختي السريع القوي ونريد كباريون الحكيم الفاضل العالم بالامور لننتقم منه بما فعل بنا ثم نقول له انما

لعادعلى المرضى بصحة جسمه * وجاد على الموتى بعمر بطاوله
ومن على النوكى بوافر عقله * وقسم في الحمقى من الرأى كامله
وثقل ميزان الخف بأجره * لدى الوزن لما آد بالوزر كاهله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ولاجل هذا الخطر العظيم والخطب الجسيم تورع عن الحلال الزاهدون وشمر عن التلوث بالدنيا ذيل الرغبة العابدون قال سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وقال عليه الصلاة والسلام والتحية والاكرام اللهم ارزق آل محمد قوتا ومع هذا كله فالملك والرعية أمانه ومن تقلد ذلك فقد أوجب على نفسه ضمانه فليجتنب خيانته ولا يشين بها أمانته قال صفوة الله تعالى وخيرته من بريته كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ومصداقه قول رب العالمين وملك الملوك والسلاطين وهو أصدق القائلين انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فاعلم يا ملكا اعطى الزمان أمانه ان هذا الملك الذى بيدك هو من جملة الامانه التى أشفق السموات والارض والجبال وأبين أن يحملنها خوفا من النكال والوبال وخشية أن لا يفين بحقوق حملها أو يضعنها فى غير محلها فيعاقبن أو بالعتاب يخاطبن فتعففن عن الرغبة فى الثواب خوفا من العتاب والعقاب وعملن بموجب ما قيل

هجرتك لا قلى منى ولكن * رأيت بقاء ودك فى الصدود
كهجر الحائمات الورد لما * رأت ان المنية فى الورود
تفيض نفوسها ظمأ وتخشى * حماما فهى تنظر من بعيد
تصد بوجه ذى البغضاء عنه * وترمقه بالحاظ الودود

ثم حمل هذه الامانة بنو آدم لما قدره وقضاه العلى الاعظم فى سابق القدم ولما فيها من أحكام وحكم وان الصادق المصدوق أخبر فيما روى عنه أبو ذر قال قلت يا رسول الله ألا تستعملنى قال فضرب بيده على منكبى ثم قال يا أباذر انك ضعيف وانها أمانه وانها يوم القيامة خزى وندامه الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها فمن جملتها الصلاة والصوم والزكاة والوضوء والاغتسال ومراقبة ذى الجلال فى السر والاعلان بقدر الطاقة والامكان وعلى هذا جميع الطاعات وأنواع العبادات هى فى رقاب العباد أمانات ومن أعظمها وأهمها وأحكمها الامرة والحكومه والتصدى لفصل الخصومه والسلطنة العليه وأمور الملك البهيه والقيام بأمور الرعيه فيجب على السادة الحكام ومالكى أزمة الانام ان يراقبوا الله تعالى فى كيفية أدائها ويطالبوا أنفسهم على ممر الانفاس بالقيام بوفائها ويراعوا أوامر سلطان السلاطين فى أمور عبيده المستضعفين خصوصا المظلوم والفقير والضعيف والمسكين فاذا عاملوا عباد الله بالعدل عاملهم الله عز وجل بالفضل قال الله المنان فى محكم القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقال السيد الكامل والسند الفاضل أشرف الاواخر والاوائل صلى الله عليه صلاة تفنى البواكر والاصائل سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل بدأ فى هذا الفصل من ذكر الصفات بالعدل والعدل بإذا الوجه الخير الوسط والوسط هو الخير قال من أمره فهو وسطا وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء أى للانبياء تشهدون لهم على أممهم لعدالة فيكم ويكون الرسول عليكم شهيدا أى يزكيكم أى وكما جعلنا نبيكم امام القبلتين حائز الفضيلتين جعلناكم حائزين خصلتين بالغين مرتبتين وهما كونكم عدولا شهداء على الناس للانبياء مقبولى الشهادة فى الاداء وكون الرسول معدلكم وبتزكيته على الامم مفضلكم وقال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ونخم وعظم عدل السلطان يوما يعدل عبادة سبعين سنة وقال عليه الصلاة والسلام والتحية والاكرام والذى نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى السماء مثل عمل جملة الرعيه وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه عليه السلام قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم وروى كثير بن مرة رضى الله عنه قال قال

ينبغى لك أيها الملك أن تقتل هؤلاء الذين سميناهم لك ثم تجعل دماءهم فى حوض تملؤه ثم تقعد فيه فاذا خرجت من الحوض اجتمعنا نحن معاشر البراهمة من الآفاق الاربعة نجول حولك فنرقيك ونتفل عليك ونمسح عنك الدم ونغسلك بالماء والدهن الطيب ثم تقوم الى منزلك البهى فيدفع الله بذلك البلاء الذى نتخوفه عليك فان صبرت أيها الملك وطابت نفسك عن أحبائك الذين ذكرنا لك وجعلتهم فداك تخلصت من البلاء واستقام لك ملكك وسلطانك واستخلفت من بعدهم من أحببت وان أنت لم تفعل تخوفنا عليك أن يغصب ملكك أو تهلك فان هو أطاعنا فيما نامره قتلناه أى قتلة شئنا فلما أجمعوا أمرهم على ما ائتمروا به رجعوا اليه فى اليوم السابع وقالوا له أيها الملك انا نظرنا فى كتبنا فى تفسير ما رأيت وفحصنا عن الرأى فيما بيننا فليكن لك أيها الملك الطاهر الصالح الكرامة ولسنا نقدر أن نعلمك بما رأينا الا أن تخلو بنا فاخرج الملك من كان عنده وخلا بهم فحدثوه بالذى ائتمروا به فقال لهم الموت خير لى من الحياة ان أنا قتلت هؤلاء الذين هم عديل نفسى وأنا ميت لا محالة والحياة قصيرة ولست كل الدهر ملكا وان الموت عندى وفراق الاحباء سواء فقال له البرهميون ان أنت لم تغضب أخبرناك فاذن لهم فقالوا أيها الملك انك لم تقل صوابا حين تجعل نفس غيرك أعز عندك من نفسك فاحتفظ

عليه الصلاة والسلام السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاثم وعلى الرعية الصبر وعن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه لعمل الامام العادل فى رعيته يوما أفضل من عبادة العابد فى أهله مائة سنة أو خمسين سنة وقال قيس بن سعد ستين سنة واعلم أيها الملك الأعظم واسلم ان العدل ميزان الله تعالى فى الارض به ينتصف بعض الرعية من البعض وبه يؤخذ للضعيف من القوى ويعبد الله على الصراط السوى ويميز الحق من الباطل والحالى من العاطل وهو من صفات الذات وأعظم الصفات بمعنى ان الله تعالى عز وجل جلالا له أن يفعل فى ملكه ما يشاء فيؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويحكم ما يريد والخلق كلهم له عبيد وجميعهم بعض ملكه نافذ فيهم سهم أمر ملكه فلا اعتراض على فعل المالك ولا فيما يسلك بمملوكه من المسالك ولا مجال لاعتراض عبده على ذلك لاسيما اذا كان مولاه كريما وفى أفعاله مدبرا حكيما فمن عرف ان الله عدل وان أفعاله جارية بين العدل والفضل يتلقى نقمه بالصبر ويقابل نعمه بالشكر ويطمئن خاطره وتسكن الى مولاه سرائره فلا يستقبح موجودا ولا يستحسن مفقودا ولا يستثقل حكما ولا يرى فى الكون ظلما بل يستقبل الاحكام بالرضا ويستسلم لموارد القضا ويقابل العوارض بما قاله ابن الفارض

وكل أذى فى الحب منك اذا بدا * جعلت له شكرى مكان شكيتى

وأعدل المخلوقات وأوسط الكائنات الانبياء عليهم السلام فانهم أعدل الخلق مزاجا وطبيعة وأقوم الناس منهاجا وشريعة وأوسط البشر أفعالا وأقسطهم أعمالا وأقوالا وانما يعترض على أقوالهم ويتعرض لافعالهم من هو عن الصواب منحرف وعن جادة الحق منصرف ومن عين بصيرته عمياء عن مراقبة التحقيق كالاعمى الذى خرج وهو ماش عن سواء الطريق فيعثر فى شوك أو حجر أو يصدمه حيوان أو شجر فيقول نحوا هذا عن الطريق فانه يحصل للمارة تعويق ويعيب على واضعه وانما العيب فى طبائعه والجهل منسوب اليه لعمى قلبه وعينيه كما قال ذو الخويصرة لسيد الرسل البررة لما قسم الغنيمة قسمة مستقيمة اعدل فأجابه الكامل المكمل بانه ان لم يعدل فمن يعدل وانه أى ذا الخويصرة الذى أعمى الله بصره خاب وخسر ولاقى اليوم العسر ان لم يعدل ذلك المفضل وكيف يقال هذا الكلام لمثله عليه الصلاة والسلام وقد أمره الله تعالى بالعدل ونشر سرهذا النقل واقر عينكم بقوله وأمرت لاعدل بينكم قال الاسد الغالب على بن أبى طالب كرم الله وجهه وجعل الى رضوانه له أحسن وجهه امام عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم وقيل الملك يدوم مع العدل ولو كان الملك كافرا ولا يدوم مع الظلم ولو كان الملك مسلما وما تعاطى حاكم ذو فضل فصل قضية فى فصل أحسن من سلوك طريقة العدل ولذا بقى اسم أنوشروان مخلدا بالعدل على مر الزمان والى يوم ينصب الميزان مع انه كان مجوسيا يعبد النيران والسنة التى اخترعها بالسلسلة التى وضعها باقية فى ممالك الصين معمول بها الى آخر حين وقيل انه كان شديد الوداد للاصطياد وكان يعشق البازى والزرق والصقر والباشق والبيدق فسأل يوما من البازدار لم كانت هذه الاطيار قصار الاعمار قال لانها تظلم الطيور والظالم عمره قصير فتنبه بهذه الكلمة واتعظ وكف يده عن الظلم واحتفظ ثم أسس قواعد العدل فانتشر ذكره الى يوم الفصل ويكفيه من الفضائل قول السيد الكامل ولدت فى زمن الملك العادل وروى أن بعض الملوك العادلين والحكام الفاضلين استولى عليه الكبر ووقر فى أذنه وقر وقر وكان قبل الصمم فى العدل والكرم كما قيل

وأنه مظلوم وغنة سائل * على أذنه أحلى من الشهد فى الفم

حزن لفقد سمعه وتأسف وتحرق وتلهف وتأرق وبكى وتأوه واشتكى وقال ما أتلهف من عدم سماع الحديث الاعلى فقدى صوت المستغيث ولا كنت أتلذذ من متكلم الا بالاصغاء الى خطاب المتظلم ثم

وكرمت بهم ولا تدع الامر العظيم وتاخذ بالضعيف فتهلك نفسك ايثارا لمن تحب واعلم أيها الملك ان الانسان انما يحب الحياة محبة لنفسه وانه لا يحب من أحب من الاحباب الا ليتمتع بهم فى حياته وانما قوام نفسك بعد الله تعالى بملكك وأنت لم تنل ملكك الا بالمشقة والعناء الكثير فى الشهور والسنين وليس ينبغى أن ترفضه ويهون عليك فاستمع كلامنا فانظر لنفسك مناها ودع ما سواها فانه لا خطر له فلما رأى الملك ان البرهميين قد أغلظوا له فى القول واستجرؤا عليه فى الكلام اشتد غمه وحزنه وقام من بين ظهرانيهم ودخل الى حجرته فخر على وجهه يبكى ويتقلب كما تتقلب السمكة اذا خرجت من الماء وجعل يقول فى نفسه ما أدرى أى الامرين أعظم فى نفسى الهلكة أم قتل أحبائى ولن أنال الفرح ما عشت وليس ملكى بباق على الى الابد ولست بالمصيب سؤلى فى ملكى وانى لزاهد فى الحياة اذا لم أر ايراخت وكيف أقدر على القيام بملكى اذا هلك وزيرى ايلاذ وكيف أضبط أمرى اذا هلك فيلى الابيض وفرسى الجواد وكيف أدعى ملكا وقد قتلت من أشار البراهمة بقتله وما أصنع بالدنيا بعدهم ثم ان الحديث فشا فى الارض بحزن الملك وهمه فلما رأى ايلاذ ما نال الملك من الهم والحزن

قال والئن حرمت ذلك من طريق الاخبار فلا تُوصلن اليه من طريق الابصار ثم أمر باشهار النداء في الاطراف والارجاء انه من كانت له ظلامه فليظهر له علامه وهي ان يلبس ثوبا أحمر و يقف فوق ذلك التل الاخضر لنعرف علامته ونكشف ظلامته وقيل ان السلطان السعيد نور الدين الشهيد لما أمر ببناء دار العدل وعزم أن يقيم فيها المحكومات الفصل أدرك الامير الكبير صاحب الرأي المنير أسد الدين شيركوه ما يعتمده السلطان و يرجوه وما يحمله على ذلك و يدعوه وعلم ان ذلك الاسد لا يسامح عنده أحد وانه لا يراعي في الحق أميرا ولا كبيرا ولا صغيرا فانه مع الحق و بالحق قائم لا تأخذه في الله لومة لائم فجمع مباشري دواوينه وأكد ما قاله لهم بأعوانه لئن شكا منهم أحد أو بلغه عن أحد من حاشيته ظلم أو نكد ليذيقنه أشد العذاب وليُنزلن به أنكى عقاب وقال ما برز هذا الامر العزيز الغالي ببناء هذا المقعد العام العالي الا لاجلي ولاجل أمثالي فاوسعهم الاطلاب الخصوم واسترضاء العادل والمظلوم (وروى) أن أحد الصدور غصبه بعض عمال المنصور وأخذ منه كفرا من الكفور فتوجه الى الخليفه وضرب له أمثالا طريفه وقال أصلح الله أمير المؤمنين وأقام به شعائر الدين ونصر به المظلومين على الظالمين أأذكر ظلامتي أولا أم أضرب امام حاجتي مثلا فقال دع الجدل واضرب المثل فقال ألهمك الله العدل وأقام بك قواعد الفضل ان الطفل اذا نابه ما يكرهه أو قرعه خطب يجبهه فر الى أمه وأجهش اليها من همه فاوى الى حضنها واندس تحت بطنها لانه لا يعرف سواها فيستكشف بها عن نفسه ما دهاها ولا يظن ان غيرها يدفع عن نفسه ضيرها فاذا عرف أباه بث اليه شكواه واستدفع به ما عراه لانه قد وقر في وهمه ان أباه أقوى من أمه وان غيره من الناس لا يقدر على دفع الباس فيلجأ اليه فيترامى في دفع شدائده عليه ولا يقبل عذره ان ترك نصره أو قصر في مبتغاه أو تهاون في متمناه ولهذا قال بدر الحي ان النساء والصبيان يظنون ان الرجل يقدر على كل شي فاذا اشتد واستوى وأصابه من أحد جوى تقدم الى الوالي لان مقامه عالي وهو أقوى من أبيه فيستكشف به ما وقع فيه فاذا صار رجلا وأصابه من أحد نكد و بلا استنجد بنائب السلطان فوجده له أحسن معوان فاشكاه ورفع بلواه وكفاه اذدعاه من عداه ما دهاه ورعاه عما عراه فانه أقوى من الوالي وأقدر على دفع الظلامة من كل منهمك غالي وهو السلطان الحاضر والعامل والناظر على البادي والحاضر فاذا ظلمه الوالي والعامل ونقصه حقه ذو الحكم الكامل تعلق باذيال عدل السلطان واستكشف بمراحم نصرته ما دهاه من عدوان اذ قد تحقق ورأى وصدق انه أقوى من الكل والى مرسومه مرجع الجل والقل ولا يد فوق يده وانه قد انتهى حديث رفعته لعلو سنده و بلغ في التسلط ونفوذ الامر الى أقصى أمده اذ هو ظل الله في أرضه وخليفته في اقامة نفله واحياء فرضه وقابض أزمة المخلوقين ومنصف المظلومين من الظالمين فاذا لم ينصفه السلطان مع القدرة الكاملة والامكان توجه بشكواه الى سلطان السلاطين وطلب رفع ظلامته من رب العالمين لعلمه انه الحكم الذي لا يجور والحكيم الذي بيده مقاليد الامور والحاكم الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وانه أقوى من السلطان ولا يحتاج في الشكوى الى بينة ولا بيان ولا الى دليل ولا برهان وقد نزلت بي حادثه للقلب كارثه و بالفكر عابثه وللسر عائثه وهي ان العامل الفلاني ظلمني وأخذ مكاني فانا أشكوه اليك وقد ترامیت عليك وعرضت قصتي بين يديك لانك نعم السند وليس فوقك أحد ولا في الحكام الامن هو لك بمنزلة الغلام وما بعدك الا الله مولى لا يخيب من رجاه و يجيب المضطر اذا دعاه فان وعيت قصتي وكشفت غصتي والا رفعتها الى الله وقطعت النظر عما سواه وهذا أوان الموسم واعمال المنسم وأنا متوجه الى حرمه ومترام على باب احسانه وكرمه فلما وعى المنصور خطابه أرسل من سحاب جفنه عبابه وقال حبا وكرامه يا ذا الزعامه بل أنصفك و بالفضل أسعفك وأضعف كرامتك وأكشف ظلامتك وأوصلك حقك وأعطيك مستحقك وأمر فكتب الى واليه بضع من معاليه و بأمره برد

فكر بحكمته ونظر وقال ما ينبغي لي أن أستقبل الملك فأسأله عن هذا الامر الذي قد ناله من غير أن يدعوني ثم انطلق الى ايراخت فقال اني منذ خدمت الملك الى الآن لم يعمل عملا الا بمشورتي ورأيي ولم أره يكتم عني أمرا الا أعلم ما هو ولا أراه يظهر منه شيأ واني رأيته خاليا مع جماعة البرهميين منذ ليال وقد احتجب عنا فيها وأنا خائف أن يكون قد أطلعهم على شيء من أسراره فلست آمنهم أن يشيروا عليه بما يضره و يدخل عليه منه السوء فقومي وادخلي عليه فاسأليه عن أمره وشأنه واخبريني بما هو عليه واعلميني فاني لست أقدر على الدخول عليه فلعل البرهميين قد زينوا له أمرا وحملوه على خطة قبيحة وقد علمت ان من خلق الملك انه اذا غضب لا يسأل أحدا وسواء عنده صغير الامور وكبيرها فقالت ايراخت انه كان بيني و بين الملك بعض العتاب فلست بداخلة عليه في هذه الحال فقال لها ايلاذ لا تحملي عليه الحقد في مثل هذا ولا يخطرن ذلك على بالك فليس يقدر على الدخول عليه أحد سواك وقد سمعته كثيرا يقول ما اشتد غمي ودخلت علي ايراخت الا سري ذلك عني فقومي اليه واصفحي عنه وكلميه بما تعلمين انه تطيب به نفسه ويذهب الذي يجده واعلميني بما يكون جوابه فانه لنا ولاهل المملكة أعظم الراحة فانطلقت ايراخت فدخلت على الملك فجلست عند رأسه فقالت ما الذي بك أيها الملك المحمود

أراضيه وطلب مراضيه والتخلل من ظلم أياديه واكرام محله ونادية وروى ان موسى الكليم عليه الصلاة والتسليم فى بعض مناجاته وسؤاله حاجاته سأل الله من فضله ان يريه نكتة من عدله فامره أن يتوجه الى مكان ويختفى فيه عن العيان فامتثل مابه أمر واختفى فى ذلك المكان على شط نهر فما كان باسرع من قدوم انسان الى ذلك المكان فبمجرد ماوصل اليه نزع من ملبوسه ماعليه وكان معه كيس فيه مال نفيس فاودعه ثيابه ورام فى الماء انسيابه فدخل فى ذلك النهر وغلغل فيه الى أن غاب عن النظر فاقبل فارس فوجد ثيابا بلا حارس فنزل عن الدابه وفتش ثيابه وأخذ كيس الذهب وركب فرسه وذهب وأسرع فى الذهاب الى ان زال شخصه وغاب ثم أقبل شخص ذو شيب وعلى ظهره حزمة حطب فانتهى الى الما وقد برح به الظما وأمضه التعب وأخذ منه النصب فطرح عن ظهره الحطب وقصد الراحه وقد ظهر الذى كان فى السباحه فوجد عند ثيابه شخصا من أترابه فاستأنس به وتاوه لمكتسبه وما يقاسيه من نصبه ثم اشتمل ملبوسه وتفقد كيسه فما وجده فعض يده فسأل الحطاب عما كان فى الثياب وطلب منه الكيس بالتعبيس فقال مارأيته ولاحويته فقال هل كان معك أحد فقال لا والواحد الاحد قال فهل كان هناك سواك قال لا والذى سواك قال ياأخى أنا وضعت الهميان بيدى فى هذا المكان ولم يطل على ذلك زمان ولاحضر سواك حيوان ولاطمث عذراء هذا الموضع انس ولاجان فلاأشك انك أخذته ولنفسك اقتلدته فاقسم بعالم الخفيات وكاشف البليات المطلع على الضمائر والنيات انه مارأى له هميانا ولايعرف لذلك مكانا فقال لو شهد لك الكون والمكان ونطق ببراءتك جوامد الزمان وزكاهم الكرام الكاتبون لماشككت انهم كاذبون لان انكار المحسوس مكابره والمثابرة على الباطل للحق مدابره ولكن خذ لك منه يافقير الثلث والثلث كثير واردد على الثلثين وان أبيت فاجعله بينى وبينك نصفين فمازاد ذلك على اليمين وماشك هذا أنه عين فقال اردد على مالى والاقتلتك ذلالك ولالى فقال مارأيت مالك فافعل مابدالك فشرع فى تفتيشه وبالغ فى فحصه وتنبيشه فلم يهتد الى شى سوى الضلال والغى فاخذه الحنق واشتد به الارق وثارت نفسه الابيه واتقدت ثورته الغضبية فضربه بعمد فقتله وجدله بالاهلاك فجدله ثم تركه وذهب ولم يحظ من الذهب بغير اللهب كل هذه الاحوال وموسى عليه السلام يشاهد مافيهما من أفعال وأقوال ثم ناجى فقال ياذا الجلال أنت عالم بحقائق الامور وسواء عندك البطون والظهور سألت فضلك ان تريني عدلك فاريتنى هذا المغرم وأنت أعلى وأعلم ففى ظاهر ماأريتنى وبكرامته غمرتنى من الشريعة المطهره ونص التوراة المحرره ان هذا الحكم جور وظلم فاطلعنى على الحقيقه وبين لى سلوك هذه الطريقه فقال الله تعالى وجل جلاله ياموسى المقتول قتل أبا القاتل والقاتل سرق الكيس من أبى الفارس الخاتل ففى الحقيقة الفارس النبيه وصل الى ماله المخلف عن أبيه والقاتل انما استوفى قوده ممن قتل والده وهذه الامور انما تتضح يوم النشور يوم تبلى السرائر وتكشف الضمائر وينادى يوم التناد لاظلم اليوم ان الله قد حكم بين العباد ونظير هذه القصه ماذكره الله تعالى وقصه فى روض كلامه النضر عن موسى والخضر عليهما السلام والتحية والاكرام اذ ركب السفينة وخرق خرقا يؤديا الى الغرق وقتل النفس الزاكية وأقام بغير أجر أركان الجدار الواهيه وبعض ذلك مخالف لظاهر الشريعه تنفر عنه النفس السليمة والطبيعه ولكنه موافق للحكمة الالهيه ومقتضيات العقل الحقيه الذى لايطلع عليه الاعالم الاسرار الخفيه ولهذا قال جل واحدا أحدا وتعالى فردا صمدا عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحدا ثم استثنى من هذا المقول الامن ارتضى من رسول وانما الشريعة الزاهره وردت بما تقتضى من الحكم الظاهره فتعبدنا الله فى الشرائع بظاهر ماثبت فى الوقائع (قيل) من أيقن بحقية أربعة كان من ضيق أربعة فى سعه وأمن ودعه من أيقن ان الصانع الضار النافع لم يخطئ ولم يغلط أمن من العيب والشطط ومن أيقن ان الخلاق ومقسم الارزاق لم يحف فى خلقه ولم يمل فى رزقه أمن من الحسد واستراح من النكد ومن أيقن

وما الذى سمعت من البراهمة فانى أراك محزونا فاعلمنى مابك فقد ينبغى لنا أن نحزن معك ونواسيك بانفسنا فقال الملك أيها المرأة لاتسأليني عن أمرى فتزيدينى غما وحزنا فانه أمر لاينبغى أن تسأليني عنه قالت أوقد نزلت عندك منزلة من يستحق هذا انما أحد الناس عقلا من اذا نزلت به النازلة كان لنفسه أشد ضبطا وأكثرهم استماعا من أهل النصح حتى ينجو من تلك النازلة بالحيلة والعقل والبحث والمشاورة فعظيم الذنب لايقنط من الرحمة ولاتدخلن عليك شيأ من الهم والحزن فانهما لايردان شيأ مقضيا الا انهما ينحلان الجسم ويشفيان العدو قال لها الملك لاتسأليني عن شئ فقد شققت على والذى تسأليني عنه لاخير فيه لان عاقبته هلاكى وهلاكك وهلاك كثير من أهل مملكتى ومن هو عديل نفسى وذلك ان البراهمة زعموا انه لابد من قتلك وقتل كثير من أهل مودتى ولاخير فى العيش بعدكم وهل أحد يسمع بهذا الا اعتراه الحزن فلما سمعت ذلك ايراخت جزعت ومنعها عقلها أن تظهر للملك جزعا فقالت أيها الملك لاتجزع فنحن لك الفداء ولك فى سواى ومثلى من الجوارى ماتقربه عينك ولكنى أطلب منك أيها الملك حاجة يحملنى على طلبها حبى لك وايثارى اياك وهى نصحى لك قال الملك وماهى قالت أطلب منك ان لاتثق بعدها باحد من البراهمة ولاتشاورهم فى أمر حتى تتثبت فى أمرك ثم تشاور فيه ثقاتك

بوقوع المقدور وأنه لا ينجيه منه محذور أمن من الغم ولم يتسلط عليه الهم كما قيل

ما قد قضي يا نفس فاصطبري له * ولك الامان من الذي لم يقدر

ومن عرف أصله أمن من الكبر نصله وكتب في قضيه الى أعدل خلفاء بني أميه من عامله بحمص أنه هدم الدمص وعدم النمص وان ربضها رابض ومرعى رياضها بارض وانها محتاجة الى عمارة وزراعه وحراسة ومناعه فكتب اليه عمر بن عبد العزيز هذا الجواب المفيد الوجيز وهو حصنها بالعدل ونق طرقها من الجدل يثبت البنا وينبت الكلا والسلام وقيل أمير بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا ورع كشجر بلا ثمر وشاب بلا توبة كمشكاة بلا مصباح وغني بلا سخاء كقفل بلا مفتاح وفقير بلا أدب كطابخ بلا حطب وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقاض جائر كملح على جرح وقيل العالم بستان سياجه الشريعة والشريعة سياج يخدمها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلها المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية أحرار يستعبدها العدل والعدل سلك به نظام العالم وليعلم أن الملة الاحديه والشريعة المحمديه هي أعدل الملل وأقوم النحل مثلا النصارى لا يتحامون الحائض أيام أقرائها ولا فرق بين الحائض وغيرها من نسائها واليهود يجتنبونها فلا يؤاكلونها ولا يشاربونها ولا يقربونها رأسا ويعدونها رجسا وركسا فسلكت الشريعة المحمدية في ذلك أعدل الطرق وأفضل المسالك فتعاشر كالاطهار وحرم قربان ما تحت الازار وفي بعض الملل على الذي قتل القود والقصاص وليس في الدية خلاص وفي بعض الديه لا غير وما القصاص فيها يسير ودين الاسلام المرفوع كل فيه مشروع والعدل في الاعتقاد يا ملك البلاد ترك التخليط وسلوك ما بين الافراط والتفريط والقول بالتقديس والتنزيه واثبات الصفات من غير تعطيل ولا تشبيه واقتباس النور من جرين وسلوك أمر بين أمرين والعدول عن المذهب البغيض وهو مذهب الجبر والتفويض والعدل في الفقهيات يا معشوق المخدرات والخذاريات الذي قام عليه النص دليلا ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فمن العدل الوضوء المعتاد ثلاث مرات ومن نقص أو زاد فقد تعدى وظلم كذا قال النبي المكرم صلى الله عليه وسلم أي تعدى ان أسرف وظلم ان أجحف والعدل في الصلاة أن تكون على مرتضى الشرع ومقتضاه وهي أداؤها في أفضل الاوقات مؤداة مع الجماعات في الصف الاول على الوجه الاكمل عن يمين الامام من الافتتاح الى الاختتام مع تعديل الاركان بل التعديل فرض عند بعض الاعيان لا نقرا كنقر الطير ولا تطويلا يضر بالغير والعدل في الزكاة أن لا يتيمموا الخبيث منه ينفقون ولا يجعلوا لله ما يكرهون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه ولا يكلف جابي المال أن يعدل كرائم الاموال والعدل في الصوم يا سيد القوم أن لا يتناول فوق الغذاء المعتاد ولا يصل بالوصال الى درجة الاجهاد ويعجل الفطور ويؤخر السحور والعدل في الحج أن لا يماري في الانفاق ولا يضار الرفاق بالشقاق كما يفعله أبناء الزمان فان ذلك خسران والازدياد من ذلك نقصان ولقد بلغك يا قمر ما قاله عمر لخادمه يرفا وذا لا يخفى كم بلغت نفقتنا مقدارا قال ثمانية عشر دينارا يا أمير المؤمنين قال ويلك اجحفنا بيت مال المسلمين واياك والاشر وقاك الله كل شر فقد بلغك قيمة راحلة سيد البشر ليدل ذلك على ترك البطر والاشر ولا يقصر في نفقته بحيث يصير كلا على رفقته وكذلك في كل الانفاق يا ملك الآفاق قال من عز كلاما وجل مقالا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والعدل في النكاح يا حبيب الصباح لمن عليه يقوى فهو أقرب للتقوى وهو يا أبا احسان واجب عند التوقان سنة عند القدرة عليه مستحب عند استواء طرفيه مكروه عند العجز عنه وهذا بحث قد فرغ منه وقس يا ذا الكرامات على هذا سائر العبادات وجميع العادات وعقود المعاملات ولا تتعدا الحدود في الحدود فان ذلك مردود وعلى قانون العدل وردت الشريعة المطهره وجرت قواعد شرائع الانبياء البرره وكذلك مقادير الملة المحمديه عليه أفضل صلاة وأزكى تحيه محررة على القواعد العدليه وفيه من الحكم الالهيه ما يعجز عن ادراكها القوى

مرارا فان القتل أمر عظيم ولست تقدر على ان تحيي من قتلت وقد قيل في الحديث اذا القيت جوهر الاخير فيه فلا تلقه من يدك

حتى تريه من يعرفه وأنت أيها الملك لا تعرف أعداءك واعلم أن البراهمة لا يحبونك وقد قتلت منهم بالامس اثني عشر ألفا ولا تظن ان هؤلاء ليسوا من أولئك ولعمري ما كنت جديرا أن تخبرهم برؤياك ولا ان تطلعهم عليها وانما قالوا لك ما قالوا لاجل الحقد الذي بينك وبينهم لعلهم يهلكونك ويهلكون أحباءك ووزراءك فيبلغون قصدهم منك فاظنك لو قبلت منهم فقتلت من أشاروا بقتله ظفروا بك وغلبوك على ملكك فيعود الملك اليهم كما كان فانطلق الى كباريون الحكيم فهو عالم فطن فاخبره بما رأيت في رؤياك واسأله عن وجهها وتأويلها فلما سمع الملك ذلك سري عنه ما كان يجده من الغم فامر بفرسه فسرج فركبه ثم انطلق الى كباريون الحكيم فلما انتهى اليه نزل عن فرسه وسجد له وقام مطاطئ الرأس بين يديه فقال له الحكيم ما بالك أيها الملك ومالي أراك متغير اللون فقال له الملك اني رأيت في المنام ثمانية أحلام فقصصتها على البراهمة وأنا خائف ان يصيبني من ذلك عظيم أمر مما سمعت من تعبيرهم رؤياي وأخشى أن يغصب مني ملكي أو ان أغلب عليه فقال له الحكيم ان شئت

اقصص رؤياك على فلما اقص عليه الملك رؤياه قال لا يحزنك أيها الملك هذا الامر ولا تخف منه فاما السمكتان الحمراوان اللتان رأيتهما قائمتين

العقليه قال الله تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وحاصل الامر ياذا النهى والامر ان العدل هو قوام كل فضيلة كان الصبر هو أساس كل خصلة جليلة وان أردت بسط هذا البيان فدونك القول والتبيان في تفسير القرآن المنزل على أشرف انسان ان الله يأمر بالعدل والاحسان فقد أشبع التقرير ودقق التحرير في روضه النضير فارس ميدانه الامام الخطير فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير والعدل يجري في الصفات كما يجري في الذوات ومرتبته في العلو أن يكون بين التقصير والغلو كالكرم الذي يكون بين الاسراف والتبذير والشح والتقتير والتواضع الذي بين الضعة والتكبر وبين التصعر والتصغر والشجاعة التي بين التهور والخفة والجبن الطائش الكفه والقناعة التي بين الحرص والطمع والنذالة والهلع وبين العجب والتصلف والاحتشام والتقشف والاخلاص الذي بين الشرك والهوى وبين الاعجاب والريا والعفة التي بين التهافت على المشتهيات والترفع عن تناول المباحات والطيبات والحزم الذي بين سوء الظن والوهم والوسواس وبين اذاعة السر والاستخفاف وعدم المبالاة بالناس والحلم الذي بين الغضب بلا سبب وبين التغاضي عن اللئام عند موجب الانتقام والشفقة ولين الجانب للاقارب والاجانب الذي بين القوة والاستكبار وبين الرخاوة واللين المستلزم لتضييع حقوق الاهل والجار وحفظ الحقوق الذي بين التكلف والعقوق يراعي فيها الحدود ولا يخرج فيهما عن الحد المعهود فالخروج عنها يسمى عنادا وقساوه والتقصير فيها يدعى ركاكة ورخاوة مثلا من يستحق العفو لا يضرب ومن يستأهل الضرب لا يقطع ولا ينكب ومن استوجب القطع لا يقتل ومن وجب عليه حد لا يهمل وتجري أمور الشرع الشريف على ما ورد به الامر المنيف فما ثم أحد أكرم من الله ولا أرحم ولا أعلم بأمور مخلوقاته ولا أحكم قال السميع البصير ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وروي أن الامام المسدد جعفر بن محمد دخل على الرشيد وهو في أمر شديد قد استولى عليه الغضب واستخفه الطيش والغضب فقال يا أمير المؤمنين ان كان غضبك لرب العالمين فلا تغضب له أكثر من غضبه لنفسه وقد حد لكل شئ حدا من نقمه وبأسه فلا تتعد حدوده فانه قد ملكك عبيده فتذكر من وقوفهم بين يديك واقتدارك عليهم اذا تمثلوا قياما لديك قدومك يوم القيامة عليه ووقوفك خاضعا منفردا بين يديه ومن انتقامك منهم سؤاله اياك عنهم فسكن من غضبه واقتدى بآدابه وقال الحكماء للاسكندر عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز وفي الحديث خير الامور أوسطها ولهذا قيل في الاقاويل ينبغي للانسان الراجح العقل في الميزان أن يحصل من كل علم مقدار ما يحتاج اليه ويعول في مشكلاته عليه مثلا من علم الادب ما ينال به عند أربابه الرتب كاللغة والنحو والصرف ولو أنه أدنى حرف ليقوم بذلك لسانه ومن علم المعاني ما يبدع به بيانه ومن العروض والقوافي المقدار الوافي والمعيار الكافي ومن الطب ما يعرف به مزاجه ويصلح به علاجه ويقوم به اعوجاجه ومن علم التفسير والقرآن ما يقتدر به على بيان كلام الرحمن ومن علم السنة والحديث ما يميز به الطيب من الخبيث ويضبط به أقسامه وصحته وسقامه والانساب والرجال وما لهم من صفات وأحوال ان لم يكن مفصلا فعلى الاجمال ويندرج فيه علم التاريخ العالي الشماريخ ومن علم الكلام ما يصحح به دينه ويقيم به اعتقاده ويقينه ومن علم الاصول وما اشتمل عليه من معقول ومنقول ما يقدر به على استنباط الاحكام ومعرفة أدلة الحلال والحرام ومن علم الفروع ما يحكم به أصناف العبادات وأنواع العادات وطرائق العقود واقامة الحدود ومن علم مكارم الاخلاق ما يتصيد به قلوب الرفاق ويكتسب به الذكر الجميل والثناء الجليل ومن الحرف ما يحصل به القوت الحلال ولا يصير على الناس كلا ذا املال وقد قيل خالطوا الناس مخالطة ان غبتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم ومن علم الركوب والرمي والسباحة والخط ولعب الرمح والسياحة وعلم الفرائض والحساب وطرائق المبايعات والكتاب ما يقتدر به على الدخول

على أذنابهما فانه يأتيك رسول من ملك نهاوند بعلبة فيها عقدان من الدر والياقوت الاحمر قيمتهما أربعة آلاف رطل من ذهب فيقومون بين يديك * وأما الوزتان اللتان رأيتهما طارتا من وراء ظهرك فوقعتا بين يديك فانه يأتيك من ملك بلخ فرسان ليس على الارض مثلهما فيقومان بين يديك * وأما الحية التي رأيتها تدب على رجلك اليسرى فانه يأتيك من ملك صنجين من يقوم بين يديك بسيف خالص الحديد لا يوجد مثله * وأما الدم الذي رأيت كأنه خضب به جسدك فانه يأتيك من ملك كازرون من يقوم بين يديك بلباس معجب يسمى حلة ارجوان يضيء في الظلمة * وأما ما رأيت من غسلك جسمك بالماء فانه يأتيك من ملك رهزين من يقوم بين يديك بثياب كتان من لباس الملوك * وأما ما رأيت من انك على جبل أبيض فانه يأتيك من ملك كيدور من يقوم بين يديك بفيل أبيض لا تلحقه الخيل * وأما ما رأيت على رأسك شبيها بالنار فانه يأتيك من ملك أرزن من يقوم بين يديك باكليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت * وأما الطير الذي رأيته ضرب رأسك بمنقاره فلست مفسرا ذلك اليوم وليس بضارك فلا توجلن منه ولكن فيه بعض السخط والاعراض عمن تحبه فهذا تفسير رؤياك أيها الملك وأما هذه الرسل والبرد فانهم يأتونك بعد سبعة أيام جميعا فيقومون بين يديك فلما سمع الملك ذلك سجد لكبار يون ورجع

اليه

اليه اذا تكلموا فيه بين يديه بحيث يكون له فيه مشاركة والمام ولا يكون بين الخواص كالعوام وكل ماذكر فسلوكه عدل والتلبس به كمال وفضل ورأس مال الجميع التقوى فان الانسان الضعيف بالتقوى يقوى قال الله تعالى ولكن يناله التقوى منكم وبالجملة فالعاقل العادل بل الكامل الفاضل لا يستنكف عن نوع من العلوم ولا تبرد همته عن اقتباس منطوق ومفهوم قال معلم الخير ومحذر الشر تعلموا حتى السحر وقال

عرفت الشر لا * للشر لكن لتوقيه ومن لم يعرف الخير * من الشر يقع فيه

وكل صافي السريره وذي بصيرة منيره يتوجه الى التعلم والاستفاده ويجعل مراده مراده أي علم كان خصوصا اذا كان من الشرف بمكان قال بعض الوزراء لابنه يا بني تعلم العلم والادب ولا تسأم فيهما من الطلب فلولا العلم والادب لكان أبوك في السوق حمالا وللنوق جمالا فبالعلم والادب ركبنا أعناق الملوك وأحوج الناس يا ذا الافضال الى اكتساب الفضل والعلم والكمال السلاطين والملوك ومن تبعهم في السلوك فانهم بين خلق الله تعالى هم المرموقون والسابقون بجلائل النعم لا المسبوقون وبحفظ بلاده وعباده المستوثقون وبالسؤال عنهم موثوقون فهم المتحملون لاعباء العدل المكلفون بالمحاسبة عنه والفضل قال من يقول للشيء كن فيكون قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهم أقدر على التحصيل من غيرهم والزمان والمكان تابعان لسيرهم والخاص والعام يتمنى قربهم ويسلك في التوصل الى جنابهم دربهم ويبذل في ذلك ما وصلت اليه يداه ويجعل تحصيل مآربه ومونه غاية متمناه فيبذل جهده في ايصالهم اليه ويكد قلبه وقالبه في اطلاعهم عليه قال الشاعر

ولم أر في عيوب الناس نقصا * كنقص القادرين على التمام

وقال بعض الملوك لاولاده يا بني اكتسبوا العلم والفضل وادخروا الحلم والعدل فان احتجتم الى ذلك كان مالا وان استغنيتم عنه كان جمالا وقال بعض الحكماء العلم ملك ذو أعضاء رأسه التواضع ودماغه المعرفة ولسانه الصدق وقلبه حسن النية ويداه الرحمة ورجلاه مشارة العلماء وسلطانه العدل ومملكته القناعة وسيفه الرضا وقوسه المساءلة وسهمه المحبة وجيوشه مشاورة الادباء وزينته النجدة وحكمه الورع وكنزه البر وماله العمل الصالح ووزيره اصطناع المعروف ومستقره جودة الرأي ومأواه الموادعة ورفيقه مودة الاخيار وذخيرته اجتناب الذنوب والحاصل يا ملك الطير ويا مالك عنان الخير ان قوام العالم ونظام بني آدم سيف الملوك والسلاطين وقلم العلماء الاساطين فمهما حدث من شر محاه سيف الملوك ومهما وجد من خير أثبته قلم علماء الارشاد والسلوك وفي الحقيقه يا شيخ الطريقه العالم عبارة عن هؤلاء وبصلاحهم تصلح الاشياء وبفسادهم والعياذ بالله تفسد الدنيا اذهم لزوال الفساد وطهارة العباد وعمارة البلاد بمنزلة الصابون للاوضار والاستغفار للاوزار فاذا فسد هؤلاء فما لفسادهم دواء كما قيل

الذنب صابون الاستغفار يغسله * كالثوب ينظف بالصابون ان وسخا
فما الذي يغسل الصابون من دنس * اذا رأيناه صار الذنب والوسخا

وناهيك يا ملك العقبان ما فسد من الزمان وجرى من الدماء من طوفان وانمحى من أمهات البلدان عند استيلاء الكافر جنكزخان فسأل العقاب عن كيفية هذا المصاب والعقاب ومن هو جنكزخان الذي أفسد وخان وما أصله وفصله وكيف كان قطعه ووصله حتى نغل كبد العالم بالفساد نصله فقال هذا رجل من بقايا التتار الساكنين من بلاد الشرق في قفار وهم من بقايا يأجوج ومأجوج عن الاسلام منحرفون وعن الايمان عوج سموا بالترك لانهم تركوا عن دخول السد بالخروج فكانوا قبل جنكزخان مبددين في صحاري لا يتفق منهم اثنان مسيرة أماكنهم ومدى مساكنهم شرقا بغرب نحو من ثمانية أشهر وشمالا بجنوب لا ينقص عن هذا المدى ولا يقصر حدها من الشرق حدود ممالك الخطا

الى منزله فلما كان بعد سبعة أيام جاءت البشائر بقدوم الرسل فخرج الملك فجلس على التخت وأذن للاشراف وجاءته الهدايا كما أخبره كباريون الحكيم فلما رأى الملك ذلك اشتد عجبه وفرحه من علم كباريون وقال ما وفقت حين قصصت رؤياي على البراهمة فامروني بما أمروني به ولولا ان الله تعالى تداركني برحمته لكنت قد هلكت وأهلكت وكذلك لا ينبغي لكل أحد أن يسمع الا من الاخلاء ذوي العقول وان ايراخت أشارت بالخير فقبلته ورأيت به النجاح فضعوا الهدية بين يديها لتأخذ منها ما اختارت ثم قال لايلاذ خذ الاكاليل والثياب واحملها واتبعني بها الى مجلس النساء ثم ان الملك دعا ايراخت وحورقناه أكرم نسائه بين يديه فقال لايلاذ ضع الكسوة والاكاليل بين يدي ايراخت لتأخذ أيها شاءت فوضعت الهدايا بين يدي ايراخت فأخذت منها الاكليل وأخذت حورقناه كسوة من أفخر الثياب وأحسنها وكان من عادة الملك ان يكون ليلة عند ايراخت وليلة عند حورقناه وكان من سنة الملك أن تهيئ له المرأة التي يكون عندها في ليلتها ارزا بحلاوة فتطعمه اياه فاتى الملك ايراخت في نوبتها وقد صنعت له ارزا فدخلت عليه بالصحفة والاكليل على رأسها فعلمت حورقناه بذلك فغارت من ايراخت فلبست تلك الكسوة ومرت بين يدي الملك وتلك الثياب تضيء عليها مع نور وجهها كما تضيء الشمس فلما رآها الملك أعجبته ثم التفت

وأقصاها خان بالق وهى مدينة عظ ى و وراءها شرقا يامن برقى ينتهى الحد بعد السير الجد الى بلادة عظيمه ولايانها جسيمه تدعى خنسار وأهلها كفار وهى مبدأ مملكة الصين يا ذا الجد الرصين ومن الشمال نواحى قرقير وسلنكاى ومن الجنوب بلاد تدعى تنكيت وتبت وتبت هذه يا ذا النسك هى التى يتولد من غزالها المسك ومن الغرب وهى جهة قبلة تلك البلاد اذا صلى المسلمون منهم والعباد حدود بلاد أو بغور وماوالى تلك الكفو رمن بلاد تركستان يا ذا الاحسان ويسير المجد منها اذا انفصل عنها كذا وكذا شهر حتى يصل من جهة غربها الى ماوراء النهر ثم هؤلاء التتار كانوا فى تلك القفار بين هذه الحدود الاربعه فى مضيعة وأى مضيعه يتوالدون فى ذلك البر ويتهارجون فى ذلك السهل والوعر كالحيوانات السائبة فى البر والبحر لا حاكم يردعهم ولا دين واعتقاد يجمعهم وهم فيما بينهم قبائل وشعوب وأصناف وضروب وخلائق وأمم لا يعرفون الاسلام والسلم بل كل أمة تلعن أختها وتنهب تختها وتأكل رختها وكل طائفة تعد غارتها وتقصد جارتها وكل من قوى على غيره كسره اماقتله واما أسره لم تزل المكافحة بينهم قائمه والمناطحة بين ثيرانهم وكباشهم دائمه وعيون الرشد والاهتداء عنهم نائمه وضوارى الظلم والاعتداء فى مسارح سوارح اسلامهم سائمه يعدون النهب غنيمه والفسق والفجور والنميمه أجل صنعة وأكمل شيمه يأكلون الكلاب والفار وما وجدوه من صيد القفار والميتة والدم والهوام لا يعرفون الحلال منها والحرام ويلبسون جلودها وأوبارها وأصوافها وأشعارها كما كان مشركو العرب فى الجاهليه قبل اشراق شمس الملة المحمديه لا زرع لهم ولا ثمر سوى نوع من الشجر يشبه شجر الخلاف هو ثمرهم فى الشتاء والاصطياف اسمه قسوق وهم على ماهم عليه من الفسوق يعبدون الاوثان والاصنام ويسجدون للشمس اذا بزغت من الظلام ويعظمون النجوم ويعبدونها وتخاطبهم الجن ويرصدونها وفيهم كهنة يعتقدونها وسحرة ومكره وسواجع وزجره يجبى خواجهم الى ملك الخطا وهم على أشد كفر وخطا قد تركب الكفر فى احشائهم وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم وأعلى من فيهم من أكابرهم وذويهم علامة رياسته وانفراده بسياسته وأنه فيهم ذو بأس شديد ورأى سديد ومال مديد كون ركابه من حديد وباقى أعيانهم وذوى مكانتهم وامكانهم ان كانوا ذوى جد فركابهم قضيب ملوى أو قد وعندهم أفخر ملبوس جلود الكلاب والتيوس والذئاب والتيوس وقس على هذا جميع تجملاتهم ومفاخر آلاتهم فهم فى قديم الزمان وبعد الحدثان من حين بلغ ذو القرنين بين السدين وساوى على يأجوج ومأجوج بين الصدفين الى آخر وقت كانوا فى قلة ومقت وضيق حال وسوء بال لا دنيا رخيه ولا آخرة رضيه حتى نبغ منهم هذا اللعين الطاغيه تموجين الذى تسمى بجنكزخان وساعده قضاء الديان فامده الزمان وأعطاه المكان لامر يريده الرحمن وقضاء قدره على عبيده فى سالف الازمان فطم العالم بالفساد فاهلك العباد والبلاد وأخلى الديار والدار وعم غالب بلاد الاسلام بالشنار والبوار فصلى الله على سيد بنى عدنان بل أشرف جنس الانسان الذى قال يخرج فى آخر الزمان رجل يسمى أمير العصب أصحابه محسورون محقرون مقصون عن أبواب السلطان يأتونه من كل فج عميق كأنهم قزع الطريق يورثهم الله مشارق الارض ومغاربها فاتبعه منهم النساء والرجال اتباع اليهود والكفرة والمسيح الدجال أمم لا يحصرها حساب ولا يحصيها ديوان ولا كتاب وما يعلم جنود ربك الا هو فارشدوا الى طرق الضلال بعدما تاهوا وصار كل من أولئك الطغاة الكفرة الفجرة الاوغاد اللئام وكل كلاب خادم كلاب الصعود يجرى سيفه الكال الكدود من أشراف الملوك وملوك الاشراف وفى أعضاد الاسود وفى رقاب النمور والفهود وكل ماضغ شيح وقيصوم وعلج من أولئك العلوج وعلجوم يتفكه فى أنواع المستلذات من المشروب والمطعوم وكل صعلوك معلوك من تركى متروك أو خدام مملوك يتحكم فى رقاب أكابر الملوك ويستعبدون أحرار أولادهم ويستفرشون زوجاتهم وبناتهم فى بلادهم

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفى رجل حر قيد ذل يشينه

الى ابراخت فقال انك جاهلة حين أخذت الاكليل وتركت الكسوة التى ليست فى خزائننا مثلها فلما سمعت ابراخت مدح الملك لحور وقناه وثناءه عليها وتجهيلها هى وذم رأيها أخذها من ذلك الغيرة والغيظ فضربت بالصحفة رأس الملك فسال الارز على وجهه فقام الملك من مكانه ودعا بايلاذ فقال له ألا ترى وأنا ملك العالم كيف حقرتنى هذه الجاهلة وفعلت بى ما ترى فانطلق بها فاقتلها ولا ترحمها فخرج ايلاذ من عند الملك وقال لا أقتلها حتى يسكن عنه الغضب فالمرأة عاقلة سديدة الرأى من الملكات التى ليس لها عديل فى النساء وليس الملك بصابر عنها وقد خلصته من الموت وعملت اعمالا صالحة ورجاؤنا فيها عظيم ولست آمنه ان يقول لم لم تؤخر قتلها حتى تراجعنى فلست قاتلها حتى أنظر رأى الملك فيها ثانية فان رأيته نادما حزينا على ماصنع جئت بها حية وكنت قد عملت عملا عظيما وأنجيت ابراخت من القتل وحفظت قلب الملك واتخذت عند عامة الناس بذلك يدا وان رأيته غير نادم ولا حزين بل يحامد ما رآه فى الذى فعله وأمر به فقتلها لا يفوت ثم انطلق بها الى منزله ووكل بها خادما من أمنائه وأمره بخدمتها وحراستها حتى ينظر ما يكون من أمرها وأمر الملك ثم خضب سيفه بالدم ودخل على الملك كالكئيب الحزين فقال أيها الملك انى قد أمضيت أمرك فى ابراخت فلم يلبث الملك ان سكن عنه الغضب وذكر جمال ابراخت

ومن

ومن لايعرف البطائن المرويه ولم يسمع بالرقاع الكر باسيه يستوطى الاستبرق والديباج ويتقلب على تخوت الصندل والساج ويترقى الى سرر الابنوس والعاج ويعامل التجار والمضاربين فى البر والبحار بالوف الالوف من الدرهم والدينار فيجبى اليهم نفائس المضارب من المشارق والمغارب ومكامن المعادن وذخائر الخزائن كل ذلك بواسطة ذلك الطاغيه واستيلاء الفئة الباغيه وكان من أمر هذا المصاب الذى بدل حلاوة العيش بمرار المصاب وخلد فى الدهر قواعد البلايا والاوصاب ان الله القاهر فوق عباده الذى لايسئل عما يفعل من مراده بل له المراد فى عباده وبلاده المتصرف فى ملكه تصرف المالك فى ملكه لما أراد ابتذال الصون وعموم الفساد فى عالم الكون واستئصال غالب أهل الارض واذاقة بعض عباده بأس بعض واظهار آثار غضبه على صفحات الشهود وابراز أسرار قهره على وجنات الوجود ولحن سطور صدور علماء العالم على روح الورود بلسان نار السخط ذات الوقود ونقص أرض العلم من أطرافها واخلاء ربوع المحاسن من ألافها اينع هذا التمساح من أفواج أمواج هذه البحار ونبع هذا التنين المبين من أوعار تلك القفار وأغوار أوغادها تيك التتار فكان ممتازا على أقرانه بوفور عقله وحسن بيانه ذا فكر مصيب ورأى صائب وحزم مجيب وعزم ثاقب وهمة تبارى الافلاك وثبات يجارى السماك كسر بصدماته الاكاسره وقص بسطواته القياصره وقرع بعزماته على قمم الفراعنة والجبابره وقهر بحملاته قهارمة خواقين القياصره وكان أميا لايقرأ ولايكتب أعجميا عجريا لايحسب ولا ينسب لاطالع الاخبار ولااقتفى فى سياسة الممالك الآثار بل فرع ما فرعه من القواعد فى صحيفة تفكيره واخترع ما ابتدعه من تدبير الملك من مطالعة واجس ضميره فاسس قواعد لو أدركه اسكندر ودارا لما وسعهما الا اقتفاء أثره وشيد مبانى لو بلغت نمروذ وشداد البنيا صورة سورهما على أركان خبره وخبره ورتب تجهيز السرايا والجنود وربط عقود الجيوش والبنود بطرائق يعجز عنها مهندس الحكمه ويتقاعد عن حل رموزها معزم الفطنه وغاية ما يتعاناه ويستعمله ويتعاطاه جيوش الاتراك فى بسيط الارض من ابرام طرائق عساكرهم والنقض انما هو من قوانين ما رتبه وأفانين ما هذبه وركبه وله فى ترتيب حراب الحروب وما فى فن الضرب والضراب من ضروب وطرائق الاصطياد مخترعات دقائق لم يسبق اليها من لدن كيخسرو وكيقباد احكم بها الموافق ونصر المصادق وكبت المعادى وكسر الاعادى واستطال مع كثرة مخالفيه عليهم وأنفذ سهم تحكمه وتحكيمه فيهم واليهم وصال فيهم حسبما أراد وجال واتسع له فى التضييق على الاسلام والمسلمين المجال فكل من عامله بالمجامله وتلقاه بالعبودية وحسن المعامله أبقى على نفسه وأهله وماله وحصنهم من أليم خيله ورجاله ومن قابله بالمقاتله وقاتله بالمقابله وتلافى صف قتاله سورة المجادله محا سطور كونه من لوح الوجود وأوطأ سنابك خيله منه الجباه والخدود فخرب ديارهم ومسح آثارهم مع شركه واسلامهم وتبدد عساكره ونظامهم ومع أن أكثر الملوك والسلاطين وحكام الممالك الاسلامية من الامراء والاساطين لعدم اكتراثهم بالاتراك والتتر وشدة باسهم فيه من النخوة والبطر ولاعتمادهم على حصونهم الحصينه وتعويلهم على معاقلهم المكينه ولكثرة العدد والعدد ومساعدة المدد والمدد ولوفور العمائر ببلادهم وخراب بلاده وبسطة استعدادهم وضيق استعداده لم يعاملوه الا بالمكاشفه ولاردوا جواب خطاباته الا باللعن والمكالحه والسب والمقابحه ولا قابلوه الا بالمرابحه والمراوسة والمناطحه فقتلهم وأبادهم واستصفى طارفهم وتلادهم وتوطن ديارهم وبلادهم وأبادهم عن آخرهم وأطفأ قبائل عشائرهم فدلاكابرهم أسمطة الرزايا ووضع فى أفواه أصاغرهم أثدية المنايا وأضافهم فى ولائم الدمار وأطافهم على نجائب الانكسار فى ملابس البوار فاستأصل شأفتهم بالنكايه وحكم فيهم صوائل المنيه فلم يبق من مائة ألف انسان مثلا مائة انسان وذلك أيضا اما على سبيل التغافل أو على سبيل النسيان وسيذكر على سبيل الاجمال ما يدل على تفصيل ماله من أحوال وشواهد ما فرعه من أهوال واستمر ذلك فى ذريته وان كانوا رجعوا عن ملته وأصل هذه الاصله

وخسمها اواشتد أسفه عليها او جعل يعزى نفسه عنها او يجلدوه ومع ذلك يستحى ان يسال ايلاذ أحقا أمضى أمره فيها أم لا وربما لما عرف من عقل ايلاذ أن لا يكون قد فعل ذلك ونظر اليها ايلاذ بفضل عقله فعلم الذى به فقال له لاتهتم ولا تحزن أيها الملك فانه ليس فى الهم والحزن منفعة ولكنهما ينحلان الجسم ويفسدانه فاصبر أيها الملك على ما لست بقادر عليه أبدا وان أحب الملك حدثته بحديث يسليه قال حدثنى قال ايلاذ زعموا ان حمامتين ذكرا وأنثى ملآ عشهما من الحنطة والشعير فقال الذكر للانثى انا اذا وجدنا فى الصحارى ما نعيش به فلسنا نأكل مما ههنا شيأ فاذا جاء الشتاء ولم يكن فى الصحارى شئ رجعنا الى ما فى عشنا فأكلناه فرضيت الانثى بذلك وقالت له نعم ما رأيت وكان ذلك الحب نديا حين وضعاه فى عشهما فانطلق الذكر فغاب فلما جاء الصيف يبس الحب وانضمر فلما رجع الذكر رأى الحب ناقصا فقال لها أليس كنا أجمعنا رأينا على أن لا نأكل منه شيأ فلم أكلته فجعلت تحلف انها ما أكلت منه شيأ وجعلت تعتذر اليه فلم يصدقها وجعل ينقرها حتى ماتت فلما جاءت الامطار ودخل الشتاء تندى الحب وامتلأ العش كما كان فلما رأى الذكر ذلك ندم ثم اضطجع الى جانب حمامته وقال ما ينفعنى الحب والعيش بعدك اذا طلبتك فلم أجدك ولم أقدر عليك واذا فكرت فى أمرك وعلمت انى قد ظلمتك ولا أقدر على تدارك ما فات ثم استمر على حزنه

التى أضحت بخلقان العن أكسى من بصله قبيلة من تلك التتار الساكنين فى تلك القفار تسمى قنات ظلمة عتات غير أمناء ولا ثقات منها آباؤه وأجداده وفيها أقاربه وأحفاده واخوته وأولاده فنشأ كما ذكر بطلا باسلا وشجاعا كاملا سهام أفكاره فى مرمى مصيبه ورهام آرائه فى مكره خصيبه ثم اتصل بعد ما أخنى وخان بملك الخطا يسمى باونك خان وأظهر من أنواع الفراسه والفروسة والكياسه ما فاق به أناسه وفات من العقل قياسه فقربه الملك وأدناه ولمهماته اصطفاه ولازال يترقى عنده الى أن ملك جنده وصار عضده وزنده ودستور ممالكه ومسلك مسالكه وحاكم أمرائه وناظم أمور وزرائه وناظر جمهور كبرائه وعين أعوانه وعون أعيانه وأعز من اخوته وأولاده وأبر من حفدته وتلاده وكثفت حواشيه وعظمت غواشيه وملأت السهل والوعر فواشيه ومواشيه فثقل على الوزراء وصعب على الامراء اذ مدار الملك صار عليه ومرجع الامير والمأمور اليه فحسده أولاد الخان واخوته وأجناده وأسرته وأعملوا له المكائد ونصبوا له المصائد وتعاطوا افساد صورته وتواطؤا على اخماد سيرته فصاروا يتناوبون على ذلك فى غيبته ويمزقون أديم عرضه عند الخان ويشقون ستر عصمته بمخاليب البهتان ويراقبون الكلام أوقات القبول ويواظبون فى السعاية عليه بدلائل المعقول حتى أوغروا صدر الملك عليه وأخذ يفكر فى كيفية ايصال الاساءة اليه ولم يقدر على مواجهته لوفور جماعته وكثرة حاشيته فان أوتاده كانت ثابته وغراس هيبته كالارزة نابته وفروع دوحة عصباته قد أحاطت بالملك من كل جهاته حتى قيل ان ذلك الثقيل كان له من القرابات وذوى الارحام والعصبات والاولاد والاحفاد ما جاوز فى التعداد عشرة آلاف نسمه كل له حرمة وكلمه فأضمر له السلطان البيات وانتخب لذلك من عسكره أولى الثبات والاثبات الثقات ولم يختلف عليه فى ذلك اثنان لانه كان قد استحكم فيهم منه الشنآن وعلموا ان سهم مكرهم نفذ وحسام فكرهم فى قطعه فلذ ورأوا من الرأى أرصنه ان يراقبوا حتفه مكمنه فتواعدوا على ليلة معينه يدهمون فيها مأمنه وكان عند الخان صبيان محرمان لا يؤبه اليهما ولا يعول فى الامور عليهما يدعى أحدهما كلك والآخر باده فانسلا من بين أولئك القاده وسلكا طريقا غير العاده وأتيا غوجين الطاغية الامين فى خفيه ونهاه وعيه وأخبراه وبصراه وأنذراه وحذراه بما عاملا عليه الملك مع عسكره المنهمك وقالا أيها العفريت قد طبخت لك قدر التبييت فتنبه من النوم وراقب فى الليلة الفلانية هجوم القوم فانه قد مرج مارج الفتنة فامرج وعن وهاد غفلتك اعرج ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج وباعاه من السر ماجرى بتخيير المشترى وقصا عليه القصص فخلص طير حياته من القفص وظبي نجاته من القنص فشكر لهما فضلهما واستكتمهما قولهما ثم تثبت فى أمره وأخفاه عن زيده وعمره وجمع تلك الليلة رجله وخيله ولم يبد تلك الحال لاحد من الرجال بل أخلى بيوته ولازم سكوته وقصد أحد الجوانب بجماعة من راجل وراكب وأقام فى كمين ينظر أيصدق الواشى أم يمين فما مضى هزيع من الليل الا وقد هبطت الخيل فوجدوا البيوت خاليه والاطلال خاويه فتحقق صدق الناقل وانه ناصح عاقل فعمل مصلحته وأخذ حذره وأسلحته وتقرر وقوع النكد فتقدم امامهم واستعد فقصدوه وبالاذى رصدوه ولازالوا يتبعونه حتى التقوا بمكان يسمى بالجونه وهو عين ماء فى حدود بلاد الخطا فاشتعلت بين الفريقين نار الحرب وقصد كل منهم الآخر بالطعن والضرب فاعانه الله ونصره فكسر الخان وعسكره وفر بمن معه من فئته وذلك فى سنة تسع وتسعين وخمسمائه وغنم غوجين من الاموال والمواشى والاثقال وذخائر الخزائن ونفائس البحار والمعادن ما فات الحد والحصر خارجا عن سعادة النصر وهرب الخان وتهدمت منه الاركان فجمع جنكزخان عسكره وضبط أسماء من حضره ومن كان شاهد القتال ومواقف الحرب والجدال من النساء والصبيان والرجال ومن خادم ومخدوم وخاصم ومخصوم ومأمور وأمير وكبير وصغير حتى السائس والجمال والطباخ والبغال والطفل والرضيع والنذل والوضيع ومن شهد تلك الغارة أو كان

فلم يطعم طعاما ولا شرابا حتى مات الى جانبها والعاقل لا يعجل فى العذاب والعقوبة ولاسيما من يخاف الندامة كما ندم الحمام الذكر وقد سمعت أيضا ان رجلا دخل الجبل وعلى رأسه كارة من العدس فوضع الكارة عن ظهره ليستريح فنزل قرد من شجرة فأخذ ملء كفه من العدس وصعد الى الشجرة فسقطت من يده حبة فنزل فى طلبها فلم يجدها وانتثر ما كان فى يده من العدس اجمع وأنت أيضا أيها الملك عندك ستة عشر ألف امرأة تدع أن تلهو بهن وتطالب التى لا تجد فلما سمع الملك ذلك خشى أن تكون ايراخت قد هلكت فقال لايلاذ لم لا تأنيت وتثبت بل أسرعت عند سماع كلمة واحدة فتعلقت بها وفعلت ما أمرتك به من ساعتك قال ايلاذ ان الذى قوله واحد لا يختلف هو الله الذى لا تبديل لكلماته ولا اختلاف لقوله قال الملك لقد أفسدت أمرى وشددت حزنى بقتلى ايراخت قال ايلاذ اثنان ينبغى لهما ان يحزنا الذى يعمل الاثم فى كل يوم والذى لا يعمل خيرا قط لان فرحهما فى الدنيا ونعيمها قليل وندامتهما اذا يعاينان الجزاء طويلة لا يستطاع احصاؤها قال الملك لئن رأيت ايراخت حية لا أحزن على شئ أبدا قال ايلاذ اثنان لا ينبغى لهما أن يحزنا المجتهد فى البر كل يوم والذى لم يأثم قط قال الملك ما أنا بناظر الى ايراخت أكثر مما نظرت قال ايلاذ اثنان لا ينظران الاعمى والذى لا عقل له وكما ان الاعمى لا ينظر السماء ونجومها وأرضها

في

فى تلك الداره ولو حاضر المتفرج مع النظاره واستبشر بوجودهم وتيمن بورودهم فاثبتهم فى الديوان باسماء آبائهم ووجودهم وفرق عليهم ذلك الفىء ولم يرفع الى خزائنه منه شئ بل وزع ذلك المغنم الوافر العظيم المتكاثر على الحاضرين معه من العساكر وضبط أسماءهم فى الدفاتر وفرق ذلك العرض العريض الطويل على قدر الحقير منهم والجليل ووعدهم بكل جميل وأما الغلامان اللذان أخبراه وعلى ما كان أضمره الخان أظهراه وكانا سبب حياته وخلاصه من الموت ونجاته فانه جعلهما ترخان فصار السهم مقاصده كأنهما شرخان والترخان عبارة عن المعافى المطلق يستوفى حقوقه ولا يقوم بما عليه من حق لا يؤاخذ بقصاص ان قتل وقس على هذا ما يوجبه القول والعمل مقضى المآرب موصول المطالب لا يكلف بخدمة ومباشره ولا بحضور ومعاشره مهما طلب أعطى ويعد مصيبا ولو يخطى وأعلى مراتبه فى مراعاة جانبه أنه يدخل على السلطان من غير استئذان وهو نائم مع سراريه ونسائه وجواريه فيذكر ماله من مآرب فتقضى ومن شفاعة فتقبل وتمضى ويعطى بذلك مناشير وتواقيع وتقارير تبلغ التاسع من أولاده وشمل أحكامها جميع أسباطه وأحفاده ولما انتصر وحصل أمنه واستقر وتعاظم أمره واشتهر وعظم صيته وانتشر قرر كل من حضر تلك الوقعه فيما يليق به من منصب ورفعه فاقبلت القبائل اليه وانهالت الرؤس والوجوه عليه ورجع الخان واستعد وأعد ما وصلت اليه يده من عدد واستعان عليه بالمدد والعدد ثم تلاقيا كرتين وتصاولا مرتين انكسر الخان فى الاولى وقبض عليه بعد الكسرة فى الاخرى فقتله وأباده واستملك بلاده واستولى على عساكره واستحوذ على ذخائره وعشائره وهربت أولاد الخان ولجأت الى أطراف تركستان ثم راسل سلطان الخطا والصين بكلام رصين يدل على عقل حصين واسم ذلك السلطان التون خان وطلب المهادنة والموافقه والمصافاة والمصادقه فلم يلتفت الى كلامه فضلا عن اعزازه واكرامه اتكالا على حسبه واستنادا الى نشبه ونسبه واعتمادا على سعة ممالكه وكثرة مملوكه ومناعة حصونه وعمارة بلاده ووفرة مملوكه فان ممالك جنكزخان بالنسبة الى ولايات الخاقان لاش وأقل من لاش وعساكره وقبائله بالنظر الى أهل الصين أوشاب أو باش فرجع قصاد جنكزخان بالخيبه وذكروا ما رأوا للملك الصين من عظمة وهيبه فلم يلتفت اليه ثم قصد التوجه عليه بعدد كالرمال ومدد كالجبال وواقعه فكسره وناقفه فحصره وقبض عليه وأباده واستصفى ولايته وبلاده وكانت هذه الكسرة والنصره فى سنة احدى وستمائة من الهجره فاستقل من غير منازع ولا ممانع ولا مدافع فلما خلصت له الممالك وانقادله الملوك والمالك أخذ فى ترتيب الامور وتهذيب الجهور وطير أجنحة مراسيمه الى أطراف ممالكه وأكناف أقاليمه فرفع جميع ما هم عليه من النهب والغارات والتحزبات وطلب الثارات نهدم قواعد الظلم والتعدى فى ممالكه فلم ير أعين من ولايته ولا آمن من مسالكه وهى ممالك المغل والخطا والى الصين شرقا وولايات المغل والجتا وبلاد الترك والى حدود أترار ما وراء النهر غربا فجرى بعد النهب والاسار فى ممالك المغل والتتار والبغى والعدوان العدل والامان والسلامة والاطمئنان وبعد السرقة والخيانه الوفاء والامانه وأمر بوضع البرد والمنارات والعلائم والاشارات وعمرت المفاوز والمناهل وسكنت الصحارى والمداهل وعرفت طرق المهامه والمجاهل وائتلفت تلك الطوائف والامم وانتشر صيت عدلها فى العرب والعجم واخترع كاذكر أنواع سياسات وقرر للمملكة قواعد بنيان وأساسات ألف بها بين تلك الطوائف فلم ير بينهم مخالف ولا غير موالف على سعة ممالكهم واختلاف مسالكهم وتعدد أديانهم وتفاوت كيل أخلاقهم وميزانهم فانهم كانوا ما بين مسلمين ومشركين ومجوس وأرباب ناقوس ويهود ومن لا يدين لمعبود وصباه وغواه وعباد الشمس والنجوم ومن يسجد لها أوان الرجوم وكل منهم يتعصب لمذهبه ويغض من مذهب صاحبه فلم يتعرض لاحد فى دينه ولا وقف له فى طريق اعتقاده ويقينه وأما هو فلم يتقيد بدين لا كافر مع الكافرين ولا ملحد مع الملحدين ولا يتعصب لملة من الملل ولا يميل لنحلة من النحل بل يعظم علماء كل طائفه ويحترم زهاد كل ملة على دينها

ولا ينظر القرب والبعد كذلك الذى لاعقل له لايعرف الحسن من القبيح ولا المحسن من المسيء قال الملك لو رأيت ايراخت لاشتد فرحى قال ايلاذ اثنان هما الفرحان البصير والعالم فكان البصير يبصر أمور العالم وما فيه من الزيادة والنقصان والقريب والبعيد فكذلك العالم يبصر البر والاثم ويعرف عمل الآخرة ويتبين له نجاته ويهتدى الى صراط مستقيم قال الملك ينبغى لنا ان نتباعد منك يا ايلاذ ونأخذ الحذر ونلزم الاتقاء قال ايلاذ اثنان ينبغى ان يتباعد منهما الذى يقول لا بر ولا اثم ولا عقاب ولا ثواب ولا شئ على مما أنا فيه والذى لا يكاد يصرف بصره عن الحرم ولا اذنه عن استماع السوء ولا فرجه عن نساء غيره ولا قلبه عما تهم به نفسه من الاثم والحرص قال الملك صارت يدى من ايراخت صفراء قال ايلاذ ثلاثة أشياء أصفار النهر الذى ليس فيه ماء والارض التى ليس فيها ملك والمرأة التى ليس لها بعل قال الملك انك يا ايلاذ لتلقى بالجواب قال ايلاذ ثلاثة يلقون بالجواب الملك الذى يعطى ويقسم من خزائنه والمرأة المهداة الى من تهوى من ذوى الحسب والرجل العالم الموفق للخير ثم ان ايلاذ لما رأى الملك اشتد به الامر قال أيها الملك ان ايراخت بالحياة فلما سمع الملك ذلك اشتد فرحه وقال يا ايلاذ انما منعنى من الغضب ما أعرف من نصيحتك وصدق حديثك وكنت أرجو لمعرفتى

بغالك ان لاتكون قد قتلت ابراخت فانها وان كانت أتت عظيما وأغلظت فى القول فلم تأته عداوة ولا طلب مضرة ولكنها
فعلت ذلك الغيرة وقد كان
ينبغى لى ان أعرض عن ذلك
وأحتمله ولكنك يا ايلاذ
أردت أن تختبرنى وتتركنى
فى شك من أمرها وقد
اتخذت عندى أفضل
الايدى وأنا لك شاكر فانطلق
فاتنى بها فخرج من عند
الملك فاتى ابراخت وأمرها
ان تتزين ففعلت ذلك
وانطلق بها الى الملك فلما
دخلت سجدت له ثم قامت
بين يديه وقالت أحمد الله
تعالى ثم أحمد الملك الذى
أحسن الى قد أذنبت
الذنب العظيم الذى لم
أكن للبقاء أهلا بعده
فوسعه حلمه وكرم طبعه
ورأفته ثم أحمد ايلاذ الذى
أخر أمرى وأنجانى من
الهلكة لعلمه برأفة الملك
وسعة حلمه وجوده وكرم
جوهره ووفاء عهده وقال
الملك لايلاذ ما أعظم يدك
عندى وعند ابراخت
وعند العامة اذ قد أحييتها
بعدما أمرت بقتلها فانت
الذى وهبها الى اليوم فانى
لم أزل واثقا بنصيحتك
وتدبيرك وقد ازددت اليوم
عندى كرامة وتعظيما
وأنت محكم فى ملكى تعمل
فيه بما ترى وتحكم عليه
بما تريد فقد جعلت ذلك
اليك ووثقت بك قال
ايلاذ أدام الله لك أيها الملك
الملك والسرور فلست بمحمود
على ذلك فانما أنا عبدك
لكن حاجتى ان لايعجل الملك فى الامر الجسيم الذى يندم على فعله وتكون عاقبته الغم والحزن ولاسيما فى مثل

بما كفه وبعد ذلك الخصلة قربه حيث يعظم كل دين وحزبه وكل من اختار من أولاده وأسباطه وأحفاده
وأمرائه ورعيته وأجناده دينا من الاديان لايعترض عليه أى دين كان فبعضهم كان مسلما حنيفيا
وبعض كان يهوديا وبعض نصرانيا وبعض مجوسيا الى غير ذلك من الالحاد والزندقة وعدم الاعتقاد
وحيث لم يتعرضوا الى دنياه ولا نازعوه ملكه الذى تولاه لم يشاققهم فى دينهم ولم يوافقهم فى يقينهم
واخترع هو لنفسه فى الملك قواعد حمل عليها المقارب والمباعد ثم لما لم يكن له كتاب ولا خط ولا اولئك
الحروف فلم يعرفون به قط أمر أذكياء قبيلته وعقلاء مملكته أن يضعوا له خطا وقلما يكون لهم علما وعلما
فوضعوا له قلم المغل واشتغلوا به أهم شغل ونسبوه الى قبيلته ليدلوا به على فضيلته فقالوا قوتاتقو يعنى
قلم قتات وهى قبيلة ذلك القتات فوضعوا مفرداته ورتبوها ثم حلوها وركبوها وهى أربعة عشر حرفا
ظاهرة بينهم لاتخفى وهذه صورة مفرداتها ....
فامر أولاده وأحفاده وجماعته وأجناده ومهرة الرجال والاذكياء والاطفال أن يتعلموا هذا الخط
وينشروه ويتداولوه ويشهروه فانتشر بينهم حتى ملأ رأسهم وعينهم فرسموا به المراسيم والمناشير
ورصعوا بجواهره جباه المساطير ووضعوا الرسومات الديوانيه والتوقيعات السلطانيه وابتدع لهم تواريخ
وحساب كل ذلك بهذا الكتاب ثم لما تقرر أمره وانتشر فى الآفاق ذكره مهد قواعد أسسها ونصب
فى دوحة ملكه أصول خلاف غرسها ووضع على ما اقتضاه رأيه التعيس وفكره الخسيس طرقا وأفانين
ودرب فى أمور الحكومات أساليب وقوانين فجعل لكل حكومة حكما وفوق لكل حادثة سهما وفرع لكل
حسنة مثوبة ولكل سيئة عقوبة وقرر لكل معصية حدا ولكل بنيان مخالفة هدا ولكل فرع أصلا
ولكل سهم من الوقائع نصلا وبين كيفية الصيد والحرب وسلك فى كل ذلك الطريق والدرب وألقى
دروس ذلك على أولاده وحفدته وجيوشه ورعيته بحيث انهم حفظوها ورعوها وفى سيرهم
هرجا ومرجا وعوها فمن أحكامها المظالمه وفروعها المعتمه صلب السارق وخنق الزانى وان شهد
بذلك واحد فلا يحتاج الى ثانى ثم فصل حد السارق بهذيان فارق فقال فى السرقة من جوكاه أو بيت
شعرواه بوجوب الصلب وبقطع اليدان كان بالنقب ثم كلا السارقين يؤخذ ما لهما من مال وعين
ويسترق ما لهما من أولاد وينتقل الى السلطنة ما لهما من طريف وتلاد ومنها حقية دعوى من سبق
سواء كذب أو صدق ومنها استعباد الاحرار وتوارث الفلاح والاكار ومنها توريث نكاح لزوجه لاقارب
الزوج وتداولهم اياها فوجا بعد فوج فان تزوجها أحد منهم كان أحق بها ولا تخرج عنهم والا زوجوها
بمن شاؤا وأخذوا مهرها وباؤا ومنها عدم العده وعدم انحصار الزوجات فى عده ومنها الاخذ بقول
الجوارى والصبيان وبما يتقوله على الرجال العبيد والنسوان ومنها امتثال أمر السلطان على الفور
من غير توان ومنها لزوم ما لا يلزم من العطايا وايجاب ما يتبرع به الانسان من التجملات والهدايا حتى
لو أعطى شخص شخصا من ماله هدية أو شقصا فان ذلك يلزمه وفى كل عام يغرمه ومنها الجثو بين يدى
الحاكم على الركب وقت التحاكم ومنها مطالبة الجار بالجار ومعاقبة البرىء بجريمة مرتكب الاوزار
وذلك لادنى مناسبه من معرفة أو مصاحبه فضلا عن أكبر أصحابه أو شديد قرابه ومنها أن لا يتقدم
الوضيع على الشريف ولو كان ذا مال عريض وجاه كثيف ومنها العمل بما يقتضيه العقل والكف
عما لا يدركه ولو وردبه النقل ومنها منع عفو الحاكم وان عفا المظلوم عن الظالم ونحو هذه الخرافات
الباطله والهذيانات العاطله ومن أسخفها وأوسخها وأخسفها انه لو أخذ أحد أبله عن قواعدهم
ذو غفله من ثوب أحدهم قمله فان دفعها الى صاحبها تخلص من تبعة عواقبها وغرامة مطالبها فان
شاء قصعها وان أراد وضعها وربما اختار عودها الى مكانها فارجعها وان قتلها أو رماها والى صاحبها
ما أداها فان صاحبها يخاصمه والى حاكم التتار يحاكمه ويدعى عليه بين يديه بان هذا الانسان عمد
الى حيوان ربيته بين سحرى ونحرى وغذيته بدم صدرى وظهرى فقتله قصدا واضاعه عمدا من

غير سبب تقدم اليه ولا ايذاء اجترأ به عليه فينسبه الى الاجترام ويأخذ به تهامنه بالاغترام وقس على هذا اليسير أنواعا من الكثير ومن نتن هذه البعرة على خرافة البعير ومن هذه القواعد أمر الاقارب والاباعد بما يستصوبه العقل ويستنجبه النقل من سلوك طريق الفتوه ومعاملة الخلق بالمروه والكرم والاحسان والمداراة مع كل انسان والكف عن الظلم والغارات اللهم الا في طلب الثارات ثم وضع طرق المكاتبات والمراسلات والمشافهات والمخاطبات فكان في المكاتبات طريقة رسمه أن لا يزيد على وضع اسمه مثل أن يقول في أول الكتاب وبراعة استهلال الخطاب عند ابتداء المقال بعد عدة أوصال جنكز خان كلامي ثم يكتب تحته من نصف السطر الثاني الى فلان ليفعل كذا ولا يتعلل بان واذا ثم يذكر مع المقصود بطريق معهود بين العبارات من غير مجازات واستعارات ويختم بذكر الزمان واسم المنزل والمكان واذا استدعى أحدا الى الطاعه وسلوك السنة اسوة الجماعه فانه يجتنب التهويل والتهديد ويتحامى عن التشريد والتشديد ويرغب بالوعد ويترك الوعيد ثم يقول ان سمعتم وأطعتم فزتم وغنمتم وان أبيتم وتماديتم فليس أمر ذلك الينا ولا درك علمه علينا يرى فيكم الخالق القديم رأيه فان في تقديره وتدبيره كفايه فهذه القاعدة باقيه في تلك الفئة الباغيه مستمرة على الدوام والى هذه الايام جاريه على هذا النمط يكتبون اسم الخان والخاقان فقط وكذلك الامراء والوزراء والمباشرون والكبراء يكتبون في أول الكتاب فلان لا كنية ولا جناب وهكذا الى الاكابر من الاداني يذكرون اسم الكبير ووظيفته فلان لا الفلاني ولما فرغ من ترتيب هذه القواعد الملعونه وخروجها على خلاف الشريعة الميمونه وقرر عليها الامور الديوانيه والاحكام السلطانيه أمر بها فكتبت وبهذا الخط رتبت ورسمت في طوامير ولفت في شقق الحرير وزمكت بالذهب ورصعت بالجواهر كما فعل مانى النقاش الكافر واضع مذهب المجوس ومصوره على صفحات الطروس ومبرز المعقول بطريق المحسوس ليكون أقرب الى تفهيم النفوس في كتابه المسمى بزند واستاثم أمر باحترامها وتوقيرها والمحافظة على ضبطها وتحريرها والعمل بها والاقتداء بمبانيها وتعلق أهل ملته بقوادمها وخوافيها ثم رفعت الى خزائنه وهي عندهم أعز من الكبريت الاحمر في معادنه واسمها بالمغلي التوره وتفسيرها الملة المأثوره فاذا جلس منهم سلطان على سرير وذلك بما للرؤساء من اتفاق وتدبير وعادتهم في ذلك انهم اذا رفعوا عليهم سلطانا وأرادوا أن يبنوا الدار المملكة خانا اجتمع الامراء من الاطراف واستدعوا أركان الثغور والاكناف واشتوروا وأقاموا بينهم مدة أيام واستمروا في ذلك ما بين نقض وابرام وربما أقاموا في ذلك الجمع العام حولا جميعا أرضعا في عام ويسمون تلك الجمعية قورلتاى وهي مستمرة الحكم في المغل والجغتاى وسبب ذلك تدافع الامره والفرار من تلك السلطنة الحلوة المره كما كان الصحابة الكرام يتدافعون الفتاوى خوف الآثام فاذا وقع الاتفاق بين الرفاق وامراء الجند ورؤساء الآفاق على واحد من أولاد الخان وأن يكون عليهم الملك والسلطان وتصوب الرأي عليه وتسدد وضعوه على لبد أسود ثم رفعه من الارض الى السرير أربعة أنفس كل أمير كبير كل حامل بطرف رافع في زعمه راية الشرف والخان يصيح بلسان فصيح يا رؤساء ويا أمراء ويا ملوك ويا زعماء أنا ما أقدر أن أتسلطن عليكم ولا طاقة لي أن أتحكم لديكم ولا قوة لي بهذا الحمل الثقيل والدخول تحت هذا الامر العريض الطويل فيقولون بلى يا مولانا الخان تقدر أن تقوم بحمل أعباء هذا الشأن فيتكرر الخطاب ويتعدد الجواب حتى يجلسوه على السرير ويبتهج بذلك الكبير والصغير والمأمور والامير ثم يأتون بالتوراة الجنكزخانية الملعونة الشيطانيه منزلة معظمه محترمة مكرمه فينهضون اعظاما لها ويتبركون بمسهم اذيالها فينشرونها ويشهرونها ثم ينصتون فيقرؤنها ثم يبايعون الخان على اقامتها وأن يراعي أحكامها حق رعايتها ويبايعهم على امتثال أحكامها واجراء نقضها وابرامها فيجيب كل منهم الامر على ذلك وأن يقيم شعائرها الملوك والممالك ثم يضربون له الجنوك ثلاث مرار ثم يتوجهون الى الشمس في وجه النهار

هذه المرأة الناصحة المشفقة التي لا يوجد في الارض مثلها فقال الملك بحق قلت يا بلاذ وقد قبلت قولك ولست عاملا بعدها عملا صغيرا ولا كبيرا فضلا عن مثل هذا الامر العظيم الذي سلمت منه الا بعد المؤامرة والنظر والتردد الى ذوي العقول ومشاورة أهل المودة والرأي ثم أحسن الملك جائزة ايلاذ ومكنه من أولئك البراهمة الذين أشاروا بقتل أحبابه فاطلق فيهم السيف وقرت عين الملك وعيون عظماء أهل مملكته وحمدوا الله وأثنوا على كباريون لسعة علمه وفضل حكمته لان بعلمه خلاص الملك ووزيره الصالح وامرأته الصالحة *انقضى باب ايلاذ وبلاذ وايراخت

(باب اللبوة والاسوار والشعهر)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثلا في شأن من يدع ضر غيره اذا قدر عليه لما يصيبه من الضر ويكون له فيما ينزل به واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعداوة لغيره قال الفيلسوف انه لا يقدم على طلب ما يضر بالناس وما يسوءهم الا أهل الجهالة والسفه وسوء النظر في العواقب من أمور الدنيا والآخرة وقلة العلم بما يدخل عليهم في ذلك من حلول النقمة وبما يلزمهم من تبعة ما اكتسبوا مما لا تحيط به العقول وان سلم بعضهم من ضرر بعض عنيه عرضية له قبل ان ينزل به وبال ما صنع فان من لم يفكر في العواقب لم يأمن المصائب وحقيق ان لا يسلم من المعاطب وربما تعظ الجاهل

ويضربون لها الجنوك ويسجد لها من فيهم من ملك ومملوك ولا يفعلون هذا الفعل الشنيع الا في أيام الربيع فاذا تعاقدوا وتبايعوا وتعاهدوا وتتابعوا رفعوا تلك الكفريات واحضروا الآلات الحربيات فادار الخان عليهم الكاسات واستعملوا الاقداح والطاسات وفتح الخزائن وأظهر المكامن ونثر النثار من الدرهم والدينار وخلع الخلع والتشاريف وأعاد في دروس النفائس ابحاث التصريف واستمروا على ذلك أياما والانعامات تدر عليهم خاصا وعاما ثم يأذن لهم فيتفرقون ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون وهذه الطريقة مستعمله والى آخر وقت غير مهمله في جميع ممالك الشرق من الخطا والدشت والصين والمغل والجتا وفي ولايات الجغتاي والروم قد اعتادوا غالب هذه القواعد والرسوم فقدموها على القواعد الاسلاميه والشرائع الاحدية المحمديه اللهم ألهمنا الصواب ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وسبب تحركه الى ممالك الاسلام وتوجه عنان سخطه الى طلب الانتقام هو أنه لما استقر أمره وانتشر بعد الجور بالعدل ذكره وطابت بلاده وأمنت وخمدت حركات الظلم وسكنت توجه من بلاد ما وراء النهر فئة في سنة ثلاث عشرة وستمائة فيهم ثلاثة أنفار من أعيان التجار أحدهم يدعى أحمد الخجندي والآخر عبد الله ابن الامير حسن الخجندي والثالث أحمد البلخي ومعهم من أنواع المتاجر ونفائس الاقمشة والذخائر ما يصلح للملوك أولي المفاخر فوصلوا الى بلاده الجاري فيها مياه كفره وعناده وانتهوا الى قوقات والمسيل وهما محل سريره الذليل فاكرم نزلهم ورفع محلهم وأنزلهم في قباب بيض وأفاض عليهم الكرم العريض وكان شعار المسلمين في تلك البلد ان ينزلوهم في قباب بيض من لبد وكانوا يقربون المسلمين ويحترمونهم دون الناس أجمعين ثم ان جنكزخان دعا أحد أولئك الاعيان واستعرض قماشه وساومه بعدما قربه وأكرمه فطلب منه أضعاف ثمنه وسامه ما يقضي بغبنه وغبنه فما رد جوابه ولا اعتبر خطابه ثم طلب رفيقيه واستعرض بضائعهما عليه ثم ساومهما الثمن فقالا يا ملك الزمن ان صلح هذا القماش نخذ منك به بلاش فليكن ثمنه رضاك وهدية في مقابلة ملتقاك وتقدمة منا اليك بل خدمة لخادم أدخلنا عليك فاعجبه هذا الحوار وقال بل أنتم تجار انما جئتم لتربحوا وتكسبوا علينا وتنجحوا وأنتم ضيوفنا فالاولى ان يشملكم معروفنا ولكن أنا أقول قولا وادفع اليكم نولا فان رأيتم فيه فائده وعادت عليكم منه عائده قبلتموه والا فالرأي فيما رأيتموه ثم ذكر لهما مبلغا أرضاهما وبلغ به منتهى مناهما بحيث ربح درهمهما ثلاثة وأربعه وتضاعفت لهما مع قرب الملك المنفعه فقالا رضينا بما رسمت وأنعمت وقسمت فقال لرفيقهما الاول ان رضيت بمثل ما رضي به صاحباك فخذ والا فخذ متاعك وتحول وشأنك وقماشك ونحن مع ذلك رياشك فقال رضيت بما رضيا به وتلطف في خطابه وجوابه فامر في الحال وأحضر المال ووزن الثمن وزادومن وألبسهم الخلع وأفضل في المصطنع وأمر ببضائعهم فرفعت في خزائنه ووضعت ثم أمر خواص بطائنه أن يدخلوا هؤلاء التجار الى خزائنه فلما دخلوا اليها ووقع نظرهم عليها رأوا من نفائس الاموال والذخائر وأصناف الاقمشة والحرائر وأنواع الجواهر الملوكيه وأجناس الامتعة الكسرويه واعلاق ملوك الصين وتحفات الملوك والسلاطين ما أبهت نواظرهم وأدهش أبصارهم وبصائرهم فتنزهوا في محاسنها ابصارهم وأودعوا محاسن مخيلاتها افكارهم ثم أتوا بهم اليه وأدخلوهم عليه فقال ماذا رأيتم في الخزائن من نفائس البحار والمعادن فقالوا مالا يصلح الا في خزائنك ولا ينثر على فرق ملوك المشارق والمغارب الا من مكامن معادنك فقال ما بايعنا كم فارغبنا كم ولا أكرمناكم اذ صحبنا كم بناء على انا عادمون ولا أنا بقيمة الاشياء وقدرها جاهلون وانما فعلنا ذلك الاحسان وجبرنا منكم النقصان لعدة معان أحدها أنكم أضيافنا وقد شملكم كرمنا وانصافنا ثانيها ان فضلنا الفضيل يقتضي إكرام النزيل ثالثها انكم مسلمون والمسلمون عندنا مكرمون رابعها أردنا

واعتبر بما يصيبه من المضرة من الغير فارتدع عن ان يغشى أحدا بمثل ذلك من الظلم والعدوان وحصل له نفع ما كف غيره من ضرره لغيره في العاقبة فنظير ذلك حديث اللبوة والاسوار والشعهر قال الملك وكيف كان ذلك قال الفيلسوف زعموا ان لبوة كانت في غيضة ولها شبلان وانها خرجت في طلب الصيد وخلفتهما في كهفهما فمر بهما أسوار فحمل عليهما ورماهما فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما وانصرف بهما الى منزله ثم انها رجعت فلما رأت ما حل بهما من الامر الفظيع اضطربت ظهرا لبطن وصاحت وضجت وكان الى جنبها شعهر فلما سمع ذلك من صياحها قال لها ما هذا الذي تصنعين وما نزل بك فاخبريني به قالت اللبوة شبلاي مر بهما أسوار فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما ونبذهما بالعراء قال لها الشعهر لا تضجي وأنصفي من نفسك واعلمي ان هذا الاسوار لم يأت اليك شيأ الا وقد كنت تفعلين بغيرك مثله وتأتين الى غير واحد مثل ذلك ممن كان يجد بحميمه ومن يعز عليه مثل ما تجدين بشبليك فاصبري على فعل غيرك كما صبر غيرك على فعلك فانه قد قيل كما تدين تدان ولكل عمل ثمرة من الثواب والعقاب وهما على قدره في الكثرة والقلة كالزرع اذا حضر الحصاد أعطى على حسب بذره قالت اللبوة بين لي ما تقول وأفصح لي عن اشارته قال الشعهر كم أتى لك من العمر قالت اللبوة مائة سنة

اشتهار اسمنا وان تذكر فى الاقطار طريقة رسمنا خامسها انه اذا سمع بمعاملتنا التجار يقصدون بلادنا من الامصار وسائر الآفاق والاقطار فتعمر المسالك والدروب و يربح الطالب والمطلوب سادسها وهو أعلاها وأحسنها وأقواها أنكم أطلتم وناوافدين وانا لانخيب رجاء القاصدين ثم سرحهم شاكرين ولما سمعوا ورأوا ذاكرين ثم اقتضت الآراء فامر الامراء وأكابر بلاده ورؤساء أجناده ان يجهز كل منهم الى الجهات الغربيه والولايات الاسلاميه من جهته أحدا من المسلمين ببضائع من أمتعة الخطا والصين فى صفة التجار ليتعاملوا فى هذه الديار وتنفتح المسالك على السالك وننقل اليهم بضائع هذه الممالك وتكثر المعاملات وتتحد الممالك والولايات فامتثلوا مراسمه وعدوها غنيمه و يجهز كل منهم من جهته من وثق بامانته واعتمد على كفايته وأعطاه من النقود والاجناس مايصير به من رؤساء الناس واجتمعوا قافله وركبوا السابله نحو أربعمائة وخمسين نفرا كلهم مسلمون كبرا وكتب لهم مراسيم وجائزات باكرام نزلهم فى الدروب والجازات ومعاملتهم بالكرامات وان تهيأ لهم ولدوابهم الاقامات ذهابا وايابا حضورا وغيابا ثم أرسل معهم الى السلطان قطب الدين محمد بن تكش علاء الدين بن ارسلان بن محمد بن انوشتكين وانوشتكين هذا هو أتابك الملوك السلجوقية والسلطان قطب الدين هو الفائق من تلك الذريه رسالة عاطره تستميل خاطره وتسيل من سحائب كرمه مواطره وحسن الجوار ومراعاة جانب الجار وسلوك ماتنتظم به الامور وتطمئن به الصدور و يحصل به الامن للصادر والوارد والرفاهية للقائم والقاعد وتنعقد به أسباب المحبة من الطرفين وأطناب المودة بين الجانبين وفتح باب المراسلات وكشف حجاب المعاملات وان كانت الاديان مختلفه فلتكن القلوب مؤتلفه وشمول نظر الصدقات السلطانيه وعواطف مراحمها الملوكيه على القصاد الوافدين على أبواب مكارمها المستمطرين سحائب صدقاتها وديمها بحيث تسنى مطالبهم وتنهى ماربهم أوكما قال وصدر منه السؤال هذا واما أخبار السلطان قطب الدين فانه كان من أكبر الملوك والسلاطين تملك عراقى العرب والعجم ومافى ممالك خراسان من أمم واستولى على غالب الممالك بالقهر والى أقصى ولايات ماوراء النهر وجعل حرجانية خوارزم مأواه وتلقب لذلك خوارزمشاه ورفع مابين ممالكه و بين ممالك جنكزخان من التتار المسمين بقراجفتاى وعباد الاوثان واسترقهم قهرا وقسرا واستعبهم جبرا وكسرا واستولد من تلك الطائفة المعتدين ولده السلطان جلال الدين فبواسطة انه صار له منهم ولد صاروا أقرب عساكره اليه وعليهم المعتمد فكانوا شعوبا وقبائل يخرج منهم سبعون ألف مقاتل ومنهم أيضا كانت أمه وأخواله وخيله ورجاله الى أن خانوه و بدلوه وناصانوه واستدفع بهم طارق البلاء فكانوه *(غريبة نادرة عجيبة)* كان هؤلاء التتار متاخمين بلاد أنزار وهى حد ممالك السلطان وهى سد عظيم بين المسلمين و بين جنكزخان فغزاهم السلطان وأبادهم واستعبد كما ذكر أجنادهم فارتفع السد من البين وانهدم الفاصل بين الجانبين واتصلت المملكتان كالمحبين أعنى مملكة السلطان ومملكة جنكزخان فسرت السرائر وابتهجت الضمائر ودقت فى ممالك السلطان قطب الدين البشائر وزينت الولايات بانواع النثائر وكان فى نيسابور من أكابر الصدور شخصان من العلماء فاجتمعا وأقاما العزاء فسئلا عن موجب هذا البكاء وانما الناس فى فتوح وهناء فقالا أنتم تعدون هذا السلم فتحا وتتصورون هذا الفساد صلحا وانما هو مبدأ الخروج وتسليط العلوج وفتح سد يأجوج ومأجوج ونحن نقيم العزاء على الاسلام والمسلمين ومايحدث من هذا الفتح من الحيف على قواعد الدين وستعلمن نبأه بعد حين وأنشدا فارشدا

وعلمت ان فراقكم لابد أن * يجرى له دمعى دما وكذا جرى

وكان السلطان قد دانت له البلاد واستولى على أهل اليفاع والوهاد وأباد ملوك العجم وتفرد بسياسة تلك الامم وتحت ملكه مملكة خوارزم وقد صمم العزم بحزم وحمل الناس على نزع الخلافة من آل

قال الشعهر ماكان قوتك قالت اللبوة لحم الوحش قال الشعهر من كان يطعمك اياه قالت اللبوة كنت أصيد الوحش وآكله قال الشعهر ارأيت الوحوش التى كنت تاكلين أماكان لها آباء وأمهات قالت بلى قال الشعهر فمابالى لاأرى ولا أسمع لتلك الآباء والامهات من الجزع والضجيج ماأرى وأسمع لك اما انه لم ينزل بك مانزل الا لسوء نظرك فى العواقب وقلة تفكرك فيها وجهالتك بمايرجع عليك من ضرها فلما سمعت اللبوة ذلك من كلام الشعهر عرفت ان ذلك مماجنت على نفسها وان عملها كان جورا وظلما فتركت الصيد وانصرفت عن أكل اللحم الى أكل الثمار والنسك والعبادة فلما رأى ذلك الورشان كان صاحب تلك الغيضة وكان عيشه من الثمار قال لها قد كنت أظن ان الشجر عامنا هذا لم يحمل لقلة الماء فلما أبصرتك تاكلينها وأنت آكلة اللحم فتركت رزقك وطعامك وماقسم الله لك وتحولت الى رزق غيرك فانتقصته ودخلت عليه فيه علمت أن الشجر العام أثمرت كما كانت تثمر قبل اليوم وانما أتت قلة الثمر من جهتك فويل للشجر وويل للثمار وويل لمن عيشه منها ماأسرع هلاكهم اذا دخل عليهم فى أرزاقهم وغلبهم عليها من ليس له فيها حظ ولم يكن معتادا لاكلها فلما سمعت اللبوة ذلك من كلام الورشان تركت أكل الثمار وأقبلت على أكل الحشيش والعبادة وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان الجاهل ربما انصرف بضر يصيبه عن

عباس ووضعها في آل علي وقد توجه الى العراق بهذا القصد الجلي فوصل الى حدود العراق وهو مجد على هذا الاتفاق فوصل أولئك التجار الى اترار من صوب جنكزخان وبها من جهة السلطان نائب يدعى قاير خان فلما وصلوا الى البلد أخبر بهم النائب الرصد فحبسهم عنده في مكان وأرسل يستأمر فيهم السلطان وبشع العباره وشنع السفاره وذكر انهم جواسيس تستروا بالتجاره وان معهم من الاموال ما يوازي الرمال ويوازن الجبال مصراع * وما آفة الاخبار الا رواتها * فأمره بقتلهم وأخذ ما معهم وسلبهم ففي الحال أبادهم وسلبهم طارفهم وتلادهم وأرسل المال الى السلطان وأوصله حسبما رسم به الى الديوان فطرحوه على تجار بخارى وسمرقند كما يطرح على مساكين دمشق القند واستخلصوا ثمنه بالظلم وزادوا عليهم فيه الغرم وكان سبب ذلك أن تاجرا عند قاير خان أراد أن لا يكون عند السلطان تاجر سواه فتبعه قاير خان لما أغواه فتعددت الاسباب وانفتح للشر أبواب وقالوا شر أهر ذاناب فلم يفلت منهم سوى رجل واحد أنجاه الله من العدو والحاسد فاختفى واتصل الى بلاده وأخبرهم بوقوع الامر وفساده فغضب جنكزخان وتحرك منه باعث العدوان ثم تثبت في أمره وتلبث في فكره وأرسل الى السلطان رسالة فيها تهديد وبساله وكان السلطان خوارزمشاه لما أبدى هذا الخطا وأنشاه طير مراسيمه الى أطراف الممالك يأمرهم بالمحافظة على دربندات المسالك ويحرض ولاة الامور وأصحاب الادراك في المضايق والثغور والطلائع والارصاد على منع القصاد وكف من يخرج من تركستان الى صوب ممالك جنكزخان ثم أرسل من جهته جواسيس يختبر أحوال ذلك الابليس ويتفقد أموره وأوضاعه ومقدار عسكره وأمرهم في الطاعه وما قصده أن يفعل ليستعد له بحسب ما يعلم منه ويعمل فتوجهت جواسيس السلطان وطال في غيبتهم الزمان وقطعوا الجبال والقفار وسلكوا المفاوز والاوعار حتى وصلوا الى بلاده وفحصوا عن أمره واستعداده وخبروا أمر جنده وعتاده وأوضاع عسكره وتعداده فرجعوا بعد مدة مديدة وازمان وأخبروا بما حققوه السلطان وأن عدد عساكره يفوت الاحصاء ويخرج عن دائرة الاستقصاء وأنهم أطوع البرية للملك وأثبت جنانا من الاسد المنهمك وأصبر جندا على القتال كأن أمر الهزيمة عندهم محال وانهم اذا واثبوا أو حاربوا أو سالبوا أو لاسبوا أو رابضوا أو ضاربوا خابطوا ثم خاطبوا بقوله

ونحن أناس لا توسط بيننا * لنا الصدر دون العالمين أو القبر

وانهم لا يحتاجون في الاسفار ولا عند مفاجأة الاخطار الى كثير مؤنه ولا كبير معونه بل كل منهم ينهض باحتياجه واحتياج مركوبه الى الجامه واسراجه ويستبد بعمل سلاحه وجميع ما يستعين به سفرا وحضرا في صلحه وصلاحه ونطاحه وكفاحه وكذلك ملبوسه وزاده وسائر أهبته وعتاده فندم خوارزمشاه على ما قدمت يداه من قتل أصحابه وفتح سد الثغر وبابه وأنى يجدي الندم وقد زلت القدم وتبدل الوجود بالعدم وغرق في بحر الهموم وهمى عليه غمام الغموم فشاور لما التقى الشهاب الخيوقي وهو فقيه فاضل ونبيه كامل عالم أجل كبير المحل له عنده محل خطير لا يخالفه فيما يشير فان رأيه سديد وقوله وفعله رشيد فقال له يا امام قد تحرك على الاسلام عدو ألد الخصام بعساكر كالرمال ذوي صدمات كالجبال فما ترى فيما طرا فقال في عساكرك كثره وأنت ذوقوة ووفره وزفر اقدامك له زفره فكاتب الاطراف واجمع عساكر الاكناف وادع أهل بيضة الاسلام الى هذا النفير فانه عام فاذا وفدوا عليك وتمثلوا بين يديك توجه بهم الى نهر سيحون واجعل ساحله من تلك الجنود مشحون واملأ بهم تلك المهامه والقفار وحصن ممالكك الى حدود اترار فان أقبل العدو المخذول لم يصل الا وهو من الكلال محلول فانه يأتي من بلاد بعيده بجنود عديده وقد أثر فيه النصب وأخذ منه التعب والوصب فتلاقيه على سيحون وهم كالون ونحن مستريحون فجمع بعد ذلك أمراءه ووزراءه وزعماءه وعرض عليهم ما جاءهم وطلب منهم آراءهم فلم يرتضوا رأي الشهاب لامر يريده مسبب الاسباب وقالوا بل نتركهم

ضر الناس كاللبوة التي انصرفت لما لقيت في شبليها عن أكل اللحم ثم عن أكل الثمار بقول الورشان وأقبلت على النسك والعبادة والناس أحق بحسن النظر في ذلك فانه قد قيل ما لا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك فان في ذلك العدل وفي العدل رضا الله تعالى ورضا الناس

انقضى باب اللبوة والاسوار والشعهر

(باب الناسك والضيف)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الذي يدع صنعه الذي يليق به ويشاكله ويطلب غيره فلا يدركه فيبقى حيران مترددا قال الفيلسوف زعموا انه كان بأرض الكرج ناسك عابد مجتهد فنزل به ضيف ذات يوم فدعا الناسك لضيفه بتمر ليطرفه به فأكلا منه جميعا ثم قال الضيف ما أحلى هذا التمر وأطيبه فليس هو في بلادي التي أسكنها وليته كان فيها ثم قال أرى ان تساعدني على ان آخذ منه ما أغرسه في أرضنا فاني لست عارفا بثمار أرضكم هذه ولا بمواضعها فقال له الناسك ليس لك في ذلك راحة فان ذلك يثقل عليك ولعل ذلك لا يوافق أرضكم مع ان بلادكم كثيرة الاثمار فما حاجتك مع كثرة ثمارها الى التمر مع وخامته وقلة موافقته للجسد ثم قال له الناسك انه لا يعد حليما من طلب ما لا يجد وانك سعيدا الجد اذا قنعت بالذي تجد وتزهدت فيما لا تجد وكان هذا الناسك يتكلم بالعبرانية فاستحسن الضيف

حتى يقطعوا الاوعار والمضايق ويتورطوا فى بلادنا بالعوايق فتزداد مشقتهم وتطول فى المسير شقتهم لاسيما وهم بارضنا جاهلون وعن مداخلها ومخارجها ذاهلون فاذا حصلوا فى قبضتنا كان أمكن لنهضتنا فنضيق عليهم واسع رحابها وأهل مكة أخبر بشعابها وذهل أولئك الجمع عما رآه الفقهاء وهو أن الدفع أولى من الرفع وبينماهم فى المشاورة والمراوده ورد قاصد جنكزخان برسالة المناكده وفيها من التشنيع والتقريع والتهديد والتبشيع العجب العجاب ومايشيب الغراب فمن جملة تشنيعاته ومضمون ترهاته ما معناه فى فحواه كيف تجرأتم على أصحابى ورجالى وأخذتم تجارتى ومالى وهل ورد فى دينكم أو جاز فى اعتقادكم ويقينكم أن تريقوا دم الابرياء أو تستحلوا أموال الاتقياء أو تعادوا من لاعاداكم وتكدروا عيش من صادقكم وصافاكم أتحركوا الفتن النائمة أو تثيروا الشرور الجاثمة أوماجاءكم عن نبيكم وسر بكم وعليكم ان تمنعوا عن السفاهة غويكم وعن ظلم الضعيف قويكم أوما أخبركم مخبروكم وبلغكم عنه مرشدوكم ونبأكم محدثوكم اتركوا الترك ماتركوكم وكيف تؤذون الجار وتسيئون الجوار ونبيكم قد أوصى به مع انكم ماذقتم طعم شهده أوصابه ولابلوتم شدائد أوصافه وأوصابه ألا ان الفتنة نائمة فلا توقظوها وهذه وصايا اليكم فعوها واحفظوها وتلافوا هذا التلف واستدركوا ما سلف قبل ان ينهض داعى الانتقام ويتحرك من الفتن حامى الاضطرام ويقوم سوق الفتن ويظهر من الشر مابطن ويموج بحر البلاء ويروج وينفتح عليكم سد ياجوج ومأجوج وسينصر الله المظلوم والانتقام من الظالم أمر معلوم ولابد ان الخالق القديم والحاكم الحكيم يظهر أسرار ربوبيته وآثار عدله فى بريته فان به الحول والقوه ومنه النصرة مرجوه فلترون من جزاء أعمالكم العجب ولينسلن عليكم ياجوج ومأجوج من كل حدب وكان اللعين جنكزخان قد مشى على تركستان وأخذ منها عنوة كاشغر وبلاساغون وصار ثانى حوز ذلك الملعون وكانتا فى يد كوجلك خان ابن أونك خان المار ذكره فى أول القصه لما قتله جنكزخان وقصه وهرب ولده كوجلك خان المغبون واستقر فى شاغر وبلاساغون الى ان مشت العساكر عليه وأخذت تلك الاماكن من يديه فلما وصل هذا الخطاب الى ذلك الاسد الوثاب أمر بمقدم القصاد ورئيس أولئك الوراد فضربت رقبته ومن بقى حلقت لحيته وسخمت بالسواد حليته ثم رد الجواب بابشع خطاب ومن فحواه وبارد ماحواه انى سائر اليك وهاجم عليك بجنود الاسلام وأسود الآكام وكل بطل ضرغام ولو بلغت مطالع الشمس حللت فى قعر الرمس وجاءلك كذاهب أمس فتيقن ذلك واعلم انك لامحالة هالك ورد قصاده على عقبهم وقصد التوجه فى ذنبهم فتجهز وسار بعسكر جرار الى صوب التتار وأوصل السير وسابق الطير وأراد أن يسبق الخبر ويكبس التتر ويريهم عين العلة قبل الاثر فالوى من العراق وسار وساق فقطع ممالك خراسان وولايات ماوراء النهر وتركستان وهجم بذلك البحر الزخار فى تلك المهامه والقفار فوصل الى حشم فى بيوت وهم آمنون فى سكون وسكوت ليس فيهم غير نساء وصبيان ومواش وبعران رجالهم غائبة وأمورهم بواسطة الامن سائبه وكانت رجالهم توجهت لاخذ الثار من بعض التتار بواسطة عدوان وقع بينهم وبين كوجلك خان فقاتلوهم وكسروهم ونهبوا أموالهم وحصروهم ففى غيبتهم وصل السلطان الى بيوتهم وفى أمنهم وسكوتهم وليس فيهم الا الحريم والاطفال والمواشى والاثقال لايؤبه اليهم ولايعول عليهم فاستولى عليهم ونهبهم وسلبهم عيشهم وسلبهم وأسر العساكر فنهبوهم وأسروهم وفرقوهم وكسروهم وهم الجم الغفير والعدد الكثير والمال الغزير ورجع السلطان من فوره وابتدا فى حوره بعد كوره وتصور انه أغنى وأسكى وانه أضحك ولياوعدوا أبكى فما هو الا وضع على القرح كيه وداس ذنب الحيه ثم رجع التتار ورأوا ماحل بأهلهم من بوار وانهم أخرجوا من ديارهم وأولادهم ونكبوا فى طريقهم وبلادهم وأن نساءهم أسرت وصفقتهم خسرت فما وفت نصرتهم بكسرتهم ولاقامت فرحتهم بحسرتهم التهبوا واضطربوا واضطرا واصطدموا وأخذتهم الحميه وعصبتهم العصبيه وتنادوا ياللغارات وطلب

كلامه وأعجبه فتكلف ان يتعلمه وعالج فى ذلك نفسه أياما فقال الناسك لضيفه ما أخلقك ان تقع مما تركت من كلامك وتكلفت من كلام العبرانية فى مثل ماوقع فيه الغراب قال الضيف وكيف كان ذلك قال الناسك زعموا ان غرابا رأى حجلة تدرج وتمشى فاعجبته مشيتها وطمع أن يتعلمها فراض على ذلك نفسه فلم يقدر على احكامها وأيس منها وأراد أن يعود الى مشيته التى كان عليها فاذاهو قد اختلط وتخلع فى مشيته وصار أقبح الطير مشيا وانما ضربت لك هذا المثل لما رأيت من انك تركت لسانك الذى طبعت عليه وأقبلت على لسان العبرانية وهو لايشاكلك وأخاف ان لاتدركه وتنسى لسانك وترجع الى أهلك وأنت أشرهم لسانا فانه قد قيل انه يعد جاهلا من تكلف من الامور مالايشاكله وليس من عمله ولم يؤدبه عليه آباؤه وأجداده من قبل * انقضى باب الناسك والضيف

(باب السائح والصائغ)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى شأن الذى يضع المعروف فى غير موضعه ويرجو الشكر عليه قال الفيلسوف أيها الملك ان طبائع الخلق مختلفة وليس مما خلقه الله فى الدنيا مما يمشى على أربع أو على رجلين أو يطير بجناحين شئ هو أفضل من الانسان ولكن من الناس البر والفاجر وقد يكون فى بعض البهائم والسباع والطير ماهو أوفى منه ذمة

الثارات وتناجى منهم احاة الحقايق وكماة المضايق وتتبعوا فى الحال آثار الرجال من غير اهمال ولا امهال وسلكوا الآثار لاخذ الثار وأكبوا كالبرق الخاطف وزعقوا كالرعد القاصف واندفعوا كالريح العاصف واندفقوا كالسهم الناقف ودهموا كالليل المدرك وهجموا كالسيل الهالك فادركوا عساكره بشرور ثائره ومراجل صدور بالضغائن فائرة فلم يشعروا الا العدو المضرم غشيهم كالقضاء المبرم فألوت عساكره وقابلت واستعدت وقاتلت والتفت الرجال بالرجال وضاقت ميادين المجال واستمرت ضروب الحرب بينهم سجال وتطاولت سهام الموت لقصر الآجال وتهللت ثنايا المنايا لبكاء السيوف وتبسمت ثغور الرزايا الفتوح الحتوف واستمرت ديم السهام من غمام القتام على رياض الصدور ترتمى ولوامع بروق السيوف على قمم تلك الصفوف بعد الوابل الوسمى بالصواعق ترمى ثم انتقلوا من معاشقة المراشقه الى مراشقة المعانقه ومن مكالمة المضاربه الى ملاكمة الملاببه ومن مخادعة المقارعة الى مسارعة المصارعه وامتدت بهم الحال فى هذا القتال والجدال ثلاثة أيام مع الليال لا يسأمون الطعن والضرب ولا يملون مباشرة الحراب والحرب الى ان جرى من الدماء طوفان وكاد يظهر سر كل من عليها فان كل ذلك وكاتب البيض والسمر يستوفى من اقلام الخط فى صحائف الصفائح مستوردات العمر ولم يسمع بمثل هذا القتال ولا بنظير هذا الضراب والنضال فى سالف الازمنة والاعصر الخوال وما أمكن تولى احدى الطائفتين ولا نكوص جهة من الجهتين أما طائفة المسلمين فلحمية الدين ولو ولوا الادبار لما أبقت التتار لبعد الديار وصعوبة القفار منهم نافخ نار وأما الكفار فللغيرة على ذوات الاستار واستخلاص الاطفال والصغار من قيد الذل والصغار ورق الاسار فصارت الخضراء غبراء والغبراء حمراء والصحراء بحرا والقتلى تلا والجرحى ترحى ولم يثبطهم عن استيفاء القتال غير انحلال الاعضاء والكلال فانفصلوا وما انفصلوا وانقطعوا بعدما اتصلوا وحلوا بعدما كلوا وتراجع كل عن صاحبه بعد ذوبان قلبه وقالبه واستفراغ جهده بما وصلت اليه غاية كده ثم استوفى ناظر القضاء ما أورده عامل الفناء من سهم المنون الى ديوان برزخ الى يوم يبعثون من أرواح الشهداء الابرار وأنفس الاشقياء الكفار الوارد من تلك المعركه الساكن من حركات هاتيك التهلكه فكان من المسلمين عشرون ألفا ومن الكفار كذا وكذا ضعفا غير أنه لم يمكن حصرهم ولم يعرف قدرهم فلما كانت الليلة الرابعه وهى الليلة الفارقة القاطعه أوقد كل من الفريقين فى منزله النار وأكثر من القبائل فى المنازل والآثار وتركها وسار فوصل السلطان من بلاد تركستان وقطع سيحون نهر خجند ووصل الى بخارى وسمرقند وشرع فى تحصين البلاد والقلاع والاحتفاظ بمدن الممالك عن الضياع وقد سكن اليهم فؤاده ونهب القلق والارق رقاده وعلم المسلمون انه خان وأنه لا طاقة لهم بالتتار فخافوا حلول البوار ونزول الدمار وتيقنوا خراب الديار لان السلطان عاجز ولا بد من قدوم بلاء ناجز وقالوا اذا كان هذا الخور من شرذمة قليلة من التترفى طرف من أطراف بلاده لا فيهم أحد معتبر من أجناده ولا رئيس يشار اليه من أولاده ولا درى ولا علم بما جرى فكيف اذا دهم بطامته الكبرى واحشاد جيوشه العظمى فترك خوارزمشاه ببخارى عشرين ألف مقاتل وفى سمرقند خمسين ألف مناضل وقرر معهم أنه سيجمع الجنود ويستجيش أبطال المسلمين ويعود وتوجه بثبات عزم واضاعة حزم الى سرير ملكه خوارزم ثم انتقل الى خراسان وخيم بضواحى بلخ فى مكان وأقام رخى البال كان الشئ ما كان ثم لا زال يضمحل ويذوب ويحل به ما يحله من نوائب الخطوب حتى انتقل الى جوار الرحمن فى أطراف طبرستان فى سنة سبع عشرة وستمائة وكانت ولايته فى العشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وكان ملكا عظيما وسلطانا جسيما ذا صولة قاهره ودولة باهره وجولة أرقدت الملوك بالساهره فاضلا فقيها عالما بانيها اضمحل بأدنى حركة

ملكه

وأشد محاباة على حرمه وأشكر للمعروف وأقوم به وحينئذ يجب على ذوى العقل من الملوك وغيرهم ان يضعوا معروفهم مواضعه ولا يضيعوه عند من لا يحتمله ولا يقوم بشكره ولا يصطنعون أحدا الا بعد الخبرة بطرائقه والمعرفة بوفائه ومودته وشكره ولا ينبغى ان يختصوا بذلك قريبا لقرابته اذا كان غير محتمل للصنيعة ولا ان يمنعوا معروفهم ورفدهم للبعيد اذا كان يقيهم بنفسه وما يقدر عليه لانه يكون حينئذ عارفا بحق ما اصطنع اليه مؤديا لشكر ما أنعم عليه محمودا بالنصح معروفا بالخير صدوقا عارفا مؤثرا الجميل الفعال والقول وكذلك كل من عرف بالخصال المحمودة ووثق منه بها كان للمعروف موضعا ولتقريبه واصطناعه أهلا فان الطبيب الرفيق العاقل لا يقدر على مداواة المريض الا بعد النظر اليه والجس لعروقه ومعرفة طبيعته وسبب علته فاذ عرف ذلك كله حق معرفته أقدم على مداواته فكذلك العاقل لا ينبغى له أن يصطفى أحدا ولا يستخلصه الا بعد الخبرة فان من أقدم على مشهور العدالة من غير اختبار كان مخاطرا فى ذلك ومشرفا منه على هلاك وفساد ومع ذلك ربما صنع الانسان المعروف مع الضعيف الذى لم يجرب شكره ولم يعرف حاله فى طبائعه فيقوم بشكر ذلك ويكافئ عليه أحسن المكافأة وربما تحذر العاقل من الناس ولم يأمن على نفسه أحدا منهم وقد يأخذ ابن عرس فيدخله فى كمه ويخرجه من الآخر كالذى يحمل الطائر على يده فاذا صاد شيئا انتفع به وأطعمه منه وقد قيل

ملكه وغرق فى بحر الفناء بعد الطغيان فلكه وركن الى الخطا فوقع فيه وخانته عساكره وتخالوه وود الحل منه وفيه وكان فى خزائنه عشرة آلاف ألف دينار ومن أجناس الاقمشة والامتعة والاسلحة مالا يحصيه الا الواحد القهار وكان فيها ألف حمل من القماش الاطلس واضعاف ذلك من نفيس النفائس وأنفس ومن الخيل المسوّمة عشرون ألف جنيب ومن المماليك الملوك عشرة آلاف كل له فى دار الملك ربع نصيب وأوفر حظ ونصيب فما أفاد ذلك ذره بل نبشوا بعد موته قبره وقطعوا رأسه وجفوا به ناسه فسبحان من لا يزول سلطانه وعز وعلا من لا يذل شانه

فما كف ذو كف له رائد الردى * ولا مال بالاموال عنه حمامه

ولا ملك كلا ولا ملك حى * حمى ملكه لما عرا انهدامه

وبسط المقول فيه شرح يطول (وأما) أمر الطاغيه صاحب الفئة الباغيه جنكزخان لما وصل قصاده من عند السلطان بعد الفناء والشده لحاهم محلوقة ووجوههم مسوده وقد قتل رئيسهم وخلا من نقد مرادهم كيسهم ذهب حفاظه والتهب شواظه وطمت بحار كفره وتلاطمت وتزعزعت أطواد شركه وتصادمت وبيناهو يرغى ويزبد ويقوم من غضبه ويقعد اذ جاءه الخبر الثالث وهو شر الحوادث اذ فيه خبر من قتل من الكفار وانتقل من دار الخسار الى دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار فاعمل فى قلبه نصاله وكان أولا قد زاد على قرحه قرح مثاله ثم كان خبر هذا القرح مطاه فزورا على جرح فقامت قيامته وتعوجت بالحزن قامته وود لو أحرق الكون بأنفاسه وهدم أساس المكان بفاس باسه ثم تروّى وافتكر وتهوى من جر هذا الشرر ثم قصد مذهب الاعتزال وانزوى عن جماعته فى مكان خال ودخل الى مكان خراب وعفر وجهه فى التراب وتضرع الى الله الحليم وقال ياخالق ياقديم أنا أردت أن أعمر بلادك وأنعش عبادك فظلمهم يااله عبدك خوارزمشاه وتعدى على وكرر الاساءة الى فانتصر لى منه وانتقم فانك جبر من كسر وعون من ظلم واستمر على هذه الحال ثلاثة أيام وليال لا يأكل ولا يشرب ولا يفتر عن التضرع والطلب يمرغ رأسه ووجهه فى الثرى ويقصد فيما يرومه رب الورى وقد قيل

تضرع جنكزخان لله ساعة * وأخلص فيما رامه وهو مشرك

فما خاب فيما رامه من فساده * ومازال يعثو فى الانام ويسفك

فما بال من لله طول حياته * يوحد بالاخلاص هل هو يهلك

ثم نهض نهضة أنام فيها الانام وقام قومة أقام بها ساعات القيام فتوجه من مشركى التتار وعساكر الكفار بالبحار الطاميه والامطار الهاميه وجبال النيران الحاميه فى شهور سنة خمس عشرة وستمائة ومشوا على ممالك الاسلام وساروا على بسيط العالم سير الغمام وأرادوا اطفاء نور الايمان من اشراكهم بظلام فوصلوا الى البلاد وهى جنة المرتاد آمنة مطمئنه ساكنة مستكنه وليس لها مانع ولا ممانع ولا لهم عنها دافع ولا مدافع ولا بها حام ولا محام ولا سام ولا مسام فاخنوا على جند وقراها وولايتها وما والاها رابع صفر عام ستة عشر وأظهروا فيها علامات الحشر فادهشوا وهلها وسبكوا أهلها ودكوا جبالها وملؤا بجبال القتلى سهلها فقتلوا الخاص والعام ومدوا الى ذخائرها النهب العام فأراح بها رحله وخيله وأحاط بها ثبوره وويله واستمروا فيها است عشرة ليله ثم تنقلوا عن جند الى ولايات اند كان وفناكث وخجند فاخذوها وقتلوا وفعلوا كما كانوا فعلوا ثم الى بلدة مرغينان وكانت دار مملكة ايلك خان ثم الى أطراف تركستان ومنها سيرام وتاش كند وباقى البلدان ثم الى نسف وأترار وسغناق ومامن أمهات البلاد فى تلك الآفاق

لا ينبغى لذى العقل أن يحتقر صغيرا ولا كبيرا من الناس ولا من البهائم ولكنه جدير بان يبلوهم ويكون بما يصنع اليهم على قدر ما يرى منهم وقد مضى فى ذلك مثل ضربه بعض الحكماء قال الملك وكيف كان ذلك قال الفيلسوف زعموا أن جماعة احتفروا ركية فوقع فيها رجل صائغ وحية وقرد وببر ومر بهم رجل سائح فاشرف على الركية فبصر بالرجل والحية والببر والقرد ففكر فى نفسه وقال لست أعمل لآخرتى عملا أفضل من أن أخلص هذا الرجل من بين هؤلاء الاعداء فاخذ حبلا وأدلاه الى البئر فتعلق به القرد لخفته فخرج ثم دلاه ثانية فالتفت به الحية فخرجت ثم دلاه الثالثة فتعلق به الببر فاخرجه فشكرن له صنيعه وقلن له لا تخرج هذا الرجل من الركية فانه ليس شئ أقل من شكر الانسان ثم هذا الرجل خاصة ثم قال له القرد ان منزلى فى جبل قريب من مدينة يقال لها نوادرخت فقال له الببر أنا أيضا فى أجمة الى جانب تلك المدينة قالت الحية أنا أيضا فى سور تلك المدينة فان أنت مررت بنا يوما من الدهر واحتجت الينا فصوت علينا حتى نأتيك فنجزيك بما أسديت الينا من المعروف فلم يلتفت السائح الى ماذكروا له من قلة شكر الانسان وأدلى الحبل فاخرج الصائغ فسجد له وقال له لقد أوليتنى معروفا فان أتيت يوما من الدهر مدينة نوادرخت فاسأل عن منزلى فانا رجل صائغ لعلى أكافئك بما صنعت الى من المعروف فانطلق الصائغ الى مدينته وانطلق السائح الى جانبه فعرض بعد ذلك أن السائح اتفقت له حاجة الى تلك المدينة فانطلق فاستقبله القرد فسجد له وقبل رجليه

فمشوا على سهل البلاد ووعرها * مشي الجراد على القصير الاخضر
فكأنهم موسى على شعر مشت * أو نحل فوق الحديد الاصفر
أو شعلة نار الهوا فتعلقت * فوق الصعيد على الهشيم الاغبر

فكل من أطاعهم وقصد اتباعهم صار من جلدتهم ودخل في عدتهم ومن عصى أو توقف أو خالف أو تخلف سقوه كأس الدمار وأحلوه وقومه دار البوار وأسروا حريمه وأولاده ونهبوا طارفه وتلاده ثم ان تلك الدواهي المصيبه في يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة سبع عشرة وستمائه وصلوا الى بخارى بلدة فضائها لا يجارى قبة الاعيان وكرسي ملوك بني سامان مجمع العلماء والعباد والصلحاء والزهاد ومنبع المحققين من الفقهاء الامجاد والمدققين من النبهاء والانجاد وفيها من الاكابر والاشراف وأوساط الاماثل والاطراف الجم الغفير والطم الكثير فلما رأى العساكر السلطانيه والجيوش الخوارزمشاهيه الذين كان أرصدهم السلطان لحفظ البلدة من طوارق الحدثان وهم عشرون ألفا أن البلاء زحف اليهم زحفا وان كسرتهم منهم لا تخفى وان سيل الويل حطم وموج بحر الدواهي التطم ومن لم يدرك من الغرق نفسه ارتطم شمروا الذيل وخرجوا تحت الليل وقصدوا جيحان والعبور الى خراسان ومقدمهم من أمراء السلطان كورخان وسونج خان وحميد النزري وكوحلي خان فبينما هم على نهر جيحون قاصدين العبور صادفتهم طلائع جنكزخان الكفور فوضعوا السلاح فيهم ومحوهم عن بكرة أبيهم فما أبقوا منهم عينا ولا أثرا ولا سمع لهم أحد خبرا فوهى أمر البلد اذ لم يبق لهم مدد فطلبوا الامان وأرسلوا لذلك القاضي بدر الدين بن قاضي خان فاجابهم الى ذلك وأناب فاطمأنوا وفتحوا الابواب فدخلوا المدينة يرفلون وهم من كل حدب ينسلون فعصى بقية العسكر في القلعه وتصوروا أن يكون لهم منه منعه ففي الحال أمر الرجال بطم الخندق بكل ما وجدوا جل أودق فأتوا بنفائس الاقمشه والذخائر المدهشه والكتب والربعات والمصاحف الشريفة والختمات وطرحوها في الخندق ومشى العسكر عليها وتسلق ونقبوا النقوب وانفذوا الثقوب وكان قد نادى بالامان للقاصي والدان فعجزت القلعه وذهب ما بها من منعه وكان فيها فئة نحو من أربعمائه فباشروا الحرب دوما نحوا اثني عشر يوما فأخذوا عنوة بالانقاب وفتح لهم من كل جهة باب فقتلوا من بها عن آخرهم واستولوا على باطنهم وظاهرهم ثم مدوا أيديهم الى المخدرات وجروا ظاهرا بالمسترات وجعل الناس ينظرون ويبكون وهم يفتكون ويهتكون لا يستطيعون دفعا ولا يملكون ضرا ولا نفعا فاجتمع من أئمة الدين ومن أعلام العلماء المهتدين ومن لم يرض بعمل المفسدين جماعة غاروا وثاروا وفاروا وانضموا الى العلامة القاضي صدر الدين قاضيخان وأولاده السادة القادة الاعيان والحاكم الشهيد الامام العالم السعيد والامام ركن الدين امام زاده واختاروا الموت على الشهاده فحملوا على الفئة الطاغيه والطائفة الكافرة الباغيه وقاتلوا حتى قتلوا والى جوار الله مقبلين انتقلوا فاستشهدوا عن آخرهم ولحق أصاغرهم باكابرهم ودخل جنكزخان الى المدينه وطاف بها على هيئة وسكينه حتى انتهى الى باب الجامع مكان نزه وموضع رائع ومحل شريف ومعبد واسع ولم يكن لذلك البلد الكبير والجم الغفير والجمع الكثير والمصر الواسع من الجوامع سوى جامع واحد يجمع الصادر والوارد ويسع ما شاء الله من الامم وهذا على مذهب الامام الاعظم وهكذا كل أمصار الحنفيه في الممالك الشرقيه والممالك الهنديه وغالب البلاد التركيه فقال جنكزخان هذا بيت السلطان فقالوا بيت الرحمن ومأوى عبادة العباد والعلماء والزهاد وذوي الطاعة والاجتهاد فقال ان أولى ما أقمنا أفراحنا في بيت من خلق أرواحنا ورزق أشباحنا ثم لوى اليه وأقبل عليه ونزل عن دابته ودخل الجامع مع جماعته ثم دعا بامرائه وكبراء جنده وزعمائه واستدعى

واعتذر اليه وقال ان القرود لا يملكون شيأ ولكن اقعد حتى آتيك وانطلق القرد وأتى بفاكهة طيبة فوضعها بين يديه فأكل منها حاجته ثم ان السائغ انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله الببر فخر له ساجدا وقال انك قد أوليتني معروفا فاطمئن ساعة حتى آتيك فانطلق الببر فدخل في بعض الحيطان الى بنت الملك فقتلها وأخذ حليها فأتاه به من غير أن يعلم السائغ من أين هو فقال في نفسه هذه البهائم قد أوليتني هذا الجزاء فكيف لو قد أتيت الى الصائغ فانه ان كان معسر الايملك شيأ فسيبيع هذا الحلى فيستوفي ثمنه فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه وهو أعرف بثمنه فانطلق السائغ فأتى الى الصائغ فلما رآه رحب به وأدخله الى بيته فلما بصر بالحلى معه عرفه وكان هو الذي صاغه لابنة الملك فقال للسائغ اطمئن حتى آتيك بطعام فلست أرضى لك ما في البيت ثم خرج وهو يقول قد أصبت فرصتي أريد أن أنطلق الى الملك وأدله على ذلك فتحسن منزلتي عنده فانطلق الى باب الملك فارسل اليه ان الذي قتل ابنتك وأخذ حليها عندي فارسل الملك وأتى بالسائغ فلما نظر الحلى معه لم يمهله وأمر به أن يعذب ويطاف به في المدينة ويصاب فلما فعلوا به ذلك جعل السائغ يبكي ويقول باعلى صوته لو انني أطعت القرد والحية والببر فيما أمرنني به وأخبرنني عن قلة شكر الانسان لم يصر أمري الى هذا البلاء وجعل يكرر هذا القول فسمعت مقالته تلك الحية فخرجت من جحرها فعرفته فاشتد عليها أمره فجعلت تحتال في خلاصه فانطلقت حتى لدغت ابن الملك فدعا الملك أهل العلم فرقوه ليشفوه فلم يغنوا عنه

الجور

الجور والطبول والزمور وهش الى الكفار وعظمهم وبش فرحا واحترمهم فسجدوا له منهم الملوك وضربوا له الجنوك وعرفوا حقه ورعوا ورفعوا بالثناء صوتهم ودعوا فاذن لهم بالجلوس وان تدار عليهم الكؤس فجلس كل فى مكانه بين اضرابه واخوانه وقام بعض فى مقامه فى وقف حده واحتشامه فتصدر فى مجالس العلم والاذكار ومحاريب الصلاة الكفرة الفجار ورؤس المشركين من المغل والتتار واستبدلت محافل العلم والتدريس بجحافل الشرك والتخبيس ثم احضروا العلماء والاشراف والكبراء وسادات الانام ورؤساء الخواص والعوام وأنزلوا بهم الثبور والويل واحتفظوا بهم واستحفظوهم الخيل وصارت الناس حيارى سكارى وما هم بسكارى وأخذتهم بهتة اذ أتاهم العذاب بغتة ولم يكن بين رحيل السلطان وبين هجوم هذا الطوفان غير خمسة أشهر وأيام سار وافيها سير الغمام وهجموا على العالم هجوم الظلام وكأن الناس كانوا نياما ورأوا فى منامهم أحلاما فلم يوقظهم من هذا الرقاد سوى ابراق البلايا بالارعاد فانسد عليهم طريق الخلاص وخانهم المدد فى شدة الاقتناص وتنادوا ولات حين مناص اذ فارقهم العسكر وهم فى ال المضمار وكان من جملة أولئك الاعيان شخص ولى يدعى السيد الشريف جلال الدين على بن حسن الزيدى وهو المقدم والمقتدى والمسالك الى طريق الهدى وأعلى سادات ما وراء النهر ولدوحة ساداتها بمنزلة الثمر والزهر قد قبض عليه وربطوا الى عنقه يديه ثم استنفار ومرا كبهم وأنشبوا فيه مخاليبهم وهو واقف بباب الجامع فى هيئة الذليل الخاضع فرأى الامام الهمام البحر الطام علم العلماء الاعلام أفضل علماء عصره وأنبل فقهاء دهره الشيخ ركن الدين ابن الامام بوأهما الله تعالى دار السلام وهو فى مثل حاله متسربل بسربال نكاله فقال أيها الامام المفضال ما هذه الاحوال ثم أنشد معنى هذا المقال

أرى حالة يذت لسانى فليس لى * طريق الى أنى أفوه بلفظة

أعض لها كفى وامعك مقلتى * أفى النوم هذا أم أراه بيقظة

فاجاب الامام ما هذا محل الكلام كن عبد الاراده واتبع ما أراده واستمروا يشربون الخمور على أصوات الزمور ويضربون الطبول ويتراقصون رقص التتار والمغول ثم صعد المنبر ابن جنكزخان الاكبر واسمه توشى خان وتكلم بكفر وكفران ثم غنى ورقص ودعا لابيه ونكص ثم صعد بعده أبوه وتكلم بكلام سمعوه ودعا بالخمر وشرب ثم غنى وطرب ثم قال أيها الرجال ان خيلنا هى رأس المال وقد رعيتم الوهد والبقاع وألفتم شعور الكلا من قمم البقاع وقد شبعتم فلا تنسوا الجياع ألا فاشبعوا خيلكم ولا تحرموها نيلكم وحيث رعيتم الخضيم فابغوا لها القضيم وامتثلوا أمر سلطانكم تحظوا منه بامانكم فنهضوا قياما وامتثلوا مرسومه مراما وتهارجوا كالحمير وابتدروا طاب القمح والشعير ثم طغى وتكبر وبغى وتجبر ونزل عن المنبر فلم يكن باسرع من اتيانهم بالحبوب والقضيم المطلوب وأدخلوا الخيل الى الجامع وطلبوا الها مرابط ومواضع ثم أفرغوا خزائن المصاحف والختمات وظروف الكتب وأوعية الربعات وصبوا فيها الشعير وأطعموا فيها الخيل والبغال والحمير فتبددت الكتب المنيفه والمصاحف الشريفه والربعات المعظمه والختمات المكرمه تحت السنابك والحوافر ومواطئ أقدام كل كافر وصارت أبحر القاذورات والخمور على تلك النفائس والقنا تغور ثم انه خرج من البلد وأمر أن لا يترك فى البلد أحد بل يخرجون الى المصلى وولى حفظهم من كفر وتولى ومن تأخر قتلوه وبتكوه بتلوه نفرجوا كالجراد وانتشروا على الوهاد واجتمعوا فى المصلى ثم على المنبر تعلى وخطب خطبة تركيه كافريه مشركيه منها أنكم ركبتم عظائم وأتيتم مآثم وجرائم فتقدم ربكم اليكم أن سلطانى عليكم وهذه الاوزار انما جناها منكم الكبار فلاجل هذا عم البلاء وذهب بجريمة الكبراء

شيأ ثم مضت الحية الى أخت لها من الجن فاخبرتها بما صنع السائح اليها من المعروف وما وقع فيه فرقت له وانطلقت الى ابن الملك وتخايلت له وقالت له انك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرجل الذى قد عاقبتموه ظلما وانطلقت الحية الى السائح فدخلت اليه السجن وقالت له هذا الذى كنت نهيتك عنه من اصطناع المعروف الى هذا الانسان ولم تطعنى وأتته بورق ينفع من سمها وقالت له اذا جاؤا بك الى ترقى ابن الملك فاسقه من ماء هذا الورق فانه يبرأ واذا سألك الملك عن حالك فاصدقه فانك تنجو ان شاء الله تعالى وان ابن الملك أخبر الملك انه سمع قائلا يقول انك لن تبرأ حتى يرقيك هذا السائح الذى حبس ظلما فدعا الملك بالسائح وأمره أن يرقى ولده فقال لا أحسن الرقى ولكن أسقيه من ماء هذه الشجرة فيبرأ باذن الله تعالى فسقاه فبرئ الغلام ففرح الملك بذلك وسأله عن قصته فاخبره فشكره الملك وأعطاه عطية حسنة وأمر بالصائغ ان يصلب فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح ثم قال الفيلسوف للملك ففى صنيع الصائغ بالسائح وكفره له بعد استنقاذه اياه وشكر البهائم له وتخليص بعضها اياه عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن افتكر وأدب فى وضع المعروف والاحسان عند أهل الوفاء والكرم قربوا أو بعدوا لما فى ذلك من صواب الرأى وجلب الخير وصرف المكروه انقضى باب السائح والصائغ

(باب ابن الملك وأصحابه)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فان كان الرجل لا يصيب الخير الا بعقله ورأيه وتثبته فى الامور كما يزعمون فما بال الرجل الجاهل يصيب الرفعة والخير والرجل

الاصاغر والضعفاء ثم ضبط أسماء التجار واستخلص ما عندهم من درهم ودينار وقال هذا ثمن مالى من نقد وأعيان الذى كان متحكموه السلطان فلما استخلص الاموال أمر بقتل الرجال وأسر النساء والاطفال والنهب العام لسائر الاغنام ومن أخذ شيأ فهو له لا يقطع أحد سبله ثم أمر بهدم البلد والاحراق واعدام عينها على الاطلاق فهما قال فعلوه وكل مارسم به امتثلوه فساووا بالبلد الارض واستوفوا أعمار أهلها بالفرض والقرض فلم يبق منهم ديار ولم ينج من تلك النار العظيمة نافخ نار وقيل انه نجا من هذه الواقعه رجل باقعه فوصل الى خراسان فسألوه عن هذا الشان كيف كان فقال لهم بذلك اللسان ما صورته

آمدند وكندند وسوختند * وكشتند وبردند ورفتند

يعنى هجموا وهدموا وأحرقوا وأرهقوا ونهبوا وذهبوا فقيل لم يوجد فى الفارسى فى هذا المعنى أحسن من هذه الالفاظ ولا أرصن ولا أوجز ولا امتن ثم أمر الجند بالتوجه الى سمرقند فتوجهوا بالاثقال من الاموال والاسرى من النساء والاطفال مشاة حفاه اذلاء عراه فلم يتوقف كل أعتى أعقف وكافر أغلف فى ضرب رقبة من أعيا أو توقف فوصلوا اليها واحتنوا عليها وفيها من العساكر الاكفاء ثلاثة ألف وعشرون ألفا سبعون من أهل البلد وخمسون من المرصدين للمدد فتجهز عسكر البلد للقا وخرجوا من البلد للملتقى فكمن لهم التتار من اليمين واليسار فى رواب وتلال تسمى بالاحصار فناوشهم من عساكر الكفار شرذمه ثم ولت امامهم منهزمه فركب البلديون أعقابهم وداسوا أذنابهم الى ان ابعدوا عن البلد وانقطع عن البلديين المدد خرج الكمين من خلفهم لقطع رجل مددهم وكفهم ورجع عليهم الفارون وأحاط بهم الغارون وتلاحق بهم عساكر لا أول لهم ولا آخر فلم يفلت منهم واحد ولا صدر عن حياض تلك الملحمة وارد فلما شاهد العساكر الخوارزمشاهيه ما نزل بالجنود البلدية من داهية ورزيه لم يسعهم الا الترامى عليهم والانحياز اليهم فداروا وداروا واللبيب من دارى فوقوا بذلك أنفسهم وأهليهم نارا فلم يركنوا اليهم ولا اعتمدوا عليهم فرأوا مصلحتهم فى سلبهم أسلحتهم فطلبوا منهم عدتهم ثم فرقوا عدتهم كما فعل تيمور الغدار فى بلاد الروم بالتتار عند كسر ذلك الخوان فى سنة خمس وثمانمائة بايزيد بن عثمان فلم يبق لاهل البلد معين ولا مدد فاستسلموا للقضا وجروا طوعا وكرها فى ميادين الرضا فاحل بهم بوارا وأنزل دمارا ففعل بسمرقند وأهلها ما فعل ببخارى ودور أسوارها بدلالة آثارها من الفراسخ اثنا عشر لا يعترى فى ذلك اثنان من البشر فقس ما فى ذلك من الخلائق والامم فالكل براهم سيف القلم كما برى السيف القلم ثم قوى العزم وسدد الحزم وجهز طائفة من العساكر الى خوارزم مع ولديه أحدهما المدعو بجغتاى والآخر المسمى باوكتاى وهى تخت خوارزمشاه وفيها من الامم ما لا يعلمه الا الله معدن الافاضل ومقطن الاماثل محط رحال أهل التحقيق ومقصد رجال الفحول ذوى التدقيق ولوفور ما بها من الرؤس لم ينفرد برياستها رئيس لكثرة ما بها من الناس لم يتعين لسياستهم راس فاتفق أكابرها لضبط أمور المسلمين على تقديم شخص يدعى خمار تكين فبعد حروب يطول شرحها ويهول برحها ويجب قرحها ويستصعب طرحها أخذوها عنوه بعدما قاسوا جفوه فاستصفوا أرباب الحرف ومن تعلق من صنعة بطرف فكانوا نحوا من مائة ألف بيت أو يزيدون ان عدتهم وعديت ثم ميزوا النساء والاطفال وكانوا كعدد الحصى والرمال ففرقوهم على ذلك العسكر الثقيل فكفى الحقير منهم والجليل ثم فصلوا بالحسام المفصال مدارع ذوات ما بقى من الرجال ثم أرادوا حصر من قتل واقامة عدد من بتك وبتل فكان حصة كل فتاك قتال على ان عددهم أكثر من القطر والرمال أربعة وعشرين مقتولا ثم فعلوا بالبلد

الحكيم العاقل قد يصيب البلاء والضر قال بيدبا كما أن الانسان لا يبصر الا بعينيه ولا يسمع الا باذنيه كذلك العمل انما هو بالحلم والعقل والتثبت غير أن القضاء والقدر يغلب على ذلك ومثل ذلك مثل ابن الملك وأصحابه قال الملك وكيف كان ذلك قال الفيلسوف زعموا ان أربعة نفر اصطحبوا فى طريق واحدة أحدهم ابن ملك والثانى ابن تاجر والثالث ابن شريف ذو جمال والرابع ابن أكار وكانوا جميعا محتاجين وقد أصابهم ضرر وجهد شديد فى موضع غربة لا يملكون الا ما عليهم من الثياب فبينما هم يمشون اذ فكروا فى أمرهم وكان كل انسان منهم راجعا الى طباعه وما كان يأتيه منه الخير قال ابن الملك ان أمر الدنيا كله بالقضاء والقدر والذى قدر على الانسان يأتيه على كل حال والصبر للقضاء والقدر وانتظارهما أفضل الامور وقال ابن التاجر العقل أفضل من كل شئ وقال ابن الشريف الجمال أفضل مما ذكرتم ثم قال ابن الاكار ليس فى الدنيا أفضل من الاجتهاد فى العمل فلما قربوا من مدينة يقال لها ماطرون جلسوا فى ناحية منها يتشاورون فقالوا لابن الاكار انطلق فاكتسب لنا باجتهادك طعاما ليومنا هذا فانطلق ابن الاكار وسال عن عمل اذا عمله الانسان يكتسب فيه طعام أربعة نفر فعرفوه انه ليس فى تلك المدينة شئ أعز من الحطب وكان الحطب منها على فرسخ فانطلق ابن الاكار فاحتطب طنا من الحطب وأتى به المدينة فباعه بدرهم واشترى به طعاما وكتب على باب المدينة عمل يوم واحد اذا أجهد فيه الرجل بدنه قيمته درهم ثم انطلق الى أصحابه بالطعام فأكلوا فلما كان بالغد قالوا ينبغى للذى قال انه ليس

كعادتهم الاولى فهدموا أسوارها ومحوا آثارها وأجروا من بحر الدماء انهارها فانمحى العلم والعلماء واندحى الفضل والفضلاء واستشهد الرؤساء والكبراء وناهيك بالقطب الولى الشيخ نجم الدين العكبرى وتوجه جنكزخان من سمرقند قاصدا السلطان ومر من أطوار عسكره بكل أخشب حتى أناخ على ترمذ ونخشب فامتنعتا عليه ولما عتهما لم تلتفتا اليه وكانتا كثيرتى العدد والعدد غزيرتى المدد من مددوهما من أمهات البلاد مملوأتان من آلات الجهاد ومقاتلة الاجناد فاهلك ناسهما وسقاهما من خمر التشريد كاسهما فلم يبق لهما فيا ولم تغن العدد والعدد عنهما من الله شيا

(ومن) غريب ماوقع من البدع انه أمر باهل ترمذان يقتلوا عن آخرهم مع أهاليهم وعشائرهم ولا يبقى فيها على أحد وأرصد على ذلك لرصد فاتفق ان امرأة من المخدرات تخجل الشموس النيرات قبضوا عليها وتقدموا باراقة دمها اليها فتشفعت فما أفاد وتضرعت فما زاد الا العناد فلما أسلمت رتلوها للجبين وعلمت انه جاءها الحق المبين قالت لاولئك الكفار لا تقتلونى باحضار وأنا أفتدى نفسى منكم بعقود من اللؤلؤ كبار فانهوا القضية اليه وعرضوا ماقالته عليه فقال اتركوها ثم عما قالت طالبوها لننظر أصدقت أم اختلقت فاطلقوها وبتقاضى اللؤلؤ أقلقوها فقالت لم أفه بزور ولا دليتكم بغرور وانما اللؤلؤ كان عندى وحين استخلصتم مالى كان فى يدى خفت منكم فابتلعته وتبالفعل صنعته فامهلونى حتى أبرز ويخرج منى ذلك الحرز فانموا كلامها اليه وعرضوا أمرها عليه فقال ابقروا بطنها وانظروا قطعها فان وجدتم شيأ فهو لكم وان كانت كاذبة فقد استحقت فعلكم فشقوا بطنها البطين واستخرجوا منه الدر الثمين فلما رأوا صدقها وحققوا نطقها أمرهم بشق بطون جميع القتلى وتفتيش ما طرحوه من جبال الاشلا فلم تنج رؤس الروس من المثلة بعد القتل ولا بطون الصدور من ظهور التنكيل أثر البتل ثم أمر بهدم الحصون بعد ابتذال المال والعرض المصون فمحت الديار ولم يبق فيها ديار ثم عبر من جيحون الى خراسان وجعل نصب عينيه ممالك السلطان وتوجه الى بلخ وهى احدى معاقل الاسلام وفيها من أمم الانام مالا يدرك ضبطه سابق الاقلام بل يخرج عن حصر الاوهام ولا يحصيه الا الملك العلام وكان السلطان قد انشمر عنها كما ذكر الى نواحى طبرستان فوصل بتلك البحار الطاميه فى ثمان عشرة وستميه فخرج اليه الاعيان وطلبوا منه الامان فاجاب سؤالهم بما يصلح حالهم ثم اختشى من السلطان جلال الدين بن المرحوم قطب الدين فلم يركن اليهم ولا عول عليهم فامر باراقة الدماء وهدم البناء واحاطتهم بدائرة الفناء فافنوهم عن آخرهم وساووا بالحضيض بقاع عمائرهم ثم أرسل ولده تولى خان الى محاصرة طالقان فعصت عليه ولم تسلم قيادها اليه فاستمرت فى الحصار مده وأذاقها لباس الباس والشده الى ان أخذوها وأبادوا اخلاتها وادركوها ثم ان جنكزخان الكافر الخوان معدن الكفر والطغيان لما استوبل هواء خراسان فالوى الى بلاده وترك تولى خان من أولاده وولاه خراسان وهو محاصر طالقان وأقام فى ممالك ايران من كبار أمرائه أميران أحدهما يدعى سنتاى وهو من قبيلة الجغتاى والآخر يدعى عما وهو من الكفار اللؤما وترك معهما من الكفار الاراذل والتتار الاسافل ثلاثين ألف مقاتل فوصل الى هراه ووضعا السيف فى الائمة الهداه وابتدآ فى القتل والنهب والفتك والسلب والقهر والاسر والقسر والكسر ثم أخذا فى الائتلاف طريق الائتلاف وذهب كل منهما للاختلاف فى الفساد على خلاف فصالا وجالا وأوسعا فى الدمار والبوار مجالا وخاضا فى دماء المسلمين واجتهدا فى اهلاك الاسلام والدين وخلا لهما الجو فباضا وصفرا وكان السلطان قطب الدين قد أخلى الدنيا من

ثم أعزم من الجمال أن تكون توبته فانطلق ابن الشريف الى المدينة ففكر فى نفسه وقال أنا لست أحسن عملا فما يدخلنى المدينة ثم استحى أن يرجع الى أصحابه بغير طعام وهم بمفارقتهم فانطلق حتى أسند ظهره الى شجرة عظيمة فحمله النوم فنام فمرت به امرأة رجل من عظماء المدينة وبصرت به فاعجبها حسنه فارسلت خادمتها وأمرتها أن تاتيها به فانطلقت الجارية الى الغلام وأمرته أن يتبعها الى مولاتها فظل نهاره عندها فى أرغد عيش فلما كان عند المساء أجازته بخمسمائة درهم فخرج وكتب على باب المدينة جمال يوم واحد يساوى خمسمائة درهم وأتى بالدراهم الى أصحابه فلما أصبحوا فى اليوم الثالث قالوا لابن التاجر انطلق أنت فاطلب لنا بعقلك وتجارتك ليومنا هذا شيا فانطلق ابن التاجر فلم يزل حتى بصر بسفينة من سفن البحر كثيرة المتاع قد قدمت الى الساحل فخرج اليها جماعة من التجار يريدون أن يبتاعوا مما فيها من المتاع فجلسوا يتشاورون فى ناحية من المركب وقال بعضهم لبعض ارجعوا يومنا هذا لا نشترى منهم شيا حتى يكسد المتاع عليهم فيرخصوه علينا مع اننا محتاجون اليه وسيرخص فخالف الطريق وجاء الى أصحاب المركب فابتاع منهم ما فيها بمائة دينار نسيئة وأظهر أنه يريد أن ينقل متاعه الى مدينة أخرى فلما سمع التجار ذلك خافوا أن يذهب ذلك المتاع من أيديهم فاربحوه على ما اشتراه مائة ألف درهم وأحال عليهم أصحاب المركب بالباقى وحمل ربحه الى أصحابه وكتب على باب المدينة عقل يوم واحد ثمنه مائة ألف درهم فلما كان اليوم الرابع قالوا لابن الملك انطلق أنت واكتسب لنا بقضائك وقدرك فانطلق ابن

الملوك والسكبرا فلم يثبت لهما مقابل فضلا عن مخاتل أو مقاتل فاهلكا الدين وأبادا وتصرفا في نصرة
الشرك على الاسلام كيفما أرادا فاستخلصا جوين وطوس وأعدما بهما من نفائس ونفوس وجام
وخبوشان واسفراين ومازندران وآمل وقومس وتلك البلدان فمحوا من كتب كتائبها أسطارها
وأطفؤا منارها وأظهروا من صفة الجلال والقهر آثارها وأجروا من الفتن كالدماء بحارها واضرموا
من الشرور نارها كل ذلك قتلا ونهبا وسبيا وسلبا وهدما واحراقا وصدما وازهاقا وردما واغراقا
ثم بلغهم ان حريم السلطان جلال الدين في قلاع آمل آمنين فقصدوها وحاصروها ورصدوها فاقل
ناصروها فاستولوا عليها ووصلوا كما أرادوا اليها فبقروا وفتكوا وبروا وبتكوا وسبوا وسبكوا
وسفوا وسفكوا وكووا وشووا وغووا ولووا وعووا وماروا وعووا ثم انهم صادفوا العكس الزمان
وانقلاب الدهر على السلطان وسوء التدبير وشؤم الحظ المبير وهم في بعض المسير من غير مخبر ولا معلم
في سدفة ليل مظلم حريم السلطان خوارزمشاه لامور قدرها الله مع والدته وجواريه وبناته
وسراريه وكان لشدة ما نابهم من الزمان قد ضاق عليهم المكان وتغير بل تنكر لهم السكون وقل عنهم
النصير وقل العون وخافوا الابتذال بعد الصون فتركوا ما هم فيه من مكان وقصدوا البعد عن
خراسان فتوجهوا الى أطراف اصفهان ومعهم من نفائس الاموال والجواهر وأنواع المفاخر
والذخائر ومصونات الخزائن ومكنونات المعادن ما لا يعلمه الا مانحه ومن الكنوز ما تنوء بالعصبة
مفاتحه وما لم يجتمع لسلطان قط ولا ضبطها قلم ديوان ولا خط فتباغتوا مواجهه وتواجهوا مباغته
وتباهتوا مشافهه وتشافهوا مباهته فوقعن في شبكة الصيد وأحاطت بهن دائرة الكيد وتورطن
فيما فررن منه وتربطن باوهاق ما نفرن منه وناداهن لسان الحظ وهاتف الطالع الفظ

واذا أراد الله انفاذ القضا * وظهور قهر للبصائر باتلا
جعل الدواء اذا الدواء مرضا * وفوائد الترياق سما قاتلا
والكون خصما والمكان منقضا * والعيش موتا والصديق مقاتلا

فلم يشعرن الا وقد وقعن من نيران الفتن في تنور وتورطن من بحار المحن في دردور وتبسمت الى بكائهن
ثنايا البلايا وتكالبت على جباه مصابهن عقود الرزايا فظفرت حامية الكفر بذلك المغنم البارد ولم يصدر
من حلقة صيده شارد ولا وارد فاز بتلك المستترات ونزل الى حضيض قنصهم من سماء المنافسة الشموس
النيرات فهتكوا أستارهن وخربوا ديارهن وضبطوا اشعارهن ودثارهن وأحرزوا ما معهن من كنوز
المعادن ونفائس المكامن وذخائر الخزائن ثم أضافوهن الى زبانية غلاظ واحتفظوا بهن أشد احتفاظ
وساقوهن الى بلاد التتار مهتكات الاستار عاريات حافيات حاسرات ماشيات وأمروهن أن يجتمعن
كل ليلة عندما ينشر الظلام ذيله في كل منزله وصباح كل مرحله ويقمن على أنفسهن العزا وينحن
على ما تقدم ويبكين بما جرى ويعددن على خوارزمشاه ويذكرن ما قدره الله عليه وقضاه وينعين ما كن
فيه من النعم وما صرن اليه من الهوان والنقم وليدمن على هذه الطريقه حتى يقطعن من سفرهن
طريقه ويصلن بجنكزخان على ذلك الامتهان والذل والهوان فيرى فيهن رأيه من نكال ونكايه
ورحمة وعنايه فامتثلن ما أمروهن به فكن ينبهن النيام ويبكين المتنبه واستمررن على هذه الحال في
الخزي والاذلال والمشقة والابتذال بعد ذلك الصون والدلال يصدعن بنحيبهن الجبال ويتفطرن
بالنظر اليهن أكباد الصخور والتلال ثم ان تولى الما أخذ طالقان وأهلك أهلها بسيف الطغيان ولم يدع
فيها من يتنفس وهدم الى الارض بنيانها المؤسس توجه الى جانب من بلاد العجم وأهلك ما شاء الله تعالى

الملك حتى أتى الى باب المدينة فجلس على متكئ في باب المدينة واتفق أن ملك تلك الناحية مات ولم يخلف ولدا ولا أحدا ذا قرابة فمروا عليه
بجنازة الملك ولم يحزنه وكلهم يحزنون (١٩٨) فانكروا حاله وشتمه البواب وقال له من أنت يا كلب وما يجلسك على باب المدينة ولا نراك
تحزن لموت الملك وطرده البواب عن الباب فلما ذهبوا عاد الغلام فجلس مكانه فلما دفنوا الملك ورجعوا صر به البواب فغضب وقال له ألم أنهك عن الجلوس في هذا الموضع وأخذه فحبسه فلما كان الغد اجتمع أهل تلك المدينة يتشاورون فيمن يملكونه عليهم وكل منهم يتطاول بنظر صاحبه ويختلفون بينهم فقال لهم البواب اني رأيت أمس غلاما جالسا على الباب ولم أره يحزن لحزننا فكلمته فلم يجبني فطردته عن الباب فلما عدت رأيته جالسا فادخلته السجن مخافة ان يكون عينا فبعث أشراف أهل المدينة الى الغلام فجاؤا به وسألوه عن حاله وما أقدمه الى مدينتهم فقال أنا ابن ملك فوبران وانه لما مات والدي غلبني أخي على الملك فهربت من يده حذرا على نفسي حتى انتهيت الى هذه الغاية فلما ذكر الغلام ما ذكر من أمره عرفه من كان يغشى أرض أبيه منهم وأثنوا على أبيه خيرا ثم ان الاشراف اختاروا الغلام ان يملكوه عليهم ورضوا به وكان لاهل تلك المدينة سنة اذا ملكوا عليهم ملكا حملوه على فيل أبيض وطافوا به حول
المدينة فلما فعلوا به ذلك مر بباب المدينة فرأى الكتابة على الباب فأمر ان يكتب ان الاجتهاد والجمال والعقل وما
أصاب الرجل في الدنيا من خير وشر انما هو بقضاء وقدر من الله عز وجل وقد ازددت في ذلك اعتبارا بما ساق الله الي من الكرامة والخير ثم
من

من خلائق وأمم فصار في أحد الجوانب يعيث وكل من ستنائى الخبيث وعم الكافر العثيث في جانب يبيد المسلمين ولا مغيث فدكوا قزوين وهمذان ومكوا اران وبيلقان وأغاروا على ممالك أذربيجان وبلغهم أن السلطان جلال الدين له في مجاس جماعة مجتمعين مقدمهم السلاحدار بكتكين وفيهم من الاعيان كوجبوغاخان فتوجه اليهم بما فبدد شمل أولئك الزعما وأبادهم وفرقهم وشتتهم ومزقهم ثم غاروا على غالب عراق العجم فاوسقوا القفار بالضرم وأوسعوا البحار بامطار الدم وملؤا الوجود بالعدم ثم قصدوا أردبيل وجعلوا أهلها ما بين أسير وقتيل وكانوا في أول المزور قد صالحوا أهل نيسابور وانتقلوا الى مرومنها وراودوا أهلها عنها فاغلقوا أبوابهم وأقلقوا جوابهم فطمعوا عليها ودخلوا اليها وحكموا في أهلها السيوف وكان شهر الصيام ففطروهم على كاسات الحتوف ونقل الى جوار الله تعالى منهم المئين والالوف فضبطوا من أمكن ضبطهم من القتلى واستسعد بنيل الشهادة من الشهدا فكان ألف ألف نسمه وثلثمائة ألف وثلاثين ألفا مكرمه وكل هذه الفتنة والفتره في سنة ثمان عشره عامت الدنيا في الدماء عوما وكانت مدة نحو تسعين يوما ثم توجهوا الى شروان وأفاضوا من دماء البحار الطوفان ودخلوا من الباب الحديد واتصلوا من الدست بذلك الشيطان المريد فتيقظ الناس من الفكره وأفاقوا مما كانوا فيه من السكره وتصوروا انها سحابة صيف انقضت أو نسمة أزمنة هبت بارقة أو مضت ولكن احتاطوا واستعدوا وتحفظوا واستمدوا وحصنوا الحصون والمعاقل وجمعوا الجنود والجحافل فلم يكن باسرع من ايابهم وتعاطي ما كانوا عليه من دأبهم والشروع في أعمال حرابهم بحرابهم وأخذهم في ضروب ضربهم وضرابهم واستقر تولي في ممالك العجم وهو أبو هلا كو الكافر الاغتم فوصلوا الى شيراز وقد استعدت للحصار واستمدت للمناوشة والنقار فاخذوها عنوة وزحفا وقتلوا منها مما أمكن ضبطه سبعين ألفا ثم توجهوا الى طوس فازهقوا ما بها من نفوس ثم الى سائر القلاع بالحضيض واليفاع فاستولوا على الكل قهرا وأخذوه عنوة وقسرا وسعوا في احلال البؤس وازهاق النفوس ثم الى موقان ولم يبقوا بها أحدا كائنا من كان وعم القتل المبير كل صغير وكبير ثم حل أولئك البور ببلدة نيسابور فكانت بعدما كانت صالحت وتحصنت بعد أن أذعنت واعتمدت على عددها واستندت الى عددها وبرجالها استعانت بعدان كانت قد دانت ولانت واستكانت وكان فيها من آلات الحرب ورجال الطعن والضرب ما لا يحصى ولا يبلغه الاستقصا فكان فيها من المجانيق المرسلات الصواعق على أسوار الحصار ثلثمائة منجنيق أصغرها كالغضبان في المقدار خارجا عن المكاحل والمدافع المهلكات بالصواعق الصواقع ومن رماة القوس القصير المنفذ حكمه قاضي التقدير ثلاثة آلاف بطال كل أرمى من بني ثعل وأما سدد الضارب والنابل والقاتل والمقاتل والرامح والناطح والصارع والقارع والحاذف والجارف والخاطف والقاطف والناهب والسالب فالضابطون فيه تاهوا وما يعلم جنود ربك الا هو فوجه التتار الهمة اليها وأخذوا كالقضاء المبرم عليها وحمي الوطيس وخاطر بنفسه كل خسيس وبذل مهجته من الغزاة كل نفيس فقتل من أهل العدوان طغاجار خان زوج ابنة جنكزخان وكان من عتاة الكفار المعتبرين بين التتار فحنق العدو لذلك وسددوا المسالك وسمع بذلك تولي الكافر الموغول وكان في بعض الجوانب مشغولا بالدواهي والمصائب ففار دم قلبه وتأججت نيران كربه وتأسف لفقد ختنه وثار غبار احنه فتوجه من فوره بحنقه وحوره ونزل على نيسابور وحل بالبوار على أولئك البور وزحف بالعساكر وتقدم بالطعن والضرب كل كافر فلم تمض غلوه حتى أخذوها عنوه ودخلها من كفر من التتر يوم السبت خامس عشر صفر سنة تسع عشره وستمائة من الهجره وأعطى

انطلق الى مجلسه فجلس على سرير ملكه وأرسل الى أصحابه الذين كان معهم فاحضرهم فاشرك صاحب العقل معه في الوزاره وضم صاحب الاجتهاد الى أصحاب الزرع وأمر لصاحب الجمال بمال كثير ثم نفاه كي لا يفتن النساء ثم جمع علماء أرضه وذوي الرأي منهم وقال لهم اما أصحابي فقد تيقنوا ان الذي رزقهم الله سبحانه وتعالى من الخير انما هو بقضاء الله وقدره وانما أحب أن تعلموا ذلك وتستيقنوه فان الذي منحني الله وهيأه لي انما كان بقدر ولم يكن بجمال ولا عقل ولا اجتهاد وما كنت أرجو اذا طردني أخي ان يصيبني ما يعيشني من القوت فضلا عن ان أصيب هذه المنزلة وما كنت أؤمل أن أكون بها لاني قد رأيت في هذه الارض من هو أفضل مني حسنا وجمالا وأشد اجتهادا وأفضل رأيا فساقني القضاء الى أن اعتززت بقدر من الله وكان في ذلك الجمع شيخ فنهض حتى استوى قائما وقال انك قد تكلمت بكلام كامل عقل وحكمة وان الذي بلغ بك ذلك وفور عقلك وحسن ظنك وقد حققت ظننا فيك ورجاءنا لك وقد عرفنا ما ذكرت وصدقناك فيما وصفت والذي ساق الله اليك من الملك والكرامة كنت أهلا له لما قسم الله لك من العقل والرأي وان أسعد الناس في الدنيا والآخرة من رزقه الله رأيا وعقلا وقد أحسن الله الينا اذ وفقك للناء بدم وتملكنا وكرمنا بك ثم قام شيخ آخر سائح فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وقال اني كنت أخدم وأنا غلام قبل أن أكون سائحا رجلا من أشراف الناس فلما بدا لي رفض الدنيا فارقت ذلك الرجل وقد كان أعطاني من أجرتي دينارين فاردت أن أتصدق باحدهما واستبقي الآخر فاتيت السوق فوجدت مع رجل من الصيادين

زوج هدهد فساومته فيهما فأبى الصياد أن يبيعهما الا بدينارين فاجتهدت أن يبيعنيهما بدينار واحد فأبى فقلت في نفسي اشترى أحدهما وأترك الآخر ثم فكرت وقلت لعلهما ان يكونا زوجين ذكرا وأنثى فافرق بينهما فادركتني لهما رحمة فتوكلت على الله وابتعتهما

تولى لاخته ذلك عوضا عن زوجها الهالك وقال لها تسلى عن ذلك المفقود بهذا الموجود وتحكمي في أهل البلد بما ترتضيه من سرور ونكد وتصرفي في الاموال والارواح فهما تريه فهو لك مباح فأمرت أن لا يبقى على ذي روح وان تجري السيول من الدم المسفوح فأطلقوا في ميادين الحتوف أعنة صوارم السيوف فجدت جياد الجياد وجادت بجود الجد على أجياد الاجواد وصارت كالسن الشعراء النقاد تهيم من النظم والنثر في كل واد فمحوا عن لوح الوجود بلسان شواظ السيف ذات الوقود سطور ذوات ذلك السواد الاعظم وكتاب كتائب تلك الخلائق والامم وزادوا في الاشتطاط حتى قتلوا الكلاب والقطاط ثم أمرت أن تجمع رؤس أولئك الجهور وبميز رؤس الاناث من الذكور فميزوا رؤس الرجال عن قم ربات الحجال وطرحوا كل كاشية في ناحيه فصارت الرؤس كرواسي الجبال وتلك الدور والقصور كالاعصر الخوال ولم يخلص من قطع الارؤس سوى أربعة أنفس كانوا من ذوي الحرف لجذبتهم المهارة من سفح بحر الفناء الى الطرف ثم ركبت تلك البسوس ووقفت على تلال الرؤس فلم تنطفئ نارها ولا برد أوارها وزعمت انها لم تستوف ثارها وان دودترابها من علق تلك الامم ماتسكنت وغيظة غيظها بزائر السيوف ماتشفت واستغاثت بالرجال وصاحت بلسان الحال وأنشدت

وهب ان النساء سللن سيفا * فصلن وجلن كالفحل الغيور
فزلزلن الجبال فطرن شرقا * يضاهين السحاب على الطيور
وصار لسفكهن البر بحرا * أيغنيهن ذلك عن الايور

وأمرت بهدم البلد واحراق ما فيها من آلات وعدد فدكوها دكا وأعدموها سبكا وسفكا وتصرفت أيدي النوائب فيها فتكا وبتكا ثم ان تولى لوى العنان وقصد هراة من خراسان فأخذها بالامان ولم ينج من ذلك الطوفان سوى تلك الكوره واستمرت تحت أوامرهم مقهوره وأمهات بلاد خراسان ومقرسرير السلطان كانت أربعة أمصار كل ذات اعتبار جليلة المقدار نيسابور وقد صارت بورا وبلخ وقد كسيت من البوار ثوب سلخ ومرو الرود وقد امحت من الوجود ولم يفز بالنجاة الابلدة هراه وسائر الامصار شملها البوار ولبست من خلع الدثور الدثار وكل منها مصرجامع وبرها بحر واسع وبحرها كصدر البر مداه شاسع وأما القرى والقصبات والرساتيق والمزدرعات فأكثر من أن تحصر أو تضبط بحساب دفتر فأبيد ذلك كله وأبير فالحكم لله العلي الكبير كل ذلك في أدنى مده وأوهى رقده وماذكر ذرة من طور وقطرة من بحور فسبحان من لا يسئل عما يفعل ثم ان جنكزخان الهامة الهاميه والفتنة الطامة الطاميه لما علق به المرض وحصل له في خراسان العرض رجع الى بلاده واستمر مرضه في ازدياده ولم يزل على ذلك حتى أورد سبيل المهالك وتسلم روحه الخبيثة مالك وحين أيس من الحياه وقنط من رحمة الله جمع المعتمد عليه من أولاده المشاركين له في عتوه وفساده وهم جغتاي وأوكتاي وأوليغ نوين وجرجاي وكلكان وأورديان وأوصاهم بوصايا وطرائق في سياسة الرعايا حافظوا عليها وتناهضوا اليها فثبت لهم من ملكهم أساس لم يتهدم وأقام بنيانا الى يومنا لم يتخرم وعروش قواعد أركانها لم تتثلم مع كثرة عددهم ووفرة مددهم وشكاستهم وشراستهم وشماستهم وتعاستهم وغلاظتهم وفظاظتهم واختلاف أديانهم واتساع بلدانهم وهلك الطاغية جنكزخان وانتقل الى الدرك الاسفل من النيران واستقر في لعنة الله وعقابه وأليم زجره وعذابه في رابع شهر رمضان الشامل بالفضل والاحسان والبركة النامية الهاميه سنة أربع وعشرين وستمائه في سمرقند ملكه المشوم وأعظم امصاره أعيل وقوفات وقراقر وم واستمرت بعده الفتن والشرور والمحن تغير على

تدينارين وأشفقت ان أرسلتهما في أرض عامرة أن يصادا ولا يستطيعا أن يطيرا مما لقيا من الجوع والهزال ولم آمن عليهما الآفات فانطلقت بهما الى مكان كثير المرعى والاشجار بعيد عن الناس والعمار فارسلتهما فطارا ووقعا على شجرة مثمرة فلما صارا في أعلاها شكرا الي وسمعت أحدهما يقول للآخر لقد خلصنا هذا السائح من البلاء الذي كنا فيه واستنقذنا ونجانا من الهلكة وانا لخليقان أن نكافئه بفعله وان في أصل هذه الشجرة جرة مملوءة دنانير أفلاندله عليها فيأخذها فقلت لهما كيف تدلاني على كنز لم تره العيون وأنتما لا تبصران الشبكة فقالا ان القضاء اذا نزل صرف العيون عن موضع الشئ وغشى البصر وانما صرف القضاء أعيننا عن الشرك ولم يصرفها عن هذا الكنز فاحتفرت واستخرجت البرنية وهي مملوءة دنانير فدعوت لهما بالعافية وقلت لهما الحمد لله الذي علمكما ما رأي وأنتما تطيران في السماء وأخبرتماني بما تحت الارض فقالا لي أيها العاقل أما تعلم ان القدر غالب على كل شئ لا يستطيع أحد أن يتجاوزه وأنا أخبر الملك بذلك الذي رأيته فان أمر الملك أتيته بالمال فأودعته في خزائنه فقال الملك ذلك هو مالك لك وموفر عليك انتهى باب ابن الملك وأصحابه (باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين) وهو باب من يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه قال

ممالك الاسلام وتبير شعائر شرائع خير الانام وتثير غبار الافساد والمفسدين فى وجوه سنة سيد المرسلين وتحصر جنود الاسلام وتقص جيوش العلماء الاعلام وتنقص أطراف الارض وتنقض أركان الدين بعضها على بعض وناهيك يامولانا السلطان بفتن هلاكو وتولى بن جنكزخان وبعده أبغا بن هلاكو الذى تجبر وطغى وتكبر وبغى وبعده ابنه ارغون وبعده ابنه قازان المفتون واستمرت بحار الفتن منهم تؤثر عنهم ومرجها يمور الى أن نبغ الاعرج تيمور فأهلك الحرث والنسل واختلط المباح باليسل وحل بالعالم الباس وفسدت أحوال الناس وانما ذلك كله بفساد الراس ومن جملة فتنهم وطعنهم فى طعنهم بالوافى معركه وصالوا فى دشت بركه فقتلوا فى مثل حرب البسوس وقطعوا فى ناحية من الروس جملة أرادوا ضبط عددها بعد أن أبانوها عن جسدها فلم يقدروا أن يحصروها فرسم لتلك البغاة سلطانها أن يقطع من الرؤس آذانها يقطعون من كل رأس أذنا ولتكن الآذان اليمنى فجدعوا آذان بعض الرؤس وشكوها وفى خيوط سلكوها ثم فى قلاندر بطوها وبعد ذلك ضبطوها فكانت نحو مائتى ألف أذن مجدودة وسبعين ألف أذن معدودة (وانما) ذكرت يا ملك الطير أمثال ماجرى من الشر والخير وجلوت عن مرآة ضميرك المنير صورة مامر فى الزمان المنير ومافعله من ملكه زمام الاقتدار وأمهله سلطان السلاطين الذى يخلق مايشاء ويختار وصرفه فى بلاده وعباده وبين له طريق صلاحه وفساده وأخبركم أيها الملوك والحكام بأموركم فى دنياكم وجلا صور أحوالكم على أعين أبصاركم وبين مزاياكم فى مراياكم فقال وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم فانظر مافى هذه السير من الحكم والعبر لتعلم أن الدنيا محل الغير ومحك العقول والفكر والحال بها هدف لسهام القضاء والقدر مبتلى بكل خير وشر ونفع وضر غافل عن مواقع الحذر آمن وهو على شرف الخطر مقيم وقد جد به السفر مناقش بما مضى من أنفاسه مما حلا ومر ومحاسب على ذوات ما اكتسبه مطالب بالفتيل والقطمير مما ارتكبه فلما وصل الجمل فى الكلام الى هذا المقام قبل العقاب بين عينيه وزاد قربه لديه وأفاض خلع الانعام عليه وقال صدق عليه أفضل الصلاة والتسليم حيث قال كلمة الحكمة ضالة كل حكيم ونطق بالحق من قال لا تنظر الى من قال وانظر الى ماقال فاهل التحقيق وذو النظر الدقيق راقبوا المعانى ولم ينظروا الى القوالب والمبانى فان سليمان عليه السلام وهو ملك الجن والانام والوحش والطير والهواء والهوام ونبى مرسل وملك ذو فضل وسلطان الفصل بالعدل استفاد النصائح من نملة وجمع هدهده مع ملكة سبا شمله وقد يوجد فى الاسقاط مالا يوجد فى الاسفاط ولقد ينطق بالفوائد من هو كافر وجاحد فيؤخذ من أقواله ولا يقتدى بافعاله وقد قيل ان الحسن البصرى رحمة الله عليه دخل صبى مسجده وصلى بين يديه فرآه لا يتم سجوده ولا يرضى بصلاته معبوده فدعاه وخاطبه وأنكر عليه وعاقبه وقال له تمم سجودك ترض معبودك فقال ياشيخ المتقين هذه سجدات شخص من المؤمنين لو سجد احداها ابليس لآدم لما كان من الملعونين ولو سجدها فرعون مرة لكان من المسلمين ولم يصر من أهل العناد المطرودين * ورأى يوما صبيا ومعه سراج وهو سالك فى منهاج فسأله عن ناره ومافيها من أنواره من أين أخذها وكيف اقتلذها فلم يجاوبه الا باطفاء السراج وسؤاله أين ذهب ذلك النور الوهاج قل لى أين ذهبت تلك الانوار أقل لك من أين جاءت تلك النار ثم ان العقاب ولى الجمل ما تحت يده من رقاب وقدمه على سائر الخدم وصنوف الطير وأجناسه من الامم وجعله الدستور الاعظم والوزير المقدم المكرم وفى هذا المقام أمسك الحكيم حسيب عن الكلام وختم ما افتتحه من الحكم والاحكام بالدعاء والثناء

الملك للفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى شان الرجل الذى يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه قال الفيلسوف ان مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين قال الملك وما مثلهم قال الفيلسوف زعموا أن حمامة كانت تفرخ فى رأس نخلة طويلة ذاهبة فى السماء فكانت الحمامة تشرع فى نقل العش الى رأس تلك النخلة فلا يمكن أن تعمل ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض الا بعد شدة وتعب ومشقة لطول النخلة وسحوقها فاذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها فاذا فقست وأدرك فراخها جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها الوقت قد علمه بقدر ماينهض فراخها فيقف بأصل النخلة فيصيح بها ويتواعدها ان يرقى اليها فتلقى اليه فراخها فبينما هى ذات يوم قد أدرك لها فرخان اذ أقبل مالك الحزين فوقع على النخلة فلما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم قال لها مالك الحزين ياحمامة مالى أراك كاسفة اللون سيئة الحال فقالت له يامالك الحزين ان ثعلبا دهيت به كلما كان لى فرخان جاءنى يهددنى ويصيح فى أصل النخلة فافرق منه فاطرح اليه فرخى قال لها مالك الحزين اذا أتاك ليفعل ماتقولين فقولى له لا ألقى اليك فرخى فارق الى وغرر بنفسك فاذا فعلت ذلك وأكلت فرخى طرت عنك ونجوت بنفسى فلما علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوقع على شاطئ نهر فاقبل الثعلب فى الوقت الذى عرف فوقف تحتها ثم صاح كما كان يفعل فاجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين فقال لها الثعلب أخبرينى من علمك هذا قالت علمنى مالك الحزين فتوجه الثعلب حتى أتى مالك الحزين على شاطئ النهر

فوجده واقفا فقال له الثعلب يا ملك الحزن اذا أتتك الريح عن يمينك أين تجعل رأسك قال عن شمالي قال فاذا أتتك عن شمالك أين تجعل رأسك قال أجعله عن يميني أو خلفي قال فاذا أتتك الريح من كل مكان وكل ناحية أين تجعله قال أجعله تحت جناحي قال وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك ما أراه يتهيأ لك قال بلى قال فأرني كيف تصنع فلعمري يا معشر الطير لقد فضلكم الله علينا

لانكن تدرين في ساعة واحدة مثل ما ندري في سنة وتبلغن ما لا نبلغ وتدخلن رؤسكن تحت أجنحتكن من البرد والريح فهنيأ لكن فأرني كيف تصنع فأدخل الطائر رأسه تحت جناحه فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه همزة دق قلبه ثم قال يا عدو نفسه ترى الرأي للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يستمكن منك عدوك ثم قتله وأكله فلما انتهى المنطق بالملك والفيلسوف الى هذا المكان سكت الملك فقال له الفيلسوف أيها الملك عشت ألف سنة وملكت الاقاليم السبعة وأعطيت من كل شئ سببا مع وفور سرورك وقرة عين رعيتك بك ومساعدة القضاء والقدر لك فانه قد كمل فيك الحلم والعلم وذكى منك العقل والقول والنية فلا يوجد في رأيك نقص ولا في قولك سقط ولا عيب وقد جمعت النجدة واللين فلا توجد جبانا عند اللقاء ولا ضيق الصدر عند ما ينوبك من الاشياء وقد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الامور وشرحت لك جواب ما سألتني عنه منها فأبلغتك في ذلك غاية نصحي واجتهدت فيه رأيي ونظري ومبلغ فطنتي التماس القضاء حقك وحسن النية منك باعمال الفكر والعقل فجاء كما وصفت لك من النصيحة والموعظة مع انه ليس الآمر بالخير باسعد من المطيع له فيه ولا الناصح باولى بالنصيحة من المنصوح ولا المعلم للخير باسعد من متعلمه منه فافهم ذلك أيها الملك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

والصلاة والسلام قال الشيخ أبو المحاسن الخجل بادبه امرأ القيس وأبا فراس فلما انتهى الحكيم في مقترحه وما قصده من بيان محاسنه وملحه الى هذا المحل وفصل من فضله ما أجمل من جمل نهض الوزير وقبل قدميه واعترف له بالفضل المنعم به عليه وانه مالك أزمة الانشاء وملك الكلام يصرفه كيف شاء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكأنه شيخ المنقول وأستاذ المقول فمن أنوار ألفاظه تنير العقول ومن كنوز عباراته تستخرج جواهر المعقول وأما أخوه الملك فطار بسروره عن سريره واتخذه في مهام أموره مقام أميره ثم أدت آراء فكرته أن يستعمل أخاه لكشف كربته ويمشي في السعي بينه وبين اخوته لرتق ما انفتق وسد ما خرقه سيل الحسد فانبثق فامتثل أمره العالي ونهض بامر الله المتعالي وأنفق من جواهر أفكاره في سوق المناصحة لرخيص والغالي ورصع ما استخرجه من يواقيت تلك من عباراته بما يستعبد عقود اللآلي وتعاطى أسباب الاصلاح وساعده لحسن النية وخلوص الطوية السعد والنجاح

وهذب في الفضل ما رتبه * ورتب بالفضل ما هذبه
وأعجب ذا اللب ما شاده * فاثني عليه بما أعجبه
وأغرب في السبق اشراقه * فلله ذا السعد ما أغربه
فما شذ بالصدق عن نحوه * ولا شذ خل لما شذبه

فاستمال الخواطر النافره وأطفا بزلال ألفاظه العذبة شواظ تلك النائره وسكن بنسيم ملاطفاته قتام الاخلاق الثائره فاطمانت القلوب وطهرت من غش التشاحن الجيوب واتصل بالمحب المحبوب وحصل الامن والامان ومساعدة الزمان ومعاضدة الاخوان ومصافاة الخلان وطيب العيش والمكان وأفضل من هذا جميعه شفقة السلطان والاستقامة على الاسلام والايمان ونسأل الله تعالى اتمام نعمه واسبال ذيل احسانه وكرمه واللطف في القضا والعفو عما مضى والمعاملة باحسانه الجزيل وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الاطهار وصحابته الابرار من الاختان والاصهار والمهاجرين والانصار وسلم تسليما بطيب الاعطار ويمسك باذيال عرفه خياشيم الازهار في الاسحار مادامت الاعصار ودارت الادوار وترادف الليل والنهار وحشرنا في زمرتهم مع المصطفين الاخيار انه كريم ستار حليم غفار (قال مؤلفه رحمه الله تعالى) غفر مؤلفه ولفقه مصنفه فقير عفو الله تعالى من غير تردد ولا تفكر ولا تعمق في تدبر مع توزع البال أحمد بن محمد بن عربشاه الحنفي سامحه الله تعالى وعامله بما يرتضيه تفصيلا واجمالا لا بما يقتضيه عدلا وجلالا في أواخر شهر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين وثمانمائة أحسن الله خاتمتها وعاقبتها وجعل آخرها خيرا من أولها بمنه وكرمه آمين

(يقول راجي غفران المساوي مصححه محمد الزهري الغمراوي)

نحمدك اللهم حمدا يوافي نعمك ونستزيد به عميم نوالك ونستدفع به نقمك ونسألك دوام الصلاة والتسليم على نخبة أهل صفوتك والمقصود من اظهار وجود خليقتك سيدنا محمد الذي ختمت به أمر الرساله وأكرمت اتباعه وأعظمت مناله وعلى آله ذوي الشرف التليد وأصحابه ذوي المجد الاكيد

(أما بعد) فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفا للعلامة الاديب والاوذعي الاريب الشيخ أحمد بن محمد بن عربشاه الحنفي رحمه الله وأثابه رضاه وقد حليت طرره ووشيت غرره بكتاب كليله ودمنه تأليف بيدبا الفيلسوف وترجمة عبد الله بن المقفع وهما كتابان ترصعا بدرر الآداب وحازا من بدائع الحكمة وزواهر النصائح ما يقضي بالاستغراب وذلك بالمطبعة الميمنية بمحروسة مصر المحمية بجوار سيدي أحمد الدردير قريبا من الازهر المنير وذلك في أوائل محرم من سنة ١٣٢٥ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحيه آمين



﴿ فهرست فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء للعلامة الاديب والفهامة الاريب الشيخ أحمد بن محمد بن عربشاه الحنفى تغمده الله تعالى برحمته آمين ﴾

صحيفه	
٣	خطبة الكتاب
٥	الباب الاول فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب السبب
١٦	الباب الثانى فى وصايا ملك العجم المتميز على اقرانه بالفضل والحكم
٣٩	الباب الثالث فى حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك
٤٤	الباب الرابع فى مباحث عالم الانسان مع العفريت جان الجان
٧٠	الباب الخامس فى نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع
٩٢	الباب السادس فى نوادر التيس المشرقى والكلب الافرقى
١٣٠	الباب السابع فى ذكر القتال بين أبى الابطال الرئبال وأبى دغفل سلطان الافيال
١٣٦	الباب الثامن فى حكم الاسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد
١٤٩	الباب التاسع فى ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب
١٧١	الباب العاشر فى معاملة الاحباب والخادم والاعداء والاصحاب وبه تمت أبواب الكتاب

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست كتاب كليلة ودمنه المطرز به هامش فاكهة الخلفاء ﴾

صحيفه	
٧	باب مقدمة الكتاب (ترجمة على ابن الشاه الفارسى)
٢٦	باب بعثة برزويه الى بلاد الهند (أى لانتساخ كتاب كليله ودمنه)
٣٥	باب غرض الكتاب ترجمة عبد الله بن المقفع
٤٥	باب برزويه ترجمة برزجهر بن البختكان
٥٥	باب الاسد والثور وهو أول الكتاب (وهو مثل المتحابين يقطع بينهما الكذوب
٩٢	باب الفحص عن أمر دمنه (وما كان من معاذيره)
١٠٨	باب الحمامة المطوقة (وهو مثل اخوان الصفاء)
١٢٣	باب البوم والغربان (وهو مثل العدو الذى لا ينبغى أن يغتر به)
١٤٦	باب القرد والغيلم (وهو مثل الذى ظفر بالحاجة ثم أضاعها
١٥١	باب الناسك وابن عرس (وهو مثل الرجل العجلان فى أمره من غير روية ولا نظر فى العواقب
١٥٣	باب الجرذ والسنور (فيه مثل رجل كثرت أعداؤه)
١٥٩	باب ابن الملك والطائر فنزة (وهو مثل أهل الترات) الذين لابد لبعضهم من اتقاء بعض
١٦٥	باب الاسد وابن آوى (فيه مثل الملك الذى براجع من أصابته منه عقوبة من غير جرم
١٧٣	باب ايلاذ وبلاذ وايراخت وكبار يون الحكيم
١٨٧	باب اللبوة والاسوار والشعهر (فيه مثل الذى يدع ضر غيره اذا قدر عليه لما يصيبه من الضر)
١٩٠	باب الناسك والضيف (فيه مثل الذى يدع صنعه الذى يليق به ويشاكله ويطلب غيره فلا يدركه
١٩١	باب السائح والصائغ (فيه مثل الذى يضع المعروف فى غير موضعه ويرجو الشكر عليه)
١٩٥	باب ابن الملك وأصحابه (فيه أمثال القضاء والقدر)
٢٠٠	باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين وهو مثل من يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه

﴿ تمت ﴾


Bibliotheca Alexandrina
0418098